

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية  
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي



كلية: الآداب و الحضارة الإسلامية

جامعة الأمير عبد القادر

- قسم التاريخ -

للعلوم الإسلامية - قسنطينة -

البطانة ودورها في توجيه سياسة الخلفاء العباسيين

السياسية والاقتصادية

(132-334هـ / 749-946م)

أطروحة مُقدّمة لنيل شهادة دكتوراه علوم في التاريخ الإسلامي الوسيط  
تخصص: المشرق الإسلامي - تاريخ وحضارة - إلى غاية القرن السابع الهجري

تحت إشراف:

من إعداد الطالب:

أ/د. محمد فرقاني

موسى جواد

الصفة	الجامعة الأصلية	لجنة المناقشة
رئيسا	جامعة الأمير عبد القادر - قسنطينة -	أ.د. يوسف عابد
مشرفا	جامعة الأمير عبد القادر - قسنطينة -	أ.د. محمد فرقاني
عضوا	جامعة الحاج لخضر - باتنة -	أ.د. رشيد باقة
عضوا	جامعة الأمير عبد القادر - قسنطينة -	د. ابراهيم بن مهية
عضوا	جامعة محمد بوضياف - المسيلة -	د. مراد لكحل
عضوا	جامعة أحمد درارية - أدرار -	د. عبد الرحمن بعثمان

السنة الجامعية: 1440-1441هـ / 2019-2020

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

جامعة الأمير الأمير  
العلوم الإسلامية

# شكر وتقدير

الحمد لله المعين على كل خير، أشكره سبحانه وتعالى على عونه و توفيقه الذي يسّر أمرنا،  
و وفقنا لإتمام هذا العمل المتمثل في أطروحة الدكتوراه، فله جزيل الشكر وخالص الشناء.  
ومن باب " من لا يشكر الناس لا يشكر الله " أتقدم بالشكر الجزيل ، والدعاء الصالح  
الخالص لفضيلة الأستاذ الدكتور محمد فرقاني. لما له من فضل بعد الله تعالى في صبره على تنقيح  
هذا العمل ، وتتبع دقائقه وتفصيله . إلى أن أخرج في أبهى حلة وأجدى وأنفع مضمون.  
كما لا يفوتني أن أشكر لجنة المناقشة ، الذين تجشموا عناء قراءة هذه الأطروحة ، وتقييمها  
وتقويمها. حتى تصبح عملا نفتخر به ، وتنتفع به الأجيال.  
وفي الأخير، أشكر كل من علمني ودرسني في كل أطوار ومراحل دراستي. وكل من أفادني  
في هذه الأطروحة من قريب أو بعيد. وأخص منهم عمال مكتبة جامعتنا العزيزة الأمير عبد القادر  
للعلوم الإسلامية بقسنطينة.

و الحمد لله رب العالمين

الطالب: موسى جواد

# إهداء

إلى أمي وأبي اللذين رباني فأحسنا تربيتي.

إلى زوجتي العزيزة التي كانت لي خير سند في هذه الحياة.

إلى الشهداء الذين ضحوا من أجل قيم العدالة والحرية.

إلى العلماء الذين لا يرضون الدنية في دينهم، ويصدعون بالحق.

إلى شعبنا الأبى الذي علمنا معنى التضحية والصبر، لبناء الذات

وتحقيق الازدهار .

أهدي هذا العمل المتواضع.

الطالب موسى جواد

جامعة الأميرة  
عبد القادر للعطوم الإسلامية

# مقدمة

جامعة الأمير  
عبد القادر للعلوم الإسلامية

## مقدمة

### 1- أهمية الموضوع:

إن اختيار الخليفة أو أي حاكم مهما كانت تسميته في أعلى السلطة إلى أديانها ما يعرف بالبطانة من وزراء وكتاب وقادة جيش وبقية أعوانه في تحمل أعباء الحكم، وجب أن يكون اختياراً صحيحاً سليماً، مؤسساً على أسس وقواعد علمية وأدبية وأخلاقية، ويضاف إليها عنصر الكفاءة في العمل الذي يولى عليه هذا المتولي. ليسهل عليه نجاحه في إدارة شؤون الدولة إدارة سليمة فحسن اختيار البطانة ضرورة ملحة في كل عصر وأوان، لأن الحاكم أو الملك لن يصل إلى ما يريد من إحكام التدبير، وضبط الأمور إلا بحسن اختيار هؤلاء الأعوان، فهم من الملك في هذه الحالة بمنزلة سمعه وبصره.

وأكثر ما يظهر من الأعوان الذين يمثلون البطانة هم الوزراء، وحسب ما نصت عليه الأدبيات السلطانية أن أول ما يحسن اختياره هو الوزير الذي يعد هو أقرب المقربين إلى الخليفة أو الملك على الإطلاق. واختيار البطانة الصالحة يعود تاريخه إلى أعماق التاريخ عند كل الدول والممالك التي نشأت عبر التاريخ، ليكونوا واسطة له بينه وبين رعيته، وأعواناً له على تحمل أعباء إدارة الدولة وحل مشكلاتها السياسية والإدارية والاقتصادية، وتوفير الأمن للرعية، حتى يهنأ عيشها، الذين هم أصل عمارة البلاد، العائد ذلك على الدولة قوة ومهابة وأمناً.

وكلما كان حسن هذا الاختيار سليماً من قبل المتولي على الدولة، كان ذلك لمصلحته، بل أن أثر حسن اختيار أصلح من قدر عليه يمتد أثره إلى صلاح المجتمع ككل، وما كان نجاح الخلفاء الراشدين - رضوان الله عليهم - إلا لإحاطة أنفسهم بالرجال الصالحين، وحتى عمر بن عبد العزيز - رحمه الله - ما نجح في الإصلاحات التي قام بها على شتى الجبهات إلا لحسن اختياره لبطانته، فقد جاء تقييم المسعودي لهذا التغيير دقيقاً وشاملاً، قال: «فصرف عمال من كان قبله من بني أمية واستعمل أصلح من قدر عليه، فسلك عماله طريقته»<sup>(1)</sup>، فلا إصلاح دون عناصر صالحة، وقد وصف أيضاً ابن كثير قيمة هؤلاء الرجال ومكانتهم بعد دراسة لما قاله في حقهم الأئمة الأعلام، قال: «ولقد صرح كثير من الأئمة، بأن كل من استعمله عمر بن عبد العزيز ثقة»<sup>(2)</sup>.

ويكمن خطر بطانة السوء في تضليل الحاكم بتقديمهم المعلومات الزائفة عن الواقع الحقيقي الفعلي الذي عليه الدولة والذي يكون عليه الناس. وخلال ذلك كله، تستفيد هذه البطانة من تردي الوضع السياسي القائم. وتتصيد ما ينفعها لا ما ينفع الدولة، والمجتمع. ويروقها استمرار الظلم وسوء

(1) - مروج الذهب، ج 3، 182-183.

(2) - البداية والنهاية، ج 9، ص 208.

التدبير. ومن أساليبها في ذلك النفاق والرياء، والكذب، والتملق وإظهار المحاسن بالمدح الكاذب. وتزيين الأعمال وهي على غير حقيقتها في الواقع. لأن من مصلحة بطانة السوء أن تحمل الحاكم على غير إقامة العدل في رعيته. بل يتمنون أن يرتع ليرتعوا ويستمر نهيم واختلاسهم، ولا يهمهم من أمر الرعية شيء. لأن انتشار العدل يعود عليهم بالمضرة. ولذلك يسعون باستمرار إلى إحكام القبضة على الحاكم بكل السبل ليستمروا في البقاء في مواقعهم للاستمرار في تحصيل المصالح والمنافع لهم وللأطراف الذين يتآمرون معهم.

## 2- الدراسات السابقة:

و بعد البحث والتحري عمن كتب في مثل هذا الموضوع من الدارسين لمعاصرين -حسب اطلاعي- أني وجدت بعض الدراسات المهمة، ولكنها تناولته من زوايا أخرى، وبعضها تناولت بعض جوانب الموضوع أو جزءا من فترته. أذكر منها:

### - دور أسرة البرامكة في تاريخ الدولة العباسية

لبشار قويدر ، وهي عبارة عن رسالة ماجستير ، بقسم التاريخ، جامعة الجزائر ، وهي دراسة جادة تبحث في دور وزراء وكتاب ونساء البرامكة في الإدارة والاقتصاد والسياسة قبل وأثناء عصر الخليفة هارون الرشيد.

### - البلاط العباسي:

وهي عبارة عن أطروحة دكتوراه قدمتها أسماء عمارة بجامعة تونس، أفادتني من جانب موظفي البلاط من الوزراء والكتاب والحجاب والقادة . كما ركزت على دور نساء البلاط الاجتماعي والاقتصادي. غير أنها تناولت هذه المواضيع بنوع من الإيجاز.

### - العلماء والسلطة في العصر العباسي الأول:

وهي لعبد الحكيم عبد الحق سيف الدينوهي دراسة في دور العلماء في الحياة السياسية والاقتصادية في العصر العباسي الأول، تناول فيها مواقف العلماء من السلطة العباسية وموقف الأخيرة منهم. وأدوار العلماء المختلفة سياسيا واقتصاديا وعلميا.

إلا أنها جاءت محددة بالعصر العباسي الأول، وكان الامتداد لأدوار هؤلاء العلماء أكبر في العصر العباسي الثاني. ثم إنه لم يفصل في شأن العلماء الذين استبطنهم الخلفاء. والمشاريع الإصلاحية التي تقدموا بها إليهم.

### - التنافس على السلطة في العصر العباسي الأول (232.132هـ 849.749م):

للباحث سامي محمد الجعفري وهي أطروحة مقدمة لنيل درجة الدكتوراه بجامعة سانت كليمنتس وأجاد الباحث في عرض الآراء والتفسيرات السياسية لوصول العباسيين إلى الحكم والتنافس والتعاقب

عليه طيلة قرن من الزمن.

### 3-دوافع اختيارنا للموضوع:

يعود السبب الرئيس لاختيار الموضوع إلى مرحلة الماجستير ، حيث تناولت موضوع " دعوات الإصلاح السياسي والإداري والاقتصادي في العصر العباسي الأول". وهناك لفت انتباهي تأكيد كثير من الدعوات على ضرورة إصلاح البطانة بالنسبة لخلفاء ذلك العصر. فرأيت أن أطور هذه الجزئية إلى مشروع بحث لهذه الأطروحة.

ورأيت أن أدرس البطانة ودورها في توجيه القرار السياسي والاقتصادي لدى خلفاء العصر العباسي الأول والثاني(334.132هـ/749-946م) أخذاً برأي الأستاذ المشرف الذي نبهني إلى ما جاء من نهي في القرآن الكريم عن اتخاذ بطانة السوء التي منها ينشأ كل فساد قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا بَطَانَةً مِنْ دُونِكُمْ لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا وَدُؤَا مَاعِنْتُمْ قَدْ بَدَتِ الْبَغْضَاءُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمْ الْآيَاتِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ﴾<sup>(3)</sup>.

واستناداً - أيضاً - إلى الحديث الذي حدد فيه رسول الله ﷺ قسماً هذه البطانة ونتائج تمكن إحداها من التسلط على الحاكم والحكم قال ﷺ « ما بعث الله من نبي، ولا استخلف من خليفة، إلا كانت له بطانتان: بطانة تأمره بالمعروف وتحضه عليه، وبطانة تأمره بالشر وتحضه عليه، فالمعصوم من عصم الله تعالى»<sup>(4)</sup>.

وما كان عليه الصلاة والسلام يقول ذلك عن فراغ بل عن صدق ووحى إليه من الله جل جلاله، وهو قاعدة- دون شك - في تفسير أسباب تطور الدول إلى مراقي العز والسؤدد في شتى المجالات، أو تدهور حالتها السياسية والاجتماعية والاقتصادية وسرى حقيقة هذا الحديث مطبقة في هذا البحث عن العصرين العباسيين الأول والثاني.

فلما استقام الرأي على الموضوع ، واتضحت الخطة الأولية التي تطورت بمرور الوقت حتى أصبحت عما هي عليها مجسدة في هذا البحث توكلت على الله خائضاً غماره ومما دفعني إلى اختيار هذا الموضوع أيضاً :

- الرغبة في معرفة دور بطانة الخلفاء العباسيين في تسيير السياسة والاقتصاد، وسبر أعماقها إيجاباً أو سلباً .

(3)- آل عمران:118.

(4)- أخرجه البخاري في صحيحه عن أبي سعيد الخدري، ج9، ص77. رقم: 7198.

- قلة البحوث والدراسات التاريخية المعاصرة التي تناولت "البطانة" كما سماها الحديث النبوي الآنف الذكر أو "الحاشية" كما سميتها المؤلفات السلطانية والأدبية، أو "الصحابة" كما سماها ابن المقفع في رسالة "الصحابة" التي كتب بها إلى الخليفة المنصور.

مع الملاحظة أن البطانة كما عرفت هي كل من كان قريبا من الحاكم وفي خدمته، من أصغر خادم إلى أعلى مسؤول في الدولة. بما في ذلك القضاة والأطباء والشعراء والأدباء والندماء الذين كانت قصور الخلفاء تعج بهم. والإحاطة بكل هؤلاء غاية لا تدرک. ومن الصعوبة بمكان، مع ندرة المعلومات وشحتها. بل وفقدانها عن من كان قريبا من الخلفاء من صغارها. ولما كانت كذلك فقد اقتصر بحثنا على من ذكروا في هذا البحث. نظرا لأهمية دورهم الفاعل في الأحداث السياسية والاقتصادية، ولما كانوا كذلك استقر الرأي على العنوان الآتي:

### البطانة ودورها في توجيه سياسة الخلفاء العباسيين السياسية والاقتصادية

(132-334هـ / 749-946م)

#### 4-أهداف الدراسة:

أما الأهداف التي توخيتها من وراء دراسة هذا الموضوع فيمكن تلخيصها فيما يلي:

- الرغبة في معرفة دور موضوع "البطانة" أو الوليعة كما سماها القرآن الكريم، وهي التسمية التي كما سماها الحديث النبوي الآنف الذكر أو "الحاشية" كما سميتها المؤلفات السلطانية والأدبية، أو "الصحابة" كما سماها ابن المقفع في رسالة "الصحابة" التي كتب بها إلى الخليفة المنصور.

- الرغبة في التعرف على دور البطانة الايجابي والسلبي في فترة من تاريخ الأمة المجيد. وهي تعد ذروة الحضارة الإسلامية (132.232هـ) تلتها مرحلة أخرى سلبت الخلافة عزتها، وتحكمت فيها العنصر التركي الذي لم يهتد بهدي الإسلام في عمقه (232.334هـ)

- إضافة إلى تقرير حقيقة هي أن الحكم يسير أحسن سيره في ظل العلم والحكمة والخبرة والبطانة الصالحة.

- الرغبة في التأكيد أنه على مر التاريخ قضية الحكم تشكل إشكالا فيمن يحكم؟ أهل السيف أم أهل القلم؟ يعني هل تحكم البطانة المدنية أم العسكرية؟

- التحقق من أن بطانة السوء أخطر وأقدر دائما من البطانة الصالحة. باعتبار أن الشر سريع الظهور والانتشار. وأن مائة بناء ينقض بناءهم هادم واحد، فما بالك بكثرة الهادمين عن قصد وغير قصد. خدمة لمصالحهم الشخصية.

- تدعيم المكتبة التاريخية بمحاولة بحثية لمثل هذه المواضيع، التي لها أهمية كبرى في تفسير الأحداث التاريخية في الفترة المدروسة، وكذا لمن يرد التطرق للبطانة في فترات أخرى من التاريخ الإسلامي،

- إكتشاف القواعد التي تتحكم في توجيه سياسة الحكام إلى الأصلاح أو إلى الأسوأ دون تكبير أو تصغير لمنجزات البطانة، ومن ثم تصحيح نظرة الباحثين في تعاملهم مع حقائق التاريخ، وأن حاشية الحاكم ليست كلها سيئة، وليست كلها سالحة.

- إبراز تجربة هذا الفترة المدروسة والاستفادة منها بوضعها أمام من يتولون أمر المسلمين من حكامهم، وأن لا يكرروا أخطاء الماضي حتى لا يحصل لهم ما حصل لمن سبقهم، فيصبحوا ألعوبة في يد اللاعبين، ومسخرة للساخرين وسخط الساخطين.

- بيان أن دور البطانة من معايير تقدم أو تخلف الحاكم بصفة عامة. وفي البحث الفرق الشاسع بين العصر العباسي الأول والثاني من خلال الفروق الجوهرية في عناصر بطانة الخلفاء في العصرين.  
- إبراز صدقية ما جاء في الحديث النبوي وقراءة أحداث التاريخ به بتطبيقه في تفسير أحداث التاريخ عامة، عند المسلمين وغير المسلمين، والتاريخ العباسي بصفة خاصة كنموذج على ذلك.

### 5- الإشكالية:

- أما الإشكالية الرئيسية التي يعالجها هذا البحث فهي متعددة سيحجب عنها هذا البحث وهي:
- ماهي أصناف البطانة التي كان لها دور في توجيه سياسة الخلفاء العباسيين سياسيا واقتصاديا ، ايجابا وسلبا، وموقف الخلفاء من ذلك؟
  - تندرج ضمنها اشكاليات فرعية منها:
  - ما مكانة وقيمة الخلفاء العباسيين عند بطانتهم؟ وما مدى استجابتهم لتنفيذ أوامر هؤلاء الخلفاء؟ وما الفرق في هذه القيمة والمكانة بين خلفاء العصر الأول والثاني وبطاناتهم؟
  - ماهي آليات وقواعد اختيار هذه البطانة وأصولها العرقية؟ وهل كان اختيارها على أساس مستوى علمي وكفاءة قيادية؟ أم كان الولاء الشخصي هو الذي يوصلهم إلى ذلك؟
  - ما هي آثار الدعوات الإصلاحية التي ظهرت في العصر العباسي الأول خاصة والثاني عامة؟ وممن كانت وإلى أي مدى أخذ بها الخلفاء؟
  - كيف كانت العلاقة بين الخلفاء والبطانة في العصر الأول والثاني؟
  - فيم تمثلت المنجزات السياسية والإدارية والاقتصادية التي قامت بها هذه البطانة السلبية والإيجابية؟

- فيم تجلت مظاهر الصراع الخفي والعلني بين هذه البطانة؟ ولمن كان في النهاية الفوز؟ وبأي أساليب؟

- ما هي الأدوار التي قام بها كل من الحجاب والنساء في توجيه سياسة الخلفاء؟ وكيف تمكنوا من ذلك؟

- ماهي أسباب ونتائج المؤامرات التي كان تحريكها هذه البطانة ضد من ينوي من الوزراء إصلاح حال سياسة الدولة واقتصادها؟ وما موقف الخلفاء من ذلك؟

- كيف تعامل الخلفاء مع تجاوزات البطانة؟ وما هي أسباب ومظاهر تلك العقوبات التي سلطت على أفراد البطانة؟

### 6- المنهج المتبع في الدراسة والبحث عن الحقائق:

الحقيقة أن المنهج الذي اتبعته في البحث هو المنهج التاريخي . مستخدما آليات الوصف والتحليل والإحصاء. ذلك أنني حاولت ما استطعت إلى ذلك سبيلا الكشف عن عدد بطانة كل خليفة. وهو ما يتجلى في توزيع المادة وعرضها وسير أعماق الأحداث واستخلاص النتائج منها بعد إعادة تركيب الأحداث ودراستها.

فكان أول عملي حصر المصادر التي تكلمت عن الدولة العباسية بالخصوص، ثم تحديد المراجع التي تناولت هذا الفترة، وكلاهما كثير ووفير ولكن ما يلاحظ على المصادر السياسية أن المتأخرة منها لا تأتي بجديد بل تكرر ما جاء في المبكرة منها ولذا قل الأخذ منها، ولكن كانت مصادر التراجم حاضرة في البحث. والحقيقة أنني كنت لا أترك مصدرا إلا وتصفحته باحثا عن المعلومات مسجلا إياها مهما كانت قيمتها ضئيلة، ذلك أنني رأيت أن تكون تحت يدي خير من أن تكون خارجه في وقت الحاجة إليها، مراعيًا المعاصرة والقريب من الفترة المدروسة، لذا احتاج هذا التقصي مني جهدا ووقتا في المسح الشامل والفرز والترتيب والتبويب. والتوزيع على الفصول وما تفرع منها ووفق كل صنف من أصناف البطانة.(وزراء ، كتاب، قادة جيش ، حجاب).

في البداية تعرضت لذكر عناصر البطانة من الوزراء، ببيان وظائفهم والأعمال التي تولوها قبل استيزارهم. للتركيز على أهمية الشخصيات التي تولت هذا المنصب، مع الإشارة إلى أهمية المنصب ذاته في توجيه سياسة الدولة واقتصادها. وشروط ومواصفات من يتولى هذا المنصب. بشكل نظري قد يتوافق أو لا يتوافق مع الشخصيات التي شغلت هذا المنصب فيما بعد. حيث تتبعت تواريخ استيزار كل خليفة لوزرائه . وتتبع سيره كل وزير ، بين الانجازات الايجابية والاختافات السلبية كل في موضعه من البحث.

عند ذكر أي علم من البطانة أحاول ضبط تاريخ استيزاره وعزله أو إقالته بحسب ما تيسر وتم العثور عليه. و عند ذكر الوزير لأول مرة أضع له رقما . وإذا أعيد استيزاره لخليفة آخر ذكرته دون رقم. وكذلك الأمر مع الكتاب والحجاب والقادة.

بعد العمل الاستقصائي، حاولت جمع أكبر قدر ممكن من المعلومات عن أفراد كل صنف من البطانة. ووجدت وفرة في المادة عن بعضهم . أما البعض الآخر فقد شحت بالكلام عنهم، بل في أحيان نادرة جدا، وهو ما يلاحظ عنهم في البحث. ومن ثم ليس ذلك لعجز مني في البحث عنهم.

أما ترتيب أعلام البطانة بدءا من الأعلى مرتبة وهم الوزراء ثم القادة والكتاب والحجاب والنساء. فقد تم ترتيبهم بحسب ترتيب الخلفاء. وكان هذا أيسر بحسب ما توافر لدينا من معلومات مصدرية.

وقد صادفت إشكالا في ترتيب الكتاب زمانيا ، وغموض التواريخ. لقلة ورود سنوات استكتاب هذا الكاتب أو ذاك أو عزله . وفي الغالب لا أكاد أحصل حتى على تاريخ العزل أو الوفاة. وقد حاولت تلمس امرهم من خلال المعلومات التي وردت عنهم عند ذكر أي خليفة. وأحيانا يتطلب الموقف إنهاء الكلام مباشرة عن بعض التفاصيل . وذلك لأن موضعها يأتي فيما بعد. أو سبقت الإشارة إليه. لذا يكتفي بالإحالة عليه في الهامش، منعا للتكرار والإطناب.

عند اشتغال علم من البطانة بأكثر من وظيفة رسمية كالوزارة والكتابة. أو الحجابة ثم الوزارة، أذكره في أعلى رتبة وهي الوزارة. وأحاول أن أكتب كل أعماله ومهامه في هذه الرتبة. إلا ما كان مختصا به أثناء عمله في الرتبة التي أقل. فأشير إليه عند التعرض لها بإيجاز.

عند ذكر القادة العسكريين ركزت على البارزين منهم. الذين كان له دور فعال ، وكانوا قريبين رسميا من الخلفاء ومركز الخلافة . أو لأن لهم اتصالا دائما ومباشرا مع السلطة العباسية.

كما أشرت إلى أصول القيادات وأعراقهم . وتدرجهم في المناصب العسكرية حتى وصولهم إلى القيادة حسب كل خليفة عباسي ، كل في محله. حيث ركزت على أعمالهم ومهامهم العسكرية . أما قضية الانجازات العسكرية والفتوحات ، فقد أجلتها إلى فصل الانجازات العامة للبطانة حسب كل صنف. وحتى سلبات الجند الترك وقادتهم أجلتها إلى موضع سلبات البطانة ضمن النتائج حسب كل صنف أيضا.

وفي جانب الحجابة والحجاب، فلاحظت أن الحاجب الواحد قد يحجب لخليفتين أو ثلاث على التوالي. لذا ذكرت كل ما يتعلق بالتعريف به في أول ذكر له ، ثم جعلت أقسم أعماله ومهامه وفق حجابته لكل خليفة.

وبالنظر إلى قلة المعلومات التي يوردها المؤرخون عن بعض الحجاب . فقد وجدت إشكالا بالنسبة لمدة حجابة كل حاجب، إلا ما كان متعلقا بالحجاب المشاهير، أما البقية فيكتفون بالإشارة إليهم دون تحديد الاطار الزمني لحجابتهم.

أما عن البطانة من النساء فقد اكتفيت بذكر من كان لهن تأثير ونفوذ. سواء من نساء الخلفاء أو أمهاتهم أو بناتهم أو الجواري والاماء ( القهرمانات). واكتفيت بذكر تواريخ وفاتهن ، وفي أحيان أخرى دون تاريخ لعدم العثور عليه.

وفي دور البطانة من النساء لم أشر إلى دورهن في الانجازات. لأن دورهن لم يكن يظهر بصفة رسمية. بمعنى أنهن لم يشغلن وظائف ومهام رسمية. إلا أن دورهن انحصر في التدخل السلبي في سياسة الخليفة . لذا اكتفيت بمحتوى هذا الدور ايجابا أثناء ذكرهن لأول مرة . وسلبا ضمن النتائج السلبية للبطانة.

أما بالنسبة للمنجزات المتعلقة بالوزراء والكتاب. جمعت بين الجانب الإداري والسياسي باعتبارهما مجالين ملتصقين ببعضهما البعض. وكون الإدارة مهامها تنفيذية ، أي ما يريده السياسي يطبقه الإداري. و في معظم يشغل بالسياسة رجال الإدارة والعكس صحيح. فالوزراء والحجابة - في ذلك الوقت- هي رتب سياسية يتولاها بالضرورة إداريون. إلا ما كان في بعض الأحيان النادرة أين يتولى الوزارة تاجر أو عسكري. أما الكتابة فلم يثبت أن تولاها غير الكتاب.

ولاحظت من خلال البحث أن تخصصات الكتاب لم تكن محددة ومدققة. أحيانا يسند ديوان الي كاتب معين ثم يضم اليه ديوان آخر أو اثنين. وفي أحيان كثيرة يذكر المؤرخون كتاب الخلفاء من غير الاشارة الى تخصصاتهم، إلا في حالات قليلة. لذا ذكرت من وردت الاشارة إليهم من التخصصات الموجودة ، وحتى من لم تذكر تخصصاتهم.

وعملت على دمج المعلومات المقاربة موضوعيا في هامش واحد وإحالة واحدة ، منعا لاستكثار من الاحالات والهوامش . ذكر كل مصدر أو مرجع وردت فيه المعلومات المجتمعة في الهامش الواحد.

أما في الجانب الاقتصادي ، فقد دمجت بين مقترحات الوزراء والكتاب، وإسهامات الخلفاء. حتى لا ننكر دور الخلفاء في ذلك. ونسب كل الفضل للبطانة، حتى لكأن الخلفاء مجرد دمي. بل كانوا صانعين ومساهمين بفعالية في سياسة الدولة واقتصادها ، خاصة في العصر العباسي الأول. وفي قضية دعوات الاصلاح، أقف على الدعوات ومحتوياتها ومضامينها. وفي كثير من الأحيان لا تزودنا المصادر بمعلومات عن مصير هذه الدعوات. التي كانت ترى أنها تصادم المصالح الشخصية

للبطانة. لذا كانت الاستفادة منها قليلة و تدريجية. وفي أحيان أخرى نورد مواضع استفادة الدولة من هذه الاصلاحات بشكل فعال ومباشر.

أما بالنسبة لأسباب العقوبات المطبقة من الخلفاء على البطانة، فقد اكتفيت بحصر الأسباب إجمالاً ، دون التركيز على سبب كل عقوبة. ميزاً مظاهرها وأشكالها المتنوعة. وأحياناً لا أجد مبرراً فعلياً لبعض العقوبات، فالتى تكون لمجرد الحسد أو السعاية أو ما إليه. فأكتفي بذكر العقوبة دون التفصيل في أسبابها.

ورأيت أن أجعل العقوبة في شكل عنوان مع ذكر من تعرض إليها من أصناف البطانة(وزراء، كتاب، قادة) منعا للإطناب والتكرار في سرد العقوبات.

وخلال تعاملنا مع المصادر والمراجع تركنا كل بيانات النشر والاسم الكامل للمؤلف والمؤلف إلى قائمة المصادر والمراجع. منعا لحشو الأطروحة بهذه المعلومات التي-أرى أن - حقها أن تكون في القائمة.

## 7 خطة الدراسة:

اعتمدت في هذه الأطروحة على خطة تفصيلية شاملة - قدر الإمكان- استوعبت معظم جوانب الموضوع. بدءاً بالمقدمة ثم التمهيد شرحاً لمعنى البطانة ومعالمها التاريخية والحضارية. حيث بدأت الأطروحة بالمقدمة بينت فيها كل عناصرها من أهمية الموضوع وأسباب اختياره والاشكالية وعرض الخطة والمصادر والمراجع.

ثم تمهيد عن مفهوم البطانة ومعالمها الشرعية والتاريخية، بينت فيه معنى البطانة اللغوي والاصلاحي ، وأهميتها في القرآن الكريم والحديث النبوي والتاريخ الانساني والاسلامي .

ثم الباب الأول عن بطانة الخلفاء العباسيين: التصنيف و المهام (132-334هـ/749-946م) قسمته الى خمسة فصول . في الفصل الأول تحدثت عن وزراء الخلفاء العباسيين: من حيث تصنيفهم ومهامهم ، وشروطهم ومواصفاتهم ، في العصر العباسي الأول والثاني.

أما الفصل الثاني فتناولت فيه قادة الجند الذين يمثلون البطانة العسكرية، تعرضت لأعلامهم ومهامهم ووظائفهم.

أما الفصل الثالث فخصصت الكلام فيه عن الكتاب ، فحددت صفاتهم وتخصصاتهم ومهامهم وأعلامهم.

أما الفصل الرابع، خصصته للحديث عن الحجاب ومهامهم وأعلامهم.

أما الفصل الخامس فتطرقت فيه إلى نساء القصر. وركزت على ذوات النفوذ والتأثير البارز على سياسة الخلفاء.

والباب الثاني عنونته بالأدوار الايجابية والسلبية للبطانة في توجيه سياسة الخلفاء العباسيين - سياسيا واقتصاديا - ونتائجها.

أما الفصل الأول منه فخصصته لذكر أهم دعوات الإصلاح التي وجهت الى الخلفاء تحذره من البطانة السيئة ، وأهم ما تناولته من مضامين إصلاحية أخرى. ويليه الفصل الثاني الذي طرقت فيه إلى أثر البطانة في توجيه سياسة الخلفاء. ومنجزات كل صنف في السياسة والإدارة والاقتصاد.

وفي الفصل الثالث ، ركزت فيه على السلبيات العامة للبطانة بمختلف أصنافها المشار إليها في البحث حيث ذكرت فيه العديد من الشواهد المتعلقة بهذه السلبيات والمؤاخذات أخلاقيا وسياسيا وإداريا واقتصاديا.

وفي الفصل الرابع : بحثت عن أسباب العقوبات التي سلطت على هذه البطانة بمختلف أصنافها، مع ذكر مظاهر هذه العقوبات.

وأنهت الدراسة بخاتمة لخصت فيها ما توصلت إليه من نتائج. ثم ذيلت البحث بفهرس عالم للأعلام والأماكن والبلدان، ثم قائمة بالمصادر والمراجع المعتمدة في البحث، و فهرس للموضوعات.

## 8- عرض المصادر:

اعتمدنا في إعداد هذه الأطروحة على مصادر عديدة ومتنوعة منها كتب تاريخية و كتب السير و التراجم وكتب جغرافية وأدبية وكذلك كتب الفقه و الحديث غير أننا سوف نتطرق إلى المصادر التي كانت ذات قيمة أساسية بالنسبة لهذا البحث وتأتي في مقدمة هذه المصادر:

## أ/المصادر التاريخية:

يعتبر (تاريخ الأمم والملوك) لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري(ت310هـ/922م) من أمهات المصادر في التاريخ الاسلامي ، فيزودنا بالكثير من الأخبار والروايات التاريخية المختلفة عن أشخاص الخلفاء وحياتهم ووزرائهم وكتابهم وقوادهم وكل صنوف بطاناتهم. وكل ما يشغلونه من أعمال وما حصل منهم من فتن ومؤامرات. وما نتج من آثار سياسية واجتماعية واقتصادية عن سياسات الخلفاء وبطانتهم في فترة خلافتهم. غير أنه لا يعلل كثير من الأحداث ويورد الروايات الوفيرة ودون تمحيص في بعض الأحيان.

كما أفاد البحث من كتاب (تاريخ خليفة بن خياط)لخليفة بن خياط (ت240هـ/815م) وهو كتاب فيه روايات مهمة. ينفرد بمعلومات لا توجد عند غيره ، مثل الأنظمة الإدارية وأسماء القائمين بها في الدواوين المركزية خاصة . مما ساعد على معرفة كثير من أسماء الكتاب والحجاب والاداريين في بلاط الخلفاء العباسيين الأوائل على الأقل.

وكتاب (مروج الذهب ومعادن الجوهر) للمسعودي (ت346هـ/ 957م) احتوى على كثير من المعلومات القيمة. حيث سار المسعودي في تأليف كتابه على نظام الموضوعات. فقدم مجمل أخبار كل خليفة وسيرته والطريقة التي أودت بحياته. وفصل في الأخبار عن تراجم الخلفاء ووزرائهم. وسائر بطانتهم بشكل موجز ودقيق، دون أن ينسى التطرق الى الوضع الاقتصادي والاجتماعي، وحركات المعارضة والتمرد في كل عصر. كما لا يهتم بالتسلسل التاريخي للأحداث بقدر اهتمامه بالموضوعات والنماذج الحضارية التي لفتت انتباهه. كما لم يهمل الحركات المناوئة للخلافة العباسية في المشرق.

وكتاب (تجارب الأمم وتعاقب الهمم) لأبي علي أحمد بن المعتصم المعروف بمسكويه (ت421هـ/ 1030م) والذي أفادني كثيرا خاصة ما يتعلق بعصر المقتدر. وصراع النفوذ بين مختلف مراكز القوى. وتدخلات الجند والحريم في سياسة الدولة العباسية. وما آلت اليه الأوضاع من ترد وانحدار. وحصول الأزمات الاقتصادية، وتدني المستوى المعيشي للناس.

ويعتبر كتاب (المنتظم في تاريخ الملوك الأمم) لابن الجوزي (ت597هـ/ 1206م) من المصادر المهمة التي اعتمدت عليها في البحث. حيث سار ابن الجوزي في تأليف كتابه على طريقة الحوليات. وكان اعتماد البحث بشكل خاص على المعلومات التي قدمها المؤلف في الجزء الخامس. حيث أنه أسهم في تغطية جوانب متعددة من البحث، وخاصة عند تناول علاقة الخلفاء بالبطانة. وأهم مواقف الائتلاف والنزاع بين أفراد البطانة وما حصل بينهم من دسائس ومؤامرات وأخبار أخرى عن الحركات المناوئة لسياسة العباسيين.

ومن المصادر المهمة أيضا ، كتاب (الكامل في التاريخ) لابن الأثير (ت630هـ/ 1234هـ) والذي اتبع فيه لمؤلف السير على طريقة الطبري في كتابته على نظام الحوليات. فبدأ من أول الزمان واستمر في تدوين التاريخ الى آخر سنة 628هـ. وعلى الرغم من أن ابن الأثير قد نقل معلوماته عن سبقه من المؤرخين، ومن الطبري بشكل خاص. لكنه لخص المعلومات التي وردت عنده فإنه يضيف تلك الروايات التي نقلها أحيانا من مصادر متنوعة أخرى . كما أنه يقوم بتعليق نقد هذه الأخبار. وقد أخذت عنه الكثير من الأخبار عن خلفاء العصر العباسي الأول والثاني (132-334هـ) وبطاناتهم المختلفة.

كما استفاد البحث من المعلومات التي وردت في كتاب القاضي أبي علي الحسن بن علي التنوخي (ت384هـ/ 994م) (الفرج بعد الشدة) و(نشوار المحاضرة) ، فقد ضم هذان الكتابان أخبارا مهمة في الكشف عن جوانب محددة من شخصيات خلفاء العباسيين- في فترة البحث- حيث يتناول التنوخي هذه الجوانب ويعرضها بطريقة خاصة . فهو يكثر من ضرب الأمثلة . فتأتي المعلومات في اطار عرض شيق، وبأسلوب سهل، يصور من خلالها الحياة الاجتماعية والاقتصادية والادارية.

## ب/ مصادر النظم المالية والأحكام السلطانية:

اعتمدت على كتاب (الخراج) لأبي يوسف (ت182هـ/ 731م) وهو كتاب يكتسي أهميته من حيث كونه يعد اجابات صريحة ومباشرة لأسئلة هارون الرشيد الاقتصادية . أجابه عنها وزيره وقاضي قضاته. وقد استفدت منه في عدة قضايا منها دور البطانة الايجابي في توجيه السياسة الاقتصادية للخلفاء. وكذا بيان الانشغالات الاقتصادية الموجودة في ذلك العصر. ومدى مساهمة القاضي أبي يوسف في التوجه الاصلاحى لاقتصاديات الخلافة العباسية.

كما أفاد البحث من كتاب (الوزراء والكتاب) لأبي عبد الله محمد بن عبدوس الجهشيارى (ت331هـ/ 943م). ويعتبر أقدم وأشهر مصدر لحد الآن تطور النظم الإدارية للدولة الإسلامية. اهتم المؤرخ بتدوين الروايات النادرة المتعلقة بالكتاب والوزراء على الخصوص. ومعظم التفاصيل التي تتعلق بأعمالهم الإدارية والسياسية. باعتباره كان هو نفسه كاتباً ، وقريباً من الفترة.

ويعتبر كتاب (الأحكام السلطانية) للماوردي (ت450هـ/ 1057م) محاولة لاسقاطات نظرية فكرية على الواقع العملي سياسياً واجتماعياً. وواقع تطور الخلافة في عهد العباسيين الأوائل. ومدى مطابقة إجراءاتهم للشريعة الإسلامية.

ويعتبر كتاب (قوانين الوزارة) للماوردي أيضاً من أهم المصادر المتخصصة في التأريخ للوزارة . استفدت منه كثيراً في جانب التعريف بالمصطلحات النظرية التي تطلق على واقع تصرفات الوزراء. مثل وزارة التفويض والتنفيذ وشروط وحدود كل منهما، ومدى صلتها بالخلفاء.

وأفاد البحث من كتاب (تحفة الأمراء في تاريخ الوزراء) لهلال بن الحسين الصابي (ت448هـ/ 1056م) وهو الموظف في دواوين الإدارة العباسية. الأمر الذي مكنه من الاضطلاع بأخبار وحقائق عن كواليس الإدارة وخبايها. خاصة الوزير ابن الفرات وعلي بن الحسن بن عيسى اللذين اشتهرا في عصر المقتدر. وزودنا الصابي بكثير من المعلومات عن حياة سياسة الوزيرين في الإدارة والاقتصاد. وما تعرضا له من الفتن والمؤامرات والتولية والعزل لعدة مرات.

واعتمدت بشكل أساس على كتاب (الفخري في الآداب السلطانية) لمحمد بن علي بن الطقطقي (709هـ) ، حيث ركز على أخبار الخلفاء وأحوال الوزارة والوزراء في عصر كل خليفة. استفدت منه كثيراً. رواياته متوازنة ومعقولة، ولا تكاد تتعارض مع روايات المصادر التاريخية المعتمدة .

كما استفاد البحث من كتاب (مقدمة ابن خلدون) (ت808هـ) أورد فيها معلومات قيمة عن نشأة ديوان الجند والرسائل و الخاتم والتوقيع والخراج وأعمالهم. كما أورد قائمة خراج للدولة العباسية في عهد الخليفة المأمون، فيها مقادير الجباية.

ويعتبر كتاب (بغداد في تاريخ الخلافة العباسية) لأبي الفضل بن أبي طاهر بن طيفور (ت280هـ/731م) ، مصدرا مهما متخصصا في التاريخ المحلي لمدينة بغداد ، ولتركيزه على جملة من الأحداث البارزة في بغداد سياسيا وثقافيا في العصر العباسي.

### ج/ المصادر الأدبية:

ويعد كتاب (العقد الفريد) لأحمد بن محمد بن عبد ربه (328هـ/940م) موسوعة أدبية وحضارية هامة . خصص للبرامكة وأخبارهم عناية كبيرة. وانفرد ببعض الروايات خاصة فيما يتعلق بموضوع الدور الثقافي والاجتماعي لهذه الأسرة.

وكتاب (نهاية الأرب في فنون الأدب) للنويري شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب (ت733هـ). وتعد موسوعة كسابقتها أفادتني بكثير من المعلومات التاريخية المهمة التي وردت عرضا، باعتباره يشمل في دراسته حيزا كبيرا من الاطار الزمني للخلافة العباسية.

### د/ مصادر التراجم والأعلام:

اعتمدت على عدة مصادر منها (سير أعلام النبلاء) لشمس الدين الذهبي (ت748هـ). وكتاب (مسالك الأبصار في ممالك الأمصار) لابن فضل الله العمري (ت 749 هـ). وكتاب (الوفاي بالوفيات) للصفدي صلاح الدين خليل بن أيبك (ت764هـ). أفادتني كثير لا سيما كونها متخصصة في ذكر الشخصيات والأعلام بما توفر من معلومات. وتعد مصادر مهمة للدراسات التاريخية في العصر الوسيط بصفة عامة.

وكتاب (وفيات الأعيان وأبناء الزمان) لابن خلكان أبو العباس شمس الدين أحمد بن أبي بكر (608-681هـ). حيث التزم صاحبه ايراد الأعلام بأسلوب بسيط، وذكر أهم ما يمكن نقله عن كل علم. بما في ذلك أهم الأحداث البارزة. ويعتبر مرجعا لمن جاء بعد يكتب عن الأعلام.

### هـ- عرض المراجع:

أفاد البحث من عدة مراجع ، منها يتعلق بمراجع التاريخ والنظم والأعلام. نذكر منها مجموعة مؤلفات للدكتور عبد العزيز الدوري منها (العصر العباسي الأول) ، و(تاريخ العراق الاقتصادي)، و(دراسات في العصور العباسية المتأخرة). وهي دراسات جادة متخصصة ومتعمقة. تطرق فيها الى مقدرات العراق الاقتصادية خاصة في العصر العباسي. وتسلط الجند الترك ، وما نتج عن جهلهم أثناء تدخلهم في سياسة الدولة العباسية. من إلغاء لشخصيات الخلفاء وتعيينهم وخلعهم. استفدت منه كثيرا في شق العصر العباسي الثاني.

يضاف إليها مجموعة مؤلفات للدكتور فاروق عمر فوزي منها (العباسيون الأوائل)، (الجيش والسياسة في العصر الأموي ومطلع العصر العباسي) ، وكتاب (الخلافة العباسية، السقوط والانهار) ، و(دراسات في التاريخ الاسلامي). وهي أيضا تعد مراجع رئيسية بالنسبة للبحث في الفترة العباسية. ذات تحليل ممتاز للأحداث ، وإعطائها التفسير المقبول ، القريب جدا من الموضوعية التاريخية. وهي في معظمها تعتمد على أمهات مصادر التاريخ الاسلامي المعتمدة. استفدت منها كثيرا خاصة من جانبي دقة لعرض ووضوح الأسلوب. وجرأة التفسير خاصة لعلاقة الخلفاء ببطاناتهم المختلفة.

كما ساعدني في البحث كتاب (المؤسسات الإدارية في الدولة العباسية خلال الفترة (247-334هـ / 861-946م) لحسام الدين السامرائي. خاصة في الحديث عن وزراء العصر العباسي الثاني، والدواوين التي كانت موجودة والمستحدثة.

كما أفاد البحث من (رسالة الصحابة لعبد الله بن المقفع (106-142هـ / 724-759م)) المطبوعة ضمن كتاب جمهرة رسائل العرب لأحمد زكي صفوت. والتي تعتبر مصدرا مهما في شكل تقويم نقدي لرجال الإدارة والبلاط في عهد الخليفة أبي جعفر المنصور (132-136هـ). توضح الرسالة الصورة الحقيقية التي كان عليها هؤلاء العمال الذين كانوا يحيطون بالخليفة. وما هي أعمالهم التي لا يعلم بها الخليفة. وتعتبر مرآة عاكسة للواقع العملي الذي كان يواجهه هؤلاء الخلفاء العباسيون الأوائل في ظل ما تضمنه البطانة من مستخدمين إداريين ، وغيرهم في بلاط الخليفة.

كما استفدت من الرجوع الى كتب ثانوية مهمة في النظم الاسلامية منها ما كان لحسن إبراهيم حسن وصبحي الصالح . وفي الأخير نكتفي بهذا ولا يخفى على اللبيب قيمة كل مصدر أو مرجع في مجاله المبحوث فيه.

#### و-المراجع الأجنبية:

بالنسبة للمراجع الأجنبية غلب عليها المراجع باللغة الانجليزية ، وتمت ترجمتها ترجمة شخصية. ومنها ما هو مؤلف في شكل كتاب ، ومنها ما هو عبارة عن مقالات وأبحاث، في غاية الدقة من حيث الموضوع والدراسة، مما يبين اهتمام الكتاب الغربيين بالتاريخ والحضارة الإسلامية.

#### 9-الصعوبات:

الحقيقة أن الذي يدخل ميدان البحث العلمي ستصادفه جملة من المشكلات المتعددة منها:  
- كثرة المادة العلمية المصدرية المتعلقة ببعض الشخصيات والأعلام وقتلتها إلى حد الندرة عن أعلام آخرين. ما جعلني أختصر في الوفرة وأحلل في الندرة.

- صعوبة التعامل مع كتب الأعلام والتراجم. نظرا لكثرة الأعلام في البحث، وتفرق المعلومات عنها

في المصادر.

- طول الفترة الزمنية للبحث ، جعل منها بيئة خصبة ثرية جدا بالمعلومات والأخبار التاريخية التي

يصعب حصرها. ما جعلني أكتفي بقاعدة ( ما لا يدرك جله لا يترك كله).

وبعون الله وتوفيقه وحده أنهيت هذا البحث الذي لا أدعي أنني أنهيته ، بقدر ما أشعر أنني بذلت

جهدا معتبرا في محاولة توضيح ما استطعت من معالمه . وتبقى فيه بعض من الجوانب التي تبقى محل

دراسة أو بحث دقيق. والحمد لله أولا وآخرا.

# تمهيد

جامعة الأمير  
عبد القادر للعلوم الإسلامية

## تمهيد

- مفهوم البطانة وتأصيلها الشرعي والتاريخي.

## 1- معنى البطانة:

أ/ لغة: أَبْطَنَهُ أَي اتَّخَذَهُ بَطَانَةً. وَأَبْطَنَتِ الرَّجُلَ إِذَا جَعَلْتَهُ مِنْ خَوَاصِكِ. وَبَطَانَةُ الرَّجُلِ صَاحِبُ سِرِّهِ وَدَاخِلَةُ أَمْرِهِ الَّذِي يُشَاوِرُهُ فِي أَحْوَالِهِ<sup>(1)</sup>.

## ب/ اصطلاحاً:

بطانة الرجل خاصته الرجل الذين يطلعهم على الباطن من أمره<sup>(2)</sup>. وقال المباركفوري: «البطانة: الصاحب، وهو الذي يُعرِّفه الرجل أسرارَه ثقة به، شبهه ببطانة الثوب»<sup>(3)</sup>.

وقد غلب استعمال لفظ ( البطانة ) مع الأمراء، بمعنى: الدخلاء، جمع دخيل، وهو الذي يدخل على الرئيس في مكان خلوته، ويفضي إليه سره، ويصدقه فيما يخبره به مما يخفى عليه من أمر رعيته، ويعمل بمقتضاه<sup>(4)</sup>.

وبالنسبة للملك أو الحاكم فإن معنى البطانة ينصرف إلى خاصة الملك التي بنيت على طبقات. بعضهم أخص من بعض. فأخصهم به ولده، وخدمه وقربائه. ثم وزراؤه وكتابه. وكفاة أشغال حضرته. ثم جنده وقواده، ثم عماله الذين يستعين بهم في إصلاح مملكته النائية عن بابه وداره<sup>(5)</sup>. ويمكن أن يطلق على البطانة مصطلح " الحاشية " أو " الصحابة " كما اصطلح عليها ابن المقفع.

والملك أو الحاكم - مهما كانت قوته- لا بد له من بطانة حسنة، تعيينه على أمور الحكم. والاستعانة منهم بالأخص فالأخص في خدمة مهمات أعماله. من جباية الأموال، وتفريقها في سبيل الحقوق. معتمداً في ذلك على صفوة الوزراء والكتاب وأصحاب الشرط والأخبار والقضاة والولاية<sup>(6)</sup>.

## 2/ البطانة في القرآن الكريم والحديث النبوي:

ورد في القرآن الكريم كثير من مواضع الآيات التي تدل على ضرورة استبطان البطانة الصالحة، وخطورة اتخاذ البطانة السوء. ومن هذه المواضع: نهى الله تعالى المؤمنين عن موالاته بطانة السوء بقوله:

(1)- ابن منظور: لسان العرب، ج 5، ص 304.

(2)- النحاس: معاني القرآن، ج 1، ص 465.

(3)- تحفة الأhoodي بشرح الترمذي، ج 7، ص 38.

(4)- ابن حجر العسقلاني: فتح الباري بشرح صحيح البخاري، ج 13، ص 189-190.

(5)- الماوردي: نصيحة الملوكة، ص 208.

(6)- المصدر نفسه، ص 185-186.

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا بِطَانَةً مِنْ دُونِكُمْ لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا وَدُؤًا مَا عَنِتُّمْ قَدْ بَدَتِ الْبَغْضَاءُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمْ الْآيَاتِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ (118) هَا أَنْتُمْ أَوْلَاءُ تُحِبُّونَهُمْ وَلَا يُحِبُّونَكُمْ وَتُؤْمِنُونَ بِالْكِتَابِ كُلِّهِ وَإِذَا لَقُوكُمْ قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا عَضُّوا عَلَيْكُمُ الْأَنَامِلَ مِنَ الْغَيْظِ قُلْ مُوتُوا بِغَيْظِكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ (119) إِنْ تَمَسَسْتُمْ حَسَنَةً تَسْؤُهُمْ وَإِنْ تُصِيبْكُمْ سَيِّئَةٌ يَفْرَحُوا بِهَا وَإِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ ﴾<sup>(1)</sup>.

ففي الآية نهي واضح عن اتخاذ المنافقين بطانة، أي: يُطلعونهم على سرائرهم وما يضمرونه لأعدائهم، والمنافقون بجهدهم وطاقتهم لا يألون المؤمنين خبالاً أي: يَسْعُونَ في مخالفتهم وما يضرهم بكل ممكن، وبما يستطيعونه من المكر والخديعة، ويودون ما يُعنتُ المؤمنين ويخرجهم وَيَشُقُّ عليهم<sup>(2)</sup>.

هذه الآية وإن كانت مخصوصة بالمنافقين والكفار وغيرهم، لكنها تحذر بصفة عامة من اتخاذ بطانة السوء وأهل الهوى ومعدومي الكفاءة والخبرة. وهذا تحذير قوي من اتخاذ بطانة السوء جلساء وخلانا لأي إنسان مهما كان، لأنهم أحرص على هلاك من يكونون بجانبه وإن أقسموا الأيمان المغلظة على الوفاء والنقاء.

بل إن القرآن الكريم قد جعل من أسباب تمادي الظلمة في ظلمهم هو بطانة السوء . وقد جاء في الحديث ما يحذر من البطانة الفاسدة. عن أبي هريرة رضي الله عنه، أنه قال: « قال رسول الله ﷺ: ما من والٍ إلا وله بطانتان، بطانة تأمره بالمعروف وتنهيه عن المنكر، وبطانة لا تألوه خبالاً، فمن وُقي شرها فقد وُقي، وهو من التي تغلب عليه منهما»<sup>(3)</sup>.

لكن اللاف من رواية النسائي قوله صلى الله عليه وسلم: « وهو من التي تغلب عليه منهما. » أي: الوالي أو الأمير أو أي مسؤول كان يتأثر بمن حوله ، فإن كان مقرباً لأهل المعروف والخير كان منهم، وإن كان يستمع لأهل السوء ، وبطانة الفساد فهو منهم. وهذه قاعدة مطردة في كل العلاقات الاجتماعية ، ومنها ما تعلق بأمور الحكم ، فإن الحاكم يتأثر بعلاقته ببطانته ايجاباً وسلباً.

وعن عائشة رضي الله عنها قالت : قال رسول الله ﷺ « إذا أراد الله بالأمر خيراً جعل له وزير صدق ، إن نسي ذكره ، وإن ذكر أعانه ، وإذا أراد الله به غير ذلك جعل له وزير سوء ، إن نسي لم

(1) - سورة آل عمران ، الآيات 118-120.

(2) - ابن كثير: تفسير ، ج2، ص 92.

(3) - الألباني: صحيح سنن النسائي ، ج3، ص133 .

يذكره ، وإن ذكر لم يعنه ﴿<sup>(1)</sup> وهو من يؤازر الأمير فيحمل عنه ما حمّله من الأثقال . ويلتجىء الأمير إلى رأيه وتديبره، فهو ملجأ ومفزع.

وقد ورد في السيرة أن النبي ﷺ كان يشاور أصحابه ويفاوضهم في مهماته العامة والخاصة. ويخص مع ذلك أبا بكر . رضي الله عنه . بخصوصياته . حتى كان العرب الذين عرفوا الدول وأحوالها في كسرى وقيصر والنجاشي يسمون أبا بكر وزيراً<sup>(2)</sup>.

هذا على المستوى الشخصي أما على المستوى العام فهناك الحكام والولاة ، الذين يجب عليهم أن يجمعوا حولهم بطانة الخير والحق ، فالسعيد من رزق مع الولاية البطانة الصالحة التي تذكره إذا نسي وتعينه على الخير وتنهيه عن الشر ، عَنْ أَبِي سَعِيدِ الْخُدْرِيِّ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: ﴿ مَا اسْتُخْلِفَ خَلِيفَةً إِلَّا لَهُ بَطَانَتَانِ بَطَانَةٌ بِطَانَةٌ بِالْخَيْرِ وَتَحْضُهُ عَلَيْهِ ، وَبَطَانَةٌ تَأْمُرُهُ بِالشَّرِّ وَتَحْضُهُ عَلَيْهِ ، وَالْمَعْصُومُ مَنْ عَصَمَ اللَّهُ ﴾<sup>(3)</sup>.

وعن عائشة رضي الله عنها قالت : قال رسول الله ﷺ: ﴿ من ولي منكم عملاً فأراد الله به خيراً، جعل له وزيراً صالحاً ، إن نسي ذكره ، وإن ذكر أعانه ﴾<sup>(4)</sup>.

واحتاج رسول الله ﷺ إلى من يعاونه من البشر في تدبير شئون الدولة ، ويستشيرهم يساعده في نشر الدعوة ، فكان بعض أصحابه المقربين بمثابة وزراء له . ويشاورهم في أمور الإدارة والاقتصاد والسياسة، في أحوال السلم والحرب . وكثيراً ما كان يأخذ بآراء أصحابه الصائبة . ولأن هذا هو الغرض الأساسي من استبطان البطانة الصالحة، للاستفادة من آرائهم الصحيحة، والأخذ بها في معالجة الأمور .

### 3/ أهمية البطانة الصالحة:

يلزم لصالح أمر الحكم صلاح أفراد البطانة. والتعليل الذي ينبغي أن نذكره هنا لوجوب صلاح أصناف البطانة. وماذا يطلب منهم؟ ولماذا يجب أن يصلحوا؟ وعلى الحاكم تفقدهم والعناية بهم. والاهتمام لصلاحهم وإصلاحهم.

وقد دعت الضرورة بالحاح إلى النظر في قضية بطانة الملك. على طبقاتها. من حيث حسن اختيارها وتفقدتها. وقد ورد في كتاب التبر المسبوك أن الملك ينبغي عليه أن يتفقد أربع طبقات . لأنهم عماد مملكته وقوام دولته. وهؤلاء يمثلون طبقات البطانة الرسمية، أي الذين يشغلون مناصب

(1) - أبو داود : عون المعبود، رقم 2932.

(2) - ابن خلدون: المقدمة ، ج1، ص420.

(3) - أبو داود : عون المعبود ، رقم 2296.

(4) - المصدر نفسه ، رقم 2932.

رسمية في بلاط الملك. ونلخص هذه الطبقات فيما يلي:<sup>(1)</sup>

- طبقة الوزراء: لأنهم خلفاؤه، وعلى أيديهم تصدر أفعاله. فإن هم أحسنوا نسب إليه إحسانهم . وإن أساءوا أضيف إليه مساوئهم.

- طبقة القضاة والحكام: الذين هم موازين العدل بتفويض الحكم إليهم. وبهم ينتصف المظلوم من الظالم.

- طبقة أمراء الأجناد: الذين هم أركان دولته ، وحماة مملكته... والمالكون أعنة أجناده . فإذا استقامت له هذه الطبقة، استقام له جميع أجناده . لأنهم إلى طاعة أمرائهم أسرع.

- طبقة عمال الخراج، الذين هم جباة الأموال، وعمار الأعمال ، والوسائط بينه وبين رعيته. فإن نصحوا في أمواله ، وعدلوا في أعماله، توفرت خزائنه بسعة الدخل، وعمرت بلاده بالعدل<sup>(2)</sup>.

فينبغي على الملك تخيير هؤلاء الأعوان الذين يشكلون بطانته. ثم يتخير عوناً من أولئك الأعوان يكون مقدماً عليهم ، ومتصرفاً في أمور السلطان، يتولى عنه صرف ما لا يمكن توصله إليه.

ويعتبر حسن اختيار البطانة الصالحة للحاكم. من أهم المقومات الأساسية ، والدلائل الواضحة على قوة الحكم. إذ بصلاح البطانة يستمر العمل على إصلاح ما يلونه من الأعمال والمهام. ومن هنا ينتشر الإصلاح في مؤسسات وأجهزة الدولة. مما يؤثر إيجابياً على طبائع المجتمع وسيورته، من حيث الوضع الاقتصادي والأخلاقي.

والعكس صحيح، إذا ساءت حالة الحكم، يضعف الحاكم. وتستقوي البطانة الفاسدة ، ويعظم خطرها. بسبب أنها تخدم مصالحها غير المشروعة، وتنهب الأموال وتفسدها. وتغرق البلاد في الأزمة المالية، والفوضى الاجتماعية. وتتعطل حياة الناس الطبيعية. وينتشر الإجرام، ويتعفن الوضع، ويفتقد الأمن.

وعلى مر التاريخ عدت البطانة الفاسدة للحاكم علامة شقاء حكمه. وما اختياره لها إلا لمشابهته لهم في سيرته وطباعه أو لسيطرتهم عليه. وكل عمل يعملونه -في الغالب - ينتج عنه نتائج مأساوية. لأن الذي يحدوهم هو مصالحهم الشخصية ولو كانت على حساب الأمة. وبأي طريقة وأي أسلوب يمكنهم من البقاء أطول ، والنهب أكثر ، فإنهم لا يدخرون جهداً في تحقيق مآربهم.

وبطانة السوء إذا اجتمعت ، فإنها تتكاثر وتصبح قوة يساند بعضها بعضاً. لتغطي عن الحاكم أو حقائق مشاريعها الشريرة، وتظهر للناس بلبوس حسن. وأخشى ما تخشاه بطانة السوء هو النصح الصادق. لأنه يكشف زيفها وضلالها. لذا تجد البطانة الفاسدة تعادي المصلحين الناصحين الصادقين.

(1)- الماوردي : درر السلوك، ص100.

(2)- المصدر نفسه، ص101.

وربما بلغ الأمر إلى الوشاية والدعاية المغرضة ضدهم.  
وبالنسبة لشروط ومواصفات البطانة من الوجهة النظرية. فيتوجب على الملك أو الحاكم أن  
يحسن اختيار بطانته على أسس متينة ، ومبادئ رفيعة. حيث يجمعون بين البلاغة والسياسة ،  
ويحكمون بعدل، وينطقون بفصل ، ويحملون الدولة، ويدبرون المملكة، ويسوسون الرعية.

الجمهورية الإسلامية  
عبد القادر القادر للعلوم الإسلامية

الباب الأول: بطانة الخلفاء العباسيين: التصنيف و المهام (132-334هـ/749-946م)  
الفصل الأول: .....وزراء الخلفاء العباسيين: التصنيف و المهام .

### الفصل الأول: وزراء الخلفاء العباسيين : التصنيف والمهام .

أولاً: تاريخ الوزارة والوزراء قبل العصر العباسي.

ثانياً: تطور الوزارة في العصر العباسي .

ثالثاً: وزراء خلفاء العصر العباسي الأول: التصنيف والمهام « 132-232هـ-749-847م »

رابعاً: وزراء خلفاء العصر العباسي الثاني: التصنيف والمهام « 232-334هـ/847-946م »

### أولاً: تاريخ الوزارة والوزراء قبل العصر العباسي.

باستقراء التاريخ ، نلاحظ أن الوزارة كانت موجودة عند الفرس. حيث أن كلمة " الوزير " وردت بمعناها الفارسي بمعنى الحاكم والمقرر<sup>(1)</sup>. كما استعمل المؤرخون الأوائل مصطلح الوزارة، للتعبير عن فئة أهل الرأي والفكر. يستشيرهم الخليفة أو يستعين بهم في تدبير أمور السياسة والإدارة. سواء كانت هذه المشاركة بالرأي أم بالعمل.

وقد كانت هذه النخبة التي تحيط بالخليفة وتشاركه في صنع القرار. فهي دون شك تجتمع تحت اصطلاح «الصحابة» الذي أراد ابن المقفع التعبير عنه ، ووسم به رسالته للخليفة المنصور. والتي سيأتي الحديث عنها في موضعها من هذا البحث.

وقد ظهرت الوزارة عند المسلمين ، واهتموا بها ، كأصل ثابت يلي منصب الخليفة مباشرة في الأهمية. وكتبوا فيها المؤلفات العظيمة . فقال عنها الخليفة العباسي الرازي: «إن الوزارة قطعة من الخلافة. ووهنها وهن الخلافة.»<sup>(2)</sup> وابن خلدون يعرف الوزارة أنها: « أهم الخطط السلطانية و الرتب الملوكية. لأن اسمها يدل على مطلق الإعانة. فإن الوزارة مأخوذة إما من المؤازرة، و هي المعاونة أو من الوزر وهو الثقل ، كأنه يحمل مع مفاعله أوزاره و أثقاله. و هو راجع إلى المعاونة المطلقة»<sup>(3)</sup>.

ورغم أن النبي صلى الله عليه وسلم أكمل الخلق عقلاً وخلقاً . إلا أنه اختار من صحابته لوزارته ومشاورته جماعة ، واختار لبيعة الرضوان نفراً من أصحابه، ولخدمته جماعة، ولقيادة الجيش جماعة، ولرسائله وكتابته جماعة، ولاستخلافه على الأعمال جماعة.<sup>(4)</sup>

وقد كانت الوزارة موجودة بمعانيها وأعمالها في عهد النبي ﷺ. حيث كان يشاور أصحابه ويفاوضهم في مهماته العامة والخاصة. ويخص مع ذلك أبا بكر . رضي الله عنه . بخصوصياته. حتى كان العرب الذين عرفوا الدول وأحوالها في كسرى وقيصر والنجاشي يسمون أبا بكر ﷺ وزيراً<sup>(5)</sup>.

وقد كان مفهوم ووظيفة الوزير معروفاً عند المسلمين، فقد كانوا يسمون أبا بكر وعمر ويزيري النبي ﷺ<sup>(6)</sup>.

(1)- منير العجلاني: عبقرية الإسلام في أصول الحكم ، ص220.

(2)- الصولي: أخبار الرازي والمتقي ، ص134-135.

(3)- ابن خلدون: المقدمة، ج1، ص419.

(4)- الماوردي: نصيحة الملوك ، ص182.

(5)- ابن خلدون: المصدر السابق، ج1، ص420.

(6)- حسن إبراهيم حسن، وعلي إبراهيم حسن: النظم الإسلامية، ص129.

وقال الخليفة أبو بكر الصديق رضي الله عنه في مرض موته: «ودت أني يوم سقيفة بني ساعدة كنت قذفت الأمر في عنق أحد الرجلين: عمر أو أبي عبيدة، فكان أميراً وكنيت وزيراً»<sup>(1)</sup> وروي أن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب أرسل عمار بن ياسر، وعبد الله بن مسعود إلى أهل الكوفة وقال: «إني بعثت إليكم بعمار بن ياسر أميراً، وعبد الله بن مسعود معلماً ووزيراً»<sup>(2)</sup>. الذي يعني معنا ومشيراً له إلى جانب تعليم الناس أمور دينهم.

واستقدم الخليفة عثمان بن عفان رضي الله عنه أمراء من أعمالهم، فأرسل إلى عبد الله بن سعد بن أبي سرح، وإلى معاوية بن أبي سفيان، وسعيد بن العاص، وعمرو بن العاص، وعبيد الله بن عامر، فلما حضروا شاورهم وقال لهم: «أن لكل أمير وزراء نصحاء، وأنكم وزرائي ونصحايتي وأهل ثقفتي»<sup>(3)</sup>. وبقيام الدولة الأموية، كان كبير الكتاب بمثابة الوزير. بسبب اتساع رقعة الخلافة، وتنوع مجالات الدواوين والإدارة. ولسبب آخر أقوى، وهو أن الخليفة لم يعد يختار على أساس الكفاءة، بسبب تحول الخلافة إلى الملكية. فأحياناً يكون الخليفة ضعيف الشخصية أو صغير السن، قليل التجارب، يحتاج إلى من يكون بجانبه، ينصحه ويوجهه<sup>(4)</sup>.

مثلما كان لقيصة بن ذؤيب مواقف عظيمة، وهو مستشار عبد الملك بن مروان وإليه الخاتم والسكة. فلما أراد أن يخلع أخاه عبد العزيز من ولاية العهد لابنه الوليد بن عبد الملك سنة 85هـ، نهاه عن ذلك قيصة بن ذؤيب وبرر له بأنه، إذ لعل الموت يأتيه، وبالفعل لم يلبث أن توفي عبد العزيز<sup>(5)</sup>.

ويذكر المؤرخون أن رجاء بن حيوة بن جرول الكندي (112 هـ = 730 م)، كان وزير صدق لسليمان بن عبد الملك. الذي لم يكن وزيراً له إدارة. وهو الذي كان ملازماً لعمر بن عبد العزيز في عهد الامارة الخلافة. وهو الذي أشار على سليمان باستخلاف عمر بن العزيز رضي الله عنه<sup>(6)</sup>.

(1)- ابن أبي الحديد: شرح نهج البلاغة، ج 1 ص 130.

(2)- حسن إبراهيم حسن و على إبراهيم حسن: النظم الإسلامية، ص 129.

(3)- ابن أبي الحديد: المصدر السابق، ج 1 ص 160.

(4)- أحمد شلبي: النظم، ج 3، ص 186. 187.

(5)- ابن الأثير: الكامل، ج 4، ص 234. ابن خلدون: العبر، ج 3، ص 72-73.

(6)- المصدر نفسه، ص 312. ابن خلكان: وفيات الأعيان، ج 2، ص 302. الصفي: الوافي، ج 14، ص 70.

ثانيا: تطور الوزارة في العصر العباسي.

## 1/ الوزير في الدولة العباسية مكانته ومهامه:

بعد ملاحظتنا للتدرج التاريخي-خلال التمهد للبحث- الذي يوضح لنا انتقال مفهوم وعمل الوزير من مجرد مستشار ، إلى كبير المستشارين . وأصبحت له مهام وأعمال خاصة . وذلك خلال بدايات العصر العباسي.

وقد بين ابن الطقطقي أن منصب الوزارة بدأ يتبلور وبدأ يأخذ طابعه الإداري ، على نحو عملي ومقنن واضح المعالم والمسؤوليات، في العصر العباسي. فيقول: « والوزارة لم تتمهد قواعدها وتتقرر قوانينها إلا في دولة بني العباس. فأما قبل ذلك فلم تكن مقننة القواعد، ولا مقررة القوانين، بل كان لكل واحد من الملوك أتباع وحاشية. فإذا حدث أمر استشار ذوي الحجى، والآراء الصائبة. فكل منهم يجري مجرى وزير . فلما ملك بنو العباس تقررت قوانين الوزارة . وسمي الوزير وزيرا. وكان قبل ذلك يسمى كاتباً أو مشيراً» (1).

وقد استمر ورود اصطلاح « وزير » في بدايات العصر العباسي بمعنى المستشارين والمساعدين في السياسة العامة للدولة من صحابة الخليفة. (2) . وأصبح منصب الوزير في العهد العباسي يأتي بعد الخليفة من حيث الأهمية السياسية والإدارية . إذ أسهم بدور فعال في توجيه نظام الدولة الإسلامية ورسم سياستها العامة. وهو بمنزلة الوسيط بين الخليفة والرعية، يعينه في إدارة شؤون الدولة، ويطلع به بأحوال الرعية، وماذا يلزم من الرأي وحسن التصرف والتدبير، فيما يحدث من الأمور.

كان معظم وزراء الفترة التي نقوم بدراستها تدرجوا إلى هذا المنصب من خلال العمل الإداري. حتى توقفت العمل بها في سنة 334هـ/946م. وباستثناء يحيى البرمكي والفضل بن سهل اللذين حصل كل منهما على رتبة أمير (لخوضهما الأعمال العسكرية). فلقد أحرز الوزراء مركز الصدارة. متقدمين حتى على قادة الجند، لا سيما في العصر العباسي الأول (3).

## 2/ شروط وصفات اختيار الوزراء :

مادام الوزير يباشر مهام إدارة الدولة عظيمها و دقيقتها ، فقد كان الخلفاء يشترطون في اختيارهم مواصفات ومؤهلات معينة تؤهلهم لتولي هذا المنصب.

(1)- الفخري، ص 150.

(2)- الجهشيارى: الوزراء والكتاب، ص 141.155. فاروق عمر فوزي : دراسات في التاريخ الإسلامي ، ص 251-252.

(3)- جواتيانين: دراسات في التاريخ الإسلامي ، ص 108.

فمما ينبغي للوزير من صفات، أن يحمل طبعاً يناسب الرعية وطبعاً يناسب الملوك ، ليتمكن من المعاملة الحسنة لكلا الطرفين ، ما يمكنه من تحسين الأحوال العامة ونيل القبول<sup>(1)</sup> بمعنى أن يكون « ملماً بأصول الآداب السلطانية ليتصرف كيف يعامل الخلفاء. ودارساً لعقلية الناس، ليعرف كيف يسوسهم»<sup>(2)</sup> .

كما ينبغي أن يكون الوزير متمكناً غاية التمكن في ضبط أموره. لأنه هو المفترض فيه مؤازرة الملك وحمل الأثقال عنه، وتأييده بحسن الرأي والتدبير لشؤون الدولة كافة<sup>(3)</sup>. مقداماً على جلب المنافع و دفع المضار<sup>(4)</sup>.

وكان الوزراء في بدايات الوزارة في الأمة الإسلامية يختارون بدقة وبخاصة. حيث أن بعض الخلفاء كان يبذل غاية الجهد ليجد وزيراً أقرب ما يكون إلى المثالية الرفيعة<sup>(5)</sup> . فمن ذلك ما روى عن المأمون أنه قال: « إني ألتمس لأموري رجلاً جامعاً لخصال الخير ، ذا عفة في خلائقه ، واستقامة في طرائقه ، قد هذبته الآداب ، وأحكمته التجارب. إن اتمن على الأسرار قام بها. وإن قلد مهام الأمور نهض فيها، يسكته الحلم وينطقه العلم ، وتكفيه اللحظة وتغنيه اللمحة ، له صولة الأمراء وأناة الحكماء، وتواضع العلماء وفهم الفقهاء. إن أحسن إليه شكر وإن ابتلي بالإساءة صبر، لا يبيع نصيب يومه بحرمان غده : يسترق قلوب الرجال بخلاصة لسانه وحسن بيانه»<sup>(6)</sup>.

ويشترط الماوردي سبعة أوصاف فيمن يلي الوزارة وهي: الأمانة حتى لا يخون فيما اتتمن. وصدق اللهجة حتى يوثق ويصدق بما يقول ويفعل. و قلة الطمع حتى لا يرتشي فيما يلي ولا ينخدع فيتساهل. وأن يسلم فيما بينه وبين الناس من عداوة وشحناء، لأن العداوة تصد عن التناصف وتمنع من التعاطف. و أن يكون ذا ذاكرة قوية لما يؤديه إلى الخليفة. و الذكاء والفتنة ، حتى لا تشبهه عليه الأمور. و أن لا يكون من أهل الأهواء، فيخرجه الهوى عن الحق إلى الباطل ، ويتدلّس عليه المحق بالمبطل<sup>(7)</sup>.

(1)- ابن الصوفي: الإشارة إلى من نال الوزارة ، ص 10.

(2)- أحمد مختار العبادي: في التاريخ العباسي ،ص35.

(3)- عدنان إبراهيم : الوزير في التراث العربي الإسلامي -مجلة الفتح- ص03.

(4)- الماوردي: قوانين الوزارة، ص161.

(5)- أحمد شلبي: النظم ، ص184.

(6)- الماوردي: الأحكام السلطانية ، ص3130.

(7)- المصدر نفسه ، ص35.

ولأهمية اختيار الوزير وضع العلماء موازين لاختياره فشرطوا أن تتوفر فيه فضائل نفسية وكمالات بدنية وصفات خارجية: أما الفضائل النفسية فكثيرة: العلم بالتواريخ والسير، وسياسة الناس، ومعرفة الكتابة وأدب الخدمة. مضافا إلى ذلك جودة الفهم، وشدة الذكاء، وحضور الفطنة، وقوة الحفظ والنزاهة، وطول الحنكة والتجربة، وقوة الصبر والعزيمة، والمعرفة بصنوع الجبايات، بحيث لا تخفى عليه المصلحة فيها. وحب العدل وأهله. والرحمة بالخلق. ليتصور الأمور على حقائقها<sup>(1)</sup>.

وأما الصفات الخارجية: شرف البيت، وكرم المنشأ، وأمانة بطانته، وتسهيل مجلسه لذوي المقاصد والحاجات، وكذا حسن النظر وسداد التدبير<sup>(2)</sup>.

ومواصفات البطانة الصالحة عموما والوزير خصوصا<sup>(3)</sup> فمن الصفات التي يجب أن يتصف بها الوزير، متسلحا بمستوى عال من الثقافة في كافة المجالات، ذا بلاغة وحسن بيان. «ولهذا جرت العادة أن يكون الوزير من بلغاء اللغة. لأنه هو الذي يتولى بنفسه الإشراف على ديوان الرسائل الذي يسمى فيما بعد بديوان الإنشاء»<sup>(4)</sup>.

كما يلزم أن يكون الوزير ذا عقل متمكن، لأن العقل أساس الفضائل وأصل المناقب، فهو مستشار في عظام الأمور، ومشارك فيها<sup>(5)</sup> وفي صفة الوزير الكامل «ينبغي أن يكون جامعا لخصال الخير، ومحاسن الشيم، تجتمع فيه البشاشة والوقار، والحلم والهيبة، والإقدام والثبات، ليضع كل شيء في موضعه، هذا مع العفة، والنزاهة، وعزة النفس، والعلم بصناعة الكتابة وضوابطها، وحسن العبارة والعلم بالسير والأخبار الماضية فإنها تفيد الإطلاع على التجارب والعوائد»<sup>(6)</sup>.

ورغم توافر كثير من هذه الصفات في كثير من وزراء العصر العباسي الأول، حيث تمتعوا بأغلب الصفات المذكورة. مثل الوزير أبي الحسن العنبري، ويعقوب بن داود وخالد البرمكي وابنها يحيى والفضل، والفضل والحسن ابنا سهل، وفي العصر العباسي الثاني نجد الزياد وابن وهب وعلي بن عيسى وغيرهم من مشاهير الوزراء الفضلاء، وغيرهم كما سيأتي.

(1)- سعيد حوى: فصول في الإمرة والأمير، ص 128-129.

(2)- المرجع نفسه، ص 130. 131.

(3)- ابن قتيبة: عيون الأخبار، ج1، ص15.

(4)- أحمد مختار العبادي: في التاريخ العباسي، ص35.

(5)- ابن الصيرفي: القانون في ديوان الرسائل، ص10. أحمد مختار العبادي: في التاريخ العباسي، ص35.

(6)- الثعالبي: تحفة الوزراء، ص 40.

إلا أن ذلك لم يمنع من تبوأ هذا المنصب الحساس ، بعض من لا خلاق لهم ، ممن يستعملون أساليب غير أخلاقية ، في التعامل مع أفراد البطانة. ما أدى إلى ظهور الحسد والتنافس المذموم. الأمر الذي بحياة كثير من الوزراء الأفاضل ، إلى نهايات لا يحمد عقباه ، بين عزل وسجن أو حتى قتل في بعض الأحيان. وتفصيل ذلك ذكرناه أثناء الحديث عن المؤامرات والسعيات.

### 3/ مهام الوزير :

ويقسم الماوردي الوزارة من حيث المهام إلى قسمين: وزارة تفويض . وزارة تنفيذ :  
أما وزارة التفويض فهي أن يستوزر الخليفة من يفوض إليه تدبير الأمور برأيه. وإمضائها على اجتهاده. وتعتقد هذه الوزارة بلفظ « قلدتك أو قلدناك .. ». ويشترط في هذا الوزير الكفاءة والخبرة الطويلة. ومن واجبه مطالعة الإمام بما أمضاه من تدبير وأنفذه من ولايه وتقليد، حتى لا يستبد بالأمور من دون الإمام.<sup>(1)</sup>

مثلما فوض المهدي إلى وزيره أبي عبيد الله تدبير المملكة والدواوين.<sup>(2)</sup> وقلد الخليفة المهدي - أيضا - ابنه هارون الرشيد المغرب كله ، وأمر كاتبه خالد البرمكي بتولي ذلك وتدييره فقام به.<sup>(3)</sup> وأغرى المهدي ابنه هارون الرشيد الصائفة في سنة 163هـ ، وقلد كتابته ونفقاته وتديير أمر عسكره ليحيى بن خالد ، فحسن أمر يحيى وحمد فعله وتدييره.<sup>(4)</sup> وتظهر مكانة الوزير يحيى بن خالد ، وتعمت وتعمت في بعض الأحيان على شخصية الخليفة الذي استوزره. وما حصل من وزارة التفويض التي فوضها الخليفة الرشيد لوزيره يحيى سنة 178هـ/794م.<sup>(5)</sup> مخاطبا يحيى البرمكي : « قد قلدتك أمور الرعية الرعية وأخرجتها من عنقي فول من رأيت وافعل ما تراه .. »<sup>(6)</sup>

وصار للمعتصم من الخلافة اسمها ، ومعناها لوزيره الفضل بن مروان. واستولى على الدواوين

(1)- الماوردي: المصدر السابق، ص 33. أبو يعلى: المصدر السابق، ص30.

(2)- تاريخ بغداد، ج 15، ص259-260. انظر الذهبي: سير، ج7، ص398. تاريخ الاسلام، ج10، ص550. الزركلي: الأعلام،

ج7، ص262. كما سيأتي الحديث عنه في ترجمته رقم: 04 من هذا البحث.

(3)- الجهشيارى: الوزراء، ص 150.

(4)- تاريخ الطبري، ج8، ص146. الجهشيارى: الوزراء، ص 150.

(5)- ابن الاثير: الكامل، ج5، ص304. ابن كثير: البداية، ج13، ص593 ابن العماد: شذرات، ج2، ص348.

(6)- المسعودي: مروج، ج3، ص280. ابن تغري: النجوم ج2، ص65. كما سيأتي الحديث عنه في ترجمته رقم: 09 من هذا الفصل.

كلها ، وتمكن منه واستقل بالأمور ، فغلب على أمره حتى لم يبق للمعتصم معه يد. (1)  
أما وزارة التنفيذ « فحكمها أضعف ، وشروطها أقل . لأن النظر مقصور على رأي الإمام وتديره.  
وهذا الوزير وسيط بينه وبين الرعايا والولاية. يؤدي عنه ما أمر. وينفذ ما ذكر ، ويمضي ما حكم، ويخبر  
بتقليد الولاية، وتجهيز الجيش والحماة، ويعرض عليهما ورد منهم وتجدد من حدث ملم ، ليعمل فيه  
بما يؤمر به. فهو معين في تنفيذ الأمور وليس بوال عليها ولا متقلد لها.» (2) وهو بمنزلة بين الوزير  
والوسيط . ويلزمه القيام بالسفارة بين الملك وأهل مملكته ، من الجند، فيحملهم على أوامره ونواهيته ،  
ويراعي أحوال العمال، واختيارهم، وسد خللهم. ويصغي إلى ظلمات الرعية وإنصافهم (3).  
ونجد كثيرا من النماذج عن وزارة التنفيذ ، مثل استعمال الربيع بن يونس على الوزارة ، نظرا للثقة  
التي حظي بها عند المنصور ، وتنفيذ رغبته الخليفة في قرار حاسم هو أخذ البيعة للمهدي على الناس  
بعد وفاة أبيه (4) .

وكذلك فقد وجد في العصر العباسي الثاني، كثير من وزراء التنفيذ، ومنهم الوزير أحمد بن إسرائيل وزير  
المعتز. فقد نهض بأعباء الأمر، لا سيما وأنه بنع في حساب الديوان (5).  
ويركز الماوردي في تشخيص وزير التنفيذ على إما أن يحصل على مشاركة واستشارة في تقرير  
القرارات ، فيكون بذلك بالوزير أشبه ، وإلا فإنه بمثابة سفير أو وسيط، لا يحتاج إلى تقليد ، وإنما  
يكفيه الإذن بذلك (6).

ويعد وزراء – التفويض والتنفيذ – من رجال الدولة المهمين في الدولة العربية الإسلامية. فكان  
الخليفة يمارس سلطته بواسطة الوزير. وتختلف سلطة الوزير حسب قوة الخليفة وضعفه. وقد زادت  
أهمية الوزير باستمرار بحيث أصبح له نفوذ واسع . وبهذا يتقرر بأن مهام الوزير تتنوع وتعدد ، مما  
يبين أن الوزير يمارس سلطة أخرى من خلال موقعه من الخليفة في المناسبات الدبلوماسية وغيرها  
مثل:

#### أ- استقبال الوفود:

- (1)- ابن خلكان : وفيات ، ج4، ص45. الصفدي: الوافي بالوفيات ، ج24، ص48. أحمد عبد الباقي: سامراء ، ص363.
- (2)- الماوردي: الأحكام السلطانية ، ص34. أبو يعلى: الأحكام السلطانية ، ص31.
- (3)- الماوردي: قوانين الوزارة، ص200.201.
- (4)- سيأتي الحديث عنه في ترجمته ضمن وزراء العصر العباسي الأول تحت رقم:03.
- (5)- الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج12، ص332. سيأتي الحديث عنه في ترجمته ضمن وزراء العصر العباسي الثاني تحت رقم:27.
- (6)- الماوردي: الأحكام السلطانية ، ص34.35.

حيث له الكلمة العليا بعد الخليفة ، وكيفية استقباله حين يتقلد هذا المنصب. وصارت إليه النيابة في إنفاذ الحل والعقد ويتقدم قادة الجيش في المراسيم والاحتفالات وخضوعهم له. وعندما يتقلد الوزير الجديد منصبه يسير بين يديه الأمراء والقادة والعلماء والقضاة والفقهاء والأعيان<sup>(1)</sup>.

### ب - مباشرة الحكم والنظر في المظالم والجهاد.

### ج - تسيير الجيوش وتدبير الحروب.

### د - التصرف بأموال بيت المال قبضا ودفعا<sup>(2)</sup>.

ومن بين اختصاصه الوزير أنه كان هو المشرف على الموارد والنفقات. فيتخذ التدابير اللازمة لتدارك الأمر وسد العجز. وإلى جانب هذه النواحي المالية والاقتصادية. وهذا كان يتطلب منه دراية واسعة بإيرادات الدولة ومواردها الاقتصادية في مختلف الأقاليم والأمصار<sup>(3)</sup>.

ونعطي مثالا لوزير ناجح أدار وزارته بكفاءة وخبرة عاليتين، ألا وهو الوزير الصالح علي بن عيسى، الذي اتخذ الإجراءات والتدابير الإصلاحية لإنقاذ مالية واقتصاد الخلافة ككل. فتدبر الأزمة ، ووضع من التدابير لتجنب العجز المالي<sup>(4)</sup>.

وكان يسند إليه مع مهمة النظر في الأموال ، و العناية بتشجيرها أكثر من العناية بتحصيلها ، والاقتصاد في الجمع والانفاق ، أمر الأجناد ، فيؤلف بينهم ويسوسهم على ما يليق بهم<sup>(5)</sup>. فكان الوزير بذلك يجمع في شخصه بين السلطتين المدنية والحربية<sup>(6)</sup>. وكان الفضل بن سهل أخص وزراء المأمون ، ينفذ أوامره السياسية والإدارية وحتى العسكرية، لذلك لقبة بـ «ذي الرئاستين» ، لأنه جمع بين السيف والقلم<sup>(7)</sup>. وكذلك كان ابن الزيات يقوم مقام الخليفة، ينفذ أوامره في الشؤون الحربية والمالية<sup>(8)</sup>.

(1)- عدنان إبراهيم : الوزير في التراث الإسلامي ، ص12.

(2)- الماوردي: الأحكام السلطانية ، ص 36.

(3)- المصدر نفسه ، ص 34-35.

(4)- سيأتي الحديث عن هذه الإجراءات أثناء الحديث عن الدور الاقتصادي للبطانة في الفصل السابع.

(5)- الثعالبي: الوزراء ، ص 57. 56.

(6)- حسن أحمد محمود وأحمد إبراهيم الشريف : العالم الإسلامي في العصر العباسي ، ص 116. حسن وعلي إبراهيم حسن : النظم

النظم الإسلامية ، ص 143.

(7)- سيأتي الحديث عنه في ترجمته ضمن وزراء العصر العباسي الأول تحت رقم:12.

(8)- سيأتي الحديث عنه في ترجمته ضمن وزراء العصر العباسي الأول تحت رقم:20.

### هـ - توقيع القرارات:

يعتبر الوزير وزارة تفويض اليد اليمنى للخليفة. كما أنه أعظم المستشارين نفوذاً عنده. حيث يتولى إدارة الجهاز الإداري والمالي وشؤون الجند وديوان المحاسبة. فكان للوزير مباشرة الحكم والنظر في المظالم والجهاد، والتوقيع على القرارات والرسائل و المعاملات الهامة. (1) مثلما كان الوزير يحيى البرمكي تؤرخ الكتب باسمه، وذلك أن الرشيد فوض إليه الأمور بقوله: «وقلدتك أمر الرعية، أحكم بما ترى، واستعمل من شئت، واعزل من رأيت، وأفرض من رأيت، فإني غير ناظر معك في شيء» (2).

### و - تعيين الولاة والعمال:

وكانت تعيينات الولاة وعمال الخراج والبريد والشرطة للولايات من صلاحية الوزير وزارة التفويض. وكان اهتمام هذا الوزير بدرجة أولى بالشؤون المالية. ويعنى قبل كل شيء بقضية جباية الضرائب وإنفاقها (3). مثلما كان الوزير يحيى البرمكي تؤرخ الكتب باسمه، وهو يقلد الكتاب والعمال والموظفين. وقد قلد أبا عبيد ديوان الرسائل و، وديوان الخاتم، وديوان الزمام (4). وفي وزارة علي بن عيسى لم ينفرد في مسألة تعيين العمال أو عزلهم \_ في إطار وزارة التنفيذ\_ دون الخليفة. فعندما تظلم أهل البصرة من عاملهم محمد بن إسحاق، وشكوا به إلى الوزير علي ابن عيسى، استأمر المقتدر في عزله، ولعل ذلك لرغبة الوزير تجنيب نفسه أخطار العزل والمصادرة (5). و لم يقتصر عمل الوزير على الجانب المالي فحسب، بل كانوا يقومون بدور رئيس في المحافظة على نظام الحكم وتدعيمه. و يقوم على تثبيت أركان الدولة عن طريق اختيار إداريين أكفاء يديرون الأقاليم المختلفة وحتى في بعض الأحيان امتد سلطانهم إلى اختيار القادة العسكريين من ذوي الكفاءة. وفي بعض الأحيان أصبح بعض الوزراء أداة فعالة في تقويض كيان الدولة عن طريق اختيار شخصيات إدارية وعسكرية لا خبرة لها ولا دراية لها في واجباتها. ومن الأمثلة على ذلك استيزار الخليفة المعتصم للتاجر أحمد بن عمار، وما عرف منه من جهل بأصول الوزارة وسياستها.

(1)- الماوردي: الأحكام السلطانية، ص36.

(2)- الجهشيارى: الوزراء، ص177. سيأتي الحديث عنه في ترجمته ضمن وزراء العصر العباسي الأول تحت رقم:08.

(3)- الماوردي: الأحكام السلطانية، ص36. الدوري: دراسات، ص 143.

(4)- الجهشيارى: الوزراء، ص177.178.179. ابن فضل الله العمري: مسالك الأبصار، ج11، ص38. سيأتي الحديث عنه في

ترجمته ضمن وزراء العصر العباسي الأول تحت رقم:08.

(5)- عريب بن سعد: صلة تاريخ الطبري، ص 42.

ومن مهام الوزير - أيضا - النظر في أحوال القضاة والولاة وأرباب المناصب ، ويستخير الصالح والطالح ، ومن يستحق الزيادة والتقديم . وينظر في الحقوق السلطانية ، والأمور المصلحية . فيمضي ما كان حسنا وعدلا ، وما كان فيه الظلم والجور يعلم به الملك ، ويتلطف في إزالته<sup>(1)</sup> .

ولا بد أن نبين أن العادة في هذا الوقت كانت بأن يختار الوزير للوظائف أصدقاءه ومقربيه . وكل وزير كانت تحيط به عصبة من المؤيدين له تأمل أن تتسلم الوظائف عند استيزاره . وتحاول قدر الإمكان أن تخلص نفسها من الاضطهاد والمصادرة في حال عزل الوزير .

وخلال العصر العباسي الأول (132-232 هـ/749-847م) بحسب شخصية كل خليفة، أحيانا تكون الوزارة تنفيذية بالكلية. كما كان في عهد السفاح والمنصور والمهدي والهادي . وأحيانا تكون تفويضية مثلما حصل للرشيد مع البرامكة. أو شبه تفويضية مثلما حصل مع الأمين والمأمون والمعتصم والواثق والمتوكل، فقد تم إشراكهم لوزرائهم مراسيم السلطة الفعلية ، إلى درجة النيابة عنهم في بعض الأحيان.

أما في العصر العباسي الثاني (232-334هـ/847-946م) فقد اتضعت قيمة الوزارة بنوعيتها. بل حتى معالم الخلافة كلها تكاد تعطل ، إلا ما كان من بعض المظاهر والمراسيم التي أبقى عليها شكليا فقط. وأصبح الأمر والنهي للقادة العسكريين. وخاصة في عصر إمرة الأمراء(324-334هـ/935-946م) حيث تم في عصر إمرة الأمراء إلغاء العمل بالوزارة نهائيا.

(1)- الثعالبي: الوزراء ، ص 62.

الباب الأول: بطانة الخلفاء العباسيين: التصنيف و المما (132-334هـ/749-946م)  
الفصل الأول:.....وزراء الخلفاء العباسيين: التصنيف و المما .

ثالثاً: وزراء خلفاء العصر العباسي الأول:التصنيف والمهام « 132-232هـ-749-

847م »

تضمن العصر العباسي الأول سلسلة من الانجازات السياسية والاقتصادية والحضارية. والحاصل أن خلفاء هذا العصر قد اعتنوا بالقدرات والكفاءات ، وخاصة ضمن المناصب الرفيعة مثل منصب الوزارة. حيث سخرت جهودهم لخدمة الخلافة. مما زاد في قوة الخلافة الجديدة وفعاليتها. وكان الخلفاء العباسيون الأوّل قد انبروا في قوة ووضوح وإخلاص، للقضاء على الفتن السياسية، و المظالم الاقتصادي. وإظهار رغبة جادة في الإصلاح الشامل. باستيعاب جميع الطاقات والكفاءات، والاستفادة منها كل في مجال تخصصه. فقبروا العلماء والفقهاء وأصحاب الرأي والفكر. ووظفهم في الوزارات والمناصب الهامة في الدولة .

1- وزير أبي العباس السفاح: (132-136هـ / 750-753 م):

1/ أبو سلمة الخلال ( .. - 132 هـ / .. - 750 م):

هو أبو سلمة حفص بن سليمان الخلال الهمداني مولى السبيع ، وزير أبي العباس أول خلفاء بني العباس. وهو أول من وقع عليه اسم الوزارة ، وشهر بها في دولة بني العباس ولم يكن من قبله يعرف بهذا النعت ، لا في دولة بني أمية ولا في غيرها. كان أدبياً عالي الهمة عالماً بالسياسة والتدبير. وكان السفاح يأنس به لما كان عليه من علم بالسياسة والتدبير<sup>(1)</sup>.

ب- وزراء أبي جعفر المنصور(136-158هـ/753-774م)

2/ أبو أيوب المورياني: ( ... - 154 هـ / ... - 771 م)

هو سليمان بن مخلد، وينسب الى قرية من قرى الأهواز، يقال لها: المريان. ولم يمتنع الخليفة المنصور من الاستفادة من خبرة وكفاءته في الأمور المالية والإدارية. فكان وزير أبي جعفر المنصور. تولى وزارته بعد خالد بن برمك وتمكّن من غاية التمكّن ، وأحسن القيام بالأعمال. ثم تغير عليه الخليفة المنصور<sup>(2)</sup>.

(1)- ابن الطقطقي: الفخري 151-152؛ الذهبي: تاريخ ج8، ص401. ابن خلكان : وفيات ج2، ص195. ابن كثير : البداية، ج13، ص284؛ الزركلي: الأعلام ، ج2، ص263.

(2)- اليافعي: مرآة الجنان، ج1، ص153.

الباب الأول: بطانة الخلفاء العباسيين: التصنيف و المصاه (132-334هـ/749-946م)  
الفصل الأول:.....:وزراء الخلفاء العباسيين:التصنيف و المصاه .

على أن بعض الروايات لا تعترف بوزارته بل تسميه كاتباً. على أن هناك روايات منفردة تسميه وزيراً. لكن أغلب الروايات تسميه وزيراً من قبل الموظفين الذين دونه . وكذلك من قبل الناس دون أن يكون لقب الوزير قد منح له من قبل المنصور بصورة رسمية<sup>(1)</sup> .

3/ الربيع بن يونس (111 - 169 هـ / 730 - 786 م):

هو الربيع بن يونس بن محمد بن أبي فروة كيسان ، من موالى بني العباس ، أبو الفضل. وقد اختلف المؤرخون على منصب الربيع ومسؤولياته. ففي حين يؤكد بعضهم وزارته للمنصور . ويرى البعض الآخر بأن الربيع بن يونس اتخذته الخليفة المنصور حاجباً ثم استوزره ، فاتسعت صلاحياته ، حتى أخذ يعرض على الخليفة الالتماسات والطلبات ويدير النفقات<sup>(2)</sup> .

استمرت وزارة الربيع بن يونس للخليفة المهدي حيث أصبح الربيع من أقدم خاصة الخلفاء في البلاط منذ عصر المنصور. ولأول مرة في تاريخ العباسيين يعين الخليفة نائباً عنه في بغداد شخصية غير عباسية ، بل أحد مواليه المقربين إلى البلاط، وكان الربيع بحسن تديره وتنفيذه للأمر، جلداً في حالتي الحجابة والوزارة<sup>(3)</sup> .

يذكر بعض المؤرخين أن الربيع قد تقلد الوزارة في عهد المنصور فقط. ولم يتقلدها في عهد المهدي بل كان حاجباً فقط. لأن الأحوال كانت تجري في غير صالح الربيع بن يونس إذ لم يلبث أن عزل عن الوزارة . ثم قلده المهدي كتابة موسى الهادي ، فكان يكتب لموسى الهادي بجرجان سنة 167هـ<sup>(4)</sup> .

ت- وزراء الخليفة المهدي(158-169هـ/775-786م) :

إضافة إلى وزارة الربيع بن يونس الأنف الذكر فقد استوزر كل من:

4/ أبو عبيد الله معاوية بن يسار: (100 - 170 هـ / 718 - 786 م)

هو معاوية بن عبيد الله بن يسار، الأشعري بالولاء، أبو عبيد الله: من كبار الوزراء. أصله من طبرية

(1)- الذهبي: سير، ج7،ص23. تاريخ الإسلام ج9،ص675. ابن تغري بردي: النجوم، ج2، ص21. الصفي: الوافي ج15، ص231.

(2)- ابن الأثير: الكامل، ج5، ص226-227. الذهبي: تاريخ ج10، ص187. ابن خلكان: وفيات، 294. الصفي: الوافي، ج5، ص. الرزكلي: الأعلام، ج3، ص15.

(3)- ابن العمري: الإنباء غي تاريخ الخلفاء، ص70. فاروق عمر: دراسات، ص305.

(4)- الصفي: الوافي بالوفيات، ج5، ص199. ج14، ص58.

الباب الأول: بطانة الخلفاء العباسيين: التصنيف و المصنف (132-334هـ/749-946م)  
الفصل الأول:.....وزراء الخلفاء العباسيين: التصنيف و المصنف .

من بلاد الأردن. اشتغل بالحديث والأدب. واتصل بالمهدي العباسي قبل خلافته، فكان كاتبه ووزيره (1).

يقول ابن الطقطقي: «أن المنصور كان قد عزم على أن يستوزه، ولكنه آثر به ابنه المهدي وأوصاه بأن يمثل لمشورته. فكان غالباً على أمور المهدي لا يعصي له قولاً... ففوض إليه - أي المهدي - أمور المملكة وسلم إليه الدواوين» (2).

كان له دور سياسي وإداري واقتصادي بارز خاصة في خلافة المهدي. نذره فيما يأتي. وبعد وفاة المنصور أخذ أبو عبيد الله البيعة العامة من الناس في بغداد للمهدي. فكان طبعاً أن يقلده المهدي وزارته ودواوينه سنة 159هـ / 755م نظير كفاءته وإخلاصه (3).

وهو الذي قام بتحرير كتاب يأمر فيه عمال الخراج برفع العذاب عن أهل الخراج الذين كانوا يعذبون بصنوف العذاب من السباع والزنابير عندما لا يستطيعون إيفاء ما عليهم من أموال وطالب عمال الخراج بأن يعاملوهم معاملة الغرماء (4).

5/ يعقوب بن داود: (.. - 187 هـ / .. - 803 م)

هو يعقوب بن داود بن عمر بن طهمان أبو عبد الله مولى عبد الله بن خازم السلمي مولى بني سليم (5). نشأ في بيئة اشتغل أفرادها بالكتابة. فقد خدم والده وأعمامه الأمويين، واشتغلوا كتاباً في الديوان في خراسان حتى ولاية نصر بن سيار. وعرف بشغفه بالأدب وصنوف العلم (6).

وكان الوزير يعقوب بن داود ذكياً مدركاً للأمور وطموحاً وبحكم وظيفته أدرك أسباب تدمير أهل خراسان وتدهور دولة الأمويين. فاستهوته الدعوة السرية لأهل البيت فاعتنق المذهب العلوي الزيدي. أما عن كيفية اتصال يعقوب بالخليفة المهدي وحصوله على ثقته، ومن ثم اختياره وزيراً له، فقد

(1)- تاريخ بغداد، ج15، ص259-260. الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج7، ص398. تاريخ الإسلام، ج10، ص550. الزركلي:

الأعلام، ج7، ص262.

(2)- الفخري، ص182.

(3)- الجهشيارى: الوزراء، ص141.

(4)- المصدر نفسه، ص142-143.

(5)- تاريخ الطبري، ج8، ص155. الجهشيارى، الوزراء، ص155. المسعودي، مروج الذهب، ج3، ص259.

(6)- المصدر نفسه، ص154. 155، المصدر نفسه، ص155.

الباب الأول: بطانة الخلفاء العباسيين: التصنيف و المما (132-334هـ/749-946م)  
الفصل الأول: .....وزراء الخلفاء العباسيين: التصنيف و المما .

أرجعتها المصادر إلى أسباب سياسية ، وهي ميول يعقوب العلوية ، وقربه من الشيعة ومعرفته بهم ، ولكنها تختلف في تفسير ذلك <sup>(1)</sup> .

استوزره الخليفة المهدي ، وقرب من قلبه وغلب على أمره . فوجد يعقوب كل ما لديه من حنكة سياسية وقابلية إدارية وشخصية جذابة في خدمة الخليفة المهدي. بحيث أصبح الأخير لا يستغني عنه في المشورة وتدبير الأمور. فكان يشير « في أمر الثغور وبناء الحصون وتقوية الغزاة وتزويج العزاب وفكك الأسرى والمحتسبين والقضاء على الغارمين والصدقة على المتعفين» <sup>(2)</sup> .

ولا يخفى على الباحث المتمعن بأن هدف الخليفة وراء اصطناع يعقوب كان أعمق من حاجته الإدارية والاستشارية ، ألا وهو تأمين جانب العلويين وحل النزاع الهاشمي بطريقة سلمية تضمن للخلافة العباسية البقاء. ومن أجل ذلك ابتدع الخليفة طريقة مبتكرة لتوثيق الصلة بيعقوب ومن ورائه العلويين ألا وهي اتخاذه «أخا في الله» ووزيرا وأسبغ عليه مبلغ 100 ألف درهم <sup>(3)</sup> .

6/ الفيض بن أبي صالح (ت 173هـ/789م):

واستوزر المهدي بعد يعقوب الفيض بن أبي صالح وكان سخيا سريا كثير الأفضال واسع الحال ، وكان متكبرا متجبرا مترفعا. وكانت التطورات الإدارية التي استجدت في نهاية عهد المهدي وصفت شخصية الوزير الفيض بن أبي صالح وزيادة أهمية صاحب ديوان الزمام وديوان زمام الأزمة تعطي صورة معقدة أمام الباحث حيث تختلط صلاحيات الوزير بصلاحيات شخصيات أخرى <sup>(4)</sup> .

ث- وزير الخليفة الهادي(169-170هـ/786-788م):

7/ إبراهيم بن ذكوان الحراني (ت 169هـ/785م): اتصل بالهادي منذ أيام صغره،

يتعلم معه عند معلم واحد . فبدأت صداقتهما وتعلق به الهادي، وحتى إلى أن أصبح خليفة، برغم مساعي السعاة والحاسدين. <sup>(5)</sup> يذكر المؤرخون أن الهادي استوزره لما صرف الربيع بن يونس عن

(1)- تاريخ الطبري ، ج 8 ، ص 154. 155 ، الجهشباري: المصدر السابق، ص 155 . ابن الطقطقي: الفخري، ص 184.

(2)- المصدر نفسه ، ص 119 ، ص 154-155. البغدادي: تاريخ بغداد ج 16، ص 383. ابن الأثير: الكامل ج 5، ص 229-230.

الصفدي: الوافي، ج 28، ص 71-72. الزركلي: الأعلام ج 8، ص 197. فاروق عمر: دراسات ، ص 280-281

(3)- الجهشباري: المصدر السابق، ص 155. ابن الأثير: الكامل ، ج 5، ص 230. ابن خلدون: العبر، ج 3، ص 259. فاروق عمر:

دراسات، ص 285.

(4)- الجهشباري: المصدر السابق، ص 164، فاروق عمر: المرجع السابق، ص 303.

(5)- ابن الطقطقي: المصدر السابق ، ص 192.

الباب الأول: بطانة الخلفاء العباسيين: التصنيف و المماء (132-334هـ/749-946م)  
الفصل الأول: .....:وزراء الخلفاء العباسيين:التصنيف و المماء .

الوزارة<sup>(1)</sup>.

ج- وزراء الخليفة هارون الرشيد (170-193هـ / 786-808م):

8 / خالد بن برمك (90 - 163 هـ / 709 - 780 م) :

وهو خالد بن برمك بن جاماس بن يشتاسف: أبو البرامكة، وأول من تمكن منهم في دولة بني العباس. كان أبوه (برمك) من مجوس بلخ. الذي يعتبر هو جد البرامكة ، وكان حظيا عند ابي العباس: أعجب أبو العباس لفصاحة خالد وأقره على ما كان يتقلد من الغنائم . وجعل إليه بعد ذلك ديوان الخراج وديوان الجند ، وكثر فيه حامده ، وحسن أثره. ولم يزل على منزلته عنده حتى توفي أبو العباس<sup>(2)</sup> .

وكان خالد بن برمك من رجال الدولة العباسية، حزما يقظة. استوزره السفاح ، استوزر بعد أبي سلمة كان يتجنب أن يسمى وزيرا<sup>(3)</sup> .

وتطيرا مما جرى لأبي سلمة الخلال. فكان خالد بن برمك يعمل عمل الوزراء ولا يسمى زيرا<sup>(4)</sup>. قال عنه ابن خلدون : « كان خالد بن برمك من كبار الشيعة وكان له قدم راسخ في الدولة وكان يلي الولايات العظام ، وولاه المنصور على الموصل وعلى أذربيجان »<sup>(5)</sup>. فاستوزره المنصور حوالي سنتين، سنتين، ثم ولاه إمارة بلاد فارس ، نحو سنة ثم صرفه عن الديوان وقلده بلاد فارس (الري)<sup>(6)</sup> ، وطبرستان<sup>(7)</sup>، وديباوند<sup>(8)</sup> وما إليها. ونظرا لسياسته وحكته وتدييره ، فقد ولاه المهدي الأعمال

(1)- تاريخ خليفة، ص295.الصفدي: الوافي بالوفيات، ج5،ص199. ج14،ص58. ومع ذلك فلا تورد عنه المصادر التي بين يدي معلومات تذكر، إلا النزر اليسير.

(2)- الجهشيارى : المصدر السابق ، ص59.الذهبي: سير ج7،ص228. ابن خلدون: العبر ج3،ص200.

(3)- ابن الطقطقي: الفخري ، ص154.

(4)- المصدر نفسه ، ص154.

(5)- ابن خلدون: العبر، ج3،ص279.

(6)- الري: مدينة مشهورة من امهات البلاد وأعلام المدن. كثيرة الفواكه والخيرات، وهي محط الحاج عن طريق السابلة وقصبة بلاد الجبال. بينها وبين نيسابور 160فرسخا. وإلى قزوین 27فرسخا. اليعقوبي: البلدان ج3،ص116.

(7)- طبرستان: بفتح أوله وثانيه ، وكسر الراء ، إليها ينسب الطبري ، وهي بلدان واسعة كثيرة يشملها هذا الاسم، خرج من نواحيها من من لا يحصى كثرة من أهل العلم والأدب والفقہ. والغالب على هذه النواحي الجبال، ومن أعيان بلدانها دهستان وجرجان واستراباذ وآمل. اليعقوبي: البلدان، ج4،ص13.

(8)- ديباوند : بضم أوله ، وسكون ثانيه. وهو جبل من نواحي الري.اليعقوبي: البلدان ج2،ص475.

الباب الأول: بطانة الخلفاء العباسيين: التصنيف و المصنف (132-334هـ/749-946م)  
الفصل الأول:.....وزراء الخلفاء العباسيين:التصنيف و المصنف .

الجليلة<sup>(1)</sup>. بحيث يذكر الطبري أن المهدي وجه خالد بن برمك مع الرشيد وهو ولي العهد حين وجهه لغزو الروم<sup>(2)</sup>.

9/ يحيى بن خالد البرمكي: (120 - 190 هـ / 738 - 805 م)

« أبو الفضل: الوزير الجواد ، سيد بني برمك وأفضلهم. وهو مؤدب الرشيد العباسي ومعلمه ومريبه... واشتهر يحيى بجوده وحسن سياسته.» وكان من أحكم الناس خبرة وأكثرهم ممارسة للأمر. وأنه كان ذا علم ومعرفة وبحث ونظر. وله مجلس يجتمع فيه أهل الكلام من أهل الإسلام وغيرهم من أهل الآراء والنحل<sup>(3)</sup>.

فكانت شخصية ونظرا لما عرف به يحيى بن خالد من مهارته وحسن إدارته لشئون الدولة قبل أن يتولى وزارة هارون الرشيد . ذلك أنه حاز على ثقة المنصور فولاه سنة 158هـ / 775 م على " أذربيجان"، و " أرمينية " قائلاً له: « أردتك لأمر من الأمور ، وأخترتك لشغل من الثغور »<sup>(4)</sup>. وبقي والياً عليها حتى حتى وفاة المنصور .

وقد ازدادت منزلة يحيى بن خالد شرفاً في عهد الخليفة المهدي ، عندما عهد إليه بتربية ابنه هارون. و ظل ملازماً له حتى في حروبه، فخرج معه الصائفة لغزو البيزنطيين كاتبا للعسكر ، ونفقاته<sup>(5)</sup>. ونفقاته<sup>(5)</sup>. فقام بأداء هذه الرسالة خير قيام ، ثم أسند إليه المهدي الإشراف على دواوين هارون ، وجعله كاتباً له بعد أن ولي المهدي ابنه الرشيد ولاية المغرب من الأنبار إلى إفريقية سنة 163هـ / 779 م<sup>(6)</sup>. وظل يسانده حتى وصل إلى سدة الخلافة . ذلك أن هارون ولي الخلافة وهو في مقتبل العمر ، فظل يزوده بما يحتاج إليه من الكفاءة والخبرة في إدارة الشئون المختلفة.

(1)- الذهبي : سير، ج7،ص228. ابن تغري: النجوم الزاهرة ، ج2، ص50. الزركلي: الأعلام، ج2،ص295.

(2)- تاريخ الطبري، ج8،ص144.

(3)- تاريخ خليفة، ص308. الذهبي: سير ج9،ص89. ينظر: تاريخ بغداد، ج16،ص195. تاريخ الطبري، ج8،ص379. ابن خلكان :

: وفيات الأعيان، ج1،ص355. الزركلي: الأعلام، ج8،ص144

(4)- تاريخ الطبري، ج8،ص56.

(5)- المصدر نفسه، ص146-147.

(6)-المصدر نفسه،ص148.

وتظهر مكانة يحيى بن خالد، في بعض الأحيان على شخصية الخليفة الذي استوزره. وما حصل من وزارة التفويض التي فوضها الخليفة الرشيد لوزيره يحيى سنة 178هـ/794م<sup>(1)</sup>. مخاطبا يحيى البرمكي: « قد قلدتك أمور الرعية وأخرجتها من عنقي ، فول من رأيت وافعل ما تراه»<sup>(2)</sup>.

#### 10 / الفضل بن يحيى البرمكي (147 - 193 هـ / 765 - 808 م):

هو أبو العباس الفضل بن يحيى بن خالد البرمكي . كان من أكثرهم البرامكة كرما. ولاه الخليفة هارون الوزارة قبل جعفر. كانت أمه زبيدة قد أرضعت الرشيد . والخيزران أم الرشيد أرضعت الفضل<sup>(3)</sup>. استعمل الرشيد وزيره الفضل في مهام خارجة عن إطار الوزارة ، فبعث عاملا على خراسان سنة 178هـ/794م ، فلما وصل إليها أزال سيرة الجور ، وبنى المساجد والرباطات ، وزاد الجند ، ووصل الزوار والقواد والكتاب ، واستخلف على عمله ، ورجع في آخر هذه السنة إلى العراق. فتلقاه الرشيد وجمع له الناس ، وأكرمه غاية الإكرام<sup>(4)</sup>. ومنحه الرشيد الخاتم في بادئ الأمر ، وبذلك أصبح المشرق كله له.

#### 11 / جعفر البرمكي (150 - 187 هـ / 767 - 803 م):

هو أبو الفضل جعفر بن يحيى بن خالد بن برمك ، بغدادى المولد والنشأة. من أشهر وزراء الخليفة هارون الرشيد. تمكن منه فأصبح يحكم بما يشاء فلا ترد أحكامه. وبلغ عند هارون الرشيد من علو القدر ونفاذ الأمر وبعد الهمة وعظم المحل وجلالة المنزلة بحالة انفرد بها، وما لم يبلغه سواه. وولي هو وأبوه وإخوته الأعمال الجليلة ، وكثرت عليهم الأموال<sup>(5)</sup>. حيث قلده الرشيد بريد الآفاق المظالم ودور الضرب والطرز في جميع الكور، وقلده إلى ما تقلده من الدواوين، التوقيع والسر بالجزيرة والشام. ثم عينه الرشيد مستشارا لبيقى في بغداد بجوار الخليفة يعينه في كل شيء له . كما أسند إليه أمر المظالم. ودور الضرب للاشراف على السكة<sup>(6)</sup>. والطرز<sup>(1)</sup>. في جميع البلدان<sup>(2)</sup>.

(1)- ابن الاثير: الكامل، ج5، ص304. ابن كثير: البداية، ج13، ص593 ابن العماد: شذرات الذهب، ج2، ص348.

(2)- المسعودي: مروج الذهب، ج3، ص280. ابن تغري: المصدر السابق، ج2، ص65.

(3)- ابن خلكان: وفيات الأعيان، ج4، ص27. الصفدي: الوافي بالوفيات، ج24، ص50.

(4)- تاريخ بغداد، ج14، ص292. ابن خلكان: المصدر السابق، ج4، ص27-29. الصفدي: المصدر السابق، ج24، ص50-51.

(5)- المصدر نفسه، ج8، ص30. الصفدي: المصدر السابق، ج11، ص120. ابن خلكان: المصدر السابق، ج1، ص328. 322.

الذهبي: تاريخ الإسلام، ج12، ص99. الجبوري: علاقة الخلفاء، ص153.

(6)- هي الدراهم المنقوشة ، وهي الختم على الدنانير والدراهم المتعامل بها بين الناس بطابع حديد ينقش فيه صورا أو كلمات مقلوبة ويضرب بها على الدينار أو الدرهم. فتطبع الرسوم مستقيمة ظاهرة. ابن منظور: لسان العرب، ج3، ص2051.

الباب الأول: بطانة الخلفاء العباسيين: التصنيف و المما (132-334هـ/749-946م)  
الفصل الأول:.....وزراء الخلفاء العباسيين: التصنيف و المما .

وهذه المهام هي من مهام الخليفة . ثم عهد إليه الرشيد بأمر تربية ابنه المأمون. وقد أشار عليه بأخذ البيعة له بولاية العهد بعد أخيه الأمين. كما أشار عليه بكتابة العهد في الحج وتعليقه بجوف الكعبة<sup>(3)</sup> .

ما جعل ابن خلدون يتعجب من تمكن جعفر ، حيث قال: « حتى لقد دعي جعفر بن يحيى بالسلطان أيام الرشيد إشارة إلى عموم نظره و قيامه بالدولة و لم يخرج عنه من الرتب السلطانية كلها إلا الحجابة »<sup>(4)</sup> .

12/ الفضل بن الربيع: (138 - 208 هـ / 755 - 824 م):

هو الفضل بن الربيع بن يونس، أبو العباس. فبعد نكبة البرامكة ، احتاج الرشيد إلى استيزار الفضل بن الربيع بن يونس، الذي كان حاجبا للمنصور والمهدي والهادي والرشيد. ولكونه شهما نبيا خبيرا بأحوال الملوك وآدابهم<sup>(5)</sup> .

وكان الفضل بن الربيع يتقلد ديوان النفقات بأمر من يحيى بن خالد سنة 172هـ/788م. وقيل إنه قلده سنة 173هـ/789م<sup>(6)</sup> . وولي الفضل نفقات العامة والخاصة وبادوريا<sup>(7)</sup> والكوفة ، وتحسنت أحواله إلى سنة 187هـ/795م<sup>(8)</sup> .

ولما مات الخليفة الرشيد والفضل على وزارته . فأخذ البيعة للأمين ابن الرشيد، و قرر له الأمور. ولم يعرج على المأمون وهو بخراسان ، ولا التفت إليه ، فعزم المأمون على إرسال طائفة من عسكره لأن يعترضوه في طريقه لما انفصل عن موضع وفاة الرشيد. فأشار عليه وزيره الفضل بن سهل أن لا

(1)- وهو ما ينسج من الثياب للسلطان . وهو من أبهة الملك والسلطان . وترسم أسماؤهم أو علامات تخصهم في أثوابهم المعدة للبايهم من الحرير أو الديق أو الأبريسم. مقدمة ابن خلدون ، ج1، ص322-326.

(2)- الجهشياري: الوزراء، ص204. 224. ابن فضل الله العمري: مسالك الأبرار، ج11، ص50-52-55.

(3)- الجهشياري: الوزراء، ص211. المسعودي: مروج ، ج3، ص264.

(4)- مقدمة ابن خلدون، ج1، ص422.

(5)- تاريخ بغداد، ج14، ص303. تاريخ الطبري، ج8، ص261. ابن الطقطقي: الفخري، ص204. 211. الذهبي : المصدر السابق، ج10، ص186-187. ابن خلكان: المصدر السابق، ج4، ص37، ابن كثير: المصدر السابق، ج14، ص172. الزركلي: المرجع السابق، ج5، ص148.

(6)- تاريخ الطبري، ج8، ص238. 8. الجهشياري: المصدر السابق، ص189.

(7)- بادوريا : طسوج من كورة الأستان بالجانب الغربي من بغداد. وهو محسوب الآن من كورة نهر عيسى بن علي . ياقوت: معجم البلدان، ج1، ص317.

(8)- تاريخ الطبري، ج8، ص238.

الباب الأول: بطانة الخلفاء العباسيين: التصنيف و المماه (132-334هـ/749-946م)  
الفصل الأول:.....وزراء الخلفاء العباسيين:التصنيف و المماه .

يتعرض له ، وخاف عاقبته (1) .

ح- وزير الخليفة الأمين(193-198هـ / 808-813م)

يقول ابن الطقطقي عن حال الوزارة في أيامه : « فإنه لم يستوزر غير الفضل بن الربيع وزير أبيه» (2) . وصار الفضل بن الربيع وزيرا للأمين ومستشارا له منذ أن قدم بغداد بالأموال والقضيب (3) والخاتم. والخاتم. فاشتد فرح الأمين وسروره. وقربه وأطفه. وقلده أموره وأعماله ، وفوض إليه ما وراء بابه. فكان هو الذي يولي ويعزل، واحتجب عن الناس (4) .

خ- وزراء الخليفة المأمون(198-218هـ / 813-833م):

13/ الفضل بن سهل : (154 - 202 هـ / 771 - 818 م)

هو الفضل بن سهل بن سهل السرخسي ، أسلم على يد المأمون سنة 190هـ ، وبالموازاة فقد رفع المأمون منزلته ، فوزر له واستولى عليه . وكان أخص وزرائه عنده وأوقهم في نفسه وقد كان جرب منه وثاقة رأي وفضل وحزم. (5) وسماه المأمون : ذا الرئاستين، وكان على سيفه مكتوب من جانب : رئاسة الحرب. ومن جانب : رئاسة التدبير. (6) وقد كتب المأمون للفضل الكتاب الذي سماه كتاب الشرط والحياء ، يصف فيه طاعته ، ونصيحته، وعظته، وعنايته، وذهابه بنفسه عن الدنيا. وارتفاعه عما بذل من الأموال والقطائع والجواهر والعقد. ويشترط له على نفسه كل ما يسأل ويطلب. لا يدفعه، ولا يمنعه ، ووقع فيه المأمون بخطه ، وأشهد على نفسه (7) .

وعن وزارة بني سهل يقول صاحب الفخري: « كانت دولتهم في جبهة الدهر غرة ، وفي مفرق

(1)- ابن خلكان: وفيات الأعيان، ج4، ص38. المسعودي: مروج الذهب، ج3، ص319. الزركلي: الأعلام، ج5، ص148.

(2)- ابن الطقطقي: الفخري، ص215.

(3)-القضيب: الغصن ، كل نبت الأغصان يقضب . وهو من ممتلكات الرسول ﷺ يتوارثها الخفاء لتكون من رسوم الخلافة. ابن منظور: منظور: لسان العرب، مج4، ص3696.

(4)- تاريخ بغداد ، ج12، ص368.

(5)- ابن خلكان : وفيات الأعيان، ج4، ص41. الذهبي: سير، ج10، ص99-100. الدينوري: الأخبار الطوال، ص372. الصفدي: الصفدي: الوافي بالوفيات، ج24، ص32.

(6)- تاريخ بغداد، ج14، ص298-299. الجهشياري: الوزراء، ص305. ابن الجوزي: المنتظم، ج10، ص23. ابن الأثير: الكامل، ج5، ص342. الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج10، ص109. ابن كثير: البداية، ج14، ص87. ابن خلكان: المصدر السابق، ج4، ص41.

(7)- تاريخ يعقوبي، ج2، ص451.

الباب الأول: بطانة الخلفاء العباسيين: التصنيف و المماه (132-334هـ/749-946م)  
الفصل الأول:.....وزراء الخلفاء العباسيين:التصنيف و المماه .

العصر درة. وكانت مختصرة الدولة البرمكية. وهم صنائع البرامكة. فالوزير الأول منهم الفضل بن سهل، كان سخيا كريما يجاري البرامكة في جوده ، شديد العقوبة ، سهل الانفطان ، حكيما بليغا ، عالما بآداب الملوك ، بصيرا بالحيل ، جيد الحدس»<sup>(1)</sup> .

وكان الفضل يؤمر مع الوزارة ، وهو أول وزير لقب بذي الرياستين. وأول وزير اجتمع له اللقب والتأثير . ومنذ سنة 196هـ/812م وسلطاته تزداد وتتوسع، فقد صارت سلطته واسعة منذ وفاة الرشيد وتولي الأمين الخلافة. فهو الذي كان يرسم الخطوط الرئيسية والأطر العامة لسياسة المأمون مع الرعية. فهو الذي أشار عليه باتباع سياسة السلمية مع ملوك المقاطعات الفارسية والتركية في بلاد ما وراء النهر<sup>(2)</sup>. فكان ملوك خراسان عندما يقدمون على الصلح لا يكتبون الكتاب باسم المأمون بل يكتبونه باسم الفضل بن سهل . كما فعل ذلك ملك أشروسنة المسمى كاوس. عندما كتب كتابا إلى الفضل بن سهل وزير المأمون يسأله الصلح على مال يؤديه على أن لا يغزو المسلمون بلده . فأجيب إلى ذلك<sup>(3)</sup> .

ونعجب من تكرار تجربة أسرة البرامكة مع آل سهل. لأنه بالأمس القريب قد تم الاعتماد على كفاءة البرامكة السياسية والادارية، ولكنه ما إن صدر منهم ما يعتبره البعض تجاوزا لصلاحياتهم ، نكبوا وأزبحوا بالكلية. والسؤال المطروح: ألم يخش بنو العباس تكرار المأساة التي حصلت للبرامكة بما كان من مسبباتها؟ أليس من قواعد المنطق أن تكرار نفس الأسباب يؤدي إلى إعطاء نفس النتائج؟ ويبدو لي أن تكرار ظاهرة التحول في عهد المأمون ، بعد نكبة البرامكة ، وتصفية مشكلة الأمين يدل على أنها لم تكن مجرد فقاعة من فقاعات السطح ، تظهر ثم تنفجر. إنما يدل على ظاهرة تنبع من داخل المجتمع العباسي. ومن واقع العناصر الايرانية الصاعدة نحو النفوذ. فقد فعل بنو سهل في عهد المأمون ما فعله البرامكة في عهد الرشيد.<sup>(4)</sup> وهو ما يفسر بالتعبير الحاضر بـ «الدولة العميقة». غير أن المأمون لم يتحمل شخص الفضل ، و ثقل أمره عليه. فدس عليه من قتله بالحمام بسرخس ، وذلك 202هـ/818م»<sup>(5)</sup> .

(1)- ابن الطقطقي: الفخري،ص214.

(2)- الجهشيارى: الوزراء ، ص 306. تاريخ الطبري، ج8، ص424. ابن الأثير: الكامل ، ج5، ص383.

(3)- البلاذري: فتوح ، ص604.

(4)- حسن أحمد محمود وأحمد إبراهيم الشريف: العالم الإسلامي في العصر العباسي، ص92.

(5)- ابن خلكان : المصدر السابق ج4، ص44. ابن كثير: المصدر السابق ج14، ص124. الصفدي: المصدر السابق ج24، ص33.

ج24، ص33.

14/ الحسن بن سهل (166 - 236 هـ = 782 - 851 م):

هو الحسن بن سهل بن عبد الله السرخسي. أبو محمد: وزير المأمون العباسي، وأحد كبار القادة والولاة في عصره. تولى وزارة المأمون بعد أخيه الفضل. ولاة المأمون ديوان الخراج. وولاه أيضا الأعمال في البلدان كلها التي كانت بيد طاهر بن الحسين<sup>(1)</sup>. ثم قلده ولاية العراق وبعثه إليها ليكون خليفته عليها<sup>(2)</sup>.

ويعتبر الفضل والحسن من صنائع البرامكة. فضم جعفر الفضل بن سهل إلى المأمون. وهو ولي عهد فغلب عليه. ولم يزل معه إلى أن قتل الفضل بخراسان، فكتب المأمون إلى الحسن بن سهل وهو ببغداد يعزيه بأخيه، ويعلمه أنه قد استوزره، وبأمره بإجراء الأمر مجراه. فلم يكن أحد من بني هاشم ولا من سائر القواد يخالف للحسن أمرا. وكان الحسن بن سهل أعظم الناس منزلة عند المأمون. وكان المأمون شديد المحبة لمفاوضته، فكان إذا حضر عنده طاوله في الحديث، وكلما أراد الانصراف منعه<sup>(3)</sup>.

15/ أحمد بن أبي خالد (ت 212هـ / 827 م):

هو أحمد بن أبي خالد يزيد بن عبد الرحمن الأحول الكاتب، أبو العباس، وزر للمأمون بعد الفضل بن سهل. كان أحمد من الموالي، جليل القدر. من عقلاء الرجال. وكان كاتباً شديداً فصيحاً لبيبا، جوادا، ممدحا شهما، داهية، سائسا، بصيرا بالأمور. وكان أبوه كاتباً لوزير المهدي، أصله من الأردن. وقد ناب أحمد في الوزارة عن الحسن بن سهل. ومن أعمال الحسن بن سهل أنه بعث إلى علي بن هشام وهو والي بغداد من قبله أن أمطل الجند من الحربية والبغداديين أرزاقهم ومنهم ولا تعطهم وقد كان الحسن قبل ذلك تعهد أن يعطيهم أرزاقهم<sup>(4)</sup>.

قال المأمون يوما لأحمد بن أبي خالد: «إني كنت عزمت ألا استوزر أحدا بعد ذي الرياستين، وقد رأيت أن استوزرك»<sup>(5)</sup>.

(1)- تاريخ الطبري، ج8، ص424. 527.

(2)- الجهشياري: الوزراء، ص305.

(3)- تاريخ بغداد، ج8، ص284. ابن الطقطقي: الفخري، ص215-216. الذهبي: تاريخ الإسلام، ج17، ص131. ابن كثير: المصدر السابق، ج14، ص124-125. ابن خلكان: وفيات، ج2، ص120.

(4)- المصدر نفسه، ج8، ص543. المصدر نفسه، ج13، ص80. ج15، ص49. ابن الطقطقي: الفخري، ص217. الصفدي: المصدر السابق، ج8، ص176.

(5)- ابن طيفور: تاريخ بغداد، ص241.

الباب الأول: بطانة الخلفاء العباسيين: التصنيف و المما (132-334هـ/749-946م)  
الفصل الأول:.....وزراء الخلفاء العباسيين: التصنيف و المما

وكان أحمد هذا يجمع بين عدة أخلاق متناقضة ، حيث أنه يظهر الفضل مع عيب الوجه، وجودة الرأي والفتنة مع سوء اللقاء .يعرفه الخاص والعام. غير أن فعله أحسن من لقائه. وكان من عرف أخلاقه ، وصبر على مداراته نفعه وأكسبه<sup>(1)</sup>.

و لما مات أحمد بن أبي خالد استشار المأمون الحسن بن سهل فيمن يوليه الوزارة ، فأشار عليه بأحمد بن يوسف بن القاسم . فقال له المأمون: « إن الحسن بن سهل قد لزم منزله ، وإنني أريد أن أستوزرك. فتنصل أحمد من الوزارة . وقال :يا أمير المؤمنين اعفني من التسمي بالوزارة. وطالبي بالواجب فيها. واجعل بيني وبين العامة منزلة يرجوني لها صديقي ، ويخافني لها عدوي. فما بعد الغايات إلا الآفات. فاستحسن المأمون جوابه. وقال: لا بد من ذلك ، فاستوزره وفوض إليه وزارته»<sup>(2)</sup>.

16/ أحمد بن يوسف (.. - 213 هـ / ... - 828 م) :

هو أحمد بن يوسف بن القاسم بن صبيح مولى بني عجل، المعروف بالكاتب: وزير من كبار الكتاب. من أهل الكوفة. ولي ديوان الرسائل للمأمون ، واستوزره بعد أحمد ابن أبي خالد الأحول<sup>(3)</sup>. ويذكر الصولي أنه : « لما ولي أحمد بن يوسف وزارة المأمون ، ولي أخاه القاسم خراج السواد ، فجباه فضلا مما جباه غيره في سائر أيام المأمون، فحمدته المأمون. قال: يا أحمد، القاسم يجمع، ونحن نفرق »<sup>(4)</sup>.

قال عنه البغدادي : « كان من أفاضل كتاب المأمون ، وأذكاهم وأفطنهم وأجمعهم للمحاسن. جيد الكلام ، فصيح اللسان ، حسن اللفظ ، مليح الخط.»<sup>(5)</sup> ولا تذكر المصادر معلومات كثيرة عن وزارته، ربما لأن الغالب عليه كان الانشغال بالكتابة أكثر من الوزارة. ونشير إلى المصير الذي آل إليه من سخط المأمون<sup>(6)</sup>.

17/ أحمد بن أبي دؤاد (160 - 240 هـ / 777 - 854 م):

- (1)- ابن تغري بردي: النجوم ، ج2، ص203. الصفدي: الوافي، ج8، ص176.
- (2)- ابن الطقطقي: الفخري، ص 217. 218. المصدر نفسه، ج8، ص176.
- (3)- الصولي: كتاب الأوراق، ص 143 وما بعدها. ابن الجوزي: المنتظم ، ج 10، ص251-252. ابن فضل الله العمري: مسالك الأبصار ، ج11، ص91 وما بعدها. الصفدي: المصدر السابق ، ج8، ص181. الحموي: معجم الأدياء ج2، ص560-569.
- (4)- الصولي: المصدر السابق، ص 206 .
- (5)- تاريخ بغداد، ج6، ص463.
- (6)- سيأتي الحديث عن مصادره من قبل الخليفة المأمون في العنصر المخصص بنكب الوزراء.

الباب الأول: بطانة الخلفاء العباسيين: التصنيف و المما (132-334هـ/749-946م)  
الفصل الأول:.....وزراء الخلفاء العباسيين:التصنيف و المما

هو أحمد بن أبي دواد بن جرير بن مالك الأيادي ، أبو عبد الله ، اختاره المأمون للوزارة . وهو قاضي القضاة. وكان المأمون قد اكتشف فيه سعة العلم وحدة الذكاء و نصح الرأي. وقد غدا في عهد المعتصم بالله الرجل الأول في الدولة بعد الخليفة. بل إنه غلب عليه.  
ولى ابن أبي داود قضاء القضاة للمعتصم ثم للوائق وكان موصوفاً بالجود والسخاء وحسن الخلق ووفور الأدب غير أنه أعلن بمذهب الجهمية وحمل السلطان على الامتحان بخلق القرآن . و هو الذي كان يمتحن العلماء في أيامهما ويدعو إلى القول بخلق القرآن. وكان يقال أكرم من كان في دولة بني العباس البرامكة ثم بن أبي دؤاد لولا ما وضع به نفسه من محبة المحنة لاجتمعت الألسن عليه ولم يضاف إلى كرمه كرم أحد<sup>(1)</sup>.

18/ يحيى بن أكثم: (159 - 242 هـ / 775 - 857 م):

هو يحيى بن محمد بن قطن التميمي الأسدي المروزي ، أبو محمد: قاض مشهور، وفقه كبير. ولد بمرو، واتصل بالمأمون أيام مقامه بها. فولاه قضاء البصرة (سنة 202هـ) ثم قضاء القضاة ببغداد. وأضاف إليه تدبير مملكته. فكان وزراء الدولة لا تكون لهم الكلمة في تقديم شيء أو تأخيره، إلا بعد عرضه عليه. وتمكن من المأمون حتى لم يتقدمه عنده أحد. حتى قلده قضاء القضاة وتدير أهل مملكته، فكانت الوزراء لا تعمل في تدبير الملك شيئاً إلا بعد مطالعة يحيى بن أكثم. ومهما يكن من شيء ، فقد كان يحيى بن أكثم قاضي القضاة وصاحب الكلمة العليا والأمر النافذ في الدولة ، وكانت مكانته من المأمون لا تدنو منها مكانة<sup>(2)</sup>.  
ويعتبر الوزير يحيى بن أكثم أحد أعلام الدنيا. وقد اشتهر أمره وعرف خبره وفضله وعلمه ورياسته وسياسته لأمره وأمر أهل زمانه من الخلفاء. وكان يحيى سائساً لأصحابه، صارماً في القضاء، لا يطعن عليه فيه<sup>(3)</sup>.

وهكذا نلاحظ أن المأمون لم يعهد بمنصب الوزارة بعد قدومه إلى بغداد ، لم يعد يترك لوزرائه العنان في تصريف أمور البلاد والعباد. مثلما ترك للفضل بن سهل وهو في مرو. وإنما صار يلي ويباشر

- (1)- تاريخ بغداد، ج5، ص234. المسعودي : مروج الذهب، ج4، ص40. السيوطي: تاريخ الخلفاء، ص 270. ينظر ابن كثير: البداية، ج14، ص362-363. الذهبي: تاريخ الإسلام، ج16، ص396. ج17، ص49.
- (2)- الذهبي: العبر، ج1، ص139. الذهبي: تاريخ، ج18، ص537. ابن خلدون: العبر، ج3، ص320. أحمد فريد: عصر المأمون، ج1، ص444-445.
- (3)- البغدادي: تاريخ بغداد، ج 16، ص290289. وكعب: أخبار القضاة، ج 2، ص161. ابن خلكان: وفيات الأعيان، ج6، ص147. الذهبي : العبر، ج1، ص139. سير، ج12، ص05. الزركلي: الأعلام، ج8، ص138.

الباب الأول: بطانة الخلفاء العباسيين: التصنيف و المصنف (132-334هـ/749-946م)  
الفصل الأول:.....:وزراء الخلفاء العباسيين:التصنيف و المصنف .

أموره وأعماله بنفسه دون أن يدع لأحد سلطانا عليه (1) .

د- وزراء الخليفة المعتصم بالله (218 - 227 هـ / 833 - 841 م):

19/ الفضل بن مروان : (170 - 250 هـ / 786 - 864 م) :

هو الفضل بن مروان بن ماسرجس ، نصراني الأصل ، يكنى أبا العباس أصله من البردان. وكان حسن المعرفة بخدمة الخلفاء ، جيد الإنشاء. فاتصل بكاتب المعتصم ، يقال له «يحيى الجرمقاني» فمات يحيى ، وصار الفضل في موضعه . وباستخلاف المعتصم ، قدم الفضل بغداد ينفذ أمور المعتصم ، ويكتب عنه وعلى لسانه ما أحب ، فاستوزره نحو ثلاث سنوات ، وخلع عليه. وأسلم مقاليد الأمور إليه (2).

21/ أحمد بن عمار: (... - 240هـ / ... - 854 م):

هو الوزير الكامل، أبو العباس ، أحمد بن عمار بن شاذي البصري ، استوزره المعتصم لما عرفه من أمانته وسعة حاله. (3) لكي يأمن استغلاله منصبه في إرهاب الناس ، واحتواء الأموال ، كما فعل الفضل ابن مروان . فشهد العصر العباسي منعظا في تاريخ الوزراء العباسيين. وتحولا في مركز الوزير وصلاحياته في الإدارة والسياسة. فالمعتصم كان رجلا عسكريا بالدرجة الأولى اهتم بالجيش وتدريبه وإعداده بانتقاء قادة جنده ، وأثرت ميوله العسكرية على كثير من قراراته السياسية والإدارية ، خاصة فيما يتعلق باختيار البطانة الصالحة ، وتوجيهها لإصلاح الشؤون العامة. ورغم أنه كان وقورا رزينا مهيبا، ذا عفة وصدق وخير. إلا أنه لم يكن ممن تصلح له الوزارة ولا مخاطبة الملوك.

ولا عجب إذا عرفنا من شخصية المعتصم العسكرية ، وميله إلى الجندي واستكثاره من الجنود. لعل هذا ما يفسر ضعفه في اختيار الوزراء ، والاحتفاظ بأقدرهم وأمهرهم. ومع ذلك يبقى الخليفة ملوما ، لأنه أساء اختيار بطانته بصفة عامة، وهذا ما يفسر الانحدار الكبير الذي وقعت فيه الخلافة في عهده.

(1)- صابر حسين: الدولة الإسلامية ، ص104.

(2)- مجهول: العيون والحداثق ، ج3، ص479. تاريخ الطبري، ج9، ص18-19. مسكويه: تجارب الأمم، ج4، ص12-13. المسعودي: التنبيه ، ص256. ابن خلكان: وفيات الأعيان، ج4، ص45. الصفدي: الوافي، ج24، ص48. الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج12، ص83. الزركلي: الأعلام ج5، ص151.

(3)- الصفدي: المصدر السابق، ج7، ص167. ابن الطقطقي: الفخري، ص233. الذهبي: تاريخ الاسلام، ج7، ص49.

**الباب الأول: بطانة الخلفاء العباسيين: التصنيف و المما (132-334هـ/749-946م)**  
**الفصل الأول:.....وزراء الخلفاء العباسيين:التصنيف و المما .**

**21/ محمد بن عبد الملك الزيات (173 - 233 هـ / 789 - 847 م):**

هو محمد بن عبد الملك بن أبان بن حمزة، أبو جعفر، المعروف بابن الزيات. وزير للمعتصم والواثق. كان أبوه تاجرا في أيام المأمون، موسرا. ونشأ محمد فتأدب وقرأ وفهم، وكان ذكيا. فبرع في كل شيء حتى صار نادرة وقته، لوفرة عقله وخبرته بأصول السياسة والإدارة، وآداب الرياسة وقواعد الملك. فاستوزره المعتصم، وحكمه وبسط يده. فنهض بأعباء الوزارة نهوضا لم يكن لمن تقدمه من أضرابه. ومات المعتصم وهو وزيره<sup>(1)</sup>.

وقد عبر عن تحوله من العمل في التجارة إلى الوزارة. بأن الخليفة المعتصم صنع إليه صنيعا تفرد بها، إذ نقله من ذل التجارة إلى عز الوزارة. فكان يقوم مقام الخليفة ينظر في الشؤون الحربية والمالية، ويكتب الرسائل إلى الجهات المختلفة ويوقع على ما يرفع إلى الخليفة من أوراق. فأصبح ابن الزيات وزيرا كاتباً، وجرى على يديه عامة ما بنى المعتصم بسامراء. فأحيا المعتصم بذلك سنة أخيه بتقليد الوزارة إلى كاتب<sup>(2)</sup>.

ويبدو أن الواثق بالله قد أدرك مبلغ نبوغ ابن الزيات وخبرته بقواعد الملك وآداب الخلافة. ولم يجد بين الكتاب من يرقى إلى مستواه فقرر استبقائه في الوزارة وقال له: « والله ما أبقيتك إلا خوفاً من خلو الدولة من مثلك... فإني أجد عن المال عوضاً ولا أجد عن مثلك عوضاً.»<sup>(3)</sup>

ويعتبر الدكتور عبد العزيز الدوري الوزير محمد بن عبد الملك الزيات خاتمة تلك السلسلة الذهبية من وزراء العصر العباسي الأول. الذين ندر أن أنتجت العصور المتأخرة مثلهم<sup>(4)</sup>. وقد استمرت وزارته الوزير القدير محمد بن عبد الملك الزيات للمتوكل. غير أن إزاحته من الوزارة حينما قتل المتوكل على الله في مطلع استخلافه، قد أفقدت الخليفة ظهيرا على درجة كبيرة من الحنكة والدهاء، مما لم يتوفر فيمن استوزرهم من بعده. بحيث يستطيعون كبح جماح أولئك القادة المتعطشين للسلطة والثروة والجاه<sup>(5)</sup>.

(1)- تاريخ بغداد، ج4، ص68. ابن الطقطقي: المصدر السابق، ص234. ابن خلكان: المصدر السابق، ج5، ص94. ابن منظور:

مختصر تاريخ دمشق، ج23، ص23. وما بعدها. الذهبي: سير، ج11، ص172. الصفدي: المصدر السابق ج4، ص26،

أحمد عبد الباقي: سامراء، ص266.

(2)- محمد كرد علي: أمراء البيان، ج1، ص283.

(3)- ابن الطقطقي: المصدر السابق ص334.

(4)- الدوري: العصر العباسي الأول، ص199.

(5)- أحمد عبد الباقي: سامراء، ص231.

ذ- وزير الخليفة الواثق: (227.233هـ / 842-847م):

\* محمد بن عبد الملك الزيات: لم يستوزر الخليفة الواثق سوى الوزير محمد بن عبد الملك الزيات \_ الذي سبق الحديث عنه \_ ومات الواثق وهو وزيره <sup>(1)</sup>.

وما نستنتجه مما سبق أنه برغم الأعمال الجليلة التي قدمها وزراء العصر العباسي الأول، من وزارة التنفيذ وما أسدوه من خدمات إدارية عظيمة، وما أضافوه إلى سلطان الخلافة من طريق وزارة التفويض التي مكنت كثيرا من الوزراء من أن يفوضوا عن الخلفاء في التوقيعات على الأعمال المختلفة. ما سهل عليهم التعامل المباشر مع المستجدات داخليا وخارجيا. وتوفير الجهد والعناء في أخذ الإذن من الخليفة كل مرة. ولكن هذا التفويض استغل في بعض الأحيان في غير الصالح العام ، بل في خدمة الأغراض الشخصية. مما جعل الخلفاء يسحبون ثقتهم من هؤلاء المفوضين في كل مرة ، ويعرضونهم للعقوبات. وهذا إن دل على شيء، فإنما يدل على قوة معظم خلفاء العصر العباسي الأول، وتحكمهم في زمام الأمور.

ومن خلال ما سبق نستخلص من علاقة خلفاء العصر العباسي الأول بوزرائهم ، كانت علاقة بناءة ، وذلك بالنظر إلى أن هؤلاء الخلفاء كانوا ذوي مهابة في أنفسهم. يحسنون اختيار الرجال، من ذوي الخبرة والفتنة، يضطلعون بعظام المهمات والأمر. فكانت الوزارة منذ بدايتها في العصر مزدهرة، ساهمت في ازدهار الحضارة الإسلامية. حيث كان معظم وزراء هذا العصر ، من الكتاب المشهورين ، الذين لهم خبرة طويلة في الكتابة والإدارة والأعمال السلطانية.

(1)- ابن الطقطقي: الفخري، ص236. المسعودي: مروج الذهب ج4، ص55.

الباب الأول: بطانة الخلفاء العباسيين: التصنيف و المماه (132-334هـ/749-946م)  
الفصل الأول:.....وزراء الخلفاء العباسيين:التصنيف و المماه .

رابعاً/ وزراء العصر العباسي الثاني : التصنيف والمهام(232-334هـ/ 847.946م)

وتميزت هذه الفترة بالنفوذ العسكري التركي وتدهور الوزارة وصراع بين البطانة. و كانت بدايات تدهور مركز الوزير قد وقعت في عهد المعتصم ، ولم تظهر آثارها السلبية بوضوح إلا بعد ذلك ، حين أصبحت المؤسسات الإدارية والسياسية تحت سيطرة زمرة من القادة العسكريين الأتراك. ولم يبق للخليفة أو وزيره الشيء الكثير، بل إن منصب الوزير شغل في أواخر العصر العباسي الثاني ثم ألغي في العصر البويهى . وغدا للخليفة كاتب فقط . واختص أمير الأمراء البويهى بالوزير .

وبعد أن كانت سلطة الوزراء تتأثر بشخصية الخليفة قوة وضعفا، فقد أصبحت الوزراء يخضعون لموقف القادة الأتراك، ويكون مجيء أو مصير هذا الوزير أو ذاك برغبة من الأتراك وإرادتهم. فالظاهر من الناحية الشكلية بقاء تعيينات الوزراء، وإضفاء الشرعية باسم الخلفاء. ولكن الإرادة الحقيقية في التعيين أو العزل كانت بأيدي هؤلاء القادة<sup>(1)</sup>.

1 - وزراء الخليفة المتوكل(232 - 247 هـ / 847 - 861 م):

قرر الخليفة المتوكل - كإجراء عملي - إضعاف سلطة الوزراء. لأنه رأى منهم طموحا يفوق ما أسند إليهم من مهام وصلاحيات. ولأول مرة في التاريخ العباسي ، أصبح الخليفة يسرف في تعيين وعزل الوزراء ورؤساء الدواوين والمصالح. حتى لا يتوفر لهم فرص الاستبداد بالسلطة. وهو يسرف في مصادرة أموالهم كوسيلة لإرهاب غيرهم. ولا يجد حرجا في التنكيل بوزرائه وكبار رجال الدولة ، فيسجنهم ويعذبهم<sup>(2)</sup>.

22/ أبو جعفر محمد بن الفضل الجرجاني (249-251هـ/ 863-865م):

وهو أبو جعفر محمد بن الفضل الجرجاني<sup>(3)</sup> ولي وزارة المتوكل عندما نكب ابن الزيات. فكان شيخا ظريفا ، حسن الأدب . خف على قلب المتوكل فاستوزره سنين مديدة .<sup>(4)</sup> ثم كثرت السعيات،

(1)- حسام الدين السامرائي: المؤسسات الإدارية في الدولة العباسية، ص 102.

(2)- نادية صقر: مطلع العصر العباسي الثاني، ص 15.

(3)- جرجايا : بفتح الجيم، وسكون الراء الأولى. بلد من أعمال النهروان الأسفل بين واسط وبغداد من الجانب الشرقي. كانت مدينة وخربت مع ما خرب من النهروان. وقد خرج منها جماعة من العلماء والشعراء والكتاب والوزراء. الحموي: البلدان، ج 2، ص 123.

(4)- تاريخ الطبري، ج 9، ص 162. ابن الطقطقي: الفخري، ص 22. ابن منظور: مختصر تاريخ دمشق ج 23، ص 170.169. الذهبي:

الباب الأول: بطانة الخلفاء العباسيين: التصنيف و المماء (132-334هـ/749-946م)  
الفصل الأول:.....وزراء الخلفاء العباسيين:التصنيف و المماء .

فغزله المتوكل. وادعى أنه ضجر من المشايخ ، وهو يريد استيزار شاب. فأشير عليه بعبيد الله ابن يحيى بن خاقان (1).

ويعتبر الجرجاني من الكتاب الذين شحت المعلومات المصدرية في ذكر أخبارهم ، فيما بين أيدينا من مصادر. وهذه السياسية في الاستيزار الوقي للوزراء ، أهم مؤشر على بداية عصر دخلت فيه الوزارة أفقا مظلمًا، خلا بعض الفترات التي تبصر فيها النور. وكانت ظاهرة الاكثار من الوزراء وغزلهم سمة غالبية على الوضع السياسي للخلافة العباسية في عصر تسلط الجند الترك.

23 / عبيد الله بن يحيى خاقان(256\_263هـ/870-877م):

هو عبيد الله بن يحيى بن خاقان، أبو الحسن ، الوزير . كان صاحب خبرة طويلة وولاء ثابت للعباسيين. رغم أن عبيد الله كان على البريد أيام المعتصم، فأهمله وعطله وأخر سبيله. الا أنه كان خبيرًا بأحوال الرعية ، ضابطًا للأموال والأعمال. مما جعل الخليفة المتوكل يستوزره بعد أن عزل وزيره السابق الجرجاني. لأنه وجد ابن خاقان أكثر نفعًا لأهدافه.

وكان ابن خاقان بصلاحياته الجديدة ، سريعًا في مساعدة المتوكل على السير في تحقيق أهم مرحلة في مخططاته ، وهي تجنيد جيش جديد ، وتنظيمه.

فلما جرت الفتنة عند قتل المتوكل وكان السبب في مقتله أنه كان قد عهد إلى ابنه المنتصر ثم ندم وأبغضه لما كان يتوهم من استعجاله الأمر لنفسه. وربما استخف المتوكل به وشمته ، وأمر وزيره عبيد الله بصفعه (2). فخاف عبيد الله ، فاجتمع الجند على بابه وقالوا له: «أنت أحسنت إلينا في حال وزارتك وأقل ما يجب لك علينا أن نحتفظ بك. ونحرسك في مثل هذه الفتنة. ولازموا بابه وحفظوه ، ومات المتوكل وهو وزيره» (3).

ب - وزراء الخليفة المنتصر (247 - 248 هـ / 861 - 862 م)

24 / أحمد بن الخصيب (وزارته بين 247. 248 هـ / 861- 862 م)

أحمد بن الخصيب الجرجاني أبو العباس الكاتب ، كان يكتب للمنتصر وهو أمير فلما تولى الخلافة، تولى له البيعة على الناس، فولاه الوزارة وسلم إليه خاتمه. غير أنه كان مقصرًا في صناعته ،

تاريخ ، ج19، ص309. الصفدي : الوافي، ج4، ص230.

(1)- الذهبي: تاريخ الإسلام ج1، ص309. الصفدي : الوافي، ج4، ص230. ابن الطقطقي: الفخري ، ص22.

(2)- تاريخ الطبري، ج9، ص225. ابن خلدون: العبر، ج3، ص349.

(3)- مسكويه: تجارب الأمم، ج4، ص138. ابن الطقطقي: الفخري، ص 228-229.

الباب الأول: بطانة الخلفاء العباسيين: التصنيف و المما (132-334هـ/749-946م)  
الفصل الأول:.....وزراء الخلفاء العباسيين: التصنيف و المما

مطعوناً عليه في عقله. وكانت فيه حدة . فوزر للمنتصر، طالما أنه كان شاهداً على تغطية الجريمة التي ارتكبت بمقتل المتوكل على الله، ولذلك فقد احتفظ بمنصب الوزارة حتى وفاة المنتصر في سنة ثمان وأربعين ومائتين<sup>(1)</sup>.

وعندما شعر القادة العسكريون بالاطمئنان الحقيقي ، فلم يبق أحد يهدد مصالحهم ويقلص نفوذهم. أو أن ينظم مقاومة عسكرية مضادة أو يجابه هؤلاء القادة. ثم إن الرؤساء المدنيين كان بالإمكان اصطناعهم بسهولة كما حدث بالنسبة لأحمد بن الخصب. و لم يكن لعامة الجنود يد في المؤامرة ، بل إنهم علموا بها بعد وقوعها. وإنما الذي حاكها ونفذها حفنة من القادة العسكريين بالتعاون مع بعض المدنيين في البلاد.

ت- وزراء الخليفة المستعين(248 - 252 هـ / 862 - 866 م)

ورغم أن الوزير أحمد بن الخصب قد ساهم مساهمة فعالة في استخلاف المستعين، الذي لم يستطع تحمل هذا الوزير. الذي بدوره حاول استرضاء الخليفة المستعين بالأموال ليحافظ على منصبه ، إلا أنه عجز عن ذلك فلا تزال مكائته تهوي ، حتى غضب عليه المستعين بإشارة أوتامش الوزير.<sup>(2)</sup> وهو من وزراء العسكر الترك- وأخذ أمواله ، ونفاه إلى جزيرة أقریطش.<sup>(3)</sup> ثم استوزر بعده عبد الله بن محمد بن يزداد.

25 / أبو موسى أوتامش(248-249هـ / 862-863م)

اشتهر أوتامش بالقيادة العسكرية ، ويعود إليه الفضل في أنه استمال قلوب جنود الأتراك ، لمبايعة المنتصر، في الوقت الذي انحرف عنه الوزيران عبيد الله بن يحيى والفتح ابنا خاقان لمبايعة المعتز. وأراد أن يضيف إلى أمجاده مجد الوزارة. ففرض على السلطة المدنية والعسكرية أن ينصب ابن المعتصم خليفة ولقبوه بالمستعين كما سبق.

أدت سيطرة الأتراك وضعف المستعين إلى تجاهل شروط الوزارة، وتوليها من قبل أحدهم. وهكذا تولى أوتامش وزارة المستعين. حيث استبد بالأمور ، وأقطع لنفسه أموالاً جلييلة ، وعمد إلى ما في بيوت الأموال فاكنتسحه. وهو ما سرع بنهايته على يد عصبة من جنده.<sup>(4)</sup> ونظراً لطبيعة أوتامش

(1)- الصفدي: الوافي، ج6، ص230. ابن الطقطقي : الفخري، ص239.

(2)- لم أتوسع في الحديث عنه هنا ولكن سيأتي ذكره مفصلاً أثناء حديثي عن دور قادة الجيش.

(3)- تاريخ يعقوبي، ج2، ص494. الذهبي : سير أعلام النبلاء، ج12، ص47. ابن خلدون: العبر، ج6، ص354.

(4)- تاريخ الطبري، ج9، ص387. ابن كثير: البداية، ج14، ص470. ابن الأثير: الكامل، ج6، ص154.

الباب الأول: بطانة الخلفاء العباسيين: التصنيف و المصنف (132-334هـ/749-946م)  
الفصل الأول:.....وزراء الخلفاء العباسيين:التصنيف و المصنف .

العسكرية ، فهو لم يكن يحسن شؤون الوزارة، لأنه كان أمياً بالأساس. لذلك فإنه أسند أمرها لكاتبه شجاع بن القاسم. الذي قام بها حتى مقتل أوتامش.<sup>(1)</sup>

26/ عبد الله بن محمد بن يزيد(249 هـ/863م وهرب في السنة نفسها)(وزارته

الثانية بين 255 – 256هـ / 868-269م):

هو عبد الله بن محمد بن يزيد بن سويد المروزي، أبو صالح الكاتب، اختاره الخليفة المستعين بالله لوزارته. ولي الوزارة للمستعين بعد أحمد بن الخصيب مديدة ثم صعب على الموالي أمره وخاصمه بغا الصغير لأنه كان منعه إقطاعه فتهدهد بالقتل ثم وزر للمستعين ثانياً بعد قتل الوزير شجاع أوتامش وجعل إليه العرض وديوان القبض والخاتم ودور الضرب .<sup>(2)</sup> فكان من الكتاب المشهورين بالأدب والفضل، وكانت توقيعاته وأجوبته من أحسن التوقيعات والأجوبة.<sup>(3)</sup> وعقد له المستعين على مصر والمغرب.<sup>(4)</sup>

27/ أبو جعفر محمد بن الفضل الجرجاني (249 – 251 هـ / 863 – 865 م)

بقي في الوزارة حتى خلع المستعين في ذي الحجة من سنة 251 هـ / 865م.

ث – وزراء الخليفة المعتز (252 – 255 هـ / 866 – 869 م)

28/ جعفر بن محمود الإسكافي (251-252هـ / 865-866م، 253 – 255 هـ

867- 869 م)

هو محمد بن عبد الله، أبو جعفر الإسكافي. كان أحد كتّاب المتوكل. ولي الوزارة للمعتز بالله، فلم تحمد سيرته ، وظلم وعسف. وقد فرض الأتراك على الخليفة تعيين أحد صنائعهم في الوزارة حيث توجه بعض الأتراك إلى إسكاف ليأتوا بجعفر بن محمود الإسكافي ، فقال المعتز : أما جعفر فلا أرب لي فيه ، ولا يعمل لي ، وبعث في طلب عبد الله بن محمد بن يزيد ليستورره.<sup>(5)</sup>

29/ عيسى بن فرخان شاه (252هـ/866م وعزل في السنة عينها):

(1)- المسعودي: مروج الذهب، ج 4، ص118. الصفدي: الوافي بالوفيات، ج16، ص67. وقد غلب على أوتامش طبيعته العسكرية

، فرغم أنه أمي وضعيف في الوزارة ، غير أنه قائد فذ. يراجع العنصر المتعلق به ضمن الحديث عن قادة الجند رقم (17)

(2)- الصفدي: الوافي، ج17، ص267.

(3)- ابن الطقطقي: الفخري، ص232. السامرائي: تطور نظام الوزارة، ص289.

(4)- ابن خلدون: العبر، ج3، ص253.

(5)- تاريخ الطبري، ج9، ص388.

الباب الأول: بطانة الخلفاء العباسيين: التصنيف و المماء (132-334هـ/749-946م)  
الفصل الأول:.....وزراء الخلفاء العباسيين:التصنيف و المماء .

اشتهر بالكرم، وتولى قبل الوزارة بعض الدواوين ثم عزل عنها. ومنها ديوان الخراج، أثناء وزارة عبد الله بن محمد بن يزيد. (1) ولا يذكر المؤرخون كثيرا عن سيرته أو وزارته، ولذلك ربما لقصرها.

30/ الوزير أحمد بن إسرائيل الأنباري(252-253هـ/866-867هـ):

هو أحمد بن إسرائيل بن الحسين الأنباري الكاتب، وزير المعتمد. كان ذا مكانة رفيعة عند المعتمد، فاستوزره سنة 252هـ. فنهض بأعباء الأمر، مضرب المثل في الذكاء والحفظ. وكان إليه المنتهى في حساب الديوان. (2)

ج- وزراء الخليفة المهدي(255 - 256 هـ / 869 - 870 م):

في بداية خلافته أقر جعفر بن محمود الإسكافي على وزارته، ثم عزله واستوزر سليمان بن وهب. (3)

31/ سليمان بن وهب (255هـ/869م وعزل فيها، 263-265هـ، 877-885 م):

هو سليمان بن وهب بن سعيد بن عمرو الحارثي: وزير، من كبار الكتاب. من بيت كتابة وإنشاء في الشام والعراق. ولد ببغداد، وكتب للمأمون وهو ابن 14 سنة. ثم كتب لإيتاخ ثم لاوتامش. ثم ولي الوزارة للمعتمد. ولهُ ديوان الرسائل. (4) توفي سليمان بن وهب سنة 275هـ/888م.

ح- وزراء الخليفة المعتمد على الله: (256 - 279 هـ / 870 - 892 م):

في خلافة المعتمد سنة 256هـ، رشح زعماء الأتراك عبيد الله بن يحيى بن خاقان(256-263 هـ / 870 - 876 م) لوزارته. فأحضر واستوزر على كره شديد منه وتصل. وتوفي عبيد الله سنة ثلاث وستين ومائتين، وهو وزير للمعتمد. (5)

32/الحسن بن مخلد: (263هـ/877م وعزل في السنة عينها ثم 264هـ/878م

وعزل)

(1)-ابن الطقطقي: الفخري، ص 244 .

(2)-ابن الأثير: الكامل، ج 6، ص 87.

(3)-ابن الطقطقي: الفخري، ص 247. ابن الجوزي: المنتظم، ج 11، ص 102. ابن تغري: النجوم، ج 3، ص 26.

(4)-الصفدي: الوافي، ج 15، ص 268. اليافعي: مرآة الجنان، ج 1، ص 1. ابن خلكان: وفيات، ج 2، ص 415.

(5)- مسكويه: تجارب، ج 4، ص 133. ابن الطقطقي: الفخري، ص 228-229. 251. العمري: مسالك الأبصار، ج 11، ص 103.

11، ص 103. الذهبي: العبر، ج 1، ص 367، 13 ص 9 وكتابه: تاريخ الإسلام، ج 20، ص 132. الصفدي: الوافي،

ج 1، ص 275. ابن تغري: النجوم، ج 3، ص 3837. 264.

الباب الأول: بطانة الخلفاء العباسيين: التصنيف و المماء (132-334هـ/749-946م)  
الفصل الأول:.....وزراء الخلفاء العباسيين:التصنيف و المماء .

هو الحسن بن مخلد بن الجراح ، أبو محمد: وزير، من الكتاب ، له علم بالأدب ، بغدادى الأصل. (1) كان يتولى ديوان الضياع للمتوكل العباسي. ولما مات عبيد الله بن يحيى استوزر المعتمد الحسن بن مخلد سنة 263هـ/877م، كاتباً لأخيه الموفق. فاجتمعت له وزارة المعتمد وكتابة الموفق . واستوزره المعتمد سنة 263هـ/877م، ثم عزله المعتمد بسليمان بن وهب ، وأعادته، وعزله سنة 265هـ ومازال على غير استقرار حتى طلبه أحمد بن طولون إلى مصر فحمل إليه فحبسه بأنطاكية فمات فيها. وكان الحسن أحد كتاب الدنيا. له مقدرة عظيمة بمعرفة أصول أموال الممالك ومحمولاتها بتواريخها. توفي سنة 269هـ/882م (2).

وابتداء من هذا التاريخ لم يبق للخليفة المعتمد على الله رأي في اختيار الوزراء. إذ اختص بذلك الأمير الموفق بالله حتى وفاته سنة 272هـ/891م ، فكان أخوه الموفق هو المستولي على الخلافة ، فكان يعزل الوزراء ويوليهم (3).

33/ إسماعيل بن بلبل (265-277هـ / 877-987م):

هو أبو الصقر اسماعيل بن بلبل الشيباني. وزر للمعتمد في سنة 265هـ/885م ، بعد الحسن بن مخلد ، لثلاث مرات كان يولى الوزارة ويعزل عنها. وكانت المرة الأخيرة سنة 272هـ/885م. (4) وقع اختيار الموفق لوزارته على أبي الصقر، فاستوزره لأخيه المعتمد (5) كونه رجلاً، رجلاً، كفاية للمهم، واستقلالاً بالأمر، وأمضى للتدبير في أصح سبله ، وأعوذها بالنفع ، وأحوطها لأعمال السلطان. مع رفع قدره للأدب وأهله ، وبذله لهم الكرائم ، مع الشجاعة وعلو الهمة، وبعده عن ملذات الدنيا (6).

وقد الوزير اسماعيل بن بلبل في استخراج خراج السواد لسنتين في سنة ، لأنه احتاج للأموال لسد نفقاته التي بلغت 7000 دينار ، بعد أن أفرغت الخزائن (7).

- (1)- الذهبي: سير أعلام النبلاء ، ج13، ص07. الزركلي: الأعلام، ج2، ص223.
- (2)- ابن خلدون: العبر، ج3 ص349. 426. الذهبي: تاريخ الإسلام، ج19، ص56.
- (3)- ابن الطقطقي: الفخري ، ص255. السامرائي: تطور نظام الوزارة ، ص-291.
- (4)- الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج13، ص199-200. الذهبي: تاريخ الإسلام، ج30، ص304.
- (5)- وفي رواية: « ثم قبض الموفق على صاعد بن مخلد. واستكتب مكانه أبا الصقر إسماعيل بن بلبل ، واقتصر به على الكتابة دون غيرها » ابن الأثير: الكامل، ج3، ص346. الذهبي: سير، ج12، ص551.
- (6)- الذهبي: سير، ج13، ص199. العمري: مسالك الأبصار، ج11، ص118.
- (7)- الصايبي : الوزراء، ص10.

34/ أحمد بن صالح بن شيرزاد القطرلي (ت266هـ/880م):

هو أحمد بن صالح بن شيرزاد القطرلي، استوزره الموفق لأخيه المعتمد<sup>(1)</sup>. وكان المستعين بالله أرادته على الوزارة بعد استتار وزيره أبي صالح بن يزداد فخاف أن يطالبه الموالي فاستعفى ثم ولاه المعتمد الوزارة بعد وزارة الحسن بن مخلد الثالثة وكان حسن المروة شاعراً ظريفاً وكان يسمى ظريف الكتاب ولم يبق من الدواوين الجليلة ديوان حتى وليه أحمد بن صالح<sup>(2)</sup>.

35/ عبيد الله بن سليمان بن وهب (277-288هـ/890-901م):

هو عبيد الله بن سليمان بن وهب بن سعيد ، أبو القاسم الكاتب . ووزر للخليفة المعتمد على الله بعد وفاة أخيه الأمير أبي أحمد الموفق. ولأول مرة من التصرف بحرية في اختياره للوزير عبيد الله بن سليمان. الذي يعد من كبار الوزراء ومشايخ الكتاب ، بارعا في صناعته حاذقا ماهرا لبيبا جليلا. ثم ووزر للخليفة المعتضد عشر سنوات.<sup>(3)</sup> وهذا يعتبر تحسنا نسبيا في الزمن الفعلي الذي شغله الوزير منذ سنين طويلة ، اضطربت الوزارة بكثرة وسرعة التولية والعزل.

خ- وزراء الخليفة المعتضد (279-289هـ / 892-902 م)

أقر الخليفة المعتضد الوزير عبيد الله بن سليمان بن وهب على وزارته لمدة عشر سنوات، إلى غاية وفاته سنة 288هـ.<sup>(4)</sup> وباستقراء تاريخ وزراء العصر العباسي الثاني، نجد أن الخليفة المعتضد قد أحسن اختيار بطانته. ومن أشهر وزرائه:

36/ القاسم بن عبيد الله بن سليمان بن وهب (288 - 291 هـ = 901 - 904 م):

هو القاسم بن عبيد الله بن سليمان بن وهب الحارثي: وزير، من الكتاب الشعراء. استوزره الخليفة المعتضد سنة 288هـ. فكان القاسم من دهاة العالم. ومن أفاضل الوزراء وكان شهما فاضلا ، لبيبا محصلا كريما مهيبا جبارا<sup>(5)</sup>.

د- وزراء الخليفة المكتفي (289 - 295 هـ / 902 - 908 م):

\* القاسم بن عبيد الله بن سليمان بن وهب:

(1)- ابن الطقطقي: الفخري ، ص254.

(2)- الصفدي: المصدر السابق ، ج6، ص259. الصابي : المصدر السابق ، ص10.

(3)- ابن الطقطقي: الفخري ، ص254.

(4)- الصفدي: الوافي، ج 19، ص 247.

(5)- ابن الطقطقي: الفخري ، ص259. الصابي: الوزراء، ص08.

**الباب الأول: بطانة الخلفاء العباسيين: التصنيف و المما (132-334هـ/749-946م)**  
**الفصل الأول:.....وزراء الخلفاء العباسيين:التصنيف و المما .**

ولما مات المعتضد، لا يزال القاسم وزيراً قائماً بالأمر. وكان المكتفي بالرقعة . فقام الوزير القاسم ابن عبيد الله بأخذ البيعة للمكتفي ، فدبر الأمر أحسن تدبير ، وكتب إليه يعلمه ذلك ، ووجه إليه بالبردة والقضيب . فجاء المكتفي إلى بغداد وأقره على الوزارة ولقبه ألقابا . وجل أمر القاسم في أيام المكتفي وعظم شأنه. وهو أول وزير لقب في الدولة. فإن المعتضد لقبه ولي الدولة. وتوفي في زمن المكتفي (1) .

وكان القاسم شاباً غراً بالأمر، قليل التقوى، وإنما أنفق على المكتفي لأنه خدمه، وثبت له الأمور ، حمل المكتفي على قتل كثير من رجال الدولة . فنال في وزارته منه مالاً جزيلاً. كان يقضي أشغالاً كباراً عنه، فيأخذ عليها، حتى حصل نحواً من أربعين ألف دينار. (2) فلما أدركته الوفاة أشار على المكتفي بالعباس بن الحسين فاستوزره (3) .

**37/ العباس بن الحسن الجرجاني (291 - 296 هـ / 904 - 909 م):**

وهو العباس بن الحسن بن أيوب الجرجاني أو المادرائي، أبو أحمد. ثم خلع المكتفي على وزيره العباس بن الحسن خلعا لحسن تدييره (4) .

**ذ- وزراء الخليفة المقتدر (295 - 320 هـ / 908 - 933 م):**

واستمر العباس وزيراً للخليفة المقتدر ، إلى أن دبرت له مكيدة قتل على إثرها. ويذكر الذهبي أن سبب مقتل العباس الوزير قد انفرد بأعمال الدولة ، حتى اتهم بتدبير خلع المقتدر مع الحسين بن حمدان، ومبايعة ابن المعتز، ووافقهما وصيف، فبلغ المقتدر، فأصلح حال العباس، ودفع إليه أموالاً أرزته ، فرجع عن رأيه، فعلم ابن حمدان ، فقتله لذلك. فاستوزر أبا الحسن علي بن محمد ابن الفرات. (5)

**38/ أبو الحسن علي بن الفرات (296 - 299 هـ / 909 - 911 م ، 311-313هـ/923-**

**925م):**

هو أحمد بن محمد بن موسى، أبو العباس ابن الفرات ، من أجل الناس. وأعظمهم كرماً وجوداً.

(1)- ابن الطقطقي: الفخري ، ص259.الصفدي: الوافي ج24،ص95.السيوطي:حسن المحاضرة، ج2،ص196

(2)- الذهبي: تاريخ الاسلام، ج22،ص231.

(3)- ابن الطقطقي: الفخري ، ص259.

(4)-عريب: صلة تاريخ الطبري، ص 14.السيوطي: المصدر السابق ،ج2،ص196-197.العمري: مسالك الأبصار، ج11، ص120.

(5)- الصايبي: الوزراء، ص 22. الذهبي: المصدر نفسه، ج22،ص26.24.

**الباب الأول: بطانة الخلفاء العباسيين: التصنيف و المما (132-334هـ/749-946م)**  
**الفصل الأول: وزراء الخلفاء العباسيين: التصنيف و المما .**

وكانت أيامه مواسم للناس . ونهض بالأمر أحسن نهوض ، ودبر الدولة ، وقرر القواعد واستمال الناس . ولم يبت ليلة إلا والأمر مستقيمة للمقتدر . وتولى له الوزارة ما بين (296-299هـ) وأحوال دولته قد تمهدت . واشتغل بالأمر ، واطرح الندماء والمغنين ، وعاشر النساء وغلب أمر الخرم والخدم على الدولة ، وأتلف الخزائن (1) .

ونظرا لأنهم بحاجة ماسة إلى كفاءته ، فقد أعيد ابن الفرات إلى الوزارة ، وضمن على نفسه أن يحمل كل يوم إلى بيت المال ألف دينار وخمسمائة دينار ، فقبض على أصحاب الوزير علي بن عيسى وعاد فقبض على الخاقاني الوزير وأصحابه ، واعترض العُمال وغيرهم ، وعاد عليهم بأموال عظيمة ليقوم بما ضمنه (2) .

وتولى ابن الفرات الوزارة ثلاث دفعات للمقتدر... وما زال ابن الفرات ينتقل في الوزارة إلى المرة الثالثة ، فقبض عليه وقتل ، وذلك في سنة 312هـ/924م (3) .

وخير دليل على تردي الأوضاع ، كثرة الوزراء الذين تولوا منصب الوزارة ، خلال فترة حكم المقتدر بالله ، حيث بلغ عددهم اثنا عشر وزيراً ، فيهم من تولى الوزارة مرة أو مرتين أو ثلاثة .

**39/ محمد بن عبيد الله الخاقاني (299-301هـ/911-913 م):**

هو أبو علي محمد بن عبيد الله يحيى بن خاقان الوزير أبو علي . كان أكبر ولد أبيه . أحضره المعتمد على الله بعد موت أبيه عبيد الله ، وقلده ديوان زمام الخراج والضياح السلطانية في وزارة الحسن بن مخلد . وهكذا لما استوزر أبو القاسم عبيد الله بن سليمان فرد إليه البريد (4) . فعزل المقتدر وزيره الخاقاني عن الوزارة بعد سنة وستة أشهر . لعجزه ولينه . (5) وولي مكانه أبو العباس أحمد بن عبيد الله بن أحمد بن الخصبي لأجل مال بذله من جهة زوجة المحسن ابن الفرات . وكان ذلك المال سبعمائة ألف دينار ، فأقر الخصبي علي بن عيسى على الإشراف على الوزارة ، مستقداً من مكة سنة 301هـ/304م (6) .

**40/ الوزير علي بن عيسى (301 - 304 هـ/ 914 - 916 م ، 314-316هـ/**

(1)- ابن الطقطقي: الفخري ، ص265 ، الذهبي: تاريخ الإسلام، ج22، ص27.

(2)- ابن الأثير: الكامل، ج6، ص491.

(3)- ابن الطقطقي: الفخري ، ص266 . ابن كثير : البداية، ج15، ص15.

(4)- الذهبي: تاريخ الإسلام، ج23، ص441. الصفدي: الوافي، ج4، ص07.

(5)- الذهبي: تاريخ الإسلام، ج23، ص441.

(6)- ابن الأثير: الكامل، ج7، ص24. ابن كثير: البداية، ج15، ص19.

الباب الأول: بطانة الخلفاء العباسيين: التصنيف و المصنف (132-334هـ/749-946م)  
الفصل الأول:.....وزراء الخلفاء العباسيين:التصنيف و المصنف .

926-928م):

هو عيسى بن علي بن عيسى بن داود بن الجراح، أبو القاسم: كان شيخا من شيوخ الكتاب ، فاضلا دينا ورعا متزهدا متورعا. وكان صدوقا دينا فاضلا عفيفا في ولايته محمودا في وزارته كان كثير البر والمعروف (1) .

ومنذ أن بويع للمقتدر بالخلافة اضطربت أحوال الوزارة ، حيث أنه كان ينصب الوزراء ويخلعهم بتأثير من أمه شغب. حتى وصلت الأمور بأن استوزر بعضهم ثم خلعهم وصادرهم حتى بلغت التغيرات للوزراء أكثر من اثني عشرة مرة في عهده. منهم من تسلم الوزارة مرتين أو ثلاثة ، كأمثال الوزير أبي الحسن علي بن الفرات ، والوزير علي بن عيسى .

41 / حامد بن العباس(وزارةه ما بين :306-311هـ / 918-923م):

هو الوزير الكبير أبو الفضل الخراساني ثم العراقي ، كان من رجال العلم والشجاعة والإقدام.(2) استوزره المقتدر سنة 296هـ . ووجاء في وقت استمر فيه تدهور منصب الوزارة ، وتورط الخلفاء في استيزار وزراء ليس لهم كفاءة ولا خبرة، بأعمال الوزارة. وفي كثير من الأحيان يكون مجيء الوزير إلى منصبه بمباركة من قادة الجند الترك أولا. فهذا حامد بن العباس ثم عزل حامد ، واستوزر المقتدر بعده علي بن الفرات، و كانت نهاية حامد أن قتل مسموما(3) .

وفي سنة 311هـ/923م عزل المقتدر حامد بن العباس عن الوزارة وعلي بن عيسى عن الدواوين. بحجة أن المقتدر ضجر من استغاثة الأولاد والحرم والخدم والحاشية من تأخير أرزاقهم ، فإن علي ابن عيسى كان يؤخرها عدة شهور أعطاهم البعض ، وأسقط البعض وحط من أرزاق العمال مقدار أكثر من سنة. فزادت عداوة الناس له، وكان حامد قد ضجر من المقام ببغداد وليس إليه من الأمر شيء(4) .

رغم تولي حامد الوزارة اسميا، لكنه بجهله بقوانينها ومدخلاتها ومخرجاتها، فإنه سلم بالأمور للكاتب علي بن عيسى الذي أتقن وتفنن في التأطير والتسيير الإداري والمالي. وهذا يعطينا فكرة واضحة على اختلال موازين الوظائف حتى العليا منها . وكما نلاحظ في هذه الرواية أن الناس لم

(1)- تاريخ بغداد، ج13، ص459. ابن الطقطقي: الفخري، ص271-272. انظر ابن الجوزي: المنتظم ، ج14، ص56. الصديقي:

الوافي، ج3، ص50. الزركلي: الأعلام ج5، ص106.

(2)- الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج14، ص356.

(3)- ابن الطقطقي: الفخري، ص256. ابن كثير: البداية، ج15، ص09.

(4)- ابن الأثير: الكامل، ج7، ص12. ابن كثير: البداية، ج14، ص815.812.

الباب الأول: بطانة الخلفاء العباسيين: التصنيف و المماء (132-334هـ/749-946م)  
الفصل الأول:.....:وزراء الخلفاء العباسيين:التصنيف و المماء .

ينسجوا مع الإجراءات التي كان تصدر الوزير الكفاء علي بن عيسى، فناصبوه العدا، ليس لأنها كانت خاطئة أو غير مؤسسة ، بل لأنها لا تخدم مصالحهم وتوجههم. وهذا شيء ايجابي خير من أن يكون العكس أي أن يكون وزير أو كاتب كفاء يخضع لأهواء جاهل يدفعه إلى إفساد الأمور كلها.

42/ أبو القاسم عبيد الله بن محمد بن عبيد الله بن يحيى بن خاقان:(312-313هـ/

923-924م):

قال عنه ابن الطقطقي: « لم تطل أيامه، ولم تكن له سيرة تؤثر وتسطر، واختلت الأمور عليه فصور وعزل، ثم توفي سنة 322هـ. »<sup>(1)</sup>

43/ أحمد بن عبيد الله بن أحمد بن الخصيب(313 - 314 هـ / 924 - 926 م):

هو أبو العباس بن عبيد الله أحمد بن الخصيب الجرجاني الكاتب. وزر للمقتدر، فكان صالح الأدب ، جيد العقل ، مليح الخط ، بليغا ، يذاكر بجميل الأخبار والأشعار، كان عفيفا متورعا من مال السلطان والرعية ، مجانباً للخيانة. محافظاً على الأمانة ثم ضعف أمره ، وانحرفت عنه السيدة أم المقتدر، وعزل ، وكان كاتبها قبل الوزارة ، وذلك سنة 314هـ/926م<sup>(2)</sup>.

وإذا أتينا ندقق في الأمر، لماذا تورد الرواية رضا أو سخط السيدة عن الوزير ، وهو ذو منصب ووجاهة، ويفترض أنه يأمر وينهى. وهي امرأة حتى ولو كانت أم الخليفة، الذي لا يحكم أصلا. فهذا يجعلنا ننتهي إلى أن أمر الوزارة ذاك منصب مجرد من أية صلاحية لا تخدم البطانة الخفية، وهي نساء الخلفاء والقصر عموما . فانحرف السيدة عن الوزير دليل على أنها من استوزرتة. فأصبح وزيرا للسيدة وليس وزيرا للخليفة.

وحالات العزل هذه منها ما مبرر ومنها ما هو غير مبرر ، أي لمجرد الهوى أو الانتقام أو قبول السعاية أو غير ذلك مما فصلناه في عزل الوزراء والكتاب.

44/ محمد بن علي بن الحسن بن مقله:(316.318هـ/928-930م ، 320.321هـ/

933 ، 322-324هـ/934-936م):

(1)- الفخري، ص 269.

(2)- ابن الطقطقي: الفخري، ص 269-270. الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج 15، ص 292.

الباب الأول: بطانة الخلفاء العباسيين: التصنيف و المما (132-334هـ/749-946م)  
الفصل الأول:.....وزراء الخلفاء العباسيين: التصنيف و المما .

هو محمد بن علي بن الحسين بن مقلدة، أبو علي: وزير، من الشعراء الادباء، يضرب بحسن خطه المثل. ولد في بغداد، وولي جباية الخراج في بعض أعمال فارس. وكان يتقلد لعلي بن عيسى وزارة حامد زمام السواد<sup>(1)</sup>. كما تقلد ديواني الفرض والخاتم معا في وزارة ابن الفرات الأولى<sup>(2)</sup>. فكان محمد بن علي بن مقلدة صاحب الخط الحسن المشهور ، الذي تضرب بحسنه الأمثال. كان في ابتداء أمره يخدم في بعض الدواوين ، في كل شهر بستة دنانير. ثم إنه تعلق بأبي الحسن ابن الفرات واختص به ، فرفع في قدره وأعلى من شأنه ، فمكث بين يديه يعرض عليه رقاعا في مهمات الناس ، ويتنفع بسبب ذلك، وكان ابن الفرات يأمره بالتحصيل من هذه الجهة ، ايثارا لنفعه ، فمازال على ذلك حتى علت حاله ، وكثر ماله. وتمكن ابن مقلدة في دولته ، ونبتت حاله ، وعرض جاهه. وخلع عليه الخليفة المقتدر خلع الوزارة سنة 316هـ. واستقل بأعباء الوزارة أمرا ونهيا ، وبذل فيها ما بلغه خمسمائة ألف. ثم عزل وقبض عليه ، ومازال تتقلب به الأحوال<sup>(3)</sup> .

45/ سليمان بن الحسن بن مخلد(318-319هـ /930-931م، 324هـ/936م ،

328-329هـ/940-941م):

هو الوزير، أبو القاسم، سليمان بن الحسن بن مخلد بن الجراح البغدادي حيث ولي عدة ولايات. ثم ولاه الوزارة بإشارة علي بن عيسى من سنة 318هـ الى سنة 319هـ. والإشراف على سائر الدواوين والأعمال لمساعدة سليمان، ولا يتصرف سليمان ولا يقلد أحدا عملاً ولا يعمل شيئاً إلا بعد موافقة علي بن عيسى<sup>(4)</sup>.

ثم وزر للمقتدر مشاركا لعلي بن عيسى ، ثم عزل ، ثم وزر للراضي بالله سنة 324هـ. وكثرت المطالبات عليه. وتولي ابن رائق إمرة الأمراء ، سقط حكم الوزارة. فاستعفى سليمان من الوزارة بعد سنة، ثم استوزره الراضي بالله سنة 328هـ. فكانت المدة قرابة أربعة أشهر. ومضت أيام الوزير سليمان ابن الحسن على سداد وحمد من الناس. لخبرته بأحوال الدواوين وقوانين السياسة. توفي سنة 332هـ/944م وله 71 سنة<sup>(5)</sup>.

- (1)- الصايي: الوزراء، ص38. الصفدي: الوافي، ج4، ص82. ابن كثير: البداية، ج15، ص32. الدوري: دراسات ، ص169.
- (2)- المصدر نفسه، ص197-198.
- (3)- ابن الطقطقي: الفخري ، ص270.271.272.
- (4)- الصفدي: الوافي، ج15، ص324.227. الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج15، ص327. ابن تغري: النجوم ، ج3، ص227.
- (5)- المصدر نفسه، ج15، ص324.227. المصدر نفسه، ج15، ص327. المصدر نفسه، ج3، ص227.

الباب الأول: بطانة الخلفاء العباسيين: التصنيف و المما (132-334هـ/749-946م)  
الفصل الأول:.....وزراء الخلفاء العباسيين:التصنيف و المما .

وسبب عزله أنه أصابته ضائقة، وكثرت عليه العروض بالضمان والوظائف ممن يرغبون في الترشح للوزارة. فاكتشف المقتدر ما به ، وعزله وأشار بتولية الحسين بن القاسم، ولكن القائد مؤنس رفض، وفرض عليه أن يستوزر أبا القاسم الكلوذاني. وكانت وزارة سليمان سنة وشهرين<sup>(1)</sup>.

46/ أبو القاسم عبيد الله بن محمد الكلوذاني (حوالي شهرين سنة 319هـ/931م):

هو أبو القاسم عبيد الله بن محمد الكلوذاني وبأمر المقتدر عين الكلوذاني بالنيابة عن علي ابن عيسى الذي كان بدمشق إلى أن يحضر.<sup>(2)</sup> فقدم بغداد في أبهة عظيمة فنظر في المصالح العامة والخاصة. ورد الأمور إلى السداد والاستقامة وتمهدت القواعد ، واستدعى بالخصيي فتهدد ولامه وناقشه على ما كان يعتمده ويفعله في خاصة نفسه ، وفي الأمور العامة<sup>(3)</sup>.

فكان الكلوذاني لما رأى الضرر يزيد ، والخطأ لا يتلافى كتب إلى العمال بأن ينفذوا نسخة لما يكتبونها إلى الوزير إليه ، فكانوا يكتبون إليه نسخا بما ينفذ منهم إلى الوزير . فيوقع على ظهرها بما يجابون به ، وتخرج إليه الكتب المكتوبة عن الوزير بعد جمعة وأكثر<sup>(4)</sup>.

وفي سنة 319هـ عزل الوزير سليمان واستوزر أبو القاسم الكلوذاني ، وكان سبب ذلك أن سليمان ضاقت الأموال عليه إضاقة شديدة ، وكثرت عليه المطالبات ، ووقفت وظائف السلطان . واتصلت رقاع من يرشح نفسه للوزارة بالسعاية به والضمان بالقيام بالوظائف ، وأرزاق الجند وغير ذلك. فقبض عليه ونقله إلى داره. وكان المقتدر كثير الشهوة لتقليد الحسين بن القاسم الوزارة. فامتنع مؤنس من ذلك وأشار بوزارة أبي القاسم الكلوذاني . فاضطر المقتدر إلى ذلك فاستوزره ، فكانت وزارة سليمان سنة واحدة وشهرين. وكانت وزارته غير متمكنة أيضا ، فإنه كان علي بن عيسى معه على الدواوين ، وسائر الأمور ، واشتغل علي بن عيسى بأمور الوزارة ولازم النظر فيها فمشت الأمور ، واستقامت الأحوال<sup>(5)</sup>.

وفي السنة ذاتها 319هـ عزل أبو القاسم الكلوذاني عن وزارة الخليفة ، ووزر الحسين ابن القاسم بن عبيد الله بن سليمان بن وهب<sup>(6)</sup> .

(1)- ابن الأثير: الكامل، ج7، ص64.

(2)- المصدر نفسه، ص28.

(3)- ابن كثير: البداية، ج15، ص22.

(4)- مسكويه: تجارب، ج5، ص81.

(5)- ابن الأثير: الكامل، ج7، ص64-65.

(6)- تاريخ الطبري، ج7، ص28. ابن الأثير: الكامل، ج7، ص67. ابن كثير: البداية، ج15، ص52.

الباب الأول: بطانة الخلفاء العباسيين: التصنيف و المصنف (132-334هـ/749-946م)  
الفصل الأول:.....وزراء الخلفاء العباسيين:التصنيف و المصنف .

47/ الحسين بن القاسم (319-320هـ/931-932م):

هو الحسين بن القاسم بن عبيد الله بن سليمان بن وهب. اختاره للوزارة الخليفة المقتدر بالله بحريته الكاملة ودون تأثير من أحد. لذا فقد تأزمت علاقته بمؤنس عندما تدمر من دسائس الوزير وطلب من الخليفة عزله من منصبه ، فرفض الخليفة ذلك وأمر بمصادرة مؤنس . وتصاعدت الأزمة حين بادر الوزير وبسرعة إلى تنفيذ توجيهات الخليفة. « بقبض أملاك مؤنس ومن معه وأفرد لذلك ديواناً خاصاً ، فحصل من ذلك مال عظيم . وارتفع أمر الوزير عند المقتدر ، ولقبه عميد الدولة ، وضرب اسمه على الدراهم والدنانير ، وتمكن من الأمور جدا ، فعزل وولى ، وقطع ووصل» (1) .

لم يكن الحسين بن القاسم بارعا في صناعته ، ولا شكرت سيرته في وزارته ، ولم تطل له المدة حتى عجز ، واختلت الأحوال عليه ، ولما ظهر للمقتدر عجزه قبض عليه وصادره ، ثم بقي إلى أيام الراضي وأبعد عن العراق ، فلما ولي ابن مقله الوزارة تقدم بقتله وأرسل إليه من قطع رأسه وحمله إلى دار الخلافة (2) .

48/ الفضل بن جعفر (بن الفرات الثاني)(شهرها من سنة 320هـ/933م، 324-

326هـ/936-938م) :

هو الفضل بن جعفر بن محمد، ابن الفرات، أبو الفتح: وزير، من الكتاب. يقال له " ابن حنزابة" وهي أمه رومية الأصل. من أعيان الدولة العباسية.

استوزره المقتدر بالله سنة 320 هـ وكان يميل إلى منع اصطدام جيش الخليفة بقوات مؤنس الخادم التي انحدر بها من الموصل عائداً إلى العاصمة دون مصالحة الخليفة والاستئذان منه ، وأظهر الوزير ميلا إلى مباشرة المفاوضات مع مؤنس وصولا إلى المصالحة ، غير أن الخليفة لم يستمع إلى رأيه مما يعكس تدني مكانته وضعف تأثيره عليه (3) .

وكان آخر وزراء المقتدر، ونهب الجند داره. ثم عزل عن الوزارة وولي الخراج بمصر والشام. وأعيد إلى الوزارة سنة 324 هـ، في بدء خلافة القاهر فلم يستقر بها طويلا ، لاختلال حالها، وتحكم الترك والديلم في الدولة. وولي الفضل بن جعفر نائبا عن الخصيي عن أعمال الموصل وما حولها يعزل

(1)- ابن كثير: البداية، ج15، ص57. السامرائي: تطور نظام الوزارة ، ص 302.

(2)- ابن الطقطقي: الفخري، ص 274.

(3)- ابن الأثير: الكامل، ج7، ص72. ابن كثير: البداية، ج15، ص58. السامرائي: تطور نظام الوزارة ، ص 302.

الباب الأول: بطانة الخلفاء العباسيين: التصنيف و المما (132-334هـ/749-946م)  
الفصل الأول:.....:وزراء الخلفاء العباسيين:التصنيف و المما .

ويولي من يراه في الخراج والمعادن والنفقات والبريد وغير ذلك. وكانت مدة وزارته الثانية سنة وثمانية أشهر ، توفي سنة (327هـ/939م)<sup>(1)</sup>

ر- وزراء الخليفة القاهر(320 - 322 هـ/ 933 - 934 م)

\*ابن مقله :

استوزر ابن مقله وزير أخيه الوزارة الثانية. ورغم العلاقة الحسنة التي كانت تربط بين الوزير أبي علي والخليفة القاهر. إلا أن البطانة منهم جماعة من الأمراء وعزموا على إشراكه في التضييق على الخليفة القاهر وإزاحته، وتولية أبي أحمد بن المكتفي. فزينوا ذلك لمؤنس الخادم. ثم اختفى الوزير أبو علي، فأحرق داره، ووقع الفتنة والنهب في بغداد. ولكن القاهر تدارك الأمر، واستعاد وضعه ، وعاقب المتسببين.<sup>(2)</sup>

وهذا ما يفسر لنا قوة بعض شخصيات الخلفاء في العصر العباسي الثاني خاصة في فترة الصحوة المؤقتة(256\_295هـ/870-908م) برغم الضعف العام في البطانة ، لكن على مستوى خلفاء هذه الفترة ، كانت لديهم بعض القدرة على التمييز والاختيار وإنشاء الأعمال والمشاريع. رغم استبداد قادة الجند الأتراك بالأمر.

49/ أحمد بن عبيد الله بن سليمان الخصيبي(321.322هـ/ 933-934م):

وهو أحمد بن عبيد الله بن سليمان الخصيبي آخر من وزر للخليفة القاهر بالله. كان أولاً يكتب للسيدة أم المقتدر، ولشمل القهرمانه. وكان أنعم الناس عيشاً، وأنفذهم أمراً، يحكم على الوزراء، ويضطرون إلى مداراته. وأحبت له ثمل القهرمانه الوزارة. فلما وليها لم يمض عليه أسوع حتى شغب عليه الجند وطالبوه الأرزاق و بالنشاب وصارت المشغبة إلى باب داره<sup>(3)</sup>.

فلم يكن الوزراء يستقر لهم حال ، خاصة إذا تعلق الأمر بأجور العمال وخاصة منهم الجند. فكانوا يقومون من حين لآخر بشغب وفوضى، إما للمطالبة بحقوقهم ومستحقاتهم المالية ، أو تستغلهم أطراف في السلطة لضرب الطرف الآخر. وكم من الوزراء الذين نكل بهم وأحرق دورهم وعزلوا

(1)- ابن الأثير: المصدر نفسه،ص72.الذهبي: تاريخ الإسلام، ج 23،ص394.ابن كثير: البداية، ج15،ص58. ابن خلدون: العبر، ج3،ص493. الزركلي: الأعلام ج5،ص147.

(2)- السيوطي: تاريخ الخلفاء،ص307306. ابن كثير: البداية، ج15،ص67.الذهبي: تاريخ الإسلام ج24، ص17.الدوري: دراسات،ص171.

(3)- الصفدي: الوافي بالوفيات، ج7،ص113.

الباب الأول: بطانة الخلفاء العباسيين: التصنيف و المما (132-334هـ/749-946م)  
الفصل الأول:.....وزراء الخلفاء العباسيين: التصنيف و المما .

وصودروا، بسبب هذه الحساسيات المفترقة بين الموظفين في دواليب السياسة والإدارة، بالخصوص في العصر العباسي الثاني.

ولذلك لم يكن من السهولة أن يتمتع وزير مثل الخصيبي بثقة كبيرة ، ومكانة عالية لدى الخليفة القاهر. فقد أوكل إليه الخليفة أمر اختيار وتقليد من يعتقد صلاحه من الكتاب لإدارة الدواوين، كما أنه ناظر برأيه بعض كبار الشخصيات الرسمية وصادرهم<sup>(1)</sup>.

ز- وزراء الخليفة الراضي (322 - 329 هـ / 934 - 944 م):

لم يزل الوزير ابن مقلة مستمرا في شغفه بالوزارة وطمعه فيها. حيث لم يكن لابن مقلة هم سوى المحافظة على مركزه. فسعى إلى جمع الأموال لإرضاء الجيش واستمالاته ، باتباعه سياسة المصادرة على نطاق واسع لأتفه الحجج. لدرجة أنه صار ينتهز الفرص للدس على الخليفة. وفي سنة 322هـ خلع الخليفة القاهر. وكان سبب ذلك ، أن وزيره ابن مقلة كان قد استتر خوفا منه. فكان يفسد قلوب الجند ويحذرهم منه. ويحرضهم عليه، فخلعوه وسلموه . وهكذا ذهب القاهر ضحية طغيان الجيش وتكالب قاداته وجشعهم. وجيء بأبي العباس ابن المقتدر -وكان سجيناً - فبوع ولقب بالراضي<sup>(2)</sup>.

وظهر تشارك يشبه التنارع على الوزارة بين محمد بن علي بن مقلة ومحمد بن ياقوت، هذا الأخير استبد بالأمر دونه، وأصبح لا يمضى أمر إلا بتوقيعه، الذي هو بدوره ألقى أمره على كاتبه أبي إسحاق القراريطي، فإذا رغب في إمضاء شيء عرضه على ابن ياقوت، ولا يقبل إمضاء غيره<sup>(3)</sup>.

وباستخلاف الراضي بالله (322-329هـ/934-941م) فما كان منه إلا أن أتخذ خطوة جديدة. في محاولة منه لحل المشكلة الاقتصادية. التي لحقت بالدولة نتيجة ضعف الوزراء. وزيادة نفوذ القادة الأتراك وتسلطهم. وتدخلهم في إدارة شؤون البلاد.

فاستتر وراء وزرائه الذين يأمل في نجدتهم. إلا أن وزراءه لم يستطيعوا أن يعيدوا الدولة إلى مسارها. حيث عمت فيها الفوضى واهتز عرشها. وأسند الخليفة الراضي ضعفه وقلة أمره لغيره. فأنشأ منصب إمرة الأمراء، وأصبح هذا المنصب فوق الوزارة بل إنه أبطلها<sup>(4)</sup>.

(1)- مسكويه : تجارب، ج5، ص156.

(2)- ابن الطقطقي: الفخري، ص258. ابن الأثير: الكامل، ج7، ص96 ابن كثير: البداية، ج15، ص80. الذهبي: تاريخ الإسلام، ج24، ص17. الدوري: دراسات، ص171.

(3)- الصولي: أخبار الراضي ، ص31.

(4)- محمد العازمي: مظاهر الحياة السياسية والعلمية والاقتصادية في القرن الرابع الهجري من خلال أدب القاضي للمحسن التنوخي ، ص30.

50/ عبد الرحمن بن عيسى بن الجراح (324هـ/936م):

بعد عزل ابن مقلة ، عرض الخليفة الراضي الوزارة على علي بن عيسى ، فرفض وأشار عليهم بأخيه عبد الرحمن ، غير أنه ضعف ، واختلفت عليه الأمور ، فلم تطل أيامه ، واستعفى من الوزارة . كانت مدة وزارته خمسن يوماً من سنة 324هـ<sup>(1)</sup> . ولي وزارة الراضي بالله سنة 324هـ فأقام ثلاثة أشهر ونصفاً ، فلما فسد أمر الراضي بالله استتر ، وفتش منزله ومنزل أخيه جعفر وحمل ما وجد فيهما ، ثم أنه أعيد للوزارة ، فكانت وزارته الثانية 53 يوماً . وكان بطيء الكتابة والقراءة فيه كرم واحترام لقاصديه . وتوفي سنة 343هـ/955م ، وعمره 67 سنة<sup>(2)</sup> .

51/ محمد بن القاسم بن عبيد الله الكرخي (شهرها سنة 331هـ/943م):

هو أبو جعفر محمد بن القاسم بن عبيد الله الكرخي ، كانت وزارته شهرها سنة 324هـ . بعد عبد الرحمن بن عيسى . ولم تكن له أشياء تذكر . واختلفت الأحوال واضطربت الأمور لديه فاستتر ثم ظهر وصور<sup>(3)</sup> . وقلت الأموال على الكرخي فعزل بسليمان بن الحسن<sup>(4)</sup> .

52/ أبو عبد الله أحمد البريدي (327-328هـ ، شهرها من سنة 329هـ/941م):

نظر الراضي فلم يجد من يستحق الوزارة ، فاستوزر أبا عبد الله أحمد البريدي سنة 327هـ . فأمر بمحاسبة الوزير ابن ميمون ، حيث وجده اختان وضع ، فصالحه على خمسين ألف دينار<sup>(5)</sup> .

س - وزراء الخليفة المتقي (329 - 333 هـ / 940 - 944 م):

\*أبو عبد الله أحمد البريدي (شهرها من سنة 329هـ/941م)

53/ أبو الحسن بن محمد بن ميمون (شهرها من سنة 329هـ/941م):

ولي أبو الحسن أزمة الدواوين . ثم وزر للمتقي ، ولم يكن له من الوزارة إلا الاسم<sup>(6)</sup> .

54/ محمد بن أحمد الإسكافي القراريطي (شهرها من سنة 329هـ وشهرها من سنة

330هـ/942م):

(1)- الصولي: أخبار الراضي ، ص84 . ابن الأثير: الكامل، ج7، ص118 . ابن خلدون: العبر، ج3، ص 514 . 510.

(2)- الصولي: أخبار الراضي ، ص205 . الصفي: الوافي، ج4، ص248.

(3)- ابن الطقطقي: الفخري، ص 281 . ابن الأثير : الكامل، ج7، ص24.

(4)- الذهبي: العبر، ج2، ص21.

(5)- الصولي: أخبار الراضي ، ص135. 201.

(6)- الصولي: أخبار الراضي ، ص133 . ابن الطقطقي: الفخري ، ص 287.

الباب الأول: بطانة الخلفاء العباسيين: التصنيف و المماء (132-334هـ/749-946م)  
الفصل الأول:.....وزراء الخلفاء العباسيين:التصنيف و المماء .

هو محمد بن أحمد بن عبد المؤمن الاسكافي القراريطي، أبو إسحاق: مولده ووفاته (281 - 357 هـ / 894 - 967 م) وزير، من الكتاب. كان كاتب محمد ابن رائق. واستوزره الخليفة المتقي ، بعد البريدي (سنة 329هـ/941م) ثم عزل بعد 39 يوما، وغرم مئتي ألف دينار. ووزر بعد أشهر، فاستمر 40 يوما، وثبت في وزارته الثالثة ثمانية شهور<sup>(1)</sup>.

وهذه الوزارات التي تدوم الشهر والشهرين ، لا تدل على حقيقة الوزارة ، التي تنبني عليها علاقة الخلفاء بالوزراء. إذ لا يمكن أن يتعرف الخليفة على وزيره بهذه السرعة . ولا أن يتمكن من تقييم شخصيته وأعماله. كما لا يمكن للوزير أن تظهر شخصيته الوزارية في هذا الوقت الضيق. ويمكننا استقراء الواقع السياسي المتعفن بسبب تسلط القادة الأتراك. الذين لا هم لهم إلا جمع المال. وتعيين كل خليفة حسب أهوائهم، بل وإخضاع أو تعذيب أو قتل من حاول أن يردهم أو يعصي لهم أمرا. فهم عملوا على تمييع نظامي الخلافة والوزارة في آن واحد. فأصبح كل من الخليفة والوزير مجرد عاملين مؤتمرين بأوامر القائد التركي. واتضح ذلك أكثر خلال فترتين في العصر العباسي الثاني . بين (248-256هـ) و (295-334هـ) . وما بينهما أي (256-295هـ) كانت فترة الصحوة المؤقتة ، حيث طالت فيها مدة الخلافة والوزارة بقدر كبير من الحرية والعمل.

55/ أبو عبد الله الكوفي ( 329\_330هـ/941-942م):

هو أحمد بن علي بن سعيد أبو عبد الله الكوفي ، خدم سيف الدولة بن حمدان. و تولى الكتابة للأمير أبي الحسين بجكم ، وكان حينها سليمان بن الحسن وزيرا. فما كان له منها إلا الاسم وكل معانيها للكاتب الكوفي. ثم تولى الوزارة رسميا وفعليا بعدما عزل القراريطي الذي وزر لشهر ونصف من وزارته<sup>(2)</sup>.

ثم عاد الأمر لتولية العسكريين منصب الوزارة . فوزر أبو عبد الله البريدي للمتقي (شهرًا سنة 330هـ/942م). وما كان منه من قوة نفسه وجمعه للعساكر. ثم إنه في أيام المتقي وصل إلى بغداد ومعه جموع كثيرة. فأظهر المتقي السرور به. ثم استوزره وهو كاره لذلك. وجرت بينه وبين المتقي

(1)- الذهبي: العبر ج2، ص101. ابن خلدون : العبر، ج3، ص510.

(2)- الصولي: أخبار الراضي ، ص186. ابن الأثير: الكامل، ج7، ص153. الذهبي: تاريخ، ج25، ص98. ابن خلدون : العبر، ج3، ص510.

الباب الأول: بطانة الخلفاء العباسيين: التصنيف و المما (132-334هـ/749-946م)  
الفصل الأول: .....:وزراء الخلفاء العباسيين:التصنيف و المما .

مراسلات أدت إلى أنه أُرهبه وأفرعه. فحمل 500 ألف دينار. ووقعت حروب بين البريدي وأمراء العسكر، فنهبوا داره، وانهزم إلى واسط، فكان وقوع الوزارة عليه دون شهر<sup>(1)</sup>.

56/ أبو العباس أحمد بن عبيد الله الأصفهاني: مكث في الوزارة حوالي 50 يوما. ولم يكن له علم ولا نظر في الأمور. وضعف أمر الوزارة والوزراء في تلك الفترة ضعفا شديدا<sup>(2)</sup>.

ش\_ وزراء الخليفة المستكفي (333\_334هـ/944\_946م):

57/ محمد بن علي السامري(333\_334هـ/944\_945م):

وهو أبو الفرج محمد بن علي السامري، وزر للمستكفي ولم يكن له حكم، ولم تطل أيامه وقبض عليه<sup>(3)</sup>.

وقد تم تنصيب المستكفي سنة 333هـ/944م الذي كان ألعوبة في أيدي القادة الأتراك، مما اضطره للاستنجاد ببني بويه، لوضع حد للمشكلات التي واجهت الدولة. فدخل بنو بويه بغداد سنة 334هـ/946م. وتملكوا، وصارت الوزارة من جتهنم والأعمال فيهم، وقرروا جزاء يسيرا من الراتب للخليفة يعول بها نفسه وعياله.

ونستخلص منه هذا العرض أمرين مهمين:

الأمر الأول: فطنة الخلفاء العباسيين الأوائل أثرت إيجابيا في اختيارهم للوزراء في العصر العباسي الأول. أي عملوا على اختيار رجال أكفاء ونبهاء، ولهم الولاء التام للخلافة. ووجدنا منهم: 21 وزيرا.

الأمر الثاني: في العصر العباسي الثاني، شهدت الخلافة تراجعا في شتى المجالات ما أثر على مؤسسة الوزارة، فكثرت التولية والعزل، لسبب أو لآخر. حيث أهملت معايير اختيار الوزراء، وأصبحت تخضع للمطامع والمصالح الشخصية التي قد يبذلها الوزير أو يطمع فيها. وأحصينا في فترة البحث: 57 وزيرا بغير المكرر أما بالمكرر فبلغوا أكثر من ذلك بكثير. خاصة بالنظر إلى كثرة حالات التولية والعزل وقصر مدة الوزارة التي شهدها العصر العباسي الثاني.

(1)- ابن الطقطقي: الفخري، ص269.

(2)- المصدر نفسه، ص286. ولم أعر عن أي معلومات عنه فيما بين يدي من المصادر.

(3)- المصدر نفسه، ص287. نظرا لشحة المعلومات عنه، هذا ما وجدته عند الطقطقي وليس عجزا مني في البحث.

الباب الأول: بطانة الخلفاء العباسيين: التصنيف و المما (132-334هـ/749-946م)  
الفصل الأول:.....:وزراء الخلفاء العباسيين:التصنيف و المما .

نستنتج أيضا أن الوزراء في العصر العباسي الأول قد اضطلعوا بعدد من الأعمال الجليلة، التي صقلت شخصياتهم لتحمل المهام الوزارية فيما بعد. مما زاد في أهمية المنصب ورفعته. فقدموا خدمات سياسية إدارية وأدبية واجتماعية، لم تكن الاستفادة منها شخصية ، بل عمت كل الرعية. فأصبح الوزير- في ذلك العصر - يمثل البوصلة التي توجه الخليفة. بل إن بعض الخلفاء وضعوا الثقة في وزراءهم ، وأنزلوهم منازل المفوضين عنهم. في شكل ما عرف في تاريخ الفكر السياسي الإسلامي بـ ( وزارة التفويض ) مثلما فعل المهدي مع وزيره أبي عبيد ثم يعقوب بن داود. والخليفة الرشيد مع وزيره يحيى البرمكي.

ويتضح لنا من هذا العرض تباين منزلة الوزارة والوزراء بين العصرين العباسيين الأول والثاني. ففي العصر الأول كان اعتماد تعيين الوزراء قائما على معايير الكفاءة والمهارة والحدق في الصنعة الكتابية والإدارية. لذا وجدنا عددهم قليلا إذا ما قورن بوزراء العصر العباسي الثاني ، الذين يفتقر معظمهم الى تلك الخصال والموازين. نظرا لتدهور الأوضاع العامة. فقد تدهورت مؤسسة الوزارة، وعين فيها من ليس لها بكفاء . بل عين فيها حتى صاحب الرشوة والاختلاس. وما كثرة تعيين الوزراء وعزلهم في تلك الفترة إلا خير دليل على عدم استقرار هذه المؤسسة المهمة.

وبمقاربة احصائية لوزراء العصر ، فقد بلغ عدد وزراء العصر العباسي الأول 21 وزيرا. في مقابل 36 وزيرا في العصر العباسي الثاني. ولكننا تحسنا من وزراء العصر العباسي الثاني ، غياب الكثير من العناصر المفترضة لشحن شخصية الوزير. فوجدنا كثيرا منهم لا يرتقي لهذا المنصب، من التاجر والعسكري والجاهل والأمي ، شخصياتهم ضعيفة تبعا لضعف شخصيات الخلفاء. ولكن انحدار الأوضاع مكن من انحدار الوزراء. الا ما كان من بعض الشخصيات المهيبة التي استأهلت المنصب عن جدارة واستحقاق، ورغم تكوينهم الصلب ، ومحاولاتهم الاصلاحية ، إلا أنهم عجزوا في صد تيار الفساد الذي جرفهم فيمن جرف من الكفاءات والقدرات.

الباب الأول: بطانة الخلفاء العباسيين: التصنيف و المهام (132-334هـ/749-946م)

الفصل الثاني:.....قادة الجند العباسي : مهامهم ووظائفهم.

الفصل الثاني: قادة الجند العباسي مهامهم ووظائفهم:

أولاً: الأصول الاجتماعية للقيادات العسكرية في العصر العباسي  
الأول (132-232هـ/749-847م)

ثانياً: تسلط العنصر التركي على قيادة الجيش في العصر العباسي  
الثاني: 232 - 334هـ/847-946م.

أولا / الأصول الاجتماعية للقيادات العسكرية في العصر العباسي الأول  
(132\_232هـ/749-847م)

كان أفراد الجيش قبل العصر العباسي يطلق عليهم " المقاتلة " يدعون فقط في حالة الفتوحات أو عندما تدعو الضرورة للمحافظة على الأرض والعرض من أي تهديد داخلي أو خارجي. أما في العصر العباسي الأول. فقد أصبح الجند يتجه نحو الاحترافية والتنظيم. وأصبح للجيش تنظيماته وهيكله ومهامه المحددة ورواتبه المستحقة. ولكن في العصر العباسي الثاني أصبح الأمر مختلفا. حيث اتجه قادة الجند الأتراك -بالضبط- إلى التدخل في السياسة. وتركوا مهامهم العسكرية ، وانصرفوا إلى التجارة والأعمال الاقتصادية والمالية ، بهدف تكوين الثروة. وسيمر بنا تفاصيل ذلك كله وآثاره.

أ- في خلافة أبي العباس السفاح :

1/ أبو مسلم الخراساني: (100 - 137 هـ / 718 - 755 م):

هو أبو مسلم عبد الرحمن بن مسلم ، ويقال له أمير آل بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم.<sup>(1)</sup> بدأ أمر أبي مسلم بأنه كان مملوكا لعيسى ومعقل ابني إدريس ، ابن عيسى العجليين، وكان مسكنهما بماء البصرة ، مما يلي أصبهان. فنشا غلاما، فهما، أدبيا<sup>(2)</sup>.

ب- في خلافة أبي جعفر المنصور :

2/ عيسى بن موسى (102 - 167 هـ / 721 - 783 م):

هو عيسى بن موسى بن محمد العباسي ،أبو موسى: أمير، من الولاة القادة. وهو ابن أخي السفاح. كان يقال له « شيخ الدولة » ولد ونشأ في الحميمة. وكان من فحول أهله وذوي النجدة والرأي منهم. وله شعر جيد. ولاه عمه الكوفة وسواها سنة 132هـ/749م<sup>(3)</sup>. وبعد وفاة أبي العباس سنة (136هـ/753م) تولى عيسى بن موسى أخذ البيعة من الناس في العراق لأبي جعفر المنصور. عندما كان في مكة لتأدية فريضة الحج<sup>(4)</sup>. وساهم عيسى بن موسى في كتابة المراسلات التي جرت بين أبي جعفر المنصور وأبي مسلم الخراساني<sup>(5)</sup>.

(1)- ابن كثير: البداية، ج13، ص313. للمزيد ينظر ابن خلكان: وفيات الأعيان، ج3، ص145 وما بعدها.

(2)- الدينوري: الأخبار الطوال، ص322-323. ابن كثير: البداية، ج13، ص224-225. الزركلي: الأعلام، ج3، ص337.

(3)- تاريخ الطبري، ج7، ص470. ابن خلدون: العبر، ج3، ص227. ابن تغري: النجوم، ج2، ص53-54.

(4)- الفسوي: المعرفة والتاريخ، ج1، ص120.

(5)- تاريخ الطبري، ج7، ص480. ابن الأثير: الكامل، ج5، ص105.

كما استعمله الخليفة المنصور للقضاء على حركة محمد النفس الزكية. حيث تصرف عيسى بن موسى بطريقة ذكية . ذلك أنه لم يستخدم القوة فحسب. بل لجأ إلى أسلوب الحيلة والخداع، فكتب عددا من مناصري محمد النفس الزكية ، فتخلوا عنه (1) .

وكان لعيسى بن موسى دور في القضاء على الثائر الخارجي عبد السلام بن هشام اليشكري الذي خرج إلى الجزيرة . وتفاقم وضعه. إلا أن الخليفة المهدي (158-169هـ / 775-785م) أرسل إليه عددا من القواد . كان من بينهم عيسى بن موسى ، الذي استطاع أن يهزمه (2) .

كما أسهم عيسى بن موسى في الحملة التي بعثها الخليفة المهدي لغزو الروم سنة (163هـ/ 779م) بقيادة ابنه هارون الرشيد . حيث كان عيسى بن موسى ضمن القادة الذين بعثهم معه. فتمكنوا من فتح حصن « سالمو » وفتحوا فتوحات كثيرة .. (3)

### 3/ عبد الوهاب العباسي ابن ابراهيم الامام (... - 157 هـ / ... - 774 م)

هو عبد الوهاب بن إبراهيم الامام بن محمد، من بني العباس: أمير، من الشجعان القادة، سيره عمه المنصور سنة 140 هـ/757م، في سبعين ألفا إلى ملطية، وبعث معه الحسن بن قحطبة، فخافتهما الروم، وعمرا ملطية بعد أن خربت أيدي الفرنجة. توفي ببغداد سنة 152 هـ (4). وذكر الطبري أنه غزا الصائفة سنة 152 هـ/769م ولم يدر (5).

### 4/ حميد بن قحطبة (... - 159 هـ / .. - 776 م)

هو حميد بن قحطبة بن شبيب الطائي: أمير، من القادة الشجعان. وكان حميد أحد النقباء في دولة بني العباس (6). ولاة الخليفة أبي جعفر المنصور أميرا على مصر بعد عزل محمد بن الأشعث. جمع له أبو جعفر المنصور صلاة مصر وخراجها معاً سنة 143 هـ/759م (7).

وفي سنة 148 هـ/765م بعث المنصور حميد بن قحطبة لغزو الترك الذين عاثوا فسادا، فلم يجد منهم أحدا ولم يلق بأساً. وتوطأت الممالك لأبي جعفر وثبتت قدمه في الخلافة وعظمت هيئته في

(1)- تاريخ الطبري، ج7، ص552. ابن الأثير: الكامل، ج5، ص156-157.

(2)- المصدر نفسه، ج8، ص142. ابن الأثير: الكامل، ج5، ص162.

(3)- ابن الأثير: الكامل، ج5، ص244. ابن خلدون: العبر، ج3، ص265.

(4)- الزركلي: الأعلام، ج4، ص179.

(5)- الدرر: مدخل إلى بلاد الروم، وأدرب القوم: إذا دخلوا أرض العدو من بلاد الروم. تاريخ الطبري ، ج8، ص41. ولم تورد عنه

المصادر معلومات تذكر سوى ما ذكرنا.

(6)- الحموي: معجم البلدان، ج3، ص25.

(7)- ابن تغري: النجوم الزاهرة ، ج1، ص349.

النفوس ودانت له الأمصار<sup>(1)</sup>. توفي سنة 152هـ غزا حميد بن قحطبة كابل و ولاه المنصور إقليم خراسان<sup>(2)</sup>.

ت- في خلافة المهدي:

5/ إبراهيم بن صالح :

هو إبراهيم بن صالح بن عبد الله بن عباس العباسي ، أمير الشام للمهدي ، ثم أمير مصر للرشيد ، وزوجه بأخته عباسية.<sup>(3)</sup> لما قدم داود بن يزيد بن حاتم بن قبيصة بن المهلب ابن أبي صفرة المهلب أميراً على مصر، قدم معه إبراهيم بن صالح بن علي العباسي على الخراج . فدخل مصر معاً سنة 174هـ.<sup>(4)</sup> وكان قبل ذلك قد أرسل من قبل المهدي إلى مصر على صلاتها وخراجها. قدمها يوم الخميس لإحدى عشرة خلت من المحرم سنة خمس وستين ومئة.<sup>(5)</sup>

ث- في خلافة هارون الرشيد:

6/ هرثمة بن أعين: (..- 200 هـ / ..- 816 م)

أمير من القادة الشجعان. له عناية بالعمران. أحد أمراء الرشيد وخواص قواده<sup>(6)</sup>. ولي مملكة مملكة خراسان للرشيد. وكان من رجال الدهر ورؤوس الدولة<sup>(7)</sup>. ونجد أن القائد هرثمة بن أعين يشارك في استخلاف هارون الرشيد، حيث أخرجه وأجلسه للخلافة، فأرسل الرشيد إلى يحيى فأخرجه من الحبس واستوزره ، وأمر بإنشاء الكتب إلى الأطراف بجلوسه للخلافة وموت الهادي<sup>(8)</sup>.

وولى الرشيد على إمرة مصر لما بلغه ما وقع لإسحاق بن سليمان العباسي مع أهل مصر، وبعثه إليها في جيش كبير وحرضه على قتال المصريين؛ و ولاه على صلاة مصر وخراجها معاً. و في

(1)- تاريخ الطبري، ج8، ص27. ابن كثير: البداية، ج 13، ص409. ابن تغري: النجوم الزاهرة، ج2، ص08.

(2)- المصدر نفسه، ج8، ص41. الذهبي: تاريخ الإسلام، ج 9، ص354.

(3)- الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج8، ص274. الذهبي: تاريخ الإسلام، ج11، ص30. الصفدي: الوافي، ج6، ص17.

(4)- ابن تغري: النجوم الزاهرة، ج2، ص75-76.

(5)- السيوطي: حسن المحاضرة، ج1، ص590.

(6)- ابن الأثير: الكامل، ج5، ص299. الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج9، ص129. ابن تغري: النجوم، ج2، ص88-89. الزركلي:

الزركلي: الأعلام، ج8، ص81.

(7)- الذهبي: تاريخ الإسلام، ج14، ص241.

(8)- تاريخ الطبري، ج8، ص230. ابن الأثير: الكامل، ج5، ص277.

سنة 178هـ / 794م وثب أهل المغرب وقاتلوا متولي إفريقية الفضل بن روح بن حاتم المهلبي. فأمر الرشيد هرثمة بن أعين أن يتوجه من مصر إلى المغرب، واستيلائه عليه<sup>(1)</sup>.

وفي سنة 179 هـ/795م ، وصل هرثمة بن أعين أميراً على القيروان والمغرب. فأمن الناس وسكنوا وأحسن سياستهم. وبنى القصر الكبير و سور طرابلس الغرب. ثم إنه رأى اختلاف الأهواء ، فطلب من الرشيد أن يعفيه وألح في ذلك حتى أعفاه<sup>(2)</sup> . وولى الرشيد غزو الصائفة هرثمة بن أعين، وضم إليه ثلاثين ألفاً من جند خراسان ومعه مسرور الخادم إليه النفقات وجميع الأمر خلا الرئاسة. وجاءه كتاب المأمون في حربه مع الأمين بتسليم ما تحت يده إلى هرثمة بن أعين<sup>(3)</sup>.

وكان من رجال الدهر ورؤوس الدولة. ولاة الرشيد على مصر بعد أن قمع الفتنة التي حصلت فيها سنة 187هـ<sup>(4)</sup>. وفي سنة 191هـ /807م عزل الرشيد علي بن موسى عن إمرة خراسان وولاه هرثمة بن أعين<sup>(5)</sup>. وفي سنة 192هـ/808م دخل هرثمة بن أعين إلى خراسان نائباً عليها، عليها، وقبض على علي ابن عيسى فأخذ أمواله وحواسله وأركبه على بعير وجهه لذنبه ونادى عليه ببلاد خراسان، وكتب إلى الرشيد بذلك فشكره على ذلك<sup>(6)</sup>.

و في خلافة الرشيد ، يذكر البلاذري « أن ضياعاً رفضت وتركها أهلها فوجه أمير المؤمنين الرشيد هرثمة بن أعين لعمارتها . فدعا قومًا من مزارعها وأكرتها إلى الرجوع إليها. على أن يخفف عنهم من خراجهم ، ولين معاملتهم فرجعوا، فأولئك أصحاب التخافيف . وجاء قوم منهم بعد فردت عليهم أرضهم على مثل ما كانوا عليه، فهم أصحاب الردود»<sup>(7)</sup>.

#### 7/ الحسن بن قحطبة الطائي: (97 - 181 هـ / 716 - 797 م)

هو الحسن بن قحطبة بن شبيب الطائي، أحد أكابر الامراء والقواد، وولى الحسن بن قحطبة الجزيرة ثم عزل وولى أرمينية، فلم يزل عليها الى أيام المنصور . غزا الصائفة مع عبد الوهاب بن إبراهيم الامام سنة 140هـ / 757م وولى إمرة خراسان في أيام الرشيد سنة 181هـ/797م<sup>(8)</sup>.

(1)- الذهبي: تاريخ الإسلام، ج11، ص19. 20. ابن تغري: النجوم ، ج2، ص92.

(2)- المصدر نفسه، ج11، ص12. ابن خلدون: العبر، ج3، ص285. تغري: النجوم ، ج2، ص92.

(3)- المصدر نفسه ، ج13، ص35.07. ابن كثير: البداية، ج14، ص87.

(4)-المصدر نفسه، ج11، ص19.

(5)- ابن كثير: البداية، ج14، ص25. ابن خلدون: العبر، ج3، ص288.

(6)- تاريخ الطبري، ج8، ص324. ابن كثير: البداية، ج14، ص06.

(7)- فتوح ، ص196.

(8)- تاريخ يعقوبي، ج2، ص293، 310. ابن الاثير: الكامل، ج5، ص119. ابن كثير: البداية، ج13، ص332. 609.

الباب الأول: بطانة الخلفاء العباسيين: التصنيف و المصنف (132-334هـ/749-946م)

الفصل الثاني:.....قادة الجند العباسي : ممامهم ووظائفهم.

وغزا الحسن بن قحطبة بلاد الروم غزوة عظيمة سنة 162هـ/779 في ثمانين ألف مقاتل سوى المطوّعة، فأغار على ممالك الروم وخرّب وأحرق، ولم يلق بأساً. مات سنة 181هـ/797م ، وله 84 سنة (1).

ج- في خلافة المأمون:

8/ طاهر بن الحسين: (159 - 207 هـ / 775 - 822 م)

هو طاهر بن الحسين بن مصعب بن رزيق الأمير، مقدم الجيوش ، ذو اليمينين ، أبو طلحة الخزاعي ، القائم بنصر خلافة المأمون. فإنه ندبه لحرب أخيه الأمين، فسار في جيش كبير ، وحاصر الأمين ، فظفر به ، وقتله صبوا، فمقت لتسرعه في قتله. وكان شهما مهيبا داهية جوادا ممدحا (2).

9/ حميد الطوسي (... - 210 هـ / ... - 825 م) :

من كبار قواد المأمون العباسي. كان جبارا، فيه قوة وبطش. وكان المأمون يندبه للمهمات (3). انشغل حميد الطوسي بحرب الأمير إبراهيم بن المهدي (4). فانكسر جيش إبراهيم وانهزم فاختمى سنوات إلى أن عفا عنه المأمون (5).

ح - في خلافة المعتصم:

10/ عجيف بن عنبسة:

كان قائد حرس المعتصم (6). كان له دور كبير في محاربة الحركات المناهضة للخلافة العباسية. مثل حرب الزط (7) سنة 219هـ (1).

- (1)- ابن الاثير: الكامل، ج5، ص315. الذهبي: تاريخ الإسلام ج10، ص11. ج12، ص119.
- (2)- الذهبي: العبر ج10، ص108. ابن خلكان: وفيات الأعيان ج2، ص517. وللمزيد أنظر الجهشباري: الوزراء، ص290.
- (3)- ابن تغري: النجوم، ج2، ص190.
- (4)- هو محمد بن المنصور العباسي الأسود ولفخامته يقال له التين ويقال له ابن شكلة وهي أمه . وكان فصيحًا أدبيًا شاعرًا رأسًا في معرفة الغناء وأنواعه . ولي إمرة دمشق لأخيه الرشيد وبويع بالخلافة ببغداد ولقب بالبارك . عندما جعل المأمون ولي عهده علي بن موسى الرضا . فحاربه الحسن بن سهل فانكسر . الذهبي: العبر، ج1، ص306.
- (5)-الذهبي: العبر، ج1، ص306. ابن خلدون: العبر، ج3، ص308.
- (6)- تاريخ يعقوبي، ج2، ص438 .
- (7)- وهم قوم من أخلاط الناس غلوا على طريق البصرة وعاثوا فيها وأفسدوا البلاد وولوا عليهم رجلا منهم اسمه محمد بن عثمان وقام بأمره اخر منهم اسمه سماق وبعث المعتصم لحربهم في هذه السنة عجيف بن عنبسة سنة 219هـ، فسار إلى واسط وحاربهم فقتل منهم في معركة ثلثمائة وأسر خمسمائة ثم قتلهم. تاريخ الطبري، ج9، ص8-9.

11/ عبد الله بن طاهر بن الحسين : (182 - 230 هـ / 798 - 844 م):

هو عبد الله بن طاهر بن الحسين بن مصعب بن زريق الخزاعي، بالولاء، أبو العباس: أمير خراسان، ومن أشهر الولاة في العصر العباسي. أصله من " باذغيس " بخراسان " ولد سنة 182هـ. وتآدب في صغره. وقرأ العلم والفقه، تنقل في الأعمال الجليلة شرقاً وغرباً. قلده المأمون مصر والمغرب سنة 211 هـ/826م ، ثم نقله إلى خراسان سنة 214 هـ/829م ، فظهرت كفاءته فكانت له طبرستان وكرمان وخراسان والري والسواد وما يتصل بتلك الاطراف (2).

12 / الأفشين (ت226هـ/841م):

هو حيدر بن كاوس، قائد تركي. أصله من أشروسنة ، اتصل بجيش المعتصم ، وترقى في مراتب الجندية . وبسبب شجاعته فقد اكتسب الأفشين مكانة مرموقة عند المعتصم. حيث كان يجزل له العطاء في كل يوم يحارب فيه عشرة آلاف درهم ، سوى الأرزاق والأموال والمعاون... وكانت مدة قتاله سنتين وخمسة أشهر وأياماً (3).

13 / أشناس (ت230هـ/845م):

كان القائد أشناس يقود نصف جيش المعتصم إلى فتح عمورية (223هـ/838م)، والنصف الآخر للأفشين. وكان هذا من تدبير أحمد بن أبي داود وجد علي المعتصم (4).

14 / ايتاخ التركي: (ت235هـ/849م):

كان ايتاخ هذا غلاما خزريا طباحا. وكان لرجل يقال له سلام الأبرش، فاشتراه منه المعتصم في سنة 229هـ/844م ، فرفع منزلته وحظي عنده. الى أن أصبح ايتاخ أحد الأمراء الكبار واليا على مكة ، ودعي له على المنابر (5). تولى مناصب عديدة ورفيعة، منها أنه كان على ميمنة الجيش الفاتح لعمورية (6) ، وواليا لليمن على عهد المعتصم سنة 225هـ ، وقائدا للشرطة وحاجبا في عهد

(1)- تاريخ الطبري، ج9، ص08. مسكويه: تجارب، ج4، ص05. ابن كثير: البداية، ج14، ص237-238. الذهبي: تاريخ الاسلام، ج15، ص30.

(2)- الذهبي: تاريخ الإسلام، ج16، ص230. ابن تغري: النجوم، ج2، ص201. ابن العماد: شذرات الذهب، ج2، ص137. 65.

(3)- ابن أعثم: الفتوح، ج8، ص353.

(4)- الدينوري: الأخبار الطوال، ص382.

(5)- تاريخ الطبري، ج9، ص166. مسكويه: تجارب، ج4، ص115. ابن الأثير: الكامل، ج6، ص101. ابن كثير: البداية، ج14، ص337-338.

(6)- تاريخ الطبري، ج9، ص57. ابن الاثير: الكامل، ج6، ص40.

الباب الأول: بطانة الخلفاء العباسيين: التصنيف و المماء (132-334هـ/749-946م)

الفصل الثاني:.....قادة الجند العباسي : مهامهم ووظائفهم.

المتوكل سنة 233هـ<sup>(1)</sup>. و من هناك أصبح الأمير إيتاخ التركي مقدم الجيوش وكبير الدولة ، فحافه المتوكل ، واحتال عليه. وأماته عطشا سنة334هـ/946م<sup>(2)</sup>.  
ومهما يكن من أمر ، فإننا يمكن أن نعتبر العصر العباسي الأول عصرا ناجحا حضاريا في جميع المجالات. بما في ذلك الجانب العسكري. حيث كونت العباسيون جيشا نظاميا محترفا ، أنجب جملة من القادة العظام التاريخيين. يحافظون على مقدرات الدولة ومؤسساتها الاقتصادية والادارية. ومكن من القضاء الفتن التي كانت تنشب في الداخل هنا وهناك. وحمى الخلافة من كل التهديدات الخارجية ، خاصة تهديد الروم على الثغور.

ثانيا :تسلط العنصر التركي على قيادات الجيش في العصر العباسي الثاني :

ا- في خلافة المتوكل:

15/وصيف التركي : (ت 253هـ/867م):

وكل المتوكل الحجابة لوصيف الخادم عوضا عن ايتاخ سنة 234هـ/848م<sup>(3)</sup>.

16/ صالح بن وصيف التركي: (ت 250هـ/264م):

هو صالح بن وصيف التركي ، أحد قواد المتوكل ، قدم معه إلى دمشق سنة ثلاث وأربعين ومائتين. وكان قد استطال على الخلفاء وقتل المعزز وأخذ أمواله وأموال أمه قبيحة وولى المهتدي الخلافة وحكم عليه<sup>(4)</sup>.

17/ أوتامش : (ت249هـ/863م):

يعتبر أوتامش من أشهر الشخصيات العسكرية التركية . كانت له سيطرة واسعة على خلفاء العصر العباسي الثاني الذين عاصروهم. وفرض عليهم نفسه<sup>(5)</sup>.

(1)- ابن كثير: البداية، ج14، ص333.272.

(2)-الذهبي: العبر، ج1، ص327.

(3)- ابن كثير: البداية ج14، ص337-338. تولى الوزارة والحجابة وقيادة الجند. وكانت له سطوة على الخلفاء الذي عاصروهم. وسيأتي الحديث عن أعماله ضمن منجزات البطانة من قادة الجند.

(4)- الصفدي: الوافي ج16، ص159.الذهبي: سير ج12، ص533. الصفدي: الوافي ج16، ص159.عبد الملك : سمط النجوم النجوم ج3، ص474.

(5)- مسكويه: تجارب ج4، ص146-147. الذهبي: تاريخ ج18، ص22. ابن خلدون: تاريخ ج3، ص354. ولا تذكر المصادر شيئا عن نسبه أو أصله ، بل تكتفي بنسبه إلى عنصر الجند الترك المتحكمين في الخلافة العباسية .

18 / بغا الكبير: (ت 250هـ/864م) :

هو أبو موسى التركي. أحد قواد المتوكل وأكبرهم. عرف بالشجاعة والإقدام. وله همة عالية وهيبة ، ووقع في النفوس. وله فتوحات ووقعات. وكان مملوكا للحسن بن سهل الوزير. وكان يحمق ويجهل في رأيه. وقد باشر عدة حروب وما جرح قط. وكان فيه دين وإسلام. طال عمره وعاش نحو من ستين سنة<sup>(1)</sup>.

19 / بغا الصغير (ت 254هـ/848م)

المعروف بالشرابي الأمير، من كبار قواد المتوكل، وهو أحد من دخل عليه وفتك به. وغلب على المستعين هو ووصيف<sup>(2)</sup>. وولي على فلسطين في خلافة المستعين . وهو كما يصفه ابن كثير: « كانت له همة عالية ، وآثار سامية، وغزوات في المشارق والمغارب متوالية »<sup>(3)</sup>.

ب- في خلافة المقتدر :

3- في خلافة القاهرة: تقريبا كان القائد المسيطر في هاتين الخلفتين هو مؤنس الخادم.

20 / مؤنس الخادم: (231 - 321 هـ / 846 - 933 م): الملقب بالمظفر المعتضدى :

أحد الخدم الذين بلغوا رتبة الملوك. كان من خدم المعتضد العباسي. وكان أبيض، فارسا شجاعا من الساسة الدهاة. بقي ستين سنة أميرا. وندب لحرب المغاربة العبيديين. وولي دمشق للمقتدر. ولما بويع للمقتدر بالخلافة قربه وفوض إليه الأمور<sup>(4)</sup>.

ت- في خلافة الراضي:

21 / محمد بن رائق (.. - 330 هـ = .. - 942 م):

هو محمد بن رائق، أبو بكر: أمير، من الدهاة الشجعان. كان أبوه من مماليك المعتضد العباسي، وولي محمد شرطة بغداد للمقتدر سنة 317هـ<sup>(5)</sup>. ثم استقدمه الخليفة الراضي سنة 324هـ لضعف الوزارة، واضطراب الأمور عليه. وكان ابن رائق متغلبا على واسط. فقدم إلى بغداد،

(1)- الذهبي: تاريخ الاسلام ج18، ص181. ابن العماد: شذرات ج3، ص223. ابن تغري: النجوم ج2، ص329.

(2)- الصفدي: الوافي، ج10، ص109.

(3)- ابن كثير: البداية، ج 14، ص464. 469.

(4)- الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج15، ص56. ابن تغري: النجوم، ج 3، ص339. ابن العبري: مختصر الدول، ص

269-278.

(5)- الزركلي: الأعلام ج6، ص123.

فجعله الراضي أمير الأمراء، وفوض إليه تدبير المملكة، ومن ذلك اليوم بطل أمر الوزارة ببغداد، ولم يبق إلا اسمها، والحكم للأمراء المتغلبين<sup>(1)</sup>.

كان ابن رائق قد ألزم محمد بن القاسم الكاتب بيته، واستكتب أحمد بن علي الكوفي. وعرضت عليه الوزارة، فأبى أن يحمل اسم الوزارة. كما صرف ابن رائق أبا جعفر محمد بن القاسم الكرخي إلى منزله، فكانت وزارته للمتقي 32 يوماً<sup>(2)</sup>.

ث- في خلافة المتقي لله :

## 22/ أمير الأمراء توزون(ت334هـ/946م):

كان من خواص الأمير بجكم، غدر بالمتقي، وسمل عينيه. وكان تعتربه علة الصرع. ولم يحل عليه الحول بعدما فعل ذلك بالمتقي. وكان جباراً ظالماً فاسقاً فاتكاً، قتل خلقاً كثيراً وأخذ الأموال.<sup>(3)</sup> وأقبل توزون من واسط فخلع عليه المتقي، ولقبه أمير الأمراء سنة 331هـ/946م<sup>(4)</sup>. وأصبح توزون التركي رئيس الجيش وأمير الأمراء. ودخل توزون من واسط الى بغداد فأخذ أموال أهل بغداد، سنة 333هـ/946م. وقبض على كاتبه سعيد بن داود المسيحي وأخيه وابن خالته، وطالبهم بالأموال بضرب مبرح. وكان الترجمان محمد بن ينال- قائد الشرطة-، هو من حمله على ذلك<sup>(5)</sup>.

وأصبح الأمر كله بيد توزون، وليس للخليفة المتقي سوى الاسم. ثم ولي المستكفي سنة 333هـ/946م، على يد توزون أمير الأمراء ببغداد، بعد خلع له للمتقي<sup>(6)</sup>. وأخذ ابن رائق يجمع المال لدفع استحقاقات الجند. ولج في مطالبة الوزير بالمال، وهو يجمعه له. وأخذت في هذا الوقت من الراضي آنية ذهب وفضة فضريت. وأنفذ ابن رائق إلى بجكم من المال ما تيسر له. وزوج ابنته ابن الوزير الفضل بن جعفر<sup>(7)</sup>.

## ج- في خلافة المستكفي:

- (1)- السيوطي: تاريخ الخلفاء، ص310. ابن تغري: النجوم، ج3، ص258. عبد الملك: سمط النجوم، ج3، ص491.
- (2)- الصولي: أخبار الراضي، ص213.219.
- (3)- الصفدي: الوافي، ج10، ص276.
- (4)- ابن تغري: النجوم الزاهرة، ج3، ص278. الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج15، ص108. الذهبي: تاريخ الاسلام، ج25، ص07.
- (5)- الصولي: أخبار الراضي، ص242. ابن الجوزي: المنتظم، ج14، ص39.
- (6)- عبد الملك: سمط النجوم، ج3، ص494.
- (7)- الصولي: أخبار الراضي، ص90\_91.

### 23/ أبو الخير بجكم التركي:

كان وزيراً ل (ما كان بن كالي) الديلمي ، نطلبه ما كان فوهبه له . ثم إنه فارق (ما كان ) مع من فارقه من أصحابه ، والتحق بمرداويج<sup>(1)</sup> وكان في جملة من قتله . وسار إلى العراق واتصل بابن رائق وسيره إلى الأهواز ، ثم انتقل بجكم من الأهواز إلى واسط<sup>(2)</sup> . وتميز الأمير بجكم بالعقل والسياسة والمعرفة حيث كان يتولى المظالم بنفسه<sup>(3)</sup> .

لم يرض ابن رائق صعود بجكم إلى بغداد طلباً لأرزاق أصحابه. فحرق نهر ديبالي ، فخربت به الدنيا ، وافتقر الناس . وغلت الأسعار . واحتال له بجكم وهزمه . وأصبح الناس يشمتون به لتسليطه كاتبه الكوفي علي رقابهم . وعندما وصل بجكم إلى الراضي ، وخلع عليه سبع خلع . وجعله أميراً ، وعقد له لواء . وطلب دفع المستحقات المالية لأصحابه حال استحقاقها . وكان قد عقد الخليفة المتقي للقائد بجكم أيضاً لواء وجعله أميراً للأمرأ<sup>(4)</sup> .

وكان لحاجبه «عدل» وحده 30 ألف ديناراً . ولسائر قواده أموال جلييلة . ولما صح قتل بجكم حمل أحمد بن علي الكوفي مالاً . كان قد اجتمع عنده إلى المتقي . ووجد في دار بجكم أموالاً كثيرة ، مدفونة في مواضع من البستان في خوابي ودنان كثيرة<sup>(5)</sup> .

برغم قوة القادة العسكريين في العصر العباسي الأول، إلا أن قوة شخصيات الخلفاء الأوائل كانت قوية وحاضرة على كامل المشاهد السياسية والإدارية وحتى العسكرية. مما مكن للجيش وقادته ، لإفادة الخلافة ، في جانب حفظ الأمن ، وتأمين الحدود، والقيام بالفتوحات .

ونظراً للصبغة العسكرية التي تزيت بها الخلافة في العصر العباسي الثاني، في معظم مجالات السياسة والإدارة والاقتصاد. ولكن ذلك لا يصرف نظرنا عن العمل الفعلي والأصلي للجند. وهو العمل العسكري الدفاعي المحض. ورغم فقد تخلي معظم القادة عن الجندية ، وتدخلوا في السياسة والاقتصاد ، وكان فسادهم أعظم أثراً.

(1)- مرداويج هو ملك غلب على أمر الديلم الذين ظهروا ببلاد الري، كان يجلس على سرير من ذهب وبين يديه سرير من فضة، ويقول: أنا سليمان بن داود. وقد سار في أهل الري وقزوين وأصبهان سيرة قبيحة جداً، فكان يقتل النساء والصبيان في المهدي، ويأخذ أموال الناس، وهو في غاية الجبروت والشدة والجرأة على محارم الله عز وجل، فقتلته الأتراك وأراح الله المسلمين من شره. ابن كثير: البداية، ج 15 ، ص 25-26 .

(2)- ابن الأثير: الكامل ، ج 7 ، ص 139 .

(3)- ابن تغري: النجوم ، ج 3 ، ص 272 .

(4)- ابن تغري بردي: النجوم، ج 3، ص 272 .

(5)- الصولي: أخبار الراضي ، ص 192.193.197.242 .

الباب الأول: بطانة الخلفاء العباسيين: التصنيف و المهام (132-334هـ/749-946م)

الفصل الثالث:.....كتاب الخلفاء العباسيين : مهامهم و وظائفهم.

### الفصل الثالث :

كتاب الخلفاء العباسيين، مهامهم ووظائفهم.

- 1/ تمهيد : الكتابة والكتاب في عصر صدر الإسلام والدولة الأموية
- 2/ تطور الكتابة ومهام الكتاب في العصرين العباسيين الأول والثاني (132-334هـ/749-946م)
- 3/ كتاب خلفاء العصرين العباسيين الأول والثاني (132-334هـ/749-946م): المهام والوظائف

### 1/ تمهيد : الكتابة والكتاب في عصر صدر الإسلام والدولة الأموية

تعد الكتابة واحدة من بين أهم مستلزمات التقدم الحضاري لأي أمة تريد النهوض بنفسها. وتقييم حضارة خاصة بها. وتمثل أعلى مراتب الإدارة ، ولا يحتاج إليها من الكتاب إلا أفراد قلائل ممن كانوا يصلون إلى أعلى مراتب الجهاز الإداري - أي الوزراء في مصطلح ذلك العصر أو رؤساء الوزراء في مصطلح هذا العصر<sup>(1)</sup>. بل إن كبير الكاتب عد بمثابة الوزير أو رئيس الوزراء ، غير أنه لا تسمى بهذا الاسم.

كانت الحاجة العملية التي مرت بها الدولة الإسلامية عاملا كبيرا في ايجاد وظيفة الكاتب . فقد عجز الوزير عن القيام وحده بجميع ما عهد إليه من السلطات. ولم يكن بد من تعيين موظفين كبار يساعدونه في إدارة شؤون الدولة. ومن هنا كانت وظيفة الكتابة. وأصبح الكاتب في الوقت نفسه من أكبر أعوان الخليفة والوزير<sup>(2)</sup>.

غير أن تقدم هذه الوظيفة لم يكن فجائيا ، بل كان تطورا تراكميا. لا يقتصر على جيل معين. واستمر الاهتمام بها حتى مجيء العباسيين في العصر العباسي الأول، عصر الازدهار الحضاري الذي أرسى القاعدة للاهتمام بها في العصر العباسي الثاني . رغم الفوضى السياسية والعسكرية التي أصابت الخلافة ، لا سيما في عصر النفوذ التركي. وعم ذلك ظلت الحاجة قائمة لدواوين المختلفة وكتابها. فضلا عن مشاركتهم في الحياة العامة .

ومن أشهر الكتاب من الصحابة فئة مشهورة تواترت الكتابة عنها ، كعلي بن أبي طالب وعثمان بن عفان وزيد بن ثابت وأبي بن كعب ومعاوية بن أبي سفيان رضوان الله عليهم. وفئة أخرى ثبتت الكتابة عنها، لكنها لم تضطلع بمهمة الكتابة كالفئة الأولى مثل أبي بكر الصديق وعمر بن الخطاب ووأبي أيوب الأنصاري وغيرهم رضوان الله عليهم<sup>(3)</sup>.

وكثر الكتاب بعد الهجرة النبوية ، بسبب استقرار الدولة الإسلامية في المدينة المنورة. وانتشار المساجد والكتاتيب والكتاب. واستغلال كل الجهود والطاقات لنشر تعاليم الإسلام والقراءة والكتابة... وخير دليل على ذلك ، أنه بعد غزوة بدر أذن النبي ﷺ للأسرى بأن يفدي كل

(1)- مصطفى الحيارى: مقدمة لكتاب الدواوين وصناعة الكتابة لقدامية بن جعفر ، ص 5.

(2)- صبحي الصالح: النظم الإسلامية ، ص 303.

(3)- مصطفى الأعظمي: كتاب النبي ﷺ ، ص 4.

منهم نفسه بتعليم عشرة من صبيان المسلمين القراءة والكتابة.  
أما أول من كتب في قريش من النساء زوجات النبي صلى الله عليه وسلم حفصة وأم كلثوم  
والشفاء بنت عبد الله العدوية التي كانت تعلم حفصة الكتابة . وكانت الشفاء كاتبة في عصر ما قبل  
الإسلام. وكانت عائشة تقرأ المصحف ولا تكتب وكذلك أم سلمة<sup>(1)</sup>. وهذا يدل دلالة قاطعة على  
انتشار القراءة والكتابة في أوساط العرب ، وهي على قلتها وقلة الوسائل ، فإن الضرورة أصبحت  
ملحة ، لوجود كتاب ذوي كفاءة ومهارة .

وبدأت الكتابة تنتظم في عصر الرسول ﷺ ، وأصبحت تتحد وفق الاختصاصات. وبلغ بلغ عدد  
الكتبة اثنان وأربعون رجلا وتوزعت اختصاصاتهم فكان منهم:

كتاب للوحي ، وقد اشتهر الإمام علي بن أبي طالب وعثمان بن عفان وزيد بن ثابت -رضي الله  
عنهم- بهذا في اختصاص كتاب للوحي. يضاف إلى المام علي تخصص كتابة عهوده ﷺ إذا  
صالح أحدا. وقد اشتهر به الزبير بن العوام في كتابة الأموال والصدقات. و كعب بن أبي وعمر  
ابن زيد الأنصاري في كتابة الغنائم<sup>(2)</sup>. وهذا التنوع في التخصصات أيضا يعطينا فكرة واضحة عن  
تمرن أبناء الصحابة على الكتابة ، واتقانهم لها مبكرا. إذ لم تكن تأخذ سوى بضع سنين لتحكموا  
في تسيير أمور الدولة الإدارية والمالية .

كما كان يكتب له ﷺ الوحي علي بن أبي طالب ﷺ وعثمان بن عفان ﷺ ، فإن غابا كتب أبي بن  
كعب، وزيد بن ثابت. وكان خالد بن سعيد بن العاص ومعاوية بن أبي سفيان يكتبان بين يديه في  
حوادثه. وكان حنظلة بن الربيع بن المقع بن صيفي يكتب للنبي صلى الله عليه وسلم إذا غاب كتابه  
فغلب عليه اسم الكاتب<sup>(3)</sup>.

وهذه النيابة تدل على أن هناك فرص كتابية إضافية أو احتياطية يستفاد منها في وقت الحاجة. لأنه  
إن لم يكن كذلك ، وقعت المشقة بغياب الكاتب. أو أن الضرورة تلجؤه إلى عدم الغياب. وهذا ما  
قد يؤثر على الحياة الشخصية أو الاجتماعية للكاتب، بارتباطاته الكتابية. أو أنه يغيب فتتأثر ما بين  
يديه من أعمال إدارية. لذلك وجود البدائل ، يحل مشكلة الغيابات.

(1) البلاذري: فتوح، ص661-662.

(2) فهد بدري محمد وآخرون : الحضارة العربية الإسلامية ، ص58.

(3) الجهشيري : الوزراء والكتاب ، ص12.13.

وقد اشتهر به زيد بن ثابت وكان يساعده في العمل عبد الله بن الأرقم بكتابة الرسائل<sup>(1)</sup>. وكان الكتاب بالعربية في الأوس والخزرج قليلين وكان بعض اليهود قد علم كتاب العربية. وكان يعلمه الصبيان في الزمن الأول. وعند مجيء الإسلام أصبح عدد الكتاب في الأوس والخزرج أحد عشر كاتباً. ولندرة الكتابة كانوا يلقبون من جمع بين معرفة الكتابة والرمي والعموم<sup>(2)</sup>.

ولما تولى أبو بكر الخلافة كان قد اتخذ من عثمان بن عفان كاتباً له يكتب الرسائل إلى القادة والعمال والأقاليم. وكان قد اتخذ من زيد بن ثابت وعبد الله بن الأرقم وحنظلة بن الربيع كتاباً له. وكان يكتب لعمر بن الخطاب رضي الله عنه زيد بن ثابت وعبد الله بن الأرقم<sup>(3)</sup>.

وبعد ان اتسعت الدولة العربية الإسلامية وتعقدت إدارتها . وظهرت الحاجة إلى وجود الكتاب في الأمصار . فكان الكتاب من أعوان الخليفة ، فعين عمر بن الخطاب رضي الله عنه كاتباً لكل ولاية يكتب في ديوانها. وفي المدينة مركز الدولة كان هناك طائفة من الكتاب<sup>(4)</sup>. وكان من الطبيعي بعد اتساع الدولة العربية الإسلامية بفتوح الشام ومصر العراق وفارس أن يختلط العرب بشعوب متحضرة لها أنظمة وإدارات متفوقة. ولم يكن غريباً أن يستفاد العرب من هذه الأنظمة التي تتعلق بالدواوين. فآخذوا نظام الدواوين من الفرس<sup>(5)</sup>.

ثم عين عثمان بن عفان رضي الله عنه عبد الملك بن مروان كاتباً لديوان المدينة، وأبا جبير الأنصاري كاتباً لديوان الكوفة<sup>(6)</sup>. وكان عبد الله بن الأرقم بن عبد بغوث أحد كتاب النبي صلى الله عليه وسلم يتقلد له بيت المال ، وكان أبو غطفان بن عوف بن سعد بن دينار من بني دهمان من قيس عيلان يكتب له أيضاً، وكان يكتب له أهيب مولاة ، وحرمان بن أبان مولاة<sup>(7)</sup>. ومن أهم كتاب الإمام علي رضي الله عنه سعيد ابن نجران الهمداني وعبد الله بن جبير وكان هذان يأخذان بوصايا الخلفاء في نمط كتاباته<sup>(8)</sup>.

(1) \_ الجهشيري : الوزراء والكتاب ، ص12. الصيحي محمد ابراهيم ، الحكم والادارة عند العرب ، ص 62.

(2) \_ الأعظمي محمد مصطفى، كتاب النبي صلى الله عليه وسلم ، ص9.

(3) \_ الجهشيري : المصدر السابق ، ص15.16.

(4) \_ فهد وآحران : المرجع السابق ، ص 58.

(5) \_ الكروي ابراهيم سلمان ، عبد التواب شرف الدين ، المرجع في الحضارة العربية الاسلامية ، ص60.

(6) \_ فهد وآحران : المرجع السابق ، ص 58.

(7) \_ الجهشيري : المصدر السابق ، ص21.

(8) \_ المصدر نفسه ، ص23.

وما أن انتقلت الخلافة إلى الأمويين فقد ارتقت وظيفة الكتابة وتعددت أغراضها تبعاً لتعدد مصالح الدولة<sup>(1)</sup>. فقد كان يكتب لمعاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه على ديوان الرسائل عبيد الله بن أوس الغساني. وعلى ديوان الخراج سرجون بن منصور الرومي. وعلى ديوان الجند عمرو بن سعيد ابن العاص. وكان معاوية أول من اتخذ ديوان الخاتم<sup>(2)</sup>. ونلاحظ في هذه الفترة بالذات ، جهود الدولة الأموية لمراحل كبيرة من الفتوحات. الأمر الذي أدى إلى استقطاب الكفاءات العلمية والمهارات الأدبية والكتابية من سكان البلاد المفتوحة ، وتوظيف تلك الجهود في خدمة الصالح العام.

واشتهر من كتاب الأمويين صالح بن عبد الرحمن الذي كان عالماً فصيحاً ، ويعتبر أول من نقل الديوان من الفارسية إلى العربية. وتخرج على يده نخبة أهل العراق في كتابة الديوان. ولاء سليمان ابن عبد الملك خراج العراق<sup>(3)</sup>. ويضاف إليه سليمان بن سعد الخشن الذي كان عالماً بالعربية هو هو الآخر . كتب لعبد الملك والوليد وسليمان وعمر بن عبد العزيز<sup>(4)</sup>.

ومن أشهر كتاب الأمويين الذي كتبوا للخليفة عبد الملك بن مروان قبيصة بن ذؤيب الخزاعي، حيث كان خاصاً به ، وكان يقرأ الكتب الواردة على عبد الملك قبل أن يقرأها الخيفة نفسه. كما كتب له على ديوان الرسائل أبو الزعيزعة ، و روح بن زنباع الخدامي<sup>(5)</sup>. وكتب لعبد الملك بن مروان أيضاً صالح بن عبد الرحمن الكاتب التميمي، بالولاء (... - نحو 103 هـ = ... - نحو 722 م) أصله من سجستان ، أول من حول كتابة دواوين الخراج من الفارسية إلى العربية، في العراق، سنة 78 هـ . ووضع اصطلاحات للكتاب والحساب استغنوا بها عن المصطلحات الفارسية<sup>(6)</sup>.

وكتب لأخر الخلفاء الأمويين مروان بن محمد ، أشهر الكتاب في التاريخ الإسلامي عامة ، وهو عبد الحميد بن يحيى مولى العلاء بن وهب العامري (... - 132 هـ / ... - 750 م) يضرب به المثل في البلاغة ، حتى قيل فتحت الرسائل بعبد الحميد وختمت بابن العميد<sup>(7)</sup>.

(1) \_ فهد وآخرون ، المصدر السابق ، ص 59.

(2) \_ الجهشياري : الوزراء والكتاب ، ص 21.

(3) \_ الذهبي: تاريخ الاسلام ، ج 7، ص 110.

(4) \_ تاريخ خليفة، ص 199. الذهبي: تاريخ الاسلام ، ج 7، ص 98.

(5) \_ الجهشياري : المصدر السابق ، ص 35.34.

(6) \_ المصدر نفسه ، ص 38. الصولي: أدب الكتاب ، ص 192.

(7) \_ المصدر نفسه ، ص 72. ابن خلكان : وفيات ج 3، ص 228.

الباب الأول: بطانة الخلفاء العباسيين: التصنيف و المصنف (132-334هـ/749-946م)

الفصل الثالث:.....كتاب الخلفاء العباسيين : مصنفهم و وظائفهم.

وبلغت شهرة الكاتب عبد الحميد الآفاق ، خاصة لا تقفان للكتابة من جهة ، ومن جهة أخرى لما كتبه من رسالة موجهة إلى الكتاب.

2/تطور الكتابة ومهام الكتاب في العصرين العباسيين الأول والثاني(132-

334هـ/749-946م):

1/تقريب الخلفاء للكتاب:

يعتبر العصر العباسي ذروة ازدهار صناعة الكتابة ، وشهرة الكتاب وتعدددهم، وتنوع اختصاصاتهم. مما مكن لهم من القدر والحظوة عند الخلفاء. فقبوهم واختصوا منهم مربين لأولادهم، واصطفوا منهم وزراء وظفوا لخلافة ككل.

ويسبب اتساع جغرافية الخلافة العباسية، كثرت الإدارات المحلية ، وتعدد القائمون عليها. لذا اقتضت الضرورة أن يتخذ الخليفة ديوان الرسائل ، الذي يعد بمثابة الكتابة العامة للدولة. والقائم عليه له منزلة كبيرة عند الخليفة<sup>(1)</sup>. و يعلم عن الخليفة ما لا يعلمه غيره ، ويشير عليه برأيه في مختلف شؤونه. وهو أخص بطانته به.

ويذكر الصابي أن الخلفاء العباسيين كانوا يستشيرون كتابهم في كثير من الأحيان ولا يحتجبون عنهم. بل ويسمحون لهم بالحضور إلى مجالسهم متى يشاؤون<sup>(2)</sup>. فكان للكتاب عند الخلفاء مكانة مهمة. لأنهم أصحاب أشرف صناعة ، بهم ينتظم الملك ، وتستقيم للملوك أمورهم ، ويتديبرهم وسياستهم يصلح سلطانهم ، وتعمر البلاد<sup>(3)</sup>. فهم «ألسنة الملوك الناطقة، وأذانهم الواعية ، تسعد بنصائحهم الملوك والرعية. وتهلك بهلكتهم»<sup>(4)</sup>.

ب/ صفات الكتاب وشروط اختيارهم وتوليتهم :

تستوجب صناعة الكتابة أن يتوافر في الكتاب عدة شروط شخصية وفنية. وفي العصر العباسي ظهرت فئة من الكتاب على قدر كبير من الكفاءة العالية والخبرة الطويلة ، والتمتع بالذكاء والفطنة

(1)- حسين و عبد السلام : كتاب الرسائل ، ص 113.

(2)- الوزراء، ص 9 .

(3)- قدامة بن جعفر: الدواوين من كتاب الخراج و صناعة الكتابة ، ص 03.

(4)- ابن قتيبة: عيون الأخبار ، ج1، ص47. الجهشباري: الوزراء والكتاب، ص04.

والمقدرة الكتابية والبلاغية في تحرير الرسائل وبيانها. ومنها ما يتعلق بالجانب الخلقى من الثقة و الأمانة والوفاء لنهج الخليفة ، وغيرها من الصفات التي جعلتهم يتبوأون هذا المنصب ويستمرون فيه.

من الصفات النظرية التي يشترطها المؤرخون للكتابة والكتاب ما يتعلق بالكفاءة في الصنعة والنزاهة في اليد ، والحنكة في التجربة، والعقل والحزم في معالجة الأمور على نحو الصواب. كما أورد ذلك الصابي في الموصفات التي وجب أن يتحقق بها الكاتب. (1) وقال إبراهيم ابن محمد الشيباني في صفة الكاتب: أن يكون الكاتب نقي الملبس والمجلس ، دقيق الذهن ، ورفيق اللسان، ومستودع السر. يلزم نفسه حسن الخط والبيان (2).

وقد أسهب العلماء في ذكر الأمور التي يجب أن تتوافر في الكاتب، فصنفت رسالة عبد الحميد الكاتب في باب ثقافة الكتاب، ومن بعده جاء القلقشندي كتب منظومة متكاملة أكثر شمولية واستيعابا. سماها «صبح الأعشى في صناعة الإنشا»

ويفترض فيمن يتولى ديوان الرسائل - مثلا - أن يكون متصرفا في جميع فنون المكاتبات، مكملا للمعاني، مستوفيا للغاية من الرسالة. ويجمع إلى ذلك رصانة الأسلوب، وجزالة الألفاظ (3). و كانت تستدعي مكانة الكاتب أن يكون أهلا للثقة. ومؤهلات الثقة يشرحها لنا واحد من أشهر الكتاب وهو عبد الحميد بن يحيى الشهير بالكاتب، وذلك في رسالته إلى الكتاب. مأمونا على الأسرار ، كاف اليد، نزه النفس عن حطام الدنيا. لأنه يطلع على أكثر ما يجري في الدولة. ويعلم بالوالي قبل توليته، والمصروف قبل صرفه (4).

وقد نبه ابن الأثير إلى أن الكاتب «ينبغي أن يتعلق بكل علم ، بخلاف النحوي أو الفقيه أو المتكلم، ومما يجدر بالكاتب عنده ، أن الالمام بالعربية وعلم اللغة ، وأمثال العرب، وأيامها، والأحكام السلطانية في الإمامة والإمارة والقضاء والحسبة وغير ذلك... لأنه مؤهل لأن يهيم في كل

(1)- الصابي: رسوم ، ص73.

(2)- ابن عبد ربه : العقد الفريد، ج4، ص253. 254.

(3)- السامرائي: المؤسسات العباسية، ص 275-276.

(4)- ابن الصيرفي: القانون في ديوان الرسائل ، ص27.

واد ، فيحتاج أن يتعلق بكل فن»<sup>(1)</sup>.

وقد اشتهر كتاب الخلفاء العباسيين بالكفاءة والمهارة الكتابية والأدبية. والذكاء والحدق في المعاملة ، وتصريف الأمور على أحسن ما يقتضيه الحال. وعرف كثير منهم بحسن تدبير الأمور وسياستها. وتقديم الولاء والخدمات الجليلة في كل مجالات الحياة.

وتميزوا - أيضا - بكسب ود الخلفاء ونيل رضاهم أو يسعون إلى ذلك قدر الإمكان. وكان الخلفاء أنفسهم يظهرهم احترام كتابهم ، والاعتداد برأيهم. وحسن مشورتهم. والثقة بهم. يكرمون نزولهم، ويودعونهم أبناءهم ليربوهم ويعلموهم. وكثير من الكتاب اختصهم الخلفاء ورقوهم إلى منزلة الوزراء، وأخص منها وزارة التفويض.

ومنهم من بلغ في الأمانة وكسب ثقة الخليفة أن ينال خاتم الخليفة ، وتوقيع على الأمور والمهمات دون الرجوع إلى إذن الخليفة. كما حصل ليحيى البرمكي مع الخليفة هارون الرشيد. ومنهم من كان ينال شهرة في الكتابة وحظة لأكثر من خليفة. أي كان اشتغالهم بالكتابة مستمرا، وهذا ما زاد من كفاءتهم ومهارتهم وولائهم. بل اشتهرت أسر بكاملها بصناعة الكتابة، منها أسرة البرامكة وآل سهل وآل وهب.. حيث قدموا خدمات جليلة في مجال الكتابة للخلافة العباسية . ولم يكن للكتاب العباسيين انصراف عن شؤون الحياة، بل كانت لهم مهمات عسكرية مثل المشاركة في قيادة الجيوش وتنظيمها. مثلما فعل محمد بن سليمان كاتب المكتفي على ديوان الجيش. أو المهمات الاقتصادية والإنمائية والإروائية مثلما فعل الكاتبان والوزيران محمد بن عبد الملك الزيات وعلي بن عيسى .

ولا تخلو سير هؤلاء الكتاب من مساوئ مثل الحسد والمنافسة التي تصل إلى حد إضرار الشرور أو اختلاق المؤامرات التي تحصل بين الفينة و الأخرى. سواء بين الكتاب أنفسهم ، أو بينهم وبين الوزراء والحجاب من جهة أخرى. والتي كثيرا ما كانت تنتهي بالسعاية وتلفيق التهم. وقد تصل إلى التخوين والمصادرة أو التعذيب والقتل.

والواقع التاريخي يبين أن أصحاب الأقلام هم الأكثر حنكة وإدارة وأدبا وتقربا إلى الخلفاء. مما جعل منصب الوزارة في أكثر الأحيان محصورة فيهم، وفي بعض أسر معروفة من الكتاب

(1)- المثل السائر، ص 38.

المشهورين، من أصحاب النفوذ والمقدرة الكتابية والإدارية. كأسرة آل وهب ، وأسرة بني الجراح. إلى جانب غيرهم من الكتاب الآخرين ، الذين يولون الوزارة أو الكتابة بالوراثة أحيانا<sup>(1)</sup>. لذلك فإن الخلفاء العباسيين كانوا يختارون كتابهم من رجال الأدب ومن أعرق الأسر ممن عرفوا بسعة العلم ، ورسالة الأسلوب. لحرصهم على أن تدون الرسائل بأسلوب شائق بليغ ويذكر ابن خلدون :«اعلم إن صاحب هذه الخطة لابد أن يتخيروا من أرفع طبقات الناس وأهل المروءة والحشمة منهم. وزيادة العلم فإنه معرض للنظر في أصول العلم ، ما يعرض في مجال الملوك وأحكامهم ، من أمثل ما تدعو إليه عشرة الملوك من القيام على الآداب والتخلق بالفضائل ، مما يضطر إليه في الترسيب وتطبيق مقاصد الكلام من البلاغة أسرارها.»<sup>(2)</sup>

### ج/ حقوق الكتاب وأرزاقهم :

كانت أعطيات الكتاب وأرزاقهم من موارد الدولة ، تعطى حسب الاستحقاق والمكانة. وأحيانا يتم تمييز كاتب ديوان الرسائل المحنك ، من غيره ، ككاتب فذ. ويجزل له العطاء تكريما له، ويؤكد ذلك ما قام به الخليفة المتوكل ، حينما اختط مواضع قصوره ومنازله، فأقطع ولاية عهوده وسائر أولاده وقواده وكتابه<sup>(3)</sup>.

وكانت الخلافة العباسية تدفع لكتابها أو ممن يتولى الكتابة ، رواتب مقررة في كل شهر فقد دفع أبو جعفر المنصور ثلاثمائة درهم. وهو يعد راتباً محترماً جداً لوظيفة الكاتب. وكان أبو جعفر المنصور يهتم بكتابه حتى في دقائق ما يكتبون فيقول لكتابه:« أكتب وقارب بين الحروف وخرج بين السطور خطك»<sup>(4)</sup>.

ومن باب الاهتمام بهم ومراعاة أحوالهم ، فقد جعل الخليفة المهدي يوم الخميس للكتاب يستريحون فيه ، وينظرون في أمورهم ولا يحضرون الدواوين . ويوم الجمعة للصلاة والعبادة ، فلم يزل الأمر جارياً على هذا ، إلى أن كتب الفضل بن مروان للمعتصم فأزال ذلك الرسم وأخذ الكتاب

(1)- حسين وعبد السلام : كتاب ديوان الرسائل،ص109

(2)- زين العابدين وآخرا: الكتابة الرسمية في صدر الإسلام، ص 220-221.

(3)- حسين وعبد السلام : كتاب ديوان الرسائل، ص 118 .

(4)- الجهشيارى: الوزراء، ص 126.121. تاريخ الطبري ج8،ص95.

بالحضور يوم الخميس<sup>(1)</sup>.

وكذلك اهتم الرشيد اهتماما كبيرا بالكتاب، كلا على قدر مراتبهم، وكانت عطايه غزيرة من الأموال والهدايا والظريف من المتاع والمسك والجواهر وآنية الذهب والفضة والسلاح والدواب<sup>(2)</sup>. وكان إكرام الرشيد للكتاب، تثمينا لابداعهم والتفنن بكتابة الرسائل وبلاغتهم وايجازهم. وحذا المأمون حذو أبيه، في وصل الكتاب والاهتمام بهم. فقد أمر لعمر بن مسعدة برزق ثمانية أشهر، وذلك لبلاغته في الكتابة وإدماجه المسألة في الأخبار، ضمن إحدى رسائله البليغة، وكان يطلب فيها من الخليفة تسديد أعطيات الجند لسبعة أشهر<sup>(3)</sup>.

و في أيام الخليفة المأمون، فقد قام وزيره الفضل بن سهل، بزيادة في أرزاق الكتاب، إذ كانت تلك أول توسعة في الأرزاق<sup>(4)</sup>. وبالرغم من قوة شخصية الرهط الأول من الخلفاء العباسيين. إلا أننا لا نعدم وجود الخصومات بين الكتاب، وكيد بعضهم لبعضهم الآخر، كما حدث ما بين الربيع بن يونس وبين أبي عبيد الله معاوية.

وباستقصاء تاريخ الكتاب، نجد أنهم لم يكونوا كلهم على وتيرة واحدة من المؤهلات العلمية والأدبية. رغم أن هذه المنزلة لم يبلغها إلا مشاهير الكتاب.

## د- تخصصات الكتاب الإدارية في العصرين العباسيين الأول والثاني.

أ- دواوين سابقة:

\*كتاب ديوان الرسائل:

وهو الدائرة الرسمية التي تشرف على مراسلات الخليفة في أول الأمر مع الولايات والأمصار. وفي بعض الأحيان مع الدول الأخرى التي تفاوض في بعض الشؤون السياسية والاقتصادية<sup>(5)</sup>.

(1)- الكروي وشرف الدين: المرجع السابق، ص 63.

(2)- حسين، عبد السلام: كتاب ديوان الرسائل، ص 117.

(3)- تاريخ بغداد، ج12، ص203.

(4)- الجهشيارى: المصدر السابق، ص112. القلقشندي: صبح الأعشى، ج1، ص421، ج14، ص292. ابن خلكان: وفيات، ج4، ص27-29. الصفدي: الوافي، ج24، ص50-51. الذهبي: تاريخ، ج12، ص99.

(5)- الدوري: النظم، ص170. صبحي الصالح: النظم، ص214.

ولكتاب ديوان الرسائل أهمية ومكانة المرموقة تتيح أن يكون لهم دور فاعل ومشاركة سياسية من خلال علاقتهم وقربهم من الخلفاء ومشاورتهم لهم في بعض الأمور المهمة. حتى وصل الحال أن لا يستطيع أحد منعهم من الدخول إلى الخلفاء متى يريدون وفي أي وقت يشاؤون.

مما يبين أن كتاب الدواوين يمثلون نخبة الفكر الثقافي والسياسي للخلافة العباسية. لأنهم كانوا معاونين ومشاورين لهم أحيانا في بعض الأمور التي تخدم الصالح العام. مما يعبر عن الثقة بينهم وبين الخلفاء<sup>(1)</sup>.

فهم لسان الحال والمقال الذي يعبر عن سياسة الخلافة من خلال رسائلهم وعهودهم وتوقيعاتهم. الأمر الذي جعل الخليفة يحرص على توفير مهابتهم و ضمان حريتهم في عملهم لأنهم موضع ثقته وأسراره. وأصبح الكاتب هو الذي يحرر الرسائل الرسمية داخليا وخارجيا.

ومن الكتاب الذين تقلدوا هذا المنصب أيضا في عهد الخليفين المهدي و الهادي نجد الكاتب عمر بن بزيع. ثم الكاتب اسماعيل بن صبيح على عهد الخليفة هارون الرشيد. وهناك كتاب آخرون مختصون بمكاتبات موظفي الدولة وعمالها. وبعضهم يختص بمكاتبات كبار رجال الدولة ، وبعضها بحفظ أصول المكاتبات التي ترد للديوان في شكل سجلات للتقاليد والمناسير<sup>(2)</sup>.

وللتعرف أكثر على واجبات كاتب ديوان الرسائل ، فهي صياغة الرسائل السياسية المهمة والأوامر الإدارية. وإعدادها وتحريها بأسلوبه الخاص. نيابة عن الخليفة. كالرد على الرسائل الواردة إلى مركز الخلافة من الأقاليم المنضوية تحت حكم الخلافة العباسية. فضلا عن ذلك المكاتبات الرسمية التي تحدد علاقات الدولة العباسية مع الشعوب المجاورة.

وكان للكاتب أعمال إضافية أخرى ، كقراءة الرسائل الواردة إلى مركز الخلافة ، وكتابة الأجوبة وتسجيل وصول الرسائل ، وتاريخ الإجابة عنها. كما يهتم كاتب الديوان بالإشراف على المناسير والمكاتبات<sup>(3)</sup>.

ويفترض فيمن يتولى هذا الديوان أن يكون متصرفا في جميع فنون المكاتبات، مكملا

(1)- محمد وعبد السلام : كتاب ديوان الرسائل،ص108.

(2)- صبحي الصالح: النظم،ص59. 304. حسن إبراهيم حسن وعلي ابراهيم حسن: النظم،ص141.

(3)- محمد وعبد السلام : كتاب ديوان الرسائل ، ص 114.

للمعاني، مستوفيا للغاية من الرسالة. ويجمع إلى ذلك رصانة الأسلوب، وجزالة الألفاظ<sup>(1)</sup>.

\* كتاب ديوان الخراج:

وهو الذي يتولى تنظيم أمور الخراج والنظر في مشكلاتها<sup>(2)</sup>.

\* كتاب ديوان الصدقات :

اسمه مأخوذ من الصدقات. وهي الزكوات<sup>(3)</sup>.

\* كتاب ديوان الجند:

يراد به إحصاء أسماء الجند وتحديد عطاياهم ورواتبهم<sup>(4)</sup>.

\* كتاب ديوان الطراز:

ويعتني بالمعامل التي كانت تنتج الأزياء الرسمية والأعلام في الحرب ، والشارات والشعارات في جميع الأحوال.<sup>(5)</sup>

\* كتاب ديوان البريد:

لتنظيم الاتصالات وضروب النقل وآلات النقل ، بين العاصمة وأجزاء الخلافة، ولنقل الأخبار الدينية والسياسية والادارية من ولاية إلى أخرى<sup>(6)</sup>.

لذلك كان صاحب البريد من أهم الموظفين عند المنصور. فلم يكن يوليه إلا المقربين من مواليه أو ممن يثق بهم. والواقع أن مهمة رجال البريد لم تكن مجرد التجسس وإبلاغ الأخبار إنما كانوا يستطلعون أسعار السلع ويوفون الخليفة بها. وعن طريق هذا الديوان عرف العباسيون أسرار الخارجين على سلطانهم . نظرا لكثرة الموظفين في الولايات ، الذين يخضعون جميعا لصاحب البريد المركزي في بغداد<sup>(7)</sup>.

(1) \_ السامرائي: المؤسسات العباسية، ص 275-276.

(2) \_ الدوري: النظم، ص169. صبحي: النظم، ص314. شليبي: النظم، ص216.

(3) \_ فاروق عمر: النظم ، ص 217. صبحي الصالح: المرجع السابق، ص314.

(4) \_ الدوري: المرجع السابق، ص169. صبحي: النظم، ص315. شليبي: المرجع السابق ، ص216.

(5) \_ الدوري: المرجع السابق، ص171. حسن إبراهيم حسن وعلي إبراهيم حسن: النظم ، ص173.

(6) \_ الدوري: المرجع السابق، ص171. صبحي: المرجع السابق ، ص 315. فاروق عمر: المرجع السابق ، ص330.

(7) \_ حسن أحمد محمود و أحمد إبراهيم الشريف : العالم الإسلامي في العصر العباسي، ص120.

\* كتاب ديوان الخاتم: وهو الذي أنشأه معاوية بن أبي سفيان . رضي الله عنه لينسخ له كتابه أوامره وبلاغاته، ويودع هذا الديوان مكانا أميناً بعد حزمه بخيط وختمه بالشمع الأحمر بخاتم صاحب الديوان . ويمكن أن يقارن بما يعرف اليوم بالأرشيف والسجلات. وبلغ من أهمية الخاتم أنه يستند إلى مرتبة في سلم الإدارة وهو كاتب التدبير(أي الوزير) . حيث كان إذا تناول الخاتم وقف تعظيماً للخلافة واجلالاً لاسم الخليفة<sup>(1)</sup> .

ب - دواوين مستحدثة:

\* كتاب ديوان المصادرات:

وهو من أبرز ما أحدث في زمن أبي العباس السفاح ، وأنشئ في الأساس للاهتمام بإدارة الأملاك والضياع المصادرة لبني أمية. وجعل عليه أبا العباس عمارة بن حمزة .<sup>(2)</sup> واستمر إلى عهد الخليفة المنصور، وخصه لحفظ أسماء من صودرت أموالهم، وهذا يعطينا مؤشراً واضحاً على حجم المصادرات في زمن المنصور<sup>(3)</sup> . وهذا من الدواوين المؤقتة ، إذ أن المهدي أعاد الأموال المصادرة إلى أهلها طبقاً لوصية أبيه، وانتهى الديوان بتحقيق الغاية من استحداثه. وقد ورد في الوصية قوله: « فإذا أنا مت فادع هؤلاء الذين أخذت منهم هذه الأموال التي سميتها المظالم. فاردد عليهم كل ما أخذ منهم. فإنك ستحمد إليهم وإلى العامة»<sup>(4)</sup> .

\* كتاب ديوان الأزمة(التفتيش):

أحدثها المهدي سنة 162هـ/779م ، وهي عبارة عن دواوين أو دوائر صغيرة ، مهمتها الاشراف على التدقيق في الحسابات المالية التي كان يقوم بها كل واحد من الدواوين الكبيرة. لذلك فهو قسمان : الأصل والزام ، أي الإدارة والمال. فجعل لكل ديوان زمام ورجل يضبطه. وقلده عمر بن بزيع ، ثم سار المهدي خطوة أخرى سنة 168هـ/784م في الاتجاه المركزي وذلك

(1)- حسن ابراهيم حسن وعلي ابراهيم حسن: النظم، ص172. الدوري: النظم، ص169. شليبي: النظم، ص222.

(2)- الجهشياري: الوزراء، ص90.

(3)- تاريخ الطبري، ج8، ص81.

(4)- صبحي الصالح: النظم، ص316. رحيم الهاشمي وعواطف شنقارو: المرجع السابق، ص46.

يحدث ديوان يشرف على دواوين الأئمة وينظم أعمالها ، وهو ديوان زمام الأئمة. قلده علي بن يقطين. (1) فأصبح بمثابة جهاز الرقابة المالية العامة. وصاحب هذا الزمام بمثابة وزير المالية (2).

#### \* كاتب ديوان المظالم:

أنشئ أساسا للنظر في شكاوى الرعية من الولاة ، و حمايتهم من تعدياتهم في الجباية، وسائر المظالم التي لم يطالب أصحابها بأحكام القضاء (3).

وكان من مهام صاحب ديوان المظالم الاشراف على سير العمل في الديوان، وتنظيمه ، وتوزيع الأعمال بين من ينسب إليه من الكتاب. (4) وينظر ديوان المظالم في قضايا تعدي الولاة على الرعية، وجور العمال فيما يجبونه من الأموال. وغيرها من القضايا (5).

\* كاتب ديوان الصوافي: يعتني بالأراضي التي يملكها الخليفة استصفاها لنفسه. واستحدث هذا الديوان في عهد الرشيد. وقد أفرد هذا الديوان لاستثمارها و إدارتها من تأجير واستئجار أو شراء وبيع (6).

\* كاتب ديوان السر: يعمل كفرع تابع لديوان الرسائل. وقد أنشئ في عهد الخليفة هارون الرشيد.

\* كاتب ديوان التوقيع: يعمل أيضا كفرع عن ديوان الرسائل. وقد أنشئ في عهد الخليفة الأمين واستمر في عهد المأمون (7).

\* كاتب ديوان الجهبذة: ويظهر أنه كان شعبة من بيت المال ، مهمته تدقيق حسابات بيت المال. وتدقيق نوعية موارده. أنشئ هذا الديوان في زمن الخليفة المأمون (8).

(1)- الجهشيارى: الوزراء، ص146. 166. 167. حسن ابراهيم حسن وعلي ابراهيم حسن: النظم، ص177. الدوري: النظم، ص173هـ.

(2)- صبحي الصالح: النظم، ص317. رحيم الهاشمي وعواطف شنقارو: الحضارة العربية الاسلامية، ص46.

(3)- تاريخ الطبري، ج8، ص172. ابن الطقطقي: الفخري، ص183.

(4)- السامرائي: المؤسسات العباسية، ص265.

(5)- أبو يعلى الفراء: الأحكام السلطانية، ص76.

(6)- صبحي : النظم، ص317. الدوري: النظم، ص174. فاروق عمر : النظم، ص219.

(7)- الإربلي: خلاصة الذهب، ص174.

(8)- عبد العزيز الدوري: النظم، ص174. رحيم الهاشمي وعواطف شنقارو: المرجع السابق، ص46.

الباب الأول: بطانة الخلفاء العباسيين: التصنيف و المصاهير (132-334هـ/749-946م)

الفصل الثالث:.....كتاب الخلفاء العباسيين : مهامهم و وظائفهم.

\* كتاب ديوان الموالي والغلمان : ومهمته تسجيل موالي الخليفة وعبيده. والاستكثار منهم وشروط انتقائهم وشرائهم. على عهد الخليفة المعتصم<sup>(1)</sup>.

\* كتاب ديوان الدار: تنظيماً لديوان الخراج. وقد ظهر هذا الديوان خلال فترة خلافة المعتضد، وتجديداً عند تولي الوزير أحمد بن الفرات،<sup>(2)</sup>.

ويدل تنوع الكتاب وتخصصاتهم على مدى تقدم صناعة الكتابة في ذلك الوقت. حيث أصبح لكل مجال من مجالات الإدارة ديواناً ينظم شؤون الرعية، ويسهل قضاء حاجاتهم ، مما يسر معيشتهم. ويدل أيضاً على اهتمام الدولة الإسلامية منذ نشوئها وتطورها بتطوير المنظومة الإدارية وتسخيرها في نفع الناس .

2/ كتاب خلفاء العصرين العباسيين الأول والثاني (132-334هـ/749-946م)

946م): المهام والوظائف

أولاً : كتاب خلفاء العصر العباسي الأول(132.232هـ/ 749-847م) المهام

والوظائف:

1- كتاب الخليفة أبي العباس السفاح:

1/ خالد بن يحيى البرمكي<sup>(3)</sup> (90 - 163 هـ / 709 - 780 م):

ففي عهد أبي العباس السفاح ، حدث تنظيم للسجلات بأن جعلت في دفاتر بدل من أن تكون في صحف متفرقة، وذلك لحفظها من الضياع. وقام بذلك خالد بن يحيى البرمكي. فنال خالد رضا السفاح فقلده ديوان الخراج وديوان الجند. توفي أبو العباس وهو وزيره<sup>(4)</sup>.

(1)- المرجع نفسه، ص 174. المرجع نفسه، ص 46.

(2)- السامرائي: المؤسسات، ص 199.

(3)- لقد غلب على خالد العمل بالوزارة أكثر من الكتابة ، وقد سبق الحديث عن أعماله في الوزارة، باعتباره من أوائل الوزراء المعتمدين خلفاء بني العباس الأوائل. لذا ينظر إلى موقعه ضمن الوزراء في هذا البحث تحت رقم (08)

(4)- الجهشياري: الوزراء ، ص 89. الصفدي: الوافي، ج 13، ص 148. وانظر ترجمته في الذهبي: سير، ج 7، ص 228. ابن خلدون: العبر، ج 3، ص 200.

2/ أسد بن عبد الله بن مالك الخراعي: على ديوان الحرس والخاتم<sup>(1)</sup>.

ب- كتاب الخليفة المنصور :

3/ أبو أيوب المورياني (... - 154 هـ /... - 771 م):

قلده الخليفة المنصور ديوان الرسائل مع الوزارة. وغلب عليه غلبة شديدة. وإن غالبية الروايات التاريخية غير المباشرة لا تعترف بوزارته بل تسميه كاتباً، على أن هناك روايات منفردة تسميه وزيراً. ويبدو على أغلب الظن أن المورياني كان يسمى وزيراً من قبل الموظفين الذين دونه. وكذلك من قبل الناس دون أن يكون لقب الوزير قد منح له من قبل المنصور بصورة رسمية<sup>(2)</sup>.

حيث يشير الجهشيارى بأن الخليفة المنصور حرص على ألا يكرر تجربته مع المورياني. ولذلك لم يعط أحداً سلطات واسعة أو صلاحيات كبيرة في أمور الدولة ، مؤكداً : « أن المنصور قلده الخاتم الفضل بن سليمان الطوسي ، وقلده كتابة الرسائل والسر أبان بن صدقة ، وقلده ضياعه صاعداً مولاه.. وقلده ديوان الخراج ونواحيها عمارة بن حمزة وقلده ديوان الخراج الكوفة وأرضها عمرو ابن كيلغ... وقلده الربيع مولاه نفقاته والعرض عليه.»<sup>(3)</sup> وكل هذه المسؤوليات كانت بيد المورياني.

4/ يزيد بن الفيض: على ديوان الخراج<sup>(4)</sup>.

5/ سليمان بن مجالد: على الخزائن<sup>(5)</sup>.

6/ أبو منصور: على ديوان الخاتم<sup>(6)</sup>.

7/ أبان بن صدقة : على بيت الأموال حتى مات أبو جعفر<sup>(7)</sup>.

8/ عثمان بن نهيك: على الحرس والخاتم فمات فولى عيسى بن نهيك فمات فولى أبا العباس

(1)- تاريخ خليفة ، ص 272.

(2)- المصدر نفسه ، ص 287. الجهشيارى:الوزراء،ص97. وانظر ترجمته في ابن الطقطقي: الفخري 151-152. الذهبي:

تاريخ الاسلام، ج8، ص401. ابن خلكان : وفيات الأعيان، ج2، ص195. ومهما يكن فقد تقلد المورياني لكفاءته الوزارة

والكتابة في الوقت نفسه. ينظر محل الحديث عنه ضمن أول وزراء الخلافة العباسية. من هذا البحث تحت رقم (02)

(3)- الجهشيارى: الوزراء ، ص 124. 125.

(4)- تاريخ خليفة ، ص 287.

(5)- المصدر نفسه.

(6)- المصدر نفسه.

(7)- المصدر نفسه.

الطوسي<sup>(1)</sup>.

9/ إسحاق بن صالح بن مجالد: على زمام الجند<sup>(2)</sup>.

10/ الربيع بن يونس: تولى النفقات والعرض عليه<sup>(3)</sup>.

11/ عبد الملك بن حميد : على رسائل الفتوح<sup>(4)</sup>.

12/ ابن أبي عطية الباهلي<sup>(5)</sup>.

13/ عبد الحميد بن عدي<sup>(6)</sup>.

### ت- كتاب الخليفة المهدي:

14/ نصر بن مالك: على الشرط ، ثم مات. فولى المهدي حمزة بن مالك<sup>(7)</sup>.

15/ عمر بن مطرف: تقلد للمهدي ديوان الخراج<sup>(8)</sup>.

16/ محرز أبو القاسم: على ديوان الحرس<sup>(9)</sup>.

17/ ثابت بن موسى : تولى ديوان الخراج للخليفة المهدي سنة 163هـ/780م<sup>(10)</sup>.

18/ أيوب بن أبي سمير : على ديوان النفقات وبيوت الأموال والخزائن<sup>(11)</sup>.

19/ أبو عبيد الله معاوية بن عبيد الله بن يسار(100 - 170 هـ / 718 - 786 م): على ديوان (الإنشاء) الرسائل. فكان أبو عبيد الله يكتب للمهدي قبل الخلافة وأمره كله إليه. رسمه المنصور بذلك. وكان المهدي يعظمه يباليغ في إجلاله واحترامه ، ويعتمد ولا يخالفه في شيء يشير به عليه. على

(1)- تاريخ خليفة ، ص 287.

(2)- المصدر نفسه.

(3)- الجهشيارى: الوزراء ، ص 124.125. وقد غلب على ذكره ضمن الحجاب المشهورين رغم اشتغاله بالوزارة أيضا.

(4)- تاريخ خليفة ، ص 287.

(5)-المصدر نفسه، ص 342.

(6)-المصدر نفسه، ص 342.

(7)-المصدر نفسه ، ص 292.

(8)- الجهشيارى: المصدر السابق، ص 166. ابن النديم: الفهرست ، ص 141.

(9)- تاريخ خليفة ، ص 292

(10)- ابن كثير: البداية، ج 13، ص 479. ابن خلدون: العبر، ج 3، ص 266. ابن تغري: النجوم، ج 2، ص 45.

(11)- تاريخ خليفة ، ص 292.

رأيه وتدبيره وحسن سياسته<sup>(1)</sup>.

20/ عمر بن بزيع : على ديوان زمام الأمانة<sup>(2)</sup>.

21/ علي بن يقطين: تولاه سنة 168هـ/784م قلده<sup>(3)</sup>.

22/ ابن ثوبان: على ديوان المظالم<sup>(4)</sup>.

23/ خالد بن يزيد بن عبد الله بن موهب الهمداني: على ديوان الخاتم<sup>(5)</sup>.

تولى ديوان المظالم بعد ابن ثوبان<sup>(6)</sup>.

ث- كتاب الخليفة موسى الهادي:

25/ محمد بن جميل : على خراج العراقيين.<sup>(7)</sup>

26/ إبراهيم بن ذكوان الحراني: على ديوان الأمانة أيضا<sup>(8)</sup>.

27/ عبید الله بن زياد بن أبي ليلي :<sup>(9)</sup>.

\* عمر بن بزيع: على ديوان الرسائل<sup>(10)</sup>.

\* علي بن يقطين: على ديوان الخاتم<sup>(11)</sup>.

28/ علي بن عيسى بن ماهان: على ديوان الخزان والأموال الحرس<sup>(12)</sup>.

(1)- تاريخ البغدادي، ج15، ص259. الذهبي: سير، ج7، ص398. وقد تحدثنا عن أعماله الوزارية في الفصل الأول تحت رقم

(04) وعن أعماله ومقترحاته الاقتصادية في الفصل السابع .

(2)- الجهشيارى: الوزراء، ص166.

(3)- المصدر نفسه، ص 146.166.

(4)- تاريخ الطبري، ج8، ص74.

(5)- تاريخ خليفة، ص 292.

(6)- تاريخ الطبري، ج8، ص173. وكيع : أخبار ، ج3، ص155.

(7)- المصدر نفسه ، ج8، ص189.

(8)- الجهشيارى: الوزراء، ص 167. المسعودي: التنبيه، ص344.

(9)- المسعودي: التنبيه، ص344.

(10)- تاريخ خليفة، ص 295.

(11)- المصدر نفسه، ص 292.

(12)- المصدر نفسه، ص 295.

\* الربيع بن يونس: على دواوين الأئمة ، فلم يزل عليها إلى أن توفي سنة 169هـ/785م<sup>(1)</sup>.

ج- كتاب الخليفة هارون الرشيد:

29/ اسماعيل بن صبيح : من أهل حران، تولى ديوان الخراج بالسواد والرسائل وديوان الصوفاي وديوان الضياع للخليفة هارون الرشيد<sup>(2)</sup>.

30/ أبو هاني المروزي: تولى ديوان الخراج للخليفة هارون الرشيد سنة 179هـ<sup>(3)</sup>.

31/ جعفر بن محمد بن الأشعث: على ديوان الخاتم<sup>(4)</sup>.

32/ حمزة بن مالك: على ديوان الخاتم بعد جعفر<sup>(5)</sup>.

33/ يحيى بن خالد بن برمك: على ديوان الخاتم بعد حمزة<sup>(6)</sup>.

34/ الفضل بن الربيع: على ديوان النفقات وتدير الأمور<sup>(7)</sup>.

35/ جعفر بن يحيى (150 - 187 هـ / 767 - 803 م): على ديوان الخاتم بعد يحيى،

ثم رده إلى يحيى بن خالد ، ثم صار بيد أمير المؤمنين هارون الرشيد<sup>(8)</sup>. ثم جعله على ديوان الخراج ، لبلاغته وعلمه وفطنته. وولي هو وأبوه وإخوته الأعمال الجليلة ، وكثرت أموالهم. وكان الرشيد يأنس به لسهولة أخلاق جعفر<sup>(9)</sup>.

36/ أبو صالح بن عبد الرحمن: تولى ديوان الخراج للخليفة هارون الرشيد بعد نكبة

(1)- المصدر نفسه ، ص 295.

(2)- الجهشيارى: الوزراء، ص 277.

(3)- تاريخ خليفة ، ص 308.

(4)- المصدر نفسه، ص 308.

(5)- تاريخ خليفة ، ص 308.

(6)- المصدر نفسه

(7)- الجهشيارى: الوزراء، ص 256.

(8)- تاريخ خليفة ، ص 308.

(9)- ابن الطقطقي : الفخري ، ص 205. الذهبي: تاريخ الإسلام ج 12، ص 99. راجع ترجمته في تاريخ بغداد ج 8، ص 30. الصفدي:

ج 8، ص 30. الصفدي: الوافي، ج 11، ص 120. ابن خلكان: وفيات، ج 1، ص 328. سبق الحديث عنه ضمن وزراء الخليفة

الرشيد تحت رقم (11)

الباب الأول: بطانة الخلفاء العباسيين: التصنيف و المصنف (132-334هـ/749-946م)

الفصل الثالث:.....كتاب الخلفاء العباسيين : مصنفهم و وظائفهم.

البرامكة<sup>(1)</sup>.

37/ عبد الله بن عمر: قلد الرشيد ديوان الخراج<sup>(2)</sup>.

38/ سليمان بن راشد: قلد الرشيد بعد ابن عمر<sup>(3)</sup>.

39/ ابن الشخير الهذلي: على ديوان الجند<sup>(4)</sup>.

40/ سليمان بن عمران: على ديوان خراج السواد<sup>(5)</sup>.

ح- كتاب الخليفة الأمين :

41/ أحمد بن سلام: تولى ديوان المظالم ، واستمر على رئاسته إلى أيام المأمون.<sup>(6)</sup>

42/ بكير بن المعتمر: على ديوان الخاتم<sup>(7)</sup>.

خ- كتاب الخليفة المأمون:

43/ عمرو بن مسعدة: (... - 217 هـ / ... - 832 م)

عمرو بن مسعدة بن سعد بن صول ، أبو الفضل الصولي: وأحد الكتاب البلغاء. كان يوقع بين يدي جعفر بن يحيى البرمكي في أيام الرشيد ، واتصل بالمأمون ، فرجع مكانته لبيانه وإيجازه. وجعله على الإنشاء والرسائل<sup>(8)</sup>.

44/ إبراهيم الحاسب : استكتبه الخليفة المأمون على ديواني الخراج والجند. تبحر إبراهيم في العلوم والحساب ، وكانت به خصلة أوضعته وأذلته، وهي شراة، وهي خصلة عامة في كتاب الجند على الخصوص<sup>(9)</sup>.

(1)- الجهشياري: الوزراء، ص256.

(2)- المصدر نفسه، ص272.

(3)- المصدر نفسه.

(4)- المصدر نفسه، ص277.

(5)- المصدر نفسه.

(6)- تاريخ الطبري، ج8، ص484.

(7)- الجهشياري: الوزراء، ص289.

(8)- الذهبي: سير ج10، ص181. الذهبي: تاريخ الاسلام، ج15، ص238. الزركلي: الأعلام، ج5، ص86.

(9)- رسائل الجاحظ، ج2، ص204.

45/ محمود بن عبد الكريم : كان من كتاب الجند<sup>(1)</sup>.

46/ حميد بن عبد الكريم: و كان من كتاب الجند أيضا<sup>(2)</sup>.

47/ زيد بن أيوب: تولى ديوان الجند لأربعين سنة<sup>(3)</sup>.

#### د- كتاب الخليفة المعتصم:

48/ نصر بن منصور البغدادي: كتب للمعتصم على ديوان النفقات<sup>(4)</sup>.

49/ عمر بن الفرخ الرخجي (ت 240هـ/ 854م):

كان من علية الكتاب ، <sup>(5)</sup> وكان عمر وأبوه من أعيان الكتاب في أيام المأمون، تولى له ديوان الخراج، إلى أيام المتوكل. كان شبيهاً بالوزراء وذوي الدواوين الجليلة. <sup>(6)</sup> ووجه المأمون خالد خالد ابن يزيد بن يزيد الشيباني إلى مصر، ومعه عمر بن فرخ الرخجي في جيش، وأمرهما أن يتكاتفا على النظر، فإذا فتحا البلاد نظر عمر بن فرخ الرخجي في أمر الخراج، وكان إلى خالد المعاون والصلاة<sup>(7)</sup>.

ولما أراد الواثق الحج ، فوجه عمر بن فرخ لإصلاح الطريق. <sup>(8)</sup> وكان الواثق قد غضب على علي أخيه جعفر المتوكل لبعض الأمور فوكل عليه عمر بن فرخ الرخجي ومحمد بن العلاء الخادم فكانا يحفظانه ويكتبان بأخباره في كل وقت. <sup>(9)</sup> وكان عمر بن فرخ يتولى أمر الطالبين أيام المتوكل<sup>(10)</sup>.

50/ الفضل بن مروان (170 - 250 هـ / 786 - 864 م) :

(1)- المصدر نفسه، ج2، ص206.

(2)- المصدر نفسه، ج2، ص206.

(3)- المصدر نفسه، ج2، ص208.

(4)- الذهبي: تاريخ الاسلام، ج23، ص94.

(5)- الحموي: معجم البلدان، ج3، ص38.

(6)- الذهبي: تاريخ الاسلام، ج17، ص284.

(7)- تاريخ يعقوبي ج2، ص410 .

(8)- تاريخ الطبري، ج9، ص140. ابن الأثير: الكامل ج6، ص87.

(9)-المصدر نفسه ، ج9، ص156. مسكويه: تجارب، ج4، ص108.

(10)-المصدر نفسه ، ج9، ص266. ابن الأثير : المصدر السابق ، ج6، ص156.

هو الفضل بن مروان . من أشهر كتاب الخليفة المعتصم على ديوان الرسائل . وكان نصراني الأصل ، أخذ له البيعة. وكان يومئذ ببلاد الروم مع أخيه المأمون لما توفي ، فاعتد له المعتصم بها يدا عنده ، وفوض إليه الوزارة يوم دخوله بغداد مستهل رمضان سنة 218هـ / 833م. وخلع عليه ، ورد أموره كلها إليه ، فغلب عليه بطول خدمته وتربيته إياه ، ليس له خبرة بالعلم ، وإنما اشتهر بخبرته بخدمة الخلفاء ، وله كتاب « المشاهدات والأخبار » التي شاهدها<sup>(1)</sup>.

#### 51/ محمد بن عبد الملك الزيات:

ثم تولى الكتابة والوزارة معا للخليفة المعتصم الكاتب محمد بن الزيات رجل دولة حازما، حريصا على أموال الدولة شديدا في محاسبة الولاة عليها ، وقد حاول أن يضع حدا لعبث القواد الأتراك وجندهم، وينبه الخليفة إلى فسادهم وظلمهم ، ويعيد للخلافة هيبتها ، في زمن غلب قادة الجند من الأتراك فيه على الخليفة<sup>(2)</sup>.

#### 52/ خالد بن زيد: (... - 269هـ / ... - 882م)

هو أبو الهيثم من أهل بغداد ، وأصله من خراسان. كان شاعرا مشهورا. كان من كتاب الجيش ثم ولاه الوزير محمد بن عبد الملك الزيات عملا ببعض الثغور<sup>(3)</sup>.

#### ر- كتاب الخليفة الواثق:

#### 53/ الصولي: (176 - 243 هـ / 792 - 857 م)

هو إبراهيم بن العباس بن محمد بن صول، أبو إسحاق: كاتب العراق في عصره. أصله من خراسان، وكان جده محمد من رجال الدولة العباسية ودعاتها. ونشأ إبراهيم في بغداد فتأدب وقربه الخلفاء فكان كاتباً للمعتصم والواثق والمتوكل. وتنقل في الأعمال والدواوين إلى أن مات متقلدا ديوان الضياع والنفقات بسامراء<sup>(4)</sup>.

(1)- الصديقي: الوافي، ج24، ص48.

(2)- قحطان: الكتاب والسياسة، ص 142. انظر ترجمته في مجهول: العيون والحداثق، ج3، ص479. مسكويه: تجارب،

ج4، ص12-13. المسعودي: التنبيه، ص256. ابن الأثير: المصدر السابق، ج6، ص22-23. ابن خلكان: وفيات،

ج4، ص45. الزركلي: الأعلام، ج5، ص151.

(3)- الحموي: معجم الأدباء، ج 11، ص 52.47.

(4)- تاريخ بغداد، ج 7، ص 31، 30. الصديقي: الوافي، ج6، ص19. ابن خلكان: وفيات، ج1، ص44.45.

الباب الأول: بطانة الخلفاء العباسيين: التصنيف و المصنف (132-334هـ/749-946م)

الفصل الثالث:.....كتاب الخلفاء العباسيين : مصنفهم و وظائفهم.

54/ أحمد بن إسرائيل الأنباري (209-256هـ / 824-869م):

ومن أشهر كتاب الخليفة الواثق، كان أحد الكتاب الحذاق الأذكياء. كان يحفظ وجوه المال جميعها دخلا وخرجا على ذهنه .<sup>(1)</sup> تولى ديوان الخراج للمتوكل وللمنتصر ، ثم ولي الكتابة للمعتز ثم استوزره ، وكان يحبه ويركن إليه في الأمور ، فخلع عليه للوزارة في سنة 252هـ.<sup>(2)</sup>

ثانيا : كتاب خلفاء العصر العباسي الثاني(232-334هـ/847-946م)المهام

والوظائف

1- كتاب الخليفة المتوكل:

55/ يحيى بن خاقان: وُلِّي سنة 232هـ على ديوان الخراج يحيى بن خاقان الخراساني مولى الأزد<sup>(3)</sup>.

56 / إبراهيم بن محمد بن حنول: وولِّي سنة 232هـ على ديوان النفقات ، بعد عزل الفضل ابن مروان<sup>(4)</sup>.

57/ موسى بن عبد الملك: (ت 246 هـ / 860 م):

هو موسى بن عبد الملك الاصبهاني، أبو عمران: من أصحاب ديوان الخراج في الدولة العباسية. كان من فضلاء الكتاب وأعيانهم<sup>(5)</sup>.

58/ محمد بن أحمد بن أبي دواد (ت 239هـ/853م): تولى ديوان المظالم<sup>(6)</sup>.

59/ أبو القاسم عيسى بن داود بن الجراح: تولى ديوان الخراج بجندي دمشق والأردن<sup>(7)</sup>.

(1)- ابن الطقطقي : الفخري ، ص 244.الذهبي: سير، ج12،ص332. الذهبي: تاريخ الإسلام، ج19، ص34.

(2)- تاريخ الطبري، ج9،ص349.الذهبي : تاريخ الإسلام، ج19،ص34. وقد تحدثنا عن وزارته في الفصل الأول من هذا البحث، تحت رقم (31)

(3)- ابن خلدون: العبر، ج3،ص348.

(4)- المصدر نفسه.

(5)- ابن عساکر: تاريخ دمشق، ج55،ص20.ابن خلکان: وفيات، ج5،ص337.

(6)- الصفدي: المصدر السابق ، ج3، ص25-26.

(7)- ابن عساکر: تاريخ دمشق، ج55،ص20.

60/ أبو الخطاب الحسن بن محمد :

ولما عزم المتوكل على بناء الجعفري<sup>(1)</sup> تقدم إلى أحمد بن إسرائيل باختيار رجل يتقلد المستغلات بالجعفري من قبل أن يُبنى ، وإخراج فضول ما بناه الناس من المنازل فسمى له أبا الخطاب الحسن بن محمد الكاتب<sup>(2)</sup>.

وحتى إلى عهد المتوكل كان كتاب الخلفاء على قدر كبير من الكفاءة والأمانة والاقتراب من مجريات الأمور، وسياسات الخلفاء المختلفة. فلم يكونوا مجرد كتاب رسائل ، أو مسؤولين عن الدواوين. بل كانوا بمثابة مستشارين رسميين معتمدين لدى الخلفاء. وبحسب شخصيات الخلفاء - في الغالب - يكون اختيارهم للكتاب. فكان العصر العباسي الأول عصر القوة في كل المجالات.

61/ أبو محمد الحسن بن مخلد (209 - 269 هـ / 824 - 882 م): بغدادي الأصل، وكان صاحب ديوان الضياع للمتوكل<sup>(3)</sup>.

62/ أحمد بن المدبر (195-279هـ/811-893م):

هو أبو اسحاق ابراهيم بن محمد بن عبيد الله بن المدبر ، من الكتاب المترسلين ، من أهل بغداد. تولى ديوان النفقات بعد أن عزل منه الصولي<sup>(4)</sup>.

كان من أشهر رجال المال والاقتصاد الذين اعتمد عليهم المتوكل في جمع الأموال. ولم يجد المتوكل حرجا في استخدامه. رغم أن الواثق سجنه وطالبه بالأموال ولم ينقذه سوى وفاة الواثق.<sup>(5)</sup> تمالأ عليه الكتاب فأخرجوه إلى الشام واليا عليها فكسب بها مالا عظيما. وقد تولى أحمد ديوان الخراج والضياع مجموعين للمتوكل ، إلى غير ذلك من الأعمال الجليلة<sup>(6)</sup>.

(1)- الجعفري: هذا اسم قصر بناه أمير المؤمنين جعفر المتوكل على الله بن المعتصم بالله قرب سامراء بموضع يسمى الماحوزة فاستحدث عنده مدينة وانتقل إليها وأقطع القواد منها قطائع فصارت أكبر من سامراء وشق إليها نهراً فوهته على عشرة فراسخ من الجعفري يعرف بجبة دجلة وفي هذا القصر قُتل المتوكل في شوال سنة 247 فعاد الناس إلى سامراء وكانت النفقة عليه عشرة آلاف درهم. الحموي: معجم البلدان ج2، ص143.

(2)- الحموي: معجم البلدان، ج2، ص143.

(3)- ابن عساكر: تاريخ دمشق، ج55، ص20.

(4)- عمر فروخ : تاريخ الادب العربي، الأعصر العباسية، ص334.

(5)- ابن الطقطقي: الفخري، ص 234.

(6)- الصفدي: الوافي، ج8، ص26.

واشتهر بحرصه على جمع أكبر قدر من الأموال لإرضاء الخليفة. مهما أوقع بالرعية من عسف وظلم. غير أن أحمد بن طولون صادره ، وأخذ منه ستمائة ألف دينار. وكان يتولى خراج دمشق<sup>(1)</sup>.

إلا ما كان في فترة الصحوة المؤقتة (252.295هـ/866-909م) بحيث انتعشت منظومة الخلافة نوعا ما وبما فيها الكتابة. فاستعاد الكتاب نشاطهم، وأصبحوا يقدمون المشورة والرأي. واشتهرت في خلافة المهدي، عائلة آل وهب ومنهم:

62/ سليمان بن وهب بن سعيد (... - 272 هـ /... - 885 م)

كان أحد كتاب الدنيا ورؤسائها فضلا وأدبا وكتابة في الدرج والدستور . وأحد عقلاء العالم وذوي الرأي منهم. من بيت كتابة وإنشاء في الشام والعراق. كتب للمهدي (255-256هـ/869-870م)<sup>(2)</sup>.

كما تقلد الكاتب سليمان بن وهب بن سعيد الوزارة مع الخليفة المهدي بالله ، بعد أن عزل عنها الوزير محمد بن جعفر الاسكافي. إذ استمر كاتباً ووزيراً للخليفة المهدي بالله حتى مقتله سنة (870/256م) وكانت علاقته طيبة مع المهدي وأساسها على التعاون والمعرفة السابقة للوزارة<sup>(3)</sup>.

63/ الحسن بن وهب (ت 250 هـ / 865 م)

هو الحسن بن وهب بن سعيد بن عمرو بن حصين الحارثي، أبو علي: كاتب، من الشعراء. كان معاصراً لابي تمام، وله معه أخبار. وكان كاتباً وجيهاً بليغاً، كتب لمحمد بن عبد الملك الزيات، وولي ديوان الرسائل<sup>(4)</sup>.

ب- كتاب الخليفة المعتمد:

64/ أحمد بن صالح القطريلي (ت 266هـ/880م):

كان أحمد كاتباً بليغاً فاضلاً عارفاً بما يلزم مثله معرفته ، مجيداً في النظم والنثر.<sup>(1)</sup> وكان

(1)- الذهبي: تاريخ الإسلام، ج20، ص25.

(2)- ابن الطقطقي : الفخري ، ص 247. انظر ترجمته في الصفيدي: المصدر السابق ، ج15، ص268. ابن خلكان: وفيات

الأعيان، ج2، ص415. الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج 13، ص126-127.

(3)- ابن الطقطقي : المصدر السابق ، ص247-248. الزركلي: الأعلام، ج3، ص137.

(4)- ابن خلكان: المصدر السابق، ج2، ص415.

حسن المروة شاعراً ظريفاً وكان يسمى ظريف الكتاب ولم يبق من الدواوين الجليلة ديوان حتى وليه أحمد بن صالح (2).

ت- كتاب الخليفة المعتضد:

65/ عبيد الله بن سليمان (ت288هـ/901م)

هو عبيد الله بن سليمان بن وهب الحارثي: وزير، من الكتاب الشعراء. بل كان من كبار الوزراء ومشايخ الكتاب. وكان بارعا في صناعته حاذقا ماهرا ليبيبا جليلا. تولى الكتابة والوزارة معا للخليفة المعتمد على الله (3).

ولما توفي المعتمد في آخر رجب من سنة تسع وسبعين ، أخذ البيعة للمعتضد بالله (279-289هـ/892-902م) عبيد الله بن سليمان على الناس ، فأحسن التدبير ، ونظم سياسة الأمور (4). وكان المعتضد بالله يصف عبيد الله بن سليمان بالدهاء والرُجلة (5).

66/ أحمد بن سليمان بن وهب:

أبوه أبو أيوب سليمان بن وهب الوزير وعمه الحسن بن وهب معروفان مشهوران يذكران في مكانيهما إن شاء الله تعالى ونسبه يذكر في ترجمة الحسن بن وهب، توفي سنة 285هـ، وكان أبو الفضل هذا بارعا فاضلا ناظما ناثرا تقلد الأعمال ونظر في جباية الأموال للمعتضد والمكتفي (6).

67/الحسين بن عمرو النصراني:

كان في خلافة المعتضد ، وتقلد النظر في أمور نواحي ديار بكر وربيعة ومضر، ومكاتبة العمال بها. وبوفاة المعتضد سارع الحسين بن عمرو لأخذ البيعة على من في عسكره للمكتفي. ثم وجه من قبله - كتصرف تلقائي - من يضبط الأمور بديار بكر وديار ربيعة ونواحي المغرب (7).

(1)- ابن الطقطقي : المصدر السابق ، ص 254.

(2)- الصفدي: المصدر السابق ، ج6، ص259.

(3)- الصفدي: المصدر السابق ، ج6، ص259.

(4)- ابن الأبار: إعتاب الكتاب ، ص 176. الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج13، ص473.

(5)- ابن الأبار : المصدر نفسه، ص 177.

(6)- الصفدي: المصدر السابق ، ج6، ص247.

(7)- تاريخ الطبري، ج10، ص88.71.

ث - كتاب الخليفة المكتفي:

68/ القاسم بن عبيد الله (258 - 291 هـ / 872 - 904 م)

كانت له مكانة لدى الخليفة المكتفي بالله الذي بالغ في إكرامه وفوض إليه المكتفي جميع الأمور ، ومرض في رمضان من سنة 291هـ/904م ، فأمر أن يطلق العمال من الحبوس ، ويكفل من عليه مال. ويطلق من في الحبس من العلويين الذين أخذوا ظلما بسبب القرمطي الناجم بالشام<sup>(1)</sup>.

وفي سنة 291هـ/904م، زوج المكتفي ابنه محمدا بابنة أبي الحسين القاسم بن عبيد الله على صداق مائة ألف دينار.<sup>(2)</sup> وهو مبلغ كبير جدا إذا ما قورن بحجم الأزمات المالية التي كانت تعصف بالخلافة في العصر العباسي الثاني. أو انه يعكس من جهة أخرى حجم الأموال التي كان يكتنزها الوزراء من طرق شتى ، مشروعة وغير مشروعة. بالنظر لما عرف به القاسم من قلة التقوى.

69/ قدامة بن جعفر (ت 337 هـ / 948 م):

هو قدامة بن جعفر بن زياد البغدادي ، أبو الفرج: كاتب ، من البلغاء الفصحاء المتقدمين في علم المنطق والفلسفة. كان في أيام المكتفي بالله العباسي، وأسلم على يده ، تولى مجلس الزمام في ديوان الأموال.<sup>(3)</sup> له مصنف في الخراج وصناعة الكتابة ، وبه يقتدي علماء هذا الشأن.<sup>(4)</sup> ولم يزل قدامة يتردد في أوساط الخدم الديوانية إلى سنة سبع وسبعين ومائتين، وجعل قدامة بن جعفر يتولى مجلس الزمام في هذا الديوان.<sup>(5)</sup>

70/ محمد بن داود بن الجراح ، أبو عبد الله (243 - 296 هـ / 857 - 909 م):

(1)- ابن الجوزي: المنتظم، ج13، ص27. ونظرا لأن الغالب عليه هو اشتغاله بالوزارة وأعبائها بدل الكتابة ، فقد أدرجته ضمن

المشاهير أثناء كلامي عن الوزراء تحت رقم (36). ويمكن مراجعة سيرته في : ابن الطقطقي: الفخري، ص259.الصفدي:

الوافي، ج24، ص95. الذهبي: تاريخ الاسلام، ج22، ص231.

(2)- تاريخ الطبري، ج 10، ص116.

(3)- الصفدي: الوافي، ج24، ص153.154. الزركلي: الأعلام، ج5، ص191. ورغم اشتهاره بكتابه عن الخراج، إلا أن الحديث

عنه في المصادر قليل، باستثناء بعض النصف المتفرقة هنا وهناك.

(4)- ابن الجوزي: المنتظم، ج14، ص73. ابن كثير: البداية، ج15، ص198. الذهبي: تاريخ الاسلام، ج23، ص325. ابن تغري

تغري : النجوم، ج3، ص297.

(5)- الصفدي: الوافي، ج24، ص154.

الباب الأول: بطانة الخلفاء العباسيين: التصنيف و المصنف (132-334هـ/749-946م)

الفصل الثالث:.....كتاب الخلفاء العباسيين : مصنفهم و وظائفهم.

هو عم علي بن عيسى الوزير، ولد سنة 243هـ . كان فاضلا من علماء الكتاب، عارفا بأيام الناس وأخبار الخلفاء والوزراء. <sup>(1)</sup> وفي سنة 286هـ /899م قلد المعتضد عبيد الله بن سليمان ديوان المشرق محمد بن داود بن الجراح، وعزل عنه أحمد بن محمد بن الفرات. وفي سنة 294هـ/907م ندب الوزير العباس بن الحسن محمد بن داود بن الجراح للخروج الى الكوفة ، والمقام بها لانفاذ الجيوش الى القرمطي ، فخرج من بغداد محملا بأموال كثيرة عطاء للجنود<sup>(2)</sup>. وكان الكاتب محمد بن داود من رؤوس الكتاب الذين اجتمعوا وتآمروا على خلع المقتدر وتولية ابن المعتز، ولقب بالمرتضى بالله ، واستوزر محمد بن داود <sup>(3)</sup>.

71/محمد بن سليمان :

كاتب المكتفي ، وفي سنة 290هـ/ وجهه الوزير القاسم بن عبيد الله الجيوش إلى صاحب الشامة ، وولى حربه محمد بن سليمان الكاتب الذي كان يتولى ديوان الجيش. وضم إليه جميع القواد، وأمرهم بالسمع له والطاعة<sup>(4)</sup>.

ج- كتاب الخليفة المقتدر:

72/ علي بن عيسى(245-335هـ/859-946م)

هو الإمام المحدث الوزير أبو الحسن علي بن عيسى بن داود بن الجراح البغدادي الكاتب. اتصل بالخليفة المقتدر، الذي اتسم عصره بالإسراف والتبذير. وقد حاول الكاتب الوزير علي بن عيسى<sup>(5)</sup> في عهد الخليفة المقتدر الاقلال من الإسراف المالي. فعمل على تعيين مشاهير الكتاب وأكفأهم للإشراف على بيت المال. بل إنه انتقل من مجرد كاتب إلى وزير بمثابة رئيس للوزراء

(1)- ابن الجوزي: المنتظم، ج13، ص91.

(2)- تاريخ الطبري، ج10، ص133.73.

(3)- ابن الأثير: الكامل، ج6، ص441.

(4)- تاريخ الطبري، ج10، ص107.

(5)- يعتبر علي بن عيسى من الكتاب الذين غلب عليهم الاشتغال بالوزارة، لذا فقد سبق الحديث عنه ضمن الوزراء القلائل الناجحين في العصر العباسي الثاني تحت رقم (40)

والكتاب. بيده كل أمور الخليفة. وتحدثت عنه بإسهاب أثناء ذكر الوزراء. <sup>(1)</sup> كان كاتباً وإدارياً ناجحاً ، ونال مكانة كبيرة وشهرة واسعة في الكتابة . وقد كان أحد الكتاب المتقدمين ومن خدم آباءه الخلفاء الماضيين.<sup>(2)</sup> وقلده المعتضد سنة 286هـ/903م ديوان المغرب وعزل عنه ابن الفرات.<sup>(3)</sup> وله كثير من الإصلاحات الاقتصادية نذكرها حينما نتطرق لدور البطانة الاقتصادي.

ح/ كتاب الخليفة الراضي:

73/ محمد بن سعيد الأزرق:

وهو كاتب الجيش ، لما خلع القواد والكتاب الخليفة المقتدر ، وبايعوا عبد الله بن المعتز ، ولقبوه الراضي بالله. وكان الذي أخذ له البيعة على القواد وتولى استخلافهم والدعاء بأسمائهم محمد بن سعيد الأزرق. وكان ذلك سنة 296هـ<sup>(4)</sup>.

74/ محمد بن عبدوس بن عبد الله الجهشيارى: (.. - 331 هـ / .. - 943 م)

هو محمد بن عبدوس بن عبد الله الكوفي الجهشيارى ، أبو عبد الله: مؤرخ ، من الكتاب المترسلين، من أهل الكوفة. نشأ مع أبيه في بغداد. وكان أبوه حاجباً للوزير علي بن عيسى، فخلفه على الحجابة له، ثم للوزير حامد بن العباس في خلافة المقتدر بالله. وولي إمارة الحج العراقي سنة 317 هـ/929م<sup>(5)</sup>.

فقد كان في عصر المقتدر وعهد إليه الوزير نظام الإدارة وتولية العمال والولاة والوزراء وجباية الخراج وأموال الدولة. ورغم هذه النماذج المضيئة من الكتاب في تاريخ العصر العباسي الثاني ، إلا أنهم يعتبرون قليلين جداً إذا ما قورنوا بالعصر العباسي الأول. فسيطرة الجند الأتراك أثرت سلباً على كل الوظائف المدنية والسياسية ، فتقهقرت كل مجالات الحياة.

(1)- وقد سبق الحديث عن وزارته تحت رقم: (40) وسيأتي الحديث عن إصلاحاته الاقتصادية في الفصل الاقتصادي. وللإطلاع

على سيرة الوزير والكاتب علي بن عيسى انظر تاريخ بغداد، ج13، ص459. ابن الطقطقي: الفخري ، ص271-272 .

الصفدي: الوافي، ج23، ص245. الزركلي: الأعلام، ج5، ص106.

(2)- زين العابدين وآخرا: الكتابة الرسمية في صدر الإسلام، ص220-221.

(3)- تاريخ الطبري، ج10، ص73.

(4)- تاريخ الطبري، ج10، ص140. ابن الأثير: الكامل، ج6، ص441.

(5)- الزركلي: الأعلام، ج6، ص256. وانظر ابن الجوزي: المنتظم، ج14، ص73. ورغم اشتغاره بكتابه عن الخراج، إلا أن

الحديث عنه في المصادر قليل، إلا بعض التنف المتفرقة هنا وهناك. فهو كاتب مغمور لكتاب مشهور.

وبالرغم من تدهور مؤسسات الدولة العباسية ومنها مؤسسة الكتابة ، فقد وجدنا كتابا في غاية الحذق والفن. خدموا الكتابة ، وخدموا الإدارة العباسية. هذا في الوقت الذي انتشر المتملقون وأصحاب المصالح الشخصية والنفوذ. من القادة الأتراك وغيرهم. ورغم ذلك أيضا فإننا وجدنا أنه قد يتسلل ويترقى إلى منصب الوزارة من ليس لها بأهل إطلاقا نظرا للاعتبارات المذكورة . لكنه لم يتجرأ أي كان لأن يتصدر الكتابة بجاهه أو سلطانه ومصالحه. لأن الكتابة تقتضي العلم والفن والخبرة. وهذا الصفات لا تباع ولا تشتري ، ولكن تكتسب بالصبر وطول زمان.

وهنا أيضا تطرح قضية انتقال كثير من مشاهير الكتاب المهرة إلى الوزارة، وهي قضية ايجابية من جانب أنهم يخدمون الوزارة ومتطلباتها السياسية والإدارية، ولكن الجانب السلبي فيها هو تخليهم عن الكتابة كصناعة أدبية. بسبب غلبة الأعمال الوزارية عليهم.

ويمكن القول إن صناعة الكتابة ، ومنصب الكاتب لم يمكن التلاعب بهما كما حصل في المناصب الأخرى في الدولة العباسية، مثل الوزارة والحجابه. فكانت الكفاءة الكتابية والإدارية هي المعيار الوحيد لتقلد هذا المنصب. والملاحظ أن كتاب العصر العباسي الأول كانوا في غاية الانضباط والالتزام بمهامهم الكتابية والإدارية. ما جعلهم يكونون منظومة إدارية سليمة، محددة المعالم والأهداف ، تسير عليها الدولة.

ولكن في العصر العباسي الثاني ، وباختلاط الحابل بالنابل ، فقد ضعفت مؤسسات الدولة العباسية. ومنها الكتابة. فأصبح هم بعض الكتاب خدمة المصالح الخاصة بهم وبأسيادهم من الوزراء وقادة الجند. وفي حالة ما يرفضون هذه الخدمات يقابلون بالمصادرة والعزل. وبالتالي أصبح الكاتب يحافظ على منصبه بخدمة هؤلاء القادة. وهذا ما يفسر كثرة تولية وعزل الكتاب في العصر العباسي الثاني. وقلة الكتاب المقبلين على الكتابة ، خوفا مما سبق ذكره. وبإحصائيات مقارنة عدد كتاب الخلفاء في العصر العباسي الأول: 54 كاتباً. وفي العصر العباسي الثاني بلغ عددهم: 21 كاتباً.

الفصل الرابع:

الحجاب مهامهم ووظائفهم في البلاط العباسي.

1- تطور الحجابة والحجاب قبل العصر العباسي.

2- مكانة الحجابة والحجاب عند الخلفاء العباسيين.

أولاً : حجاب خلفاء العصر العباسي الأول مهامهم ووظائفهم  
(132-232هـ/749-847م)

ثانياً : حجاب خلفاء العصر العباسي الثاني مهامهم .  
وظائفهم(232-334هـ / 847-946م)

لم يقتصر عمل الحجابة على فتح الباب وإغلاقه ، بل ان الحاجب أصبح واسطة بين الناس وبين الخليفة . وهو الذي يدرس حوائجهم ، ويأذن لهم ، أو يوصي بقضاء حوائجهم من لا تستدعي الحاجة لمثولهم بين يديه، أو يرفض الاذن لهم. إذا كانت الأسباب للمقابلة غير قوية. ولهذا وجب أن يكون الحاجب موثوقا به<sup>(1)</sup>.

### 1/ تطور الحجابة والحجاب قبل العصر العباسي:

فالحجابة لم يكن لها وجود على عهد الرسول ﷺ وإنما كان يستقبل الجميع في جلسات مفتوحة. يتساوى فيها الجميع ، الغني والفقير ، والقوي والضعيف. وكذلك الحال في عهد الخلفاء الراشدين أيضا. ولما اتصل المسلمون بالفرس والروم خشي عمر بن الخطاب ﷺ أن يتخذ ولايته حجابا كما يفعل هؤلاء. فكان يسأل القادمين عليه من البلدان عن ولايتهم هذه الأسئلة:

هل يعود مرضاكم؟ وهل يعود العبد؟ وهل يجلس على بابه؟ .. فإن قالوا في واحدة: لا، عزله. وكان من أهم شروط عمر ﷺ على من يعمل واليا له ألا يتخذ بابا دون حاجات الناس. ثم تغيرت الأحوال بعد الخلافة الراشدة لعدة أسباب منها:

- انتقال العالم الاسلامي من البداوة إلى الحضارة. وكانت الحجابة لا توافق طباع البادية ، بل هي من عادات الحضرة لوازهم.

- الاغتيالات السياسية المتتالية التي حدثت للخلفاء الراشدين الثلاثة (عمر وعثمان وعلي ﷺ).  
- لذلك كان من الضروري أن يتخذ الخليفة معاوية حاجبا له، بل كان من الضروري أن يتخذ بعض الولاة أو كلهم حجابا لنفس الأسباب السابقة<sup>(2)</sup>.

فلما انتقلت الى بني أمية اتخذ معاوية ومن جاء بعده من الخلفاء بالحجاب بعد حادثة الخوارج مع علي ومعاوية وعمرو بن العاص. وذلك خوفا على أنفسهم من شر الناس. وتلافيا لازدحامهم على أبوابهم وشغلهم عن النظر في مهام الدولة<sup>(3)</sup>.

وكان مهام الحاجب إدخال الناس على الخليفة مراعيًا في ذلك مقامهم وأهمية أعمالهم. ويكون ذلك بإذن خاص من الخليفة. لكن الخلفاء الأمويين استثنوا من هذه المراسيم ثلاثة

(1)- أحمد شلبي: النظم، ص 226.

(2)- المرجع نفسه، ص 226-227.

(3)- حسن ابراهيم حسن: النظم، ص 146.

أشخاص، لأهمية أعمالهم وهم: المؤذن وصاحب البريد وصاحب الطعام<sup>(1)</sup>. وكان هناك طريقتان في الإذن للناس أو عدم الإذن لهم. أما الطريق الأول، فكان يلزم الحاجب أن يخبر المحجوب عن زواره ليتولى المحجوب بنفسه الإذن لهم أو ردهم. ويبدو ذلك من وصية عبد الملك بن مروان لأخيه عبد العزيز واليه على مصر (65-86هـ/685-705م) : « وانظر حاجبك فليكن من أهلك، فإنه وجهك ولسانك، ولا يقفن أحد ببابك إلا أعلمك مكانه لتكون أنت الذي تأذن له أو ترده»<sup>(2)</sup>.

ولم يكن مفهوم الحجابة واحدا في المشرق والمغرب. ففي العراق مثلا كان الحاجب يقوم بعمل مدير التشریفات اليوم ، بينما كان الحاجب في الأندلس يتمتع بسلطات رئيس الحكومة. وهو بذلك أقرب الوزراء إلى الخليفة الأندلسي، حتى ليقدر على تمثيله في جميع سلطاته الفعلية<sup>(3)</sup>. كما حدد ابن خلدون مراحل ثلاثة للحجابة تتصل بمراحل ثلاثة للخلفاء، مرحلة الحجاب الأول هي مرحلة الانتقال من البداوة الى الحضارة ، ويناسبها تنظيم الدخول على الخليفة. وكانت في عهد الأمويين. ومرحلة الحجاب الثاني ، ويناسبها التعمق في السلطان والمدنية ، حيث يفضي للخلفاء منه خواصهم من الأولياء ، ويحجب دونهم من سواهم. وهو أشد من الحجاب الأول، وكانت هذه في مطلع خلافة بني العباس<sup>(4)</sup>.

ومرحلة الحجاب الثالث ، مرحلة التدهور وتسلط بعض الناس على الخلفاء. حيث يحجب الخواص أيضا أو أكثرهم. بدعوى أن مباشرتهم إياه خرق حجاب الهيبة. وفساد قانون الأدب. وبهذا يقطع الحاجب الخليفة عن الغير ويعوده ملابسة أخلاقه هو حتى لا يستبدل به سواه، وقد كانت هذه المرحلة في عهود تدهور الخلافة العباسية<sup>(5)</sup>.

(1) - رحيم محمد الهاشمي وعواطف شفقارو: الحضارة، ص23.

(2) - ابن الطقطقي: الفخري، ص126. شليبي: النظم ص228.

(3) - صبحي الصالح: النظم، ص306.

(4) - مقدمة ابن خلدون، ج2، ص86.

(5) - المصدر نفسه.

2/ مكانة الحجابة والحجاب عند الخلفاء العباسيين ، مهامهم ووظائفهم:

نشأت وظيفة الحجابة من أجل تنظيم الدخول على الخليفة من جهة، ومن جهة أخرى لكي يزيد الخلفاء العباسيون في مهابتهم وقداستهم. حيث اتبعوا بعض عادات الأكاسرة الفرس. مثل الاحتجاب عن الرعية والظهور في وسط ستار كثيف من الأتباع . فلم يعد الخليفة يرى، كما كان الحال من قبل. إلا بعد برنامج محكم دقيق عند المقابلة<sup>(1)</sup>.

فيختار الخليفة الحاجب من كبار رجال الحاشية المتميزين بالباقاة والذكاء ومعرفة الناس. لما لمهمته من خطورة. لاطلاعه على معظم أسرار الخليفة الشخصية. ويجب أن يجمع إلى الواجهة والثقافة صفات ممتازة أخرى . لأنه وجه الخليفة أمام الناس ورئيس موظفي بلاطه. ويشبه في يومنا هذا « كبير الأمناء » أو « رئيس الديوان الملكي » في تصور الملوك اليوم<sup>(2)</sup>.

وكان من تطور الحجابة في العصر العباسي أنه عندما ظهرت الوزارة اتخذ الوزراء حجابا. كما اتخذ قاضي القضاة حاجبا ينظم دخول المتقاضين عليه<sup>(3)</sup>.

أولا: حجاب خلفاء العصر العباسي الأول مهامهم ووظائفهم:(132-232هـ/749-847م)

847م

يعتبر عمل الحاجب همزة وصل بين الخليفة والرعية. فهو كبار موظفي الدولة ، وهو همزة وصل بين الخليفة والرعية. يقدم السفراء، ويأذن لمن يشاء بالدخول على الخليفة أو يمنعه. وله صلاحية البت في القضايا البسيطة التي لا تدعي تدخل الخليفة ، وتفاديا لازدحام الناس في حضرته<sup>(4)</sup>.

وفيما يلي ركزت على شخصيات الحجاب ومهامهم قبل وأثناء الحجابة، أما منجزاتهم وأعمالهم فقد تركتها للفصل السابع ضمن منجزات البطانة بأصنافها.

1- حجاب الخليفة المنصور:

1/ الحاجب سلام بن سليم: <sup>(5)</sup>

2/ عيسى بن نجیح مولاہ: <sup>(1)</sup>

(1)- العبادي: في التاريخ، ص33.

(2)- الجرمودي: هارون الرشيد ، ص 282.

(3)- أحمد شلبي: النظم، ص 228.

(4)- الكروي: المرجع في الحضارة ، ص65.

(5)- ابن كثير: البداية ج 13، ص281. الذهبي: تاريخ الإسلام ج 8، ص 342.

الباب الأول: بطانة الخلفاء العباسيين: التصنيف و المماء (132-334هـ/749-946م)

الفصل الرابع: ..... الحجاب ممامهم ووظائفهم في البلاط العباسي.

3/ أبو الخصيب مولاة: (2)

4/ الربيع بن يونس:

أما في زمن الخليفة المنصور (136-158هـ) فكان الحاجب الربيع بن يونس الحاجب الكبير جليلا نبيلًا منفذا للأمر مهيبا فصيحًا كافيًا حازمًا عاقلًا فطنًا. خبيرًا بالحساب والأعمال. حاذقًا بأمر الملك. (3) حجب للمنصور ثم وزر له ولم يزل وزيرًا إلى أن مات المنصور ، وقام الربيع بأخذ البيعة للمهدي (4).

ب- حجاب الخليفة المهدي:

5/ الفضل بن الربيع :

ونظرًا لثقة الخليفة المهدي بالفضل بن الربيع فقد ضمه مع الحسن بن قحطبة إلى جيش هارون الرشيد عند غزوه لبلاد الروم. وذلك سنة 165هـ/782م. ومع ذلك فقد بقي الفضل بن الربيع حاجبًا للهادي (5).

ت- حجاب الخليفة الرشيد:

6/ بشير بن ميمون: (6)

7/ محمد بن خالد بن برمك : وبعده حجب للرشيد الفضل بن الربيع (7).

ث- حجاب الخليفة الأمين:

6/ العباس بن الفضل بن الربيع بن يونس، مولى المنصور، كان من كبار الأمراء، ولي حجابة الأمين،

(1)- تاريخ خليفة ، ص 287.

(2)- المصدر نفسه ، ص 287.

(3)- ابن الطقطقي : الفخري ، ص 278. ورغم اشتهاره بالحجابة لكنه غلبت عليه أعمال الوزارة، ينظر العنصر المتعلق بالوزراء في الفصل الأول من الباب الأول تحت رقم (03)

(4)-المصدر نفسه، ص 278. ابن الأثير : الكامل ج5، ص226-227. ابن كثير: البداية ج13، ص458.الذهبي: سير ج7، ص401.

(5)- تاريخ الطبري ج8، ص145. ابن العماد : شذرات ج2، ص292. كانت شخصية الفضل قوية. حيث تدرج في منازل العمل والتقرب من الخلفاء العباسيين الأوائل ، واشتهر بالحجابة ثم الوزارة. وكان له دور بارز في كلا الوظائف. ينظر تفصيل عمله الوزاري ضمن وزراء العصر العباسي الأول. تحت رقم (11)

(6)- تاريخ خليفة، ص 308. وعند الإربلي في خلاصة الذهب(بشار بن ميمون) ، ص113. لم تشر المصادر إليه إلا إشارة عابرة.

(7)-المصدر نفسه، ص 308.الجهشياري: الوزراء، ص 187. شحت المعلومات عنه في ما بين من مصادر.

الباب الأول: بطانة الخلفاء العباسيين: التصنيف و المصاهير (132-334هـ/749-946م)

الفصل الرابع: ..... الحجاب مصانم ووظائفهم في البلاط العباسي.

وكان شاعرا فصيحاً، توفي في حياة أبيه سنة ثلاث وتسعين ومائة<sup>(1)</sup>.

ج- حجاب الخليفة المأمون:

وكان الفضل بن الربيع الحاجب قد استمر في الحجابة للخليفة الهادي والرشيد ثم المأمون.

7/ علي بن صالح: وكان يسمح للمتناظرين للجلوس بين يدي الخليفة المأمون<sup>(2)</sup>.

ح- حجاب الخليفة المعتصم:

8/ ايتاخ التركي:

فترى في زمن الخليفة المعتصم رفع ايتاخ. وكان ايتاخ هذا غلاما حرز لسلام الأبرش ،

فاشتراه منه المعتصم. وكان لايتاخ بأس ورجلة<sup>(3)</sup>.

9/ محمد بن حماد بن دنقش:

كان قد كلفه المعتصم باستحضار القائد الأفشين لمعاقبته<sup>(4)</sup>.

خ- حجاب الخليفة الواثق:

تولى الحجابة للواثق ايتاخ وتقلد الأعمال العظيمة. منها أنه تقلد أميراً للشرطة، فكان من

أراد المعتصم والواثق قتله ، حبس عند ايتاخ<sup>(5)</sup>.

كما حجب للواثق وصيف ومحمد بن حماد بن دنقش<sup>(6)</sup>.

وما لاحظناه من تطور لوظيفة الحجابة ما تسبب في تنظيم مراسيم استقبال الوافدين على

الخليفة. وبرع في ذلك جملة من الحجاب الذين عرفوا بثقافتهم ولباقتهم وكل ما يتطلبه موقف

استقبال وفود الخلفاء، والتعامل مع قضاياهم وتوجيههم بما يتناسب معهم من أصناف الناس

وطباعهم.

(1)- الصفدي: الوافي ج16، ص372.

(2)- المسعودي: مروج الذهب ج 4، ص18.

(3)- تاريخ الطبري، ج 8، ص166. مسكويه: تجارب الأمم، ج4، ص115.

(4)- تاريخ الطبري، ج 8، ص106. وقد شحت المصادر في ذكر معلومات عنه. خاصة من جانب التعريف به.

(5)- تاريخ الطبري، ج 8، ص167.

(6)- المسعودي: التنبيه ، ص 361.

ثانيا: حجاب خلفاء العصر العباسي الثاني مهامهم ووظائفهم(232-

334هـ/847-946م)

يعتبر العصر العباسي الأول ذروة الحضارة الإسلامية ي كل نواحي الحياة. وعند بداية العصر العباسي الثاني ، الذي يعرف عند بعض الباحثين بـ ( عصر النفوذ التركي) وبالفعل كان الأترك قد صبغوا الحياة السياسية والإدارية بصبغتهم، ما أثر ذلك على نظم الدولة وإدارتها. فكما سيطر بعض منهم وتولوا الوزارة -رغم عدم أهليتهم لأنهم يغلب عليهم طابع الجندي- فإن منهم من تولى الحجابة أيضا. وهي على أهميتها في السابق، فقد أضعف شأنها ، وانحدرت مع ما انحدر من نظم الدولة.

#### أ- حجاب الخليفة المتوكل :

لما ولي الخليفة المتوكل (232-247هـ/749-861م) كان ايتاخ التركي حاجبا له. وولاه على الحبس ، والمغاربة ، والأترك والبريد والحجابة ودار الخلافة<sup>(1)</sup>. فضلا عن توليه مهام كثيرة ، منها أن الخليفة المتوكل فوض الخليفة المتوكل لإيتاخ إمرة مصر والكوفة ومكة والمدينة<sup>(2)</sup>.

10/ زرافة: حجب للخليفة المتوكل مع وصيف وبغا<sup>(3)</sup>.

11/ سعيد بن صالح :

يعتبر سعيد بن صالح من أشهر حجاب الخليفة المتوكل والمعتمد. الذين كانت توكل إليهم مهام مختلفة<sup>(4)</sup>.

12/ بغا الصغير :

يعتبر بغا الصغير أبرز قواد الجند الترك. الذين تولوا مهام إضافية إلى مهمتهم الرئيسية العسكرية. غير أنه شارك في اغتيال الخليفة المتوكل والخليفة المستعين<sup>(5)</sup>.

13/ الحاجب نجاح بن سلمة بن نجاح بن عتاب:

(1)- مسكويه: تجارب الأمم، ج 4، ص115.

(2)- ابن تغري: النجوم الزاهرة، ج 2، ص275.

(3)- المصدر نفسه ، ج 2، ص275.

(4)- تاريخ الطبري، ج9، ص473.357. ابن الأثير: الكامل، ج6، ص227. ابن خلدون: العبر، ج3، ص364.379. ابن العماد:

العماد: شذرات ج3، ص237. وقد شحت المصادر بذكر المعلومات عنه.

(5)- ابن خلدون: العبر، ج3، ص354. ابن العماد: شذرات، ج3، ص237.

الباب الأول: بطانة الخلفاء العباسيين: التصنيف والمهام (132-334هـ/749-946م)

الفصل الرابع: ..... الحجاب مهامهم ووظائفهم في البلاط العباسي.

كان نجاح من أشهر حجاب الخليفة المتوكل ، حيث كان إليه ديوان التوقيع والتبعية على العمال يتقونه ويقضون حوائجه<sup>(1)</sup> .

ب،ت- حجاب الخليفة المنتصر والمستعين:

حجب لهما كل من وصيف وبغا<sup>(2)</sup> .

ث- حجاب الخليفة المعتز:

15/14 / صالح بن وصيف حجب للمعتز رفقة بايكباك موسى<sup>(3)</sup> .

10 / حجاب الخليفة المهدي:

17/16 / موسى بن بغا و عبد الله بن ذكين حجا للمهدي صالح بن وصيف<sup>(4)</sup> .

ج- حجاب الخليفة المعتمد:

18 / يارجوخ التركي<sup>(5)</sup> .

19 / كيغلغ<sup>(6)</sup> .

20 / حسنح : وهو الحسن بن ترتك<sup>(7)</sup> .

21 / خطارمش<sup>(8)</sup> .

22 / بكتمر<sup>(9)</sup> .

ح- حجاب الخليفة المعتضد:

23 / صالح الأمين:

أما في زمن الخليفة المعتضد فكان للحاجب مهام أخرى. فقد قلد الخليفة حاجبه صالح

(1)- تاريخ الطبري، ج 9 ، ص 214. مسكويه: تجارب الأمم، ج 4، ص 132. ابن الأثير: الكامل، ج 6، ص 131. ابن خلدون: العبر، ج 3، ص 363. 364. ورغم أهميته لكن شحت المصادر بذكر المعلومات عنه.

(2)- المسعودي: التنبيه ، ص 361.

(3)- المصدر نفسه ، ص 365.

(4)- المصدر نفسه ، ص 365.

(5)- المصدر نفسه ، ص 369. وقد شحت المصادر بذكر المعلومات عنه وعمن يليه من الحجاب.

(6)- المصدر نفسه ، ص 369.

(7)- المصدر نفسه ، ص 369.

(8)- المصدر نفسه ، ص 369.

(9)- المصدر نفسه ، ص 369.

الأمين النظر في المظالم . بعد أن كان النظر في المظالم من مهام الخليفة<sup>(1)</sup> .

24/خفيف السمرقندي: <sup>(2)</sup>.

خ- حجاب الخليفة المكتفي:

حجب له خفيف السمرقندي أيضا.

25/ سوسن الحاجب: كان سوسن الحاجب يدخل مع العباس بن الحسن في التدبير<sup>(3)</sup> .

د- حجاب الخليفة المقتدر:

واستمر سوسن الحاجب على حجابة المقتدر كذلك.

26 / نصر القشوري: هو أبو القاسم نصر الحاجب . حجب للخليفة المقتدر. وتولى عند

مهام مدنية وعسكرية منها أنه قاد الجيوش لمواجهة القرامطة ، وكان إليه وإلى السيدة أم المقتدر تعيين وعزل الوزراء. مثل القبض على ابن الفرات سنة 316هـ/928م.

في حين نرى الحاجب وأمير الأمراء يتدخلون في أمور الخليفة فيبعدون هذا ، وينحون هذا من منصبه . وهذا ما فعله نصر الحاجب ومؤنس الخادم أمير الأمراء. من أن بعض العمال ذكر لابن الفرات ما يتحصل لحامد بن العباس من أعمال واسط زيادة على ضمانه، فاستكثره، فخاف حامد أن يؤخذ ويطلب بذلك المال، فكتب إلى نصر الحاجب وإلى والدة المقتدر، وضمن لهما مالا ليتحدثا له في الوزارة، فأمره بالحضور من واسط، فحضر، وقبض على ابن الفرات سنة 316هـ. وواصل ابن مقله يكثر من الهدايا إلى نصر الحاجب، حتى أشار به على المقتدر فاستوزره سنة 320هـ/933م.<sup>(4)</sup>

27/ ياقوت<sup>(5)</sup>.

28/ إبراهيم ومحمد ابنا رائق<sup>(6)</sup>.

ذ- حجاب الخليفة القاهر:

29- محمد بن ياقوت: هو محمد بن ياقوت بن عبد الله أبو بكر الأمير، كان والده أحد

(1)- تاريخ الطبري، ج10، ص68-69. وهذا نظرا لشحة المعلومات عنه فيما وقع بين يدي من مصادر.

(2)- المسعودي: التنبيه ، ص 370. وقد شحت المصادر بذكر المعلومات عنه.

(3)- الصايي: الوزراء، ص26.

(4)- ابن الأثير : الكامل ج7، ص499.40.الذهبي: تاريخ الاسلام، ج23، ص352.

(5)- المسعودي: التنبيه ، ص 380.

(6)- المسعودي: التنبيه ، ص 380.

الباب الأول: بطانة الخلفاء العباسيين: التصنيف و المماء (132-334هـ/749-946م)

الفصل الرابع: ..... الحجاب ممامهم ووظائفهم في البلاط العباسي.

حجاب المقتدر .<sup>(1)</sup> وحجب محمد بن ياقوت في عهد الخليفة القاهر والراضي بعمل الوزراء. وأساء استعمال السلطة الممنوحة له. واستبد بعمل الوزراء<sup>(2)</sup>.

30- الحجاب علي بن بليق:

في سنة 321هـ نرى الحجاب علي بن بليق يستمد قوته من فشل القائد مؤنس الخادم وزير الخليفة القاهر الذي اجتمع وجماعة من الأمراء ، على خلع الخليفة القاهر.<sup>(3)</sup>

31- بدر الخرشني: خلع المتقي على بدر الخرشني وقلده الحجابة وجعله حاجب الحجاب أي كبير الحجة<sup>(4)</sup>. ولما غلب محمد بن رائق على بغداد فأكرمه الإخشيد وولاه إمرة دمشق<sup>(5)</sup>.

32- فارس بن الزنداق<sup>(6)</sup>.

33- سلامة المؤتمن المعروف باخي نُجج<sup>(7)</sup>.

ر- حجاب الخليفة الراضي:

حجب له محمد بن ياقوت أيضا.

34- ذكي: <sup>(8)</sup>.

ز- حجاب الخليفة المتقي:

في سنة 329هـ/941م خلع المتقي على بدر الخرشني وقلده الحجابة ، وجعله حاجب الحجاب ، أي كبير الحجة.<sup>(9)</sup>

كما جعله أيضا حجاب سابقون من أمثال سلامة مولاة و المؤتمن المعروف باخي نُجج<sup>(10)</sup>.

35- أحمد بن خاقان: <sup>(11)</sup>.

(1)- الصفدي: الوافي، ج 5، ص 120.

(2)- أسماء عمارة : البلاط العباسي، ص 236.

(3)- ابن كثير: البداية، ج 15، ص 67-68. ابن خلدون : العبر، ج 3، ص 394.

(4)- المسعودي: التنبيه ، ص 388. ابن تغري: النجوم، ج 3، ص 329.

(5)- الذهبي: تاريخ الاسلام، 24، ص 279.

(6)- المسعودي: التنبيه ، ص 388.

(7)- المصدر نفسه.

(8)-المصدر نفسه، ص 389.

(9)- ابن تغري: النجوم، ج 3، ص 272.

(10)- المسعودي: المصدر السابق ، ص 397.

(11)- المصدر نفسه. 397. وأوردته اسما فقط نظرا لشحة المعلومات عنه في المصادر.

س - حاجب الخليفة المستكفي:

استمر على حجابته أحمد بن خاقان: (1).

وقضية المؤامرة على الخلفاء من الحجاب أو الكتاب أو الوزراء، أو العكس، ليست جديدة، طالما أن في فترات العصر العباسي الثاني، انتشرت الضعف في معظم الوظائف الحساسة في الخلافة. وأصبح هم كل طرف خدمة مصالحه الشخصية، ومهما كلفه الأمر.

وبإحصاء عدد الحجاب في العصر العباسي الأول والثاني، فإننا نجد الغالبية القصوى، كانوا من الموالي، عدا حاجبا واحدا عربيا، اتخذه المأمون، وهو عبد الحميد بن شبيب بن حميد بن قحطبة الطائي. وابتداء من عهد المعتصم، فإن أغلب الحجاب هم من الترك.

وفي خلاصة معرض الحديث عن حجاب الخلفاء العباسيين، تخلص إلى أن منصب الحاجب كان مركزا حساسا ومؤثرا. قد ينافس أحيانا مركز الوزير. بل في بعض الأحيان يرتقي الحاجب إلى وزير. أو وهو حاجب يعمل أعمالا قد يعجز عنها الوزير. ونراه مرة يأخذ البيعة للخليفة الجديد. ومرة يشارك قائدا في الحروب، ومرة يدخل المتظلمين والمتناظرين إلى مجلس الخليفة. ومرة خطيرة يشارك في الانقلاب على الخليفة واغتياله. وبسبب مرونة مهنة الحاجب، فقد تعددت أجناس الذين تولوا هذا المنصب من العرب والفرس والترك وغيرهم. ولكل هؤلاء الأجناس كانت آثارهم واضحة على سياسة الخلفاء.

(1) - المسعودي: التنبيه، ص 399.

الباب الأول: بطانة الخلفاء العباسيين: التصنيف و المصاه (132-334هـ/749-946م)  
الفصل الخامس:.....النساء وتأثيرهن في توجيه سياسة الخلفاء العباسيين.

#### الفصل الخامس:

النساء وتأثيرهن في توجيه سياسة الخلفاء العباسيين.

- أولا/ تأثير النساء على خلفاء العصر العباسي الأول(132-232هـ/749-847م)  
ثانيا/ تأثير النساء على خلفاء العصر العباسي الثاني(232-334هـ/847-946م)

أولاً/ تأثير النساء على خلفاء العصر العباسي الأول(132-232هـ/749-847م):

تعتبر المرأة أقرب بطانة الرجل على الإطلاق. فهي الأم والزوجة وال بنت. لذا فهي لصيقة الفرد مهما كانت مهامه ومسؤولياته. والأمر ذاته ينسحب على الحكام والخلفاء والأمراء. فكم من دولة قامت أو سقطت بسبب تدخل المرأة في سياسة الحكم.

و في العصر العباسي تنوع دور النساء بتنوع النساء في القصر. بين الزوجات الحرائر والجواري والقهرمانات.<sup>(1)</sup> أغلب الخلفاء العباسي أمهاتهم أمهات أولاد أي أصلهن جوارى.

وخلال النصف الأول من بداية العصر العباسي الأول. لا نكاد نجد لنساء الخلفاء أو نساء القصر بصفة عامة أثرا كبيرا على القرارات السياسية. وما ذلك إلا لقوة خلفاء هذه المرحلة وحزمهم. فقد روت المصادر وصية الخليفة المنصور لابنه المهدي منها وصيته له بعدم أخذ رأي النساء في السياسة ، وأن يحذر من أن يدخلهن في أمره. وبرر له ذلك بعدة حجج<sup>(2)</sup>.

### 1/ الخيزران: (... - 173 هـ / ... - 789 م)

هي من جوارى المهدي، وكانت من مولدات اليمن أو الكوفة. سميت بالخيزران لرشاقتها وقوامها الممشوق<sup>(3)</sup>. حازمة متفكحة. يمانية الأصل. أخذت الفقه عن الامام الاوزاعي<sup>(4)</sup>. كانت لرجل من ثقيف باعها لآخر ، وهذا الأخير باعها للخليفة أبي جعفر المنصور الذي بدوره وهبها لابنه المهدي فأعجب بها وأعتقها وتزوجها سنة 159هـ/776م<sup>(5)</sup>. وأنجب منها ابنه الهادي وهارون الرشيد: فولدت له الهادي والرشيد ولم تلد امرأة خليفتين غيرها<sup>(6)</sup>.

(1)- هي لون من ألوان الجوارى في المجتمع العباسي. مع أنها أرفع منزلة وشأنها في شريحة الجوارى التي تنتمي إليها. لأن هذه التسمية كانت استعملت للإشارة إلى الوظيفة التي تخص الأمور المالية من الدخل والخروج في البلاط العباسي. سولاف فيض الله: دور الجوارى والقهرمانات في دار الخلافة العباسية (132-656هـ/749-1258م) ، ص34.

(2)- في وصية المنصور لابنه المهدي يحذره من تدخل النساء في أمر الملك: ابن خلدون: العبر، ج3، ص257.

(3)- رسائل الجاحظ، رسالة في العشق والنساء، ص169

(4)- الزركلي: الأعلام، ج2، ص328.

(5)- ابن الأثير: الكامل، ج5، ص231. ابن كثير: البداية، ج13، ص478. ميسون بنت مزكي العنزي: نساء البلاط العباسي ودورهن في الحياة العامة(132-334هـ/750-944م)، ص31.

(6)- تاريخ بغداد، ج16، ص616.

إن رغبة الجوّاري في السيطرة على الحكم ، من خلال أبنائهن، هو الذي دفعهن، إلى خوض هذا الصراع من أجل تنصيب أبنائهن ولاية للعهد ، وهذا ما حدث للخيزران حين أرادت الخلافة لولديها. (1)

وبالرغم من الحشد الكبير الذي كان يؤيد الخليفة الهادي ويساند إجراءاته ومنهم يزيد ابن مزيد الشيباني، ومحمد بن فروخ الكندي ، وعبد الله بن مالك التميمي، وعلي بن عيسى ابن ماهان، وهرثمة بن أعين، والقائد أبو عصمة ، وقد أيد هؤلاء القادة أن يقوم الخليفة موسى الهادي، أما هارون فكانت تقوم وراءه والدته الخيزران والبرامكة (2) .

كان نفوذ الخيزران المتزايد على الخليفة الهادي عظيماً. ما أثر مباشرة على الجوانب الإدارية. فكانت تأمر وتنهي، ويعلم المهدي أو بغير علمه فقد كانت تبر زمام الأمور بشكل دكتاتوري. منغمسة في كل هذه الممارسات (3) .

والدليل الذي يصور تسلط الخيزران كان في عهد زوجها المهدي. الذي اطلق يدها في كل شيء. وأول تدخل للخيزران في السياسة يرتبط بإخراج يحيى بن خالد البرمكي من السجن. بسبب سوء استعماله للسلطة في إقليم فارس، على أساس تبنيتها للإخوة بين ابنها هارون والفضل بن يحيى (4).

ولكن الوضع لم يلبث أن بدأ أثر النساء يبرز بشكل كبير في عهد الخليفة الهادي. يروي الطبري أن الخيزران: « كانت في أول خلافة موسى تفتت عليه في أموره. وتسلك به مسلكا أبيه قبله في الاستبداد بالأمر والنهي. فإنه ليس من قدر النساء الاعتراض في الملك» (5).

وكان استحواذ الخيزران على ابنها موسى في أول عهده ، يضاف إلى استحواذها على أبيه من قبل. حيث بدأت الوفود المختلفة تقف على بابها، يريدون وساطتها وتدخلاتها. لكن الهادي تفتن إلى أضرار هذه المسألة، فعزم على طرد كل من يحاول أن يصل إليها ، ومنعها من أي شفاعاة. ما أدى إلى غضبها وامتناعها عن الكلام في الشؤون ، وحلفت ألا تكلم ابنها أبدا ، وانتقلت عنه إلى منزل آخر (6).

(1)- ناهضة مطر : سلطة الجوّاري في العصر العباسي الأول ، مجلة جامعة واسط ، ص 115.

(2)- الجهشيارى: الوزراء والكتاب ، ص 174. العبادي: في التاريخ العباسي والفاطمي ، ص 82.

(2) \_ *Nabia Abbott : Tow Queens of Baghdad . p54.*

(3) \_ *Ibid.p55*

(5)- تاريخ الطبري، ج 8، ص 205. تاريخ يعقوبي، ج 2، ص 404.

(6)- أحمد شاكر : التاريخ الإسلامي - الدولة العباسية - ج 5، ص 140.

وحاول الهادي وضع حد لتدخل الحرم في سياسة الدولة . ولكن الخيزران على ما يظهر استمرت في تدخلها مدة أربعة شهور بعد هذا الطلب. « فكانت المواكب تغدو إلى بابها. فنار الهادي وهدد بضرب عنق من يرد بابها. وهددها قائلاً: ما هذه المواكب التي تغدو وتروح إلى بابك في كل يوم؟؟ أمالك مغزل يشغلك أو مصحف يذكرك أو بيت يصونك؟ إياك ثم إياك ما فتحت بابك علي أو لذمتي. ولم تتدخل بعدها للبقية الباقية من أيامه»<sup>(1)</sup>.

وترجع بعض الروايات وفاة الهادي بعد حوالي سنة من خلافته إلى تحريض أمه الخيزران التي كانت تفضل عليه ابنها الآخر هارون الرشيد.<sup>(2)</sup> فدمت إليه بعض الجواري فقتلته<sup>(3)</sup>. ويقال: « سمته أمه الخيزران ، لما أجمع على قتل أخيه الرشيد ، وكانت متصرفة في الامور إلى الغاية»<sup>(4)</sup>. ورواية السم هذه لا يقبلها عاقل ، إذ كيف يمكن نسج هذا الوضع المأساوي، لنخلص إلى أن أما تسمم ابنها، وتعرضه للموت؟ مهما كان الأمر ، فإن ما عرف عن الخيزران من حسن خلقها وكرمها، وكثرة الوافدين عليها ، يدل دلالة واضحة على أن هناك أطرافاً تعمل في الخفاء، حتى جعلت الخيزران في الموضوع الخطأ والزمان الخطأ حتى خيل لبعض الرواة أنها هي من قتلت ابنها. وهذا غير مقبول.

ويمكن أن يمرض كما مرض خلفاء كثر من قبله. فاشتد عليه المرض ، حينها أرسلت الخيزران إلى يحيى تأمره بالاستعداد ، فأحضر يحيى كتاباً فكتبوا الكتب من الرشيد إلى العمال بوفاة الهادي. وأنه قد ولاهم ما كان ويكون. فلما مات الهادي سيرت الكتب، باستخلاف ابنها الرشيد<sup>(5)</sup>.

ورغم الأصوات المتعالية ، والضغوطات المتوالية لإجبار الرشيد عن التنازل عن ولاية العهد، إلا أن الخيزران نجحت في أن يكون ابنها الرشيد ولياً للعهد ، وتحققت له الخلافة . واستفاد من رأي يحيى البرمكي في إبعاد المعارضة عن بغداد إلى الأقاليم الأخرى. تجنباً لمقترح الخيزران بقتلهم. مما يعقد الأمور ، ويدخل الجميع في دوامة من العنف. قد تأتي على الأخضر واليابس.

(1) - تاريخ الطبري، ج8، ص205. ابن الطقطقي: الفخري، ص 191. ابن خلدون: العبر، ج3، ص272. عبد الملك: سمط النجوم ج3، ص199.

(7) \_ *Amara K Bennison : The Great Khaliphs The Golden Age Of The Abbaside Empire ,P29-30.*

(3) - ابن خلدون: العبر، ج3، ص272. عبد الملك: سمط النجوم، ج3، ص199.

(4) - الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج7، ص473.

(5) - ابن الأثير: الكامل، ج5، ص272.

ولما كان الخليفة الرشيد قد رفع إلى الخلافة بجهود أمه الخيزران، ويعتبر هذا الحدث هو الأهم بالنسبة للخيزران. إذا طالما أقحمت نفسها، وانشغلت بمسألة ولاية العهد، وناضلت طويلاً من أجل ذلك. وهي تشعر بالراحة لأن ولدها أصبح هو الخليفة<sup>(1)</sup>.  
ومنذ ذلك الحين رجع نفوذ النساء إلى قوته في خلافة الرشيد، فقد كانت أمه الخيزران تتدخل في شؤون الدولة وكان لها صوت مسموع. فكانت متبسطة في دولة المهدي تأمر وتنهى وتشفع وتبرم وتنقض. وكانت هي الناظرة في الأمور، وكان يحيى يعرض عليها يورد ويصدر عن رأيها «<sup>(2)</sup>».

## 2- زبيدة بنت جعفر (... - 216 هـ = ... - 831 م)

هي زبيدة بنت جعفر بن المنصور الهاشمية العباسية، أم جعفر: زوجة هارون الرشيد، وبنت عمه. من فضليات النساء وشهيراتهن.<sup>(3)</sup> والدة الأمين محمد بن الرشيد. لم تلد عباسية خليفة سواها. وكانت عظيمة الجاه والمال. لها آثار حميدة في طريق الحج. وكان في قصرها من الجواري نحو من مئة جارية كلهن يحفظن القرآن. وكان المأمون يباليغ في إجلالها<sup>(4)</sup>.  
كانت « أم جعفر أمة العزيز بنت جعفر بن أبي جعفر المنصور المعروفة بزبيدة زوجة هارون الرشيد وأم ولده الأمين كانت معروفة بالخير والافضال على أهل العلم والبر للفقراء والمساكين ولها آثار كثيرة في طريق مكة، من مصانع حفرتها وبرك أحدثتها. وكذلك بمكة والمدينة.»<sup>(5)</sup> وكان الموالي والسكريتيرات بمواقعهم في مراتب عليا من خدمة السيدة زبيدة، يرجون حصول المساعدة أو أي معروف منها. وربما حسدوا وشجبوا من أشخاص آخرين أقل حظاً ومكانة<sup>(6)</sup>.  
ويبرز موقف السيدة زبيدة السياسي بوضوح في تدخلها في مسألة ولاية العهد.<sup>(7)</sup> فقد كان لها دور كبير في جعل ابنها الأمين ولياً للعهد. فأرادت الاستئثار بالخلافة لابنها.<sup>(8)</sup> فكانت من البداية سياسة زبيدة منصبة في مصلحة ولدها الأمين، رغبة في أن يرث عرش الخلافة ابنها

(4) \_Hilloowala : *Women's Role in Politics in The Medieval Muslim World*, p3.

(2) - تاريخ الطبري، ج8، ص234. الجهشياري: الوزراء، ص134. ابن الطقطقي: الفخري، ص191.

(3) - الزركلي: الأعلام، ج3، ص42.

(4) - الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج10، ص240.

(5) - البغدادي: تاريخ بغداد، ج16، ص619. ابن الجوزي: المنتظم، ج9، ص20. ابن خلكان: وفيات ج2، ص314.

(6) \_Nabia Abbott : *Tow Queens of Baghdad* . p163.

(7) \_Hilloowala : *Women's Role in Politics in The Medieval Muslim World* ,p34.

(8) - عايدة محمد: الدور السياسي والاجتماعي للسيدة زبيدة، ص262.

الأمين ، وهو عربي الأصل والنشأة. والمأمون كانت أمه فارسية وهي مراحل . لذلك تدخلت وبشدة من أجل الضغط على الرشيد في أن يكون ولدها وليا للعهد وإن كان عند الرشيد على الأمين بعض التحفظات. لذلك فإن الرشيد أراد حل أزمة ولاية العهد ، فأوجد مشكلة أكبر منها ، ألا وهي ولاية العهد لأكثر من واحد، إذ جعل ولاية العهد في أبناءه الأمين والمأمون والمؤمن. وهذا من الأخطاء التاريخية التي يلام عليها الرشيد.

وحتى بعد حصول الفتنة بين الأخوين التي أتت على الأخضر واليابس ، وكادت أن تعصف بالخلافة برمتها. فقد كان من حسن إدارة السيدة زبيدة للأمور وحنكته. وبجعل العلاقة بينها وبين المأمون على أحسن ما يرام. فقد كتبت حزنها على ابنها لشخصيتها القوية بادرت لتهنئة المأمون فدخلت عليه وقالت : « الحمد لله أن أهنئك بخلافة قد هنتت بها نفسي من قبل ، ولئن كنت قد فقدت ابنا خليفة ، لقد عوضت ابنا خليفة . وما خسر من اعتاض مثلك ..»<sup>(1)</sup>

ومهما يكن الأمر ، فإن تأثير الحرم ونساء البلاط بصفة عامة في العصر العباسي الأول. لم يكن متوسعا إلى حد كبير. إلا ما كان من الحالات المعروفة والمذكورة. وهذا ما يعكس قوة شخصية الخلفاء العباسيين الأوائل. وبيان الدور نفسه في العصر العباسي الثاني ، يتضح الفرق واسعا ، والأثر واضحا ، في البلاط والسياسة والاقتصاد ، بشكل أفسد الخلافة ككل.

(1) - تاريخ بغداد ، ج16، ص620. الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج10، ص241.

ثانيا/ تأثير النساء على خلفاء العصر العباسي الثاني (232-334هـ/847-946م):

ومن البلايا التي أصيبت بها الخلافة في العصر العباسي الثاني أيضا . تدخل النساء في السياسة. وتصرفهن في المال والإدارة. فقد كان ذلك نذير شؤم متجدد ومتزايد بالتوازي مع نفوذ الترك. فنلاحظ شبه غياب تام لرجال الدولة الحازمين الذين يحرسون على قوتها وسلامة أجهزتها وحفظ مقدراتها المالية والفكرية وغيرها. فمن الطبيعي أن نقول إن هناك فترات في العصر العباسي الثاني طغت فيها بطانة السوء ، وسودت أوراق وصفحات كثيرة كان ينبغي أن تكون ناصعة بيضاء بالعمل والجد والحكمة والسياسة الرشيدة.

ومما لا شك فيه أن هناك مجموعة من العوامل ساهمت وبشكل كبير في إضعاف وتعطيل مؤسسات الدولة. **وأهم** هذه العوامل التدخل الكبير والمباشر لبعض نساء البلاط العباسي في عهد المقتدر بشؤون مؤسسات الدولة. مما أسفر عن تخلف واضح على مختلف الأصعدة.

### 3/ دور قبيحة زوجة المتوكل:

هي أم المعتز بالله ، رومية الأصل ، بلغت مبلغا كبيرا في السياسة والدهاء والنفوذ والسلطان. سماها المتوكل (قبيحة) من أسماء الأضداد ، لحسنها وجمالها، وهي تسمية مجازية للدلالة على المحبة الزائدة. كانت أم ولد للمتوكل رومية، توفيت في سنة 264 هـ/884م<sup>(1)</sup>.

حيث حاولت (قبيحة) شأن نساء الخلفاء وأمهاتهم التدخل في تولية أبنائهم للخلافة. حيث بدأت بوادر الصراع على الخلافة. في عهد المتوكل (247.232هـ/846.861م). وبرز دور زوجته قبيحة. والتي قامت بدور مهم في جعل المتوكل يقرب ابنه المعتز بالله (252.252هـ/866.868م) ويعفي ابنه الأكبر المنتصر بالله (247.248هـ/861.862م) وذلك بسبب محبته لها<sup>(2)</sup>. وهي تخطط لإزاحة كل من يقف في طريق وصول **ابنها** إلى الحكم. رغم أنه من الناحية العملية أن المنتصر بالله هو الأكبر، وهو أ حق بالخلافة من ابنها. ولكن هناك سبب واقعي دفعها للإصرار على أن يتولى الخلافة ابنها بعد المتوكل ، هو كره المتوكل للمنتصر. ولذلك فهو مستحيل أن يعهد إليه.

(1)- ابن تغري: النجوم الزاهرة، ج3، ص38.

(2)- السيوطي: تاريخ الخلفاء، ص 278. الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج12، ص38. عبد الملك: سماء النجوم، ج3، ص470.

ومن الجدير بالقول أن هذا التأثير - تأثير نساء القصر- كان يتمثل باتجاهين : مثل الاتجاه الأول والدة المقتدر ، أو ما أطلق عليها في تلك الحقبة بالسيدة. ومثل الاتجاه الثاني بصورة عامة ، وهو ما أطلق عليه في المصادر التاريخية بالقهرمانات (1).

#### 4/ السيدة "شغب" أم موسى:

لما عزم الخليفة المقتدر على ضرب علي بن عيسى بالسياط على باب العامة . وقفت السيدة على بطلان الأمر . فأزالت من نفس المقتدر تصديق ذلك . وأثنته عن رأيه في معاقبته (2) . وكان للسيدة شغب دور بارز في تعيين رجالات الدولة في كافة المناصب السياسية والإدارية ، فقد عُينت بأمر قسيم الجوهري (3) حيث أنها تدخلت في تكليفه بإدارة ضياعها الخاصة بواسطة . ودون أي اعتبار لواليتها الرسمي المعين من قبل الخليفة. وهذا يعطينا فكرة واضحة عن تنفيذ السيدة وسيطرتها على أمور ابنها السياسية والإدارية (4).

وقد تزايد نفوذ السيدة منذ عهد زوجها المعتضد ، حيث اكتسبت مكانة اجتماعية مرموقة في القصر العباسي، ومن جهة أخرى صغر سن المقتدر عند توليه الخلافة ، إذ بلغ حينها سنه 13 سنة. وكونها أشرفت على تربيته وتكوينه، فتكون بذلك قد أثرت على شخصيته، الأمر الذي هيا الظروف لتدخل في أمور السياسة. مما أفسد كثيرا من أمور الدولة وسياستها. وتدخلت في اختيار وزراء المقتدر. الذين يمثلون أو من المفروض أن يكونوا مساعدين حقيقيين للخليفة، وليسوا موظفين عند السيدة (5).

ومنذ أن بويع للمقتدر بالخلافة اضطرت أحوال الوزارة ، حيث أنه كان ينصب الوزراء ويخلعهم بتأثير من أمه شغب . حتى وصلت الأمور بأن استوزر بعضهم ثم خلعهم وصادرهم حتى بلغت التغييرات للوزراء أكثر من اثنتي عشرة مرة في عهده. منه ممن تسلم الوزارة مرتين أو ثلاثة، كأمثال الوزير أبي الحسن علي بن الفرات (6).

(1)- رائد الحصونة: الدور السياسي والاجتماعي لنساء البلاط. ص 85.86.

(2)- عريب بن سعد :صلة تاريخ الطبري ، ص 257.

(3)- هو قسيم الجوهري ، أحد خواص أم المقتدر بالله ، وكانت له صلاحيات في الوساطة عند أم المقتدر وابنها. انظر الصابي: الوزراء، ص 32.

(4)- عادل اسماعيل خليل وسارة عبد الحسين طه : أثر نساء البيت العباسي في صنع القرار السياسي ، ص 268.

(5)- رائد الحصونة: الدور السياسي والاجتماعي لنساء البلاط ، ص 86.

(6)- الصابي: الوزراء ، ص 34.

ولعل هذا الأمر يقودنا إلى حقيقة أخرى مفادها أن السيدة "شغب" كانت تمتلك عددا كبيرا من الموظفين الذين يرتبطون بها ارتباطا مباشرا لغرض الإشراف على أعمالها داخل الحاضرة بغداد وخارجها. وربما كانوا يشكلون لها عيوناً في مؤسسات الدولة المختلفة . فالوزير المذكور كان يعمل تحت إمرة السيدة منذ وقت مبكر كأحد أبرز كتابها الذين ضبطوا إدارة أموالها ضبطاً شديداً فحمد أثره في ذلك وعد من مشايخ الكتاب الذين يعول عليهم في أمور الدولة وفي أحكام الدواوين.<sup>(1)</sup> ورغم أن السيدة شغب تعد أبرز نساء البلاط من المتنفذات في تاريخ الدولة العباسية. بتدخلها في سياسة الدولة ، لكن الضعف بدأ يدب إليها ، من جانب شعورها بالإفلاس المادي، ومن جاني آخر سوء العلاقة بينها وبين القادة من الأتراك في السنوات الأخيرة لحكم ولدها المقتدر بالله خاصة ابتداء من سنة 317هـ/929م . حيث دب الضعف العام في مفاصل الدولة العباسية ، وأجمع الترك على نهب الخزينة العامة، وأفلس الخليفة المقتدر ، وطمع أن تركه أمه من أموالها، لكنها أنكرت عليه الأموال . فذهب ضحية طمع الترك.

وبعد وفاة ابنها المقتدر، استخلف القهر وصادر أموالها وعذبها عذاباً شديداً، ومرضت ، ثم ماتت في المعتقل سنة 321هـ/933م<sup>(2)</sup>.

وتزداد الصورة قتامة، بازدياد دولة المقتدر تخليطاً. وذلك لصغر سنه ولاستيلاء أمه ونسائه وخدمه عليه. مكرر فكانت دولته تدور أمورها على تدبير النساء والخدم. وهو مشغول بلذته. فخربت الدنيا في أيامه وخلت بيوت الأموال وساد الشقاق فخُلع المقتدر ثم أعيد ثم قتل<sup>(3)</sup>.

ويبدو . عياناً - أن دور السيدة السياسي والاجتماعي الذي استمدته من سلطة حكم ولدها على ضعف شخصيته . وهذا هو الدور نفسه الذي جعلها تتعرض بعد مقتله إلى أصناف من التعذيب والهوان . وقد توفيت بعد مقتله بسبعة أشهر وثمانية أيام ودفنت بالرصافة<sup>(4)</sup>.

وإذا أتينا ندقق في الأمر، لماذا تورد الرواية رضا أو سخط السيدة عن الوزير ، وهو ذو منصب ووجاهة، ويفترض أنه يأمر وينهى. وهي امرأة حتى ولو كانت أم الخليفة، الذي لا يحكم أصلاً. فهذا يجعلنا ننتهي إلى أن أمر الوزارة ذاك منصب مجرد من أية صلاحية لا تخدم البطانة الخفية، وهي نساء الخلفاء والقصر عموماً . فانحراف السيدة عن الوزير دليل على أنها من

(1)- عريب بن سعد :صلة تاريخ الطبري، ج11، ص74 .

(2)- ابن الجوزي: المنتظم، ج13، ص321، الصفدي: الوافي، ج16، ص98.

(3)- ابن الطقطقي: الفخري، ص266 .

(4)- البغدادي: تاريخ بغداد ، ج14، ص357. الذهبي: تاريخ الإسلام، ج23، ص399. ابن خلدون ، ج3، ص487.

استوزرتة. فأصبح وزيرا للسيدة وليس وزيرا للخليفة.

وحالات العزل هذه منها ما مبرر ومنها ما هو غير مبرر ، أي لمجرد الهوى أو الانتقام أو قبول السعاية أو غير ذلك مما فصلناه في عزل الوزراء والكتاب.

### 5/ ثمل القهرمانه:

كانت «ثمل» القهرمانه قد أدت دورا مهما ، خاصة بعد أن أجلستها السيدة شغب بقربها للمظالم . في ظل صغر سن المقتدر وضعفه . وأصبحت «ثمل» تنظر في رقاد الناس كل جمعة. فكانت تجلس وتحضر القضاة والأعيان ، وتبرز التواقيع وعليها خطها .<sup>(1)</sup>

وأصبح تعيين الوزراء وعزلهم بأمر سيدات البلاط وقهرماناته . وكانت القهرمانه ثمل متمكنة من المقتدر . ومن الأمثلة على ذلك أنه لما شاوروا في رجل يصلح للوزارة مكان عبد الله ابن محمد . فمالت ثمل برأيها وعنايتها إلى أحمد الخصيبي ، وكان يكتب لأم المقتدر . فعزل وقبضت أمواله وذلك سنة 314هـ/926م ، وكانت تستعين به لإدارة أمورها التي يبدو بأنها لا تستطيع إدارتها بمفردها ، الأمر الذي يشير إلى أن أعمال هذه القهرمانه تماثل إلى حد ما أعمال رجال الدولة المتنفذين كالوزراء وما شابه ذلك<sup>(2)</sup>.

لذا كان من الطبيعي أن يكون ولاء أي وزير لها بعد توليه مهام الوزارة. كونها سببا مباشرا في ايصاله إلى هذا المنصب. وهي من يستطيع في الوقت نفسه أن يعزله منه. والدولة إذا وصلت إلى هذا المستوى المتدني من تحكم النساء، فقد حانت ساعة زوالها.

ومن جانب آخر يمكننا القول أن سلطة القهرمانه كانت تفوق في بعض الأحيان سلطات الوزراء فقد تدخلت في اختيار وزراء الدولة ، ويكون هذا المنصب من نصيب أولئك الذين تكون القهرمانات راضية عنهم.

و هذا الأمر كان من الأسباب المباشرة لانحطاط مؤسستي الوزارة والإمارة على حد سواء في عهد المقتدر بالله العباسي. إذ كثر في عهده تعيين وعزل والوزراء والكتاب والأمرء، سواء بتفشي الرشوة والمظاهر السلبية ، وتسلب نساء القصر على سياسة الدولة.

كما **إننا** نحس بتعاضم خطر نفوذ النساء في البلاط وتدخلهن في السياسة. فبالرغم من الإصلاحات العديدة التي قام بها الوزير علي بن عيسى إلا أنه عزل سنة 304هـ/916م. والسبب في ذلك هو تدخل الحريم في السياسة . حيث إن أم موسى القهرمانه . بمجرد أنها حجبت عن

(1) - الذهبي: تاريخ الإسلام، ج23، ص26. الذهبي: العبر، ج1، ص450. مسكويه: تجارب، ج5، ص48.

(2) - عريب بن سعد: صلة تاريخ الطبري، ج11، ص109. ابن الطقطقي: الفخري، ص274.

مقابلة الوزير علي بن عيسى . لانشغاله في أمور الدولة. أدى ذلك إلى غضبها فذهبت إلى السيدة أم المقتدر ، فأورت صدر الخليفة المقتدر عليه. وأشارت إليه وأوهمته أن ابن الفرات يحاول خلعه . ولكن الحقيقة كانت عكس ذلك لأنها كانت أساسا تسعى لعزله وتقليد الوزارة إلى محمد بن عبد الله بن خاقان لأنه التزم لها بمائة ألف دينار<sup>(1)</sup>.

وفي سنة 310هـ/ 922م قبض على أم موسى القهرمانه، وأختها أم محمد، وأخيها ابي بكر احمد ابن العباس، لأنها زوجت بنت أخيها ابي بكر من ابي العباس بن محمد بن إسحاق ابن المتوكل على الله، وكانت له نعم عظيمه، وكان لعلی بن عيسى صديقا، واسرفت في الأموال التي نثرتها، والدعوات التي عملتها، حتى دعت اهل المملكة ثمانية عشر يوما، وقالت لها السیده: انك قد دبرت ان يصير صهرك خليفه، وسلمتها الى ثمل القهرمانه، وهي موصوفه بالشر، وكانت قهرمانه أحمد بن عبد العزيز بن أبي دلف، فاستخرجت منها الف الف دينار<sup>(2)</sup>.

ومن خلال ما سبق نستنتج أن دور نساء الخلفاء أو أمهاتهم أو الجوارى والقهرمانات، قد لعبن أدوارا مهمة لا تكاد تذكر في العصر العباسي الأول. إلا ما كان من أمر الخيزران وزبيدة. بسبب التوجه القوي للخلافة والخلفاء. ولكن في العصر العباسي الثاني، ومع فشو الضعف العام في مفاصل الدولة، ظهر الأثر السلبي لتلك النسوة . خاصة على الصعيد السياسي والاجتماعي. وفاق في بعض الأحيان دور الوزراء والكتاب ، وغيرهم من رجال الدولة.

ويمكن القول أن تدخل النساء في أمور الدولة في العصر العباسي الثاني. أدى إلى ضعف الخليفة وحرمانه من وزراء أكفاء ، واستهتار العامة بها ، ووضحت هذه الظاهرة في عهد الخليفة المقتدر بالله .

ونستنتج أيضا أن تدخل الحرم ونساء القصر بصفة عامة في السياسة وشؤون الحكم ، قد أفسد الأمر على أهله. والملاحظ في هذا العصر بالذات اجتماع كثير من عوامل الضعف ، وإفساد السياسة والحكم. ضعف الخلفاء وسيطرة الجند. وفساد البطانة. ما أدى إلى فراغ كبير ملئ ، فيما بعد البويهيون القادمون من بلاد الديلم.

(1)- ابن الأثير :الكامل، ج6، ص470. 491. ابن كثير : البداية، ج14، ص774.

(2)-تاريخ الطبري، ج11، ص 227، مسكويه: تجارب الأمم، ج5، ص 141 .

الباب الثاني : الأدوار الايجابية والسلبية للبطانة في توجيه سياسة الخلفاء العباسيين .  
الفصل الأول: ..... البطانة : صلاحياتها وعلاقتها بالخلفاء من خلال دعواتهم الإصلاح.

### الفصل الأول:

البطانة : صلاحياتها وعلاقتها بالخلفاء من خلال دعوات

الإصلاح .

أولاً: دعاة الإصلاح.

ثانياً: وقفة مع مضامين الدعوات الإصلاحية.

## الباب الثاني : الأدوار الايجابية والسلبية للبطانة في توجيه سياسة الخلفاء العباسيين . الفصل الأول: ..... البطانة : صلاحياتها وملازمتها بالخلفاء من خلال دعواتهم الإصلاح.

كانت المناصحة وإبداء الرأي تجاه أعمال السلطة في الأعم الأغلب فرديا أو مباشرة في مواعظ. فقد أبدى النخبة من الفقهاء والمحدثين والدعاة والكتاب الكثير من الآراء الجريئة . وأيدوا الإجراءات التي اتخذتها الدولة لحفظ الوحدة الدينية . في سبيل الاحتفاظ بوحدة الدولة، وخوفا من الفتنة . كما أنهم اضطروا أحيانا إلى التنازل والتوفيق في مواقفهم تجاه السلطة.

### أولا: دعاة الإصلاح

يكاد يتفق كل من اطلع على هذه الدعوات أنها تنحصر في العصر العباسي الأول بالتحديد . لذا يمكن حصر دعوات الإصلاح هذه بصفة عامة . والتي منها ما تناول موضوع إصلاح البطانة بصفة خاصة . في جملة من الجهات . منها الوزراء والكتاب . الذين كانت الأمور تدار بأيديهم . و كانوا هم محط انظار وأسماع الخلفاء . بل كانوا هم انفسهم أبصار وآذان للخلفاء . يُسمعونهم ما يشاؤون ويسمعون منهم ما يشاؤون هم . وأكثر من ذلك يسمعون من الرعية ما لا يسمعه الخلفاء أنفسهم . ويُسمعون هم الرعية ما لا يسمعون إياه الخلفاء . فهم واسطة العقد بين الخلفاء والرعية . ولمواقعهم ومناصبهم ، فقد عرفوا مفاصل الحكم ودقائق مسائله وأحكامه . لذا ففي بعض الأحيان ، كانوا يشخصون الوضع ويصفون العلاج المناسب . انطلاقا من خبرتهم في الميدان . فالدعوة منهم بهذا الشكل تكون ذات قيمة عملية وتاريخية في الوقت نفسه . وقد توفقت عدة دعوات في هذا المجال .<sup>(1)</sup> ومنها:

### 1/ عبد الله بن المقفع ودعوته إلى الإصلاح في رسالة الصحابة إلى الخليفة المنصور:

ومن الأمثلة على تلك الدعوات رسالة ابن المقفع<sup>(2)</sup> الكاتب الشهير الى الخليفة المنصور . فقد لخص له فيها عظام الأمور ، بدايتها ونهايتها ، أصولها وفروعها . فنصح الخليفة بجملة من الأمور نذكر أهمها :

(1)- وقد تعرضت بدراسة وافية لهذه الدعوات في رسالتي للماجستير الموسومة بـ " دعوات الإصلاح السياسي والإداري والاقتصادي في العصر العباسي الأول .

(2)- هو عبد الله بن المقفع ، أحد البلغاء والفصحاء ، ورأس الكتاب ، وأولي الإنشاء من نظراء عبد الحميد الكاتب . وكان من مجوس فارس فأسلم على يد الأمير عيسى عم السفاح وكتب له واختص به . كان ابن المقفع متهما بالزندقة... وأهلك في سنة خمس وأربعين ومائة (الذهبي: سير أعلام ج6، ص208.209) كان فاضلا كاملا ، وهو أول من اعتنى في الملة الإسلامية بترجمة الكتب المنطقية لأبي جعفر المنصور . ألفاظه حكيمة ، مقاصده من الخلل سليمة . ترجم كتب أرسطاليس المنطقية الثلاثة... وترجم مع ذلك الكتاب الهندي المعروف بكتاب كليلة ودمنة . وله تواليف حسنة منها: رسالة الصحابة التي وجهها إلى الخليفة المنصور ، والأدب الصغير والكبير وغيرها.. القفطي: تاريخ الحكماء، ص220 . وانظر ابن الجوزي: المنتظم ج8، ص52.

## الباب الثاني : الأدوار الإيجابية والسلبية للبطانة في توجيه سياسة الخلفاء العباسيين . الفصل الأول: ..... البطانة : صلاحياتها وملازمتها بالخلفاء من خلال دعواتهم الإصلاح.

إصلاح القضاء والجندي وإصلاح البطانة ، وجاءت نصيحة في صلب موضوعنا هذا. وخص البطانة ببيان كثير من مساوئها ولم يترك الأمور مفتوحة ، بل اقترح لكل مشكل حلا يناسبه. فهو سير أغوار السياسة والرئاسة والقصر ، وعرف دواليب الإدارة ومجريات الكتابة . فكان يصور كل شيء بدقة متناهية ، حتى تلك التفاصيل التي لا يمكن لغيره أن ينتبه إليها. ومع صعوبة الوضع المالي بكثرة الاحتراز كون الدولة مازالت ناشئة فتية ، إلا أننا نكاد نجزم أن المنصور قد استفاد كثيرا مما كتب في رسالة الصحابة لابن المقفع ، على الأقل في الأمور الرئيسة والهامة مثل الخراج والجندي والقضاء والبطانة. وفي أغلب وصاياه لابنه المهدي نجد الخليفة المنصور قد استلهم معان عدة من هذه الرسالة التاريخية التي تصلح معانيها لكل عصر ومصر.

وابن المقفع هو المتمتع بثقافة وتكوين فارسين في الكتابة والإدارة. استفاد منه كثيرا الخليفة أبو جعفر المنصور في مرحلة التأسيس للدولة العباسية. التي استنفر لها كل الجهود والطاقات ووظف فيها كل أصحاب الكفاءات والمهارات ، كل حسب تخصصه. فاجتمع طاقم من خبراء السياسة والإدارة والجندي قل أن يجتمع لغيره من بعده.

وكان خلفاء بني العباس الأوائل يدركون قيمة العلماء ، فكانوا يقربونهم ويطلبونهم. « فهم في حاجة إلى بيعة فقهاء المدينة لما لهذه البيعة من الأهمية في تأييد الخلافة وتوكيد البيعة ، وكان أهل الورع من الخلفاء لا يقطعون أمرا دونهم.»<sup>(1)</sup> فاهتم المفكر ابن المقفع بدعوة الخليفة المنصور إلى الانشغال بإصلاح بطانته. فبطانة الخليفة على حد تعبير ابن المقفع : « بهاؤه وزينته ، وخاصة من عامته ، وألسنة رعيته ، لا تصلح الرعية إلا بهم ، ولا تستقيم الأمور إلا على أيديهم.»<sup>(2)</sup> وكما يكون الفساد العريض على أيديهم يمكن أيضا أن يكون الإصلاح العام على أيديهم. فهم بأيديهم الأمور ، وتأثيرهم واضح في شخصية وبلاط الخليفة عموما.

### 2/ عبد الرحمن بن أنعم الإفريقي ودعوته الخليفة المنصور إلى الإصلاح:

وهو العالم القاضي القدوة عبد الرحمن بن أنعم الإفريقي<sup>(3)</sup> ، الذي قدم دعوة صريحة جريئة جدا للخليفة المنصور بشأن الظلم المتفشي ببابه ، وهو يريد بذلك ظلم الحجاب .

(1) - جرجي زيدان: التمدن الإسلامي ، ج2، ص35.

(2) - ابن المقفع: رسالة الصحابة ، ضمن جمهرة رسائل العرب لزكي صفوت ، ج3، ص45.

(3) - هو عبد الله بن زياد بن أنعم ، القدوة ، شيخ الإسلام ، أبو أيوب الشعباني الإفريقي. قاضي إفريقية وعالمها ومحدثها على سوء حفظه. وفد على المنصور بالكوفة، فوعظه وصدعه بالحق. و كان أول مولود ولد في الإسلام في إفريقية. ولي السفاح فظهر

**الباب الثاني : الأدوار الايجابية والسلبية للبطانة في توجيه سياسة الخلفاء العباسيين .**  
**الفصل الأول: ..... البطانة : صلاحياتها وعلاقتها بالخلفاء من خلال دعواتهم الإصلاح.**

**3/ عمرو بن عبيد ودعوته الخليفة المنصور إلى الإصلاح.**

ومن هؤلاء العلماء والدعاة المشاهير الإمام عمرو بن عبيد<sup>(1)</sup> ، الذي كان يعظ المنصور في مجلسه مباشرة . مذكرا إياه بقيمة ما هو عليه من المسؤولية. ومحذرا إياه من مغبة التقصير في إدراك النقص والخلل الذي يكون في بطانته. وخاصة مسألة الاحتجاب والحجاب الذين يعملون عكس ما يقول الخليفة ويتصور .

ومن النصائح البليغة التي وجهت إلى الخلفاء في قضية حجب الحجاب الخليفة عن واقع خلافته ، موعظة عمرو بن عبيد للمنصور في البطانة : «... إن هؤلاء اتخذوك سلما إلى درك إرادتهم وصفاء نياتهم لهم ، فكلهم يوقد عليك. فقال المنصور : فكيف أصنع يا أبا عثمان ، ادع لي أصحابك استعملهم. قال: ادعهم أنت واطرد هؤلاء الشياطين عن بابك. فإن أهل الدين لا يأتون بابك وهؤلاء يحيطون بك. لأنهم إن بينوهم ولم يعملوا بأهوائهم أرشوك بهم وحملوك عليهم. والله لئن رأوك عمالك لا تقبل منهم إلا العدل ليتقرين إليك من لا نية له فيه.»<sup>(2)</sup>

كما قدم له نصيحة أخرى بالغة الأهمية فقال : « يا أمير المؤمنين: إن الله قد أعطاك الدنيا بأسرها. فاشتر نفسك من الله ببعضها. وعلم أن الله لا يرضى منك إلا بما ترضاه منه. فإنك لا ترضى من الله إلا بأن يعدل عليك ، وإن الله لا يرضى منك إلا بالعدل في رعيتك. يا أمير المؤمنين: إن من وراء بابك نيرانا تأجج من الجور ، وما يعمل من وراء بابك بكتاب الله ولا بسنة رسول الله. يا أمير المؤمنين :

﴿ ألم تر كيف فعل ربك بعاد إرم ذات العماد .. ﴾<sup>(3)</sup> ثم قال : ولمن عمل والله بمثل عملهم. فبكى أبو جعفر... وقال : قد وليتك ما وراء بابي فادع أصحابك ، فولهم. قال عمرو : إن أصحابي لن يأتوك حتى يروك قد عملت بالعدل ، كما قلت بالعدل. ثم انصرف.»<sup>(4)</sup>

جور يافريقية فوفد ابن أنعم على أبي جعفر مشتكيا. ثم قال: جئت لأعلمك بالجور ببلدنا ، فإذا هو يخرج من دارك؟ فغضب المنصور وهم به. توفي سنة ست وخمسين ومائة. الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج6، ص411.412.  
(1)- هو عمرو بن عبيد الزاهد العابد القدري كبير المعتزلة. كان المنصور يعظم ابن عبيد ويقول:  
كلكم يمشي رويد كلكم يطلب صيد غير عمرو بن عبيد.

مات بطريق مكة سنة ثلاث وقيل أربع وأربعين ومائة. رثاه المنصور. وله كتاب في العدل والتوحيد، وكتاب في الرد على القدرية. ومن كتاب تلامذته: عثمان بن عفان الطويل شيخ العلاف. وأبو حفص عمر بن أبي عثمان الشمزي. الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج6، ص104.105.106.

(2)- البلاذري: أنساب الأشراف، ج4، ص313.

(3)- سورة الفجر، الآية .

(4)- الدينوري: الأخبار الطوال، ص351-352.

الباب الثاني : الأدوار الإيجابية والسلبية للبطانة في توجيه سياسة الخلفاء العباسيين .  
الفصل الأول: ..... البطانة : صلاحياتها وملازماتها بالخلفاء من خلال دعواتهم الإصلاح.

#### 4/ نصيحة عالم مجهول بمكة للمنصور للإصلاح:

وننتقل الآن إلى نوع من الدعوات المباشرة ، والتي ليس بالضرورة أن تصدر من مشاهير العلماء والمفكرين والوعاظ. ولكنها تصدر من رجال من العامة رأوا وخبروا الحياة ودروبها. فتقدموا بالنصائح الجليلة بصورة مباشرة لدى الخلفاء موضحين مناحي الخلل ، ومقترحين علاجات مناسبة. منها دعوة رجل للمنصور في الحج تفضح مساوئ البطانة ، وتبصر الخليفة بحقيقة صحابته الذين يستعملهم فيقول:

« واتخذت وزراء أعوانا فجرة: إن نسيت لم يذكروك ، وإن أحسنت لم يعينوك ، وقويتهم على ظلم الناس بالرجال والأموال والسلاح... فلما رآك هؤلاء النفر استخلصتهم لنفسك وآثرتهم على رعيتك ، وأمرت ألا يحجوا عنك... وكان أول من صانعهم عمالك بالهدايا والأموال ليتقوا بها على ظلم رعيتك... هؤلاء القوم شركاؤك في سلطانتك ، وأنت غافل ، وإن جاء متظلم حيل بينه وبين الدخول إلى مدينتك ، وإن أراد رفع قصة إليك عند ظهورك ، وجدك قد نهيت عن ذلك ، ووقفت للناس رجلا ينظر في مظالمهم . فإن جاء ذلك الرجل يبلغ بطانتك ، سألوا صاحب المظالم ألا يرفع مظلمته إليك ، فإن صرخ بين يديك ضرب ضربا مبرحا ليكون نكالا لغيره.»<sup>(1)</sup>

#### 5/ الإمام الأوزاعي: ودعوته إلى الإصلاح في رسالته إلى الخليفة المنصور.

كما انبرى لمسألة إصلاحات العامة ، بدءا بالتوجه بإصلاح الراعي ، الذي له بالغ الأثر في إصلاح الرعية. الإمام أبو عمرو الأوزاعي الذي توجه بكثير من الرسائل الصريحة للخليفة أبي جعفر المنصور. وتقبلها بكل صدر رحب. وهذا هو المطلوب من الحكام والأمراء والمسؤولين بصفة عامة، الانصياع لنصح العلماء الربانيين ، وترك المتزلفين وأصحاب الأهواء والمصالح الشخصية . الذين مهمتهم مسaire الحاكم ، ومداهنته ، ومحاولة إرضائه دائما. بل ربما زينوا له الباطل في ثوب الحق ، أو وضعوا له السم في العسل ، فهلك وأهلك. والتاريخ يغص بالآثار الوخيمة الناجمة عن النماذج السيئة في علماء السوء. وأهل المشورة الباطلة.

#### 6/ عبيد الله بن الحسين العنبري ودعوته إلى الإصلاح في رسالته إلى الخليفة

المهدي:

(1) - ابن الجوزي : المنتظم ج8، ص49-50. ابن الساعي : مختصر أخبار الخلفاء العباسيين ، ص 17.

**الباب الثاني : الأدوار الايجابية والسلبية للبطانة في توجيه سياسة الخلفاء العباسيين .**  
**الفصل الأول: ..... البطانة : صلاحياتها وعلاقتها بالخلفاء من خلال دعواتهم الإصلاح.**

ومن هؤلاء العلماء الأعلام الإمام العنبري<sup>(1)</sup> الذي وجه رسالته المشهورة إلى الخليفة المهدي. لخص له فيها جملة كبيرة من الأمور المهمة في إصلاح الحكم وعلاقة الحاكم ببطانته ورعيته . موضحا بعض القضايا الاقتصادية وخاصة قضية الخراج. وسنعرض لها بشيء من التفصيل أثناء الحديث عن مضامين الدعوات.

7/ موعظة الإمام مالك بن أنس في رسالته إلى الخليفة هارون الرشيد وما تتضمنه

من دعوة إلى الإصلاح:

ومنهم أيضا الإمام مالك بن أنس ، الذي بعث رسالته إلى الخليفة هارون الرشيد. ينصحه فيها نصحا بليغا . ومن بين ما ذكر فيها ، قضية البطانة وضرورة استبطان أهل التقوى والصالح. وبعض الوصايا والنصائح التي يسترشد بها الخليفة. في أسلوب متين، وقوة في الطرح والنقد البناء.

8 / أجوبة أبي يوسف القاضي في رده على هارون الرشيد في: " كتاب الخراج" وما

يتضمنه من مقترحات إصلاحية :

كتبه بطلب من الخليفة هارون الرشيد نفسه. في أسئلة وجهها إليه، ويتضمن مجموعة كبيرة من المسائل الاقتصادية، والاجتماعية . صاغها وساق لها الحلول والأدلة.

9 / دعوة أديب لوزير:

وفي أخبار ابن قتيبة أن بعض الأدباء كتبوا إلى بعض الوزراء: « إن أمير المؤمنين منذ أن استخلصك لنفسه فنظر بعينك وسمع بأذنك ونطق بلسانك وأخذ وأعطى بيدك ، وأورد وأصدر عن رأيك، وكان تفويضه إليك بعد امتحانك وتسليطه الرأي على الهوى بعد أن ميل بينك وبين الذين سموا لرتبتك وجروا إلى غايتك فأسقطهم مضمامك وخفوا في ميزانك ، ولم يزدك رفعة إلا ازددت لله تواضعا...»<sup>(2)</sup>

والظاهر أن هؤلاء الخلفاء منهم من استفاد منها، فالخليفة المنصور قال لابنه المهدي:»

(1)- هو عبيد الله بن الحسن بن الحسين بن أبي الحر العنبري، ولد بالبصرة سنة 100هـ وقيل 106هـ، وبها تلقى العلم وأصبح من ساداتها. له قدر وشرف وفقه كبير ماثور عنه. محمود السيرة، عاقلا فصيحاً بليغاً. ولما كان كذلك اختاره الخليفة أبو جعفر المنصور قاضيا في البصرة في المحرم سنة 157هـ فكان محمودا فيه يقضي به. صلبا في الحق، آخذا بما أوصاه به الخليفة، وبما منحه من صلاحيات واسعة في هذا الشأن. حيث بقي يشغل هذا المنصب عشر سنوات، حتى عزله الخليفة المهدي سنة 167هـ. وولى مكانه خالد بن طليق الحارثي.(وكيع: أخبار القضاة 91/2-95، البغدادي: تاريخ بغداد 10/306-307، الزبير بن بكار: الأخبار الموافقيات، ج7، ص207، وانظر فرقاني محمد: رسالة العنبري، مجلة جامعة الأمير عبد القادر، العدد12، ص 105-130.

(2)- ابن قتيبة : عيون الأخبار ج1، ص93.

## الباب الثاني : الأدوار الايجابية والسلبية للبطانة في توجيه سياسة الخلفاء العباسيين . الفصل الأول: ..... البطانة : صلاحياتها وملازماتها بالخلفاء من خلال دعوات الإصلاح.

وخذ نفسك بالتيقظ ، وتفقد من بيت على بابك ، وسهل إذنك للناس ، وانظر في أمر النزاع إليك ، ووكل بهم عينا غير نائمة. ونفسا غير لاهية ولا تنم فإن أباك لم ينم منذ ولي الخلافة ، ولا دخل عينه غمض إلا وقلبه مستيقظ.»<sup>(1)</sup>

وهارون الرشيد مما كتب إليه مالك بن أنس، وأبو يوسف القاضي ذلك أنه هو الذي طلب منهم ذلك، ولا يمكن أن يطلب ذلك ولا يعمل به.

ثانيا: وقفة مع مضامين هذه الدعوات الإصلاحية:

### I - قضايا الحكم والادارة:

تجدر الإشارة إلى أن الكتابات التي يطلق عليها « مرايا الأمراء » تأتي في مقدمة الكتابات المهمة في الفكر السياسي الحديث. ويعبر بها عن النصائح السياسية التي يسديها الكاتب إلى الحاكم أو من كان في حكم مسؤوليته. لكي يكون سياسيا ناجحا وتقوم على قاعدة أخلاقية ، عادة ما تكون مرتبطة بالعقل والدين والأخلاق. ويمكن القول أيضا: إن مرايا الأمراء هي كل نص ، أيا كان شكله ، يأخذ على عاتقه مهمة إعلام الحاكم بما يجب أن يكون عليه ، وبما يجب ان يعرفه ويفعله، لكي يحسن قيادة مملكته ، ولكي يضمن صون سلطته.

كانت رسائل الكتاب السياسية وعهودهم وتوقيعاتهم وغيرها. هي لسان حال الدولة يومذاك ، أو لنقل : هي المعبر عن موقف المعارضة والموالاتة السلطة من قضايا العصر، فهي، والحال هذه ، وثائق تاريخية لا مندوحة عنها ، لمن أراد دراسة الحياة السياسية والاجتماعية في تلك العصور ، أضف إلى ذلك قيمتها الفنية والادبية في تاريخ النثر العربي. وقد أدت دورا كبيرا في الدفاع عن شرعية الحكم العباسي ، والتماس الحجج العقلية لذلك. ومنها ما كان يكتبها بأمر من الخليفة كبار الكتاب وبلغاؤهم وهي تشبه إلى حد كبير ما تصدره الجهات العليا في الدولة من نشرات أو منشورات سياسية، هدفها الدعاوة والإعلام ، وكذلك ما يعرف ب (الجريدة الرسمية ) في عصرنا<sup>(2)</sup>.

والسؤال المطروح هو: هل كان ثمة كتاب في الدواوين دبجوا رسائل في نقد الحكم والتعريض به وفضح عيوبه ؟ والحق أن الكتابة الديوانية كتابة رسمية ، كما سلف القول ، أي إنها

(1)- تاريخ الطبري ج8، ص106.

(2)- قحطان: الكتاب والسياسة، ص 147.

الباب الثاني : الأدوار الإيجابية والسلبية للبطانة في توجيه سياسة الخلفاء العباسيين .  
الفصل الأول: ..... البطانة : صلاحياتها وعلاقتها بالخلفاء من خلال دعواتهم الإصلاح.

تعبّر عن موقف الدولة من قضايا العصر ، ومن ثم عني الخلفاء والولاة بالترسل الديواني والخطابة أيضا عناية خاصة، وتابعهم في ذلك نقاد الأدب ، وكتاب البلاغة نتيجة ارتباطهما بأمر الدين والسلطان. وقد قيل: « إن كتاب الملوك عيونهم المبصرة، وآذانهم الواعية ، وألسنتهم الناطقة »<sup>(1)</sup>.

1- الدعوة إلى اختيار البطانة الصالحة وإصلاح السيئة منها:

تعتبر الدعوة إلى اختيار البطانة الصالحة ، أو إصلاح السيئ منها رسالة قديمة ، قد انبرى لها الأنبياء والحكماء والفلاسفة والصلحاء منذ القدم. فقد كان حكماء الدولة الساسانية يعتبرون أن « من أخلاق الملك السعيد أن يحرص على إحياء بطانته حرصه على إحياء نفسه. إذ كان بهم نظامه »<sup>(2)</sup>.

وحكماء الهند القدامى لديهم حكم في إصلاح البطانة ، وضرورة تقريب واستبطان من توافر فيه الصلاح والكفاءة فقالوا : « لا ينبغي للسلطان إقصاء البعيد إذا نفع قربه. فلا شيء ينفع أقرب من الجسد. وربما دوى فكان برؤه بالدواء يؤتى به من بعيد..»<sup>(3)</sup> فلا ينبغي إقصاء من كان على فضيل رأي وراجح عقل ، بحجة بعده، سواء من جانب النسب أو المكان. لأن المرء يقربه أو يبعده عقله ورأيه عند ذوي الألباب .

وابن المقفع كاتب درس أحوال الناس وملوكهم. تناول صحابة الخليفة ورجال بلاطه. وبين ما كان فيهم من فساد قبل خلافة المنصور إذ كانوا بلا أدب ولا حسب ، وإذ كانوا جماعة فجور وخساسة. فيرى الكاتب أن يعيد الخليفة النظر في بطانته ، وأن يتخير ذوي العقل والحسب ، لأن بطانة الخليفة « بهاؤه وزينته ، وخاصة من عامته ، وألسنة لرعيته ، لا تصلح الرعية إلا بهم ، ولا تستقيم الأمور إلا على أيديهم »<sup>(4)</sup>.

وقد ندد بهم ابن المقفع برجال البطانة في هذه الرسالة التي سماها باسمهم وهي: « رسالة الصحابة » ويعني بالصحابة هنا بطانة الخليفة . وزعم الرجل في رسالته هذه أنه في سخطه على البطانة - إنما يعبر عن آراء الناس فيهم. وأن الناس يرون في أمر هذه البطانة عجبا. وفي اختيار الخليفة لهم ظلما . أما العجب فلأنهم لا يمتازون بأدب ولا حسب. مسخوطون في آرائهم.

(1)- المرجع نفسه.

(2)- الجاحظ: التاج، ص24.

(3)- الماوردي: نصيحة الملوك، ص392.

(4)- ابن المقفع: رسالة الصحابة، ص42. الفخوري: ابن المقفع، ص24.

## الباب الثاني : الأدوار الايجابية والسلبية للبطانة في توجيه سياسة الخلفاء العباسيين . الفصل الأول: ..... البطانة : صلاحياتها وملازماتها بالخلفاء من خلال دعوات الإصلاح.

مشهورون بفجورهم. ليس لهم في الدولة كبير بلاء ولا عظيم عناء. وأما الظلم فالأنه يؤذن لهم مع هذا على الخليفة قبل كثير من أبناء المهاجرين والأنصار. ويجري عليهم الرزق أضعاف ما يجري على كثيرين من بني هاشم . وقد حلت المحنة بذلك على الأحساب والمروءة والنجدة والشرف. وابتعد الفضلاء عن الخليفة حتى إن قوما من فضلاء البصرة ، وفيهم ابن المقفع أتوا دار الخلافة في أيام السفاح. فأبوا أن يزوروه لما علموا من بطانته ومن سيرتهم السيئة<sup>(1)</sup>.

فهذا النص يحدد بصدق صفات الإداريين لعهد المنصور ورأي المجتمع فيهم. كما أن ابن المقفع موظف أيضا يشعر بالتعالي عنهم ، فلا نستبعد أن يكون مصدر هذا النقد طموحه نحو شغل منصب سياسي هام في الدولة طالما أنه يشعر بالتفوق على حاشية الخليفة وأعوانه . وفي نفس الوقت هو نقد مباشر للخليفة الذي كان يجهل ما يدور حوله، أو على الأقل راض بما هو عليه. وفي الواقع ، فإن هذه الحقيقة لها ما يبررها . فالموالي الذين اعتمد عليهم العباسيون اعتمادا كبيرا في انقلابهم على الأمويين . كان طبيعيا أن يحتلوا أعلى المناصب بعد نجاح النظام الجديد. وكان حتما على الخلفاء الاعتراف بهذا الامتياز لأعوانهم دون النظر إلى المؤهلات الكافية للقيام بمثل هذه المهمات<sup>(2)</sup>.

ويشترط ابن المقفع في أهلية البطانة شرطين هما :

- الحسب أولا + والعقل مع ذلك<sup>(3)</sup>.

والرأي عند ابن المقفع أيضا لضمان استقرار عمل البطانة لن تكون أن يكون لكل واحد من هؤلاء "البطانة" عمل لا يتعداه إلى سواه. فعمل الكاتب غير عمل الحاجب غير عمل الوزير ، وهكذا .. وتلك بيروقراطية منظمة لا تعرفها غير الحكومات المتحضرة التي لم يعهد لها العرب من قبل. وصاحبنا في هذا وذاك متأثر بمعية الفرس ورجال بلاطهم. وقد كان هؤلاء يختارون إلا من الأساورة والأشراف وأبناء الملوك والأمراء. ولم يعرف عن ملوك الفرس أنهم اختاروا لبطانتهم رجالا من عامة الشعب إلا المغنين والمطربين. ثم إنه لكل فرد من أفراد هذه البطانة عمل - كبر أو صغر - لا يعمل به سواه<sup>(4)</sup>.

(1)- حنا الفاخوري : ابن المقفع ، ص 99-100.

(2)- بشار قويدر: الإصلاح ، ص 37-38.

(3)- ابن المقفع: رسالة الصحابة، ص 43. حنا الفاخوري : ابن المقفع ، ص 99-100.

(4)-المصدر نفسه ، ص 42. المرجع نفسه ، ص 100.

**الباب الثاني : الأدوار الإيجابية والسلبية للبطانة في توجيه سياسة الخلفاء العباسيين .**  
**الفصل الأول: ..... البطانة : صلاحياتها وملازمها بالخلفاء من خلال دعوات الإصلاح.**

**2- ابن المقفع وخصائص الرجال الذين يستعان بهم في خدمة الدولة:**

وقد حدد ابن المقفع ثلاثة أنماط من الرجال لخدمة الدولة ، أو كما يطلق عليهم ابن المقفع يصلحون ليكونوا أقرانا للخليفة: (1)

\* الموظفون الأكفاء الذين يرقون من الخدمة العسكرية إلى رفقة الخليفة.

\* الفقهاء الذين يفيدون المجتمع بمعرفتهم الدينية.

\* الرجال المبرزون أشرف المجتمع.

ويجب ألا يكون للكتاب أو الحجاب أي سلطة تنفيذية. وألا يكون لهم شرف مصاحبة

الخليفة. ولكن عليهم أن يقنعوا بما يتسلمون من مكافآت مناسبة لخدماتهم (2).

على أنه من الصعب تتبع ما إذا كان الخلفاء قد عملوا بنصائح ابن المقفع ومقترحاته ، لأن ذلك سيؤدي بنا إلى الوقوع في متاهات الخلط والشك. بيد أنه يمكن تحسس آثار ذلك من خلال تطور الأحداث والوقائع البارزة التي طبعت تاريخ الدولة الإسلامية منذ تقديم رسالة ابن المقفع (3).

**3- التحذير من البطانة السيئة :**

ومن هذه الدعوات دعوة عمرو بن عبيد فقد دخل على المنصور يوما فوعظه قائلا:

« إن الله قد أعطاك الدنيا بأسرها ، فاشتر نفسك منه ببعضها . واعلم أن هذا الأمر الذي صار إليك إنما كان في يد من قبلك، ثم أفضي إليك ، وكذلك يخرج منك إلى من هو بعد. وإني أحذرك ليلة تمخض صبيحتها عن يوم القيامة. فبكي المنصور حتى جف جفناه. ثم أخذ ينبهه إلى خطر بطانته بأنهم اتخذوه سلما إلى درك إرادتهم وصفاء دنياهم لهم فكلهم يوقد عليه. » (4) فيقول: « فإن استطعت أن تستعمل في كل يوم مائة عامل. فإن رابك من واحد منهم ريب عزلته ، واستعملت غيره. فو الله لئن لم ترض منهم إلا بالعدل ، ليقربن إليك بالهدى والأعمال الزاكية من ولايته له فيه. » (5)

(1) - المصدر نفسه، ص45.

(2) - جواتيان: في التاريخ الإسلامي 71 .

(3) - بشار قويدر: الإصلاح ، ص 65-66.

(4) - ابن الجوزي: المنتظم : ج8، ص60، البلاذري: أنساب الأشراف ج4، ص310.

(5) - ما بين القوسين ورد في الأخبار الموافقيات للزبير بن بكار، ج7، ص143.

**الباب الثاني : الأدوار الإيجابية والسلبية للبطانة في توجيه سياسة الخلفاء العباسيين .**  
**الفصل الأول: ..... البطانة : صلاحياتها وعلاقتها بالخلفاء من خلال دعوات الإصلاح.**

فقال المنصور: فكيف أصنع؟ ادع لي أصحابك استعملهم. قال عمرو بن عبيد: « ادعهم أنت واطرد هؤلاء الشياطين عند بابك، فإن أهل الدين لا يأتون بابك وهؤلاء محيطون بك، لأنهم إن باينوهم ولم يعملوا بأهوائهم أرشوك بهم وحملوك عليهم. والله لئن رأوا عمالك لا تقبل منهم إلا العدل ليتقربن إليك من لا نية له فيه.»<sup>(1)</sup>

وهذه الصراحة تجاه الخلفاء كانت سمة العصور الإسلامية الأولى . ينصح العالم عمرو ابن عبيد الخليفة المنصور مباشرة ، وفي مجلسه ، ويذكره بحقائق العمر والملك. وأن قضية الملك قضية نسبية زمانية ومؤقتة جدا . إذ لو دام الملم لغيره لما وصل إليه وهكذا. فالأولى أن يحكم فيه بالعدل ويسوس الناس بالحكمة. والأساس في تولية المناصب والمسؤوليات الكفاءة والأمانة ، من قريب أو بعيد . والحزم في عزل المسيئين والخونة . وخص منهم أصحاب بطانته الذين يقفون ببابه. وبين له خطورة وجودهم من حوله ، وتأثيرهم على قراراته وحتى على شخصيته. فهم يزينون الباطل ويوزرون الحقائق. وأشار عليه باستبدالهم برسال صالحين أكفاء نزهاء نصحاء.

وننتقل الآن إلى نوع من الدعوات المباشرة ، والتي ليس بالضرورة أن تصدر من مشاهير العلماء والمفكرين والوعاظ. ولكنها تصدر من رجال من العامة رأوا وخبروا الحياة ودروبها. فتقدموا بالنصائح الجليلة بصورة مباشرة لدى الخلفاء موضحين مناحي الخلل ، ومقترحين علاجات مناسبة. منها دعوة رجل للمنصور في الحج تفضح مساوئ البطانة ، وتبصر الخليفة بحقيقة صحابته الذين يستعملهم فيقول:

« واتخذت وزراء أعوانا فجرة: إن نسيت لم يذكروك ، وإن أحسنت لم يعينوك ، وقويتهم على ظلم الناس بالرجال والأموال والسلاح... فلما رآك هؤلاء النفر استخلصتهم لنفسك وآثرتهم على رعيتك، وأمرت ألا يحجبوا عنك... وكان أول من صانعهم عمالك بالهدايا والأموال ليتقوا بها على ظلم رعيتك... هؤلاء القوم شركاؤك في سلطانتك ، وأنت غافل ، وإن جاء متظلم حيل بينه وبين الدخول إلى مدينتك ، وإن أراد رفع قصة إليك عند ظهورك ، وجدك قد نهيت عن ذلك ، ووقفت للناس رجلا ينظر في مظالمهم . فإن جاء ذلك الرجل يبلغ بطانتك ، سألوا صاحب المظالم ألا يرفع مظلمته إليك ، فإن صرخ بين يديك ضرب ضربا مبرحا ليكون نكالا لغيره.»<sup>(2)</sup>

(1) - البلاذري: أنساب الأشراف ج4، ص313.

(2) - ابن الجوزي : المنتظم، ج8، ص49-50. ابن الساعي : مختصر أخبار الخلفاء العباسيين ، ص 17.

## الباب الثاني : الأدوار الإيجابية والسلبية للبطانة في توجيه سياسة الخلفاء العباسيين . الفصل الأول: ..... البطانة : صلاحياتها وعلاقتها بالخلفاء من خلال دعوات الإصلاح.

ومساوئ البطانة هذه تنتشر في كل عصر . وليس فقط في العصر العباسي ، فالبطانة تمالؤ الحاكم وتداري وتسائر الأمور ، فيحجبون كثيرا من الحقائق تارة ويزيفونها تارة أخرى . وفي أوقات قليلة جدا تبلغ البطانة الحاكم عن الواقع الفعلي إذا كان يخدم ذلك مصالحهم . وأحيانا يكون الخليفة هو من يطلب النصيحة والمشورة ، وهذا هو الأصل الذي درج عليه معظم خلفاء العصر العباسي الأول . وخاصة الخليفة المنصور ، الذي بعث إلى أبي عمرو الأوزاعي ، فأتاه ، وبعد الاستقبال ، قال له عبارة جميلة تدل على التواضع لأهل العلم والخبرة ، قال له : « أريد الأخذ عنكم والاقْتِباس منكم . فرد الإمام الأوزاعي : يا أمير المؤمنين ، أنظر ولا تجهل شيئا مما أقول لك ، قال : وكيف أجهله وأنا أسألك عنه ، قد وجهت فيه إليك وأقدمتك له ؟ قال الأوزاعي : أن تسمعه ولا تعمل به . قال : وأهوى بيده إلى السيف ، فانتهره المنصور وقال : هذا مجلس مثوبة لا عقوبة . فطابت نفسي وانبسطت في الكلام »<sup>(1)</sup> .

فكان مما قال هذا العالم الجليل للخليفة المنصور ، بعد أن ذكره بحديث عظيم عن النبي صلى الله عليه وسلم : ﴿ أيما وال بات غاشا لرعيته حرم الله عليه الجنة ﴾ . ثم بدأ يذكر له أمور عظيمة جدا ، لا يتجرأ عليها إلا أمثال هذا الأوزاعي ، حيث قال له : « يا أمير المؤمنين من كره الحق فقد كره الله ، إن الله هو الحق المبين . يا أمير المؤمنين الذي يلين قلوب أمتكم لكم حين ولاكم أمركم لقرابتكم من النبي صلى الله عليه وسلم ، فقد كان بكم رؤوفا رحيفا ، مواسيا بنفسه لهم في ذات يده وعند الناس ، فحقيق أن يقوم لهم فيهم بالحق ، وأن يكون بالقسط له فيهم قائما ، ولعوراتهم ساترا ، لم تغلق عليه دونهم الأبواب ، ولم يقم عليه دونهم الحجاب ، يتهج بالنعمة عندهم . ويبتس بما أصابهم من سوء . يا أمير المؤمنين قد كنت في شغل شاغل من خاصة نفسك ، عن عامة الناس الذين أصبحت تملكهم ، أحمرهم وأسودهم ، ومسلمهم وكافرهم ، فكل له عليك نصيبه من العدل . فكيف إذا اتبعك منهم فئام وراء فئام ، ليس منهم أحد إلا وهو يشكو بلية أدخلتها عليه ، أو ظلامه سقتها إليه . »<sup>(2)</sup>

وهذه أهم قضية في علاقة الراعي برعيته ، إن كان حريصا فعلا على إقامة العدل ، فعليه أن يبدأ بمن حوله ثم يوسع دائرة التحريات عن مسؤوليه وولاته مهما كانت مسؤولياتهم . فإن ذلك أحرى وأجدر بنشر ثقافة الرقابة الدائمة ، والمتابعة المستمرة . ورد الحقوق إلى أهلها . واستمرت الدعوة إلى إصلاح البطانة تتوالى وتتعاقب في عصر كل خليفة من الخلفاء

(1) - الأصفهاني : حلية الأولياء ، ج6 ، ص136 .

(2) - المصدر نفسه ج6 ، ص137 .

## الباب الثاني : الأدوار الإيجابية والسلبية للبطانة في توجيه سياسة الخلفاء العباسيين . الفصل الأول: ..... البطانة : صلاحياتها ومخاطباتها بالخلفاء من خلال دعواتهم الإصلاح.

العباسيين الأوائل . في الوقت الذي أخذت في الدولة العباسية تظهر فيها أنها تستفيد من هذه الدعوات. ولما وصل إلى العمر الذهبي أقصد عصر الخليفة هارون ، استمرت أيضا هذه الدعوات بالظهور والتوجيه. فقد حذر الإمام مالك في رسالته لهارون الرشيد من بطانة السوء فقال: « احذر بطانة السوء على نفسك ، فإنه بلغني عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: ﴿ ما من نبي ولا خليفة إلا وله بطانتان بطانة تأمره بالمعروف وتنهيه عن المنكر. وبطانة لا تألوه خبالا. وهو مع النبي استولت عليه. ومتى وقى بطانة السوء فقد وقى. ﴾<sup>(1)</sup> و يقترح الإمام مالك على الخليفة هارون الرشيد أولى الناس باتخاذهم بطانة قال : « واستبطن أهل التقوى من الناس.»<sup>(2)</sup>

وتنصب هذه الدعوات في صلب الموضوع أحيانا وأحيانا أخرى في جنبااته. ولكن الأمر إذا من خبير وبصير وصاحب تجربة ميدانية في الإدارة والوزارة والقضاء فالأكيد أن تكون دعوة أبي يوسف إلى إصلاح البطانة هي عين الحكمة والخبرة. فقد أعلن أبو يوسف أن من بين حاشية العمال والوالي جماعة « ليسوا بأبرار ولا صالحين.. فليس يحفظون ما يوكلون بحفظه. ولا ينصفون من يعملونه إنما مذهبهم أخذ شيء من الخراج كان أو من أموال الرعية . ثم إنهم يأخذون ذلك. فيما بلغني بالعسف والظلم والتعدي.»<sup>(3)</sup>

فالواجب أن تتوضح رؤية الحاكم الصحيحة عن رعيته وبطانته. أولئك المتسلقين الذين يتقربون لأجل منافع شخصية محضة من أصحاب القرار في أي إدارة أو مؤسسة أو دولة كانت. إنهم بكل سهولة يصفون أنفسهم بأنهم أهل الثقة، أهل الحظوة والقرب، الذين يرون ما لا يراه الآخرون.

### 4- تسهيل الحجاب وعدم الاحتجاب:

إن كل متأمل في شؤون الحكم والسياسة عبر التاريخ ، يجد نبذ العقلاء والفضلاء والصلحاء من الملوك والحكام والرعية لاحتجاب الملوك والحكام والمسؤولين وأصحاب القرار بصفة عامة. لما في ذلك من مساوئ جمة . « فلا ينبغي للملك أن يشتد حجابها ، فإنه يدل على الكبر وسوء الملكة ويورث المقت ، وينغص المعروف ، وينسي الحسنات ، ويذكر السيئات ، مع ما ينقطع من السلطان بذلك من منافع من يرد بابه . فمن به إليهم أعظم الحاجة في وجوه العلم

(1)- رسالة الإمام مالك بن أنس إلى الخليفة هارون الرشيد ، ص 6.

(2)- المصدر نفسه ، الصفحة نفسها.

(3)- محمد مرعي: النظم المالية والاقتصادية ، ص 87.

**الباب الثاني : الأدوار الإيجابية والسلبية للبطانة في توجيه سياسة الخلفاء العباسيين .**  
**الفصل الأول: ..... البطانة : صلاحياتها وملازماتها بالخلفاء من خلال دعوات الإصلاح.**

والعمل...» وقال بعض ملوك الهند :

« واعلم أنه لا يكمل عمل وال حتى يكمل علمه بالرعية . ولا يكمل علمه بالرعية حتى تأتبه الرعية بذات أنفسها. ويخبره أذناها عن أقصاها. وليس ذلك كائنا إلا بفتح الأبواب ، ولين الجانب ، والنظر في المظالم. فإن الملك إذا كان كذلك هابته العمال ، وتنوحي عن الظلم.»<sup>(1)</sup>

«... وليعلم الملك أن في شدة الحجاب تنفيرا لذوي الفضائل الجليلة والهمم البعيدة ، وتقديرا للصنيعة ، واستفسادا للرعية ، ودلالة على الريبة ..»<sup>(2)</sup> و في وصية العنبري للخليفة المنصور :«... لا تغلق يا أمير المؤمنين بابك دون ذوي الحاجات: تتم الله ذلك لأمر المؤمنين ويسره له ، وأرجو أن يكون طائرته إلى ذلك علمه ودينه ، وقوته ، ونظره لنفسه ، واختياره لها خيار الأمور وأحسنها. وأني قد لأعرف ما قيل في إغلاق الباب دون ذوي الحاجة والخلة والمسكنة.»<sup>(3)</sup>

ومن مساوئ الاحتجاب ما ورد في إحدى الروايات ، أن رجلا قد حُجب رجل عن باب سلطان فكتب إليه :« نعوذ بالله من المطامع الدنية والهمم القصيرة وابتدال الحرية. فإن نفسي والحمد لله أبية ما سقطت وراء همة ولا خذلها صبر عند نازلة ولا استرقها طمع ، ولا طبعت على طبع وقد رأيت وليت عرضك من لا يصونه ووصلت ببابك من يشينه وجعلت ترجمان عقلك من يكثر من أعدائك وينقص من أوليائك، وسيء العبارة عنك ويوجه وفد الذم إليك ، ويضغن قلوب إخوانك عليك . إذ كان لا يعرف لشريف قدرا ولا لصديق منزلة . ويزيل المراتب عن جهل بها وبدرجاتها فيحط العلي إلى مرتبة الوضيع ، ويرفع الدني إلى مرتبة الرفيع ، ويحتقر الضعيف لضعفه ، وتنبو عينه عن ذي البذاذة. ويميل إلى ذي اللباس والزينة ، ويقدم على الهوى ويقبل الرشا.»<sup>(4)</sup>

ومن النصائح البليغة التي وجهت إلى الخلفاء في قضية حجب الحجاب الخليفة عن واقع خلافته ، موعظة عمرو بن عبيد للمنصور في البطانة : «... إن هؤلاء اتخذوك سلما إلى درك إرادتهم وصفاء نياتهم لهم ، فكلهم يوقد عليك. فقال المنصور : فكيف أصنع يا أبا عثمان ، ادع لي أصحابك استعملهم. قال: ادعهم أنت واطرد هؤلاء الشياطين عن بابك. فإن أهل الدين لا يأتون بابك وهؤلاء يحيطون بك. لأنهم إن باينوهم ولم يعملوا بأهوائهم أرسوك بهم وحملوك عليهم. والله

(1)- الماوردي: نصيحة الملوك، ص281-282.

(2)- المصدر نفسه ، ص 280.

(3)- وكيع: أخبار القضاة، ج2، ص107.

(4)- ابن قتيبة : عيون الأخبار، ج1، ص86.

## الباب الثاني : الأدوار الإيجابية والسلبية للبطانة في توجيه سياسة الخلفاء العباسيين . الفصل الأول: ..... البطانة : صلاحياتها وملازماتها بالخلفاء من خلال دعوات الإصلاح.

لئن رأوك عمالك لا تقبل منهم إلا العدل ليتقرين إليك من لا نية له فيه.»<sup>(1)</sup>  
فمن المستحيل أو على الأقل من الصعب أن يلتقي في بطانة واحدة مصلحون ومفسدون جنباً إلى جنب. فأصحاب البطانة الفاسدة يخدمون مصالحهم ومشاريعهم. لا يهمهم أمر الحاكم ولا المحكوم. وأهل الصلاح في نظرهم مفسدون أو متخلفون أو غير مسايين أو معطلين . لأنهم يرون مصلحتهم أكبر من أي مصلحة ، ويرون أن لا شيء يعترض مصالحهم مهما تدنت وسفلت .  
وفي أخبار ابن قتيبة أن بعض الأدباء كتبوا إلى بعض الوزراء: «إن أمير المؤمنين منذ أن استخلصك لنفسه فنظر بعينك وسمع بأذنك ونطق بلسانك وأخذ وأعطى بيدك ، وأورد وأصدر عن رأيك، وكان تفويضه إليك بعد امتحانك وتسليطه الرأي على الهوى بعد أن ميل بينك وبين الذين سموا لرتبتك وجروا إلى غايتك فأسقطهم مضمارك وخفوا في ميزانك ، ولم يزدك رفعة إلا ازددت لله تواضعاً...»<sup>(2)</sup>

والظاهر أن المنصور استفاد من كل تلك الدعوات . ومما يدل على ذلك ما ورد في وصية الخليفة المنصور لابنه المهدي ورد قوله: «وخذ نفسك بالتيقظ ، وتفقد من يبيت على بابك ، وسهل إذنك للناس ، وانظر في أمر النزاع إليك ، ووكل بهم عينا غير نائمة. ونفسا غير لاهية ولا تنم فإن أباك لم ينم منذ ولي الخلافة ، ولا دخل عينه غمض إلا وقلبه مستيقظ.»<sup>(3)</sup>

### 5- الدعوة إلى إقامة العدل :

فالعدل الصادر من الحاكم هو الذي يجمع حوله البطانة الصالحة ، ويصرف عنه البطانة السيئة. والعكس صحيح إذا ظلم الحاكم تكاثرت من حوله الظلمة وزينوا له الظلم وهونوه في عينه. وحجبه عنه كل صلاح ، وحجبه عن كل إصلاح قد يظهر أنه يضر بهم. فالمصلحون لا يندفعون إلى مخالطة الحاكم صاب البطانة السيئة ، كما أنهم لا ييقنون متفرجين آخذين موقف الحياد السلبي وكفى. لا فهذا لا يكفي بل إنه لا ينبغي أصلاً. فقد تبرا العالم الجليل سفيان الثوري من بطانة المهدي السيئة بحسبه: «قال المهدي للثوري: أبا عبد الله اصحبنى حتى أسير فيكم سيرة العمرين. قال الثوري: أما وهؤلاء جلساؤك فلا.»<sup>(4)</sup> ولا يمكننا أن نحكم على تصرف هذا العالم بالسلبية

(1)- البلاذري: أنساب الأشراف، ج4، ص313.

(2)- ابن قتيبة : عيون الأخبار، ج1، ص93.

(3)- تاريخ الطبري، ج8، ص106.

(4)- أبو نعيم: حلية الأولياء ، ج6، ص378.

## الباب الثاني : الأدوار الإيجابية والسلبية للبطانة في توجيه سياسة الخلفاء العباسيين . الفصل الأول: ..... البطانة : صلاحياتها وملازمتها بالخلفاء من خلال دعوات الإصلاح.

المطلقة ، أو التكبر والتهرب من مسؤولية مخالطة الحاكم السيء البطانة . بالقدر الذي لا نستطيع به تقييم مستوى تصرفات وشخصيات بطانة هذا الخليفة أو ذلك . بل تبقى مواقف شخصية ، ربما يكون في أحدها العبرة ، وفي الآخر الفكرة وهكذا.

خاصة إذا علمنا أن الخليفة المهدي كان يباشر شؤون الدولة بنفسه . دون أن يدع لوزرائه الفرصة ليستبدوا بالسلطة دونه . أو يتصرفوا حسب أهوائهم وأغراضهم . ومما يؤكد ذلك أن المهدي كان إذا شعر أن أحد وزرائه قد استأثر بالنفوذ أو انحرف عن الجادة ، عزله وولى غيره ممن اشتهروا بالعدل والخبرة . ولذا كان وزراء المهدي من أبرز الوزراء في العصر العباسي . ولكن المهدي ، رغم ذلك ، كان ديمقراطياً ، فكان يستشير رجالات الدولة وذوي الخبرة في مهام الأمور .<sup>(1)</sup>

### 6- تقريب العلماء وأصحاب الرأي :

وأشار العنبري في رسالته للمهدي بصراحة إلى ضرورة تقريب أصحاب ذوي الكفاءات والمؤهلات وبين له جملة من المعايير التي يجب أن يتوخاها في ذلك . فقال: «...فإن رأى أمير المؤمنين أن يكون بحضرته قوم منتخبون من أهل الأمصار . أهل صدق وعلم بالكتاب والسنة ، أولوا حنكة وعقول ، وورع لما يرد عليه من أمور الناس وأحكامهم . وما يرفع إليه من مظالمهم فليفعل... ففي ذلك عون صدق على ما هو إن شاء الله.»<sup>(2)</sup>

وهذه طريقة رائعة اقترحها العالم الجليل الإمام العنبري ، وتتضمن الاستفادة من الطاقات والقدرات وتوظيفها في التسيير الحسن لأمر الدولة . بدل الاعتماد على أولي القربى ويكونون معدومي الكفاءة والنزاهة . فما الفائدة من ذلك ؟؟

والتاريخ مليء بالأمثلة والشواهد على زوال الدول والحضارات التي انتشرت فيها ظاهرة البيروقراطية واستعمال الضعفاء في شتى الميادين ، فالعامل أو الوزير أو الكاتب الذي يستخدمه الخليفة لا يهمه من ذلك إلا تفانيه وكفاءته . وليس لقبه أو نسبه أو لونه وشكله .

وهناك مبدأ عام في ذلك هو تقريب أهل الخير وهو ما تقرره هذه الرواية : فقد دخل أبو حازم بن دينار (ت 140هـ/757م) على أمير المدينة في ذلك العصر قال له: «انظر الناس ببابك، إن أدنيت أهل الخير ذهب أهل الشر . وإن أدنيت أهل الشر ذهب أهل الخير . فاحرص على الخير وأهله . وإياك وهل الشر الذين يزينون لك الباطل ويوردونك موارد الهلاك.»<sup>(3)</sup>

(1)- الخربوطلي: المهدي العباسي ، ص 52.

(2)- الماوردي: التحفة الملوكية ، ص 70-71.

(3)- الذهبي: سير أعلام ج6، ص96 ، الدعوة إلى الله في العصر العباسي الأول ، ص 209.

## الباب الثاني : الأدوار الإيجابية والسلبية للبطانة في توجيه سياسة الخلفاء العباسيين . الفصل الأول: ..... البطانة : صلاحياتها وملازماتها بالخلفاء من خلال دعوات الإصلاح.

وقد ورد في وصية القائد الجريء طاهر بن الحسين لابنه بشأن استبطان العلماء: «... وأكثر مجالسة العلماء ومشاورتهم ومخالطتهم... وليكن أكرم دخلائك وخاصتك عليك من إذا رأى فيك عيبا لم يمنع هيبتك من إنهاء ذلك إليك في سر، وإعلامك ما فيه من النقص ، فإن أولئك أنصح وأولئك مظاهريك . وانظر عمالك الذين بحضرتك، وكتابتك فوقت لكل منهم في كل يوم وقتا يدخل عليك فيه بكتبه ومؤامراته ، ومن عنده من حوائج عمالك. وأمور كورك ورعيتك. ثم فزع لما يورده عليك من ذلك سمعك وبصرك وفهمك وعقلك وكرر النظر فيه. والتقدير له ، فما كان موافقا للحزم والحق أمضيته . واستخر الله فيه. وما كان مخالفا لذلك فأصرفه إلى الثبت فيه ، والمسألة عنه»<sup>(1)</sup> .

### 7- ضرورة اختيار المستشارين وقبول المشورة:

ويرتبط موضوع إصلاح البطانة بموضوع آخر لا يكاد ينفك عنه وهو موضوع اختيار المستشارين أي محل الثقة والمشورة. ونجد الخليفة المنصر يشتكي إلى العالم الجليل عبد الرحمن بن زياد بن أنعم الإفريقي قلة الأعوان النصح ، والبطانة الصالحة. فبادره عبد الرحمن بن أنعم بقوله حكاية عن بني أمية: « يا أمير المؤمنين ما رأيت من سلطانهم من الجور والظلم إلا رأيت في سلطانك... فانظر ماذا تفعل؟ قال: يا عبد الرحمن إنا لا نجد الأعوان . قال: يا أمير المؤمنين ، السلطان سوق نافق لو نفق عليك الصالحون لجلبوا إليك.»<sup>(2)</sup>

وقد نبهه إلى قيمة المشورة ، وضرورة استشارة أصحاب الرأي والعلم والأمانة ، العالم الكبير عبيد الله بن الحسن العنبري فبعث برسائلته إلى الخليفة المهدي بأن يأخذ برأي العلماء ويقربهم ، وأمره بصيغة مهذبة مؤدبة بقوله:

« جرب يا أمير المؤمنين الاهتداء بسنة الأئمة والعلماء الهداة.. ذلك بأنهم قاموا بنور الكتاب الذي أنزل الله ، وأمالهم على ألسنتهم وأيديهم ولمن يتبعهم عليه. فنعم التابع والمتبوع »<sup>(3)</sup> .

ونظرا لأنه لا يمكن للخليفة أن يستغني عن المشاورة ، التي لم يستغن عنها حتى الأنبياء. قال الماوردي عن قول الله تعالى: « وشاورهم في الأمر»<sup>(4)</sup> : «هذا وهو صلى الله عليه

(1)- ابن طيفور: تاريخ بغداد، ص105-106.

(2)- ابن الجوزي: المنتظم، ج7، ص339.

(3)- وكيع: أخبار القضاة، ج2، ص98.

(4)- سورة آل عمران ، الآية 159.

## الباب الثاني : الأدوار الإيجابية والسلبية للبطانة في توجيه سياسة الخلفاء العباسيين . الفصل الأول: ..... البطانة : صلاحياتها وعلاقتها بالخلفاء من خلال دعوات الإصلاح.

وسلم أكمل الخلق عقلا ونقلا. فهذا الاعتبار لابد منها - أي المشاورة - في كل أمر تريده ، ولو استشرت أكبر أو أصغر منك ، فإياك وترك المشاورة»<sup>(1)</sup>.

فالرأي ليس فيه الصغير أو الكبير ، فهو مادة العقل ، والعقل يكسبه الصغير و الكبير .  
وانما العبرة بصواب الرأي وسداده . وفي هذا السياق فإن الواقع التاريخي الذي عاصر أو نتج عن هذه الدعوات . التي كانت في الغالب محصورة -حسب علمي- بين عصري المنصور والرشيد .  
وتقريبا كانت الدعوة إلى إصلاح البطانة لم ترد منفردة. بل و ردت ضمن مجموعة كبيرة من النصائح والمواعظ. اخترنا منها ما يتعلق بموضوعنا.

والأكيد أن هذه الدعوات لم تكن جوفاء من غير صدى أو تأثير. بل كان لها أثر بالغ في نفوس الخلفاء الأول. خاصة وأن شخصيات الخفاء المخصوصين بهذه الدعوات ، كانوا على قدر كبير من التدين والوعي السياسي والفكري. بل كان كثير منهم يطلب بالحاح تقرب واستعمال هؤلاء العلماء أصحاب تلك الدعوات . وكثير منهم تولوا مناصب رفيعة مهمة ، إلى جنب هؤلاء الخلفاء. ونخص بالذكر منهم : ابن المقفع كاتب المنصور ، وأبا عبيد الله وزير المهدي ، وأبا يوسف سند الرشيد وقاضي قضاته.

استفاد كثير من الخلفاء العباسيين الأوائل من تلك الدعوات الإصلاحية كثيرا. مما مكن لهم حسن الاستهداء بمقتضياتها في سياساتهم العامة.

## II - قضايا الاقتصاد والمالية:

يؤكد بعض الباحثين على أن يربط بين الاقتصاد والسياسة بعلاقة وثيقة. على أن الاقتصاد هو الطرف الغالب والمؤثر في العملية. بحيث يبرر التطور السياسي على أساس التطور الاقتصادي.  
باعتبار أن الاقتصاد هو البنية التحتية لكل مجتمع، وهي أساس البنية الفوقية أي السياسة.  
وفي الآونة الأخيرة ، فقد بدأ الاهتمام بالتاريخ الاقتصادي للمجتمعات الإسلامية بالتزايد.  
لأن الحاجة لفهم كثير من الأحداث التاريخية تدعو إلى التنقيب عن الأثر الاقتصادي والاجتماعي للعامل السياسي ، أو الثقافي .

وتعتبر قضية تنظيم الضرائب قضية مهمة جدا وشائكة في نفس الوقت. وتطرح جملة من التساؤلات

(1)- الماوردى: النخبة الملوكية ، ص70-71.

## الباب الثاني : الأدوار الايجابية والسلبية للبطانة في توجيه سياسة الخلفاء العباسيين . الفصل الأول: ..... البطانة : صلاحياتها وملازماتها بالخلفاء من خلال دعواتهم الإصلاح.

الفرعية التي تحتاج إلى بحث معمق. وسنحاول الاجابة عن بعضها ومنها:  
. لماذا لم يؤسس جهاز رقابي مستقل ونزيه يعمل على مراقبة عملية الجباية ؟ أي يراقب الطرفين الجباة وأصحاب الأراضي على حد سواء ، حتى يمنع الظلم عن الطرفين.  
. لماذا تعددت الثغرات والأساليب الخاطئة في الجباية رغم وجود هياكل ودواوين من قبل تعنى بدراسة وتنظيم هذا المورد الاقتصادي الهام؟؟  
. هل يعد الانتقال من نظام المساحة إلى نظام المقاسمة في وقته أم جاء متأخرا؟؟  
إذا عرفنا تاريخيا أن ضريبة الأرض لم تكن واحدة في الدولة الإسلامية . بسبب اختلاف الأقاليم. فإن كان الخليفة المؤسس أبو جعفر المنصور قد عزم على ضبط الضرائب ومراقبة عمال الجباية. وبالاستناد إلى عدة دعوات إصلاحية مقدمة من علماء وكتاب ...

### 1- دعوات الإصلاح المالي و الجبائي:

تعد قضية جباية الخرج من أهم القضايا الأساسية التي شغلت بال كثير من العلماء والمفكرين والمستشارين الذين توجهوا بنصائح ورسائل للخلفاء العباسيين المعنيين. وكما ذكرت في موضع آخر من هذا البحث - فإن هذه الدعوات استغرقت من بداية الدولة العباسية إلى نهاية القرن الثاني تقريبا. ومعنى ذلك أن هذه الدعوات شملت عصر القوة فزادته قوة. فالنقد البناء إذا وجد آذانا صاغية وأيد طيبة ، فإنه يحفظ المجتمع ويقوي الاقتصاد ويحسن في سمعة الدولة.  
وكان الأساس الذي تقوم عليه ضريبة الأرض الزراعية. من منطلق أن الأرض ملك الدولة. وإن الناس يستغلونها وللدولة حق في غلتها. والخراج حصة الحكومة من ذلك الربح<sup>(1)</sup> .  
وكان الخراج يؤخذ إما مقدارا معيناً من المال أو من الحاصلات. على أن أسس الخراج لم تكن قد استقرت إذ كانت تبعا للظروف. كما أن نسبة المقاسمة تغيرت ، إذا أضيف العشر إلى النصف<sup>(2)</sup> .  
ويلاحظ أن أول خليفة عباسي تلقى مثل هذه الدعوات هو الخليفة أبو جعفر المنصور. ورغم ما عرف عنه من ضبط للأموال ومراقبة وتوجيه. إلا أن سياسته المالية جوبهت برد فعل لم يرض كثيرا من العلماء والمفكرين. فقد استنكروا هذه السياسة لما يترتب عليها من استخدام العنف والعسف في الجباية ، وعدم توزيعها على أهلها ومستحقيها فضلا عن فساد الموظفين الماليين . ففي رواية أحد الأتقياء وعظ المنصور في موسم الحج بقوله:

(1)- جرجي زيدان :تاريخ التمدن، ج1، ص234.

(2)- عبد العزيز الدوري: النظم الإسلامية ، ص 139.

## الباب الثاني : الأدوار الايجابية والسلبية للبطانة في توجيه سياسة الخلفاء العباسيين . الفصل الأول: ..... البطانة : صلاحياتها وملازماتها بالخلفاء من خلال دعوات الإصلاح.

« إن الله تبارك وتعالى استرعاك في أمور المسلمين وأموالهم فأغفلت أمورهم ، واهتممت بجمع أموالهم ... وبعثت عمالك في جباية الأموال وجمعها وحشرها إليك ، وقويتهم بالرجال والكرام ... فجبى عمالك الأموال وجمعوها وحشروها إليك ، فأودعتها الخزائن بمدينتك ، ولم تعطها أهلها ، فلما رآك - يا أمير المؤمنين- هؤلاء النفر الذين استخدمتهم لنفسك... تجمع الأموال وتجمعها ويتأثر بها، فلا تقسمها على أهلها ، وتمنعهم حقوقهم فيها منها. قالوا: هذا قد خان الله ، فمالنا لا نخونه »<sup>(1)</sup>.

وفي هذا إشارة إلى توزيع المنصور الأموال على مستحقيها كما جرت عليه العادة في القرآن والسنة . فضلا عن عدم اتباع مبدأ الحلال في جباتها . إذ يقول العالم للمنصور: « خذ الفياء والصدقات ، مما حل وطاب ، واقسمه بالعدل والحق »<sup>(2)</sup>.

ومما يدل أن الخليفة المنصور . ربما تأثر برسالة ابن المقفع . أنه شرع فعلا في بعض اجراءات الإصلاح المالي بعد القضاء على أعدائه السياسيين. حيث قام ببعض الاجراءات منها أنه أمر بتعديل السواد . ومعنى تعديل السواد إعادة النظر في مقادير الضرائب والوظائف المربوطة على الكور . وأمر أيضا بمنع تحويل الأراضي الخراجية إلى أرض عشرية. حيث سن قرارا بهذا الشأن وأرسل خبراء لمسح مختلف أراضي الدولة في حدود سنة 141هـ / 743م. وبمقتضى ذلك تم تنظيم أراضي الدولة وتسطير ضرائبها. فقلد المنصور حمادا التركي تعديل السواد ، وأمره أن ينزل الأنبار ولا يدع أحدا من أهل الذمة يكتب لأحد من العمال على المسلمين إلا قطع يده.<sup>(3)</sup> ولم تمض مدة طويلة على هذا التخطيط حتى كانت له نتائج ايجابية<sup>(4)</sup>.

وابن المقفع في رسالته لا يهدف إلى إصلاح ديني ، إنما طالب بإصلاح سياسي وإداري وقضائي ومالي. على أسس حضارية ، تخضع للعقل والمنطق... فهو يدرك أن الخراج من الموارد الرئيسية لخزانة الدولة. ومن أسس رخائها الاقتصادي . فيقول ابن المقفع : « ومما يذكر به أمير المؤمنين ، أمر الأرض والخراج . فإن أجسم ذلك وأعظمه خطرا وأشدّه مؤونة وأقربه إلى الضياع ما بين سهله وجبله »<sup>(5)</sup>.

(1)- الزبير بن بكار: الأخبار الموافقيات، ص393-394.

(2)- المصدر نفسه، ص398.

(3)- الجهشياري: الوزراء، ص134. محمد مرعي: النظم المالية والاقتصادية، ص60-61

(4)- بشار قويدر: الإصلاح، ص69.

(5)- رسالة الصحابة، ص45. محمد مرعي: النظم المالية والاقتصادية، ص59.

**الباب الثاني : الأدوار الإيجابية والسلبية للبطانة في توجيه سياسة الخلفاء العباسيين .**  
**الفصل الأول: ..... البطانة : صلاحياتها وملازمتها بالخلفاء من خلال دعوات الإصلاح.**

ويقترح ابن المقفع في رسالته للمنصور ترك جزء من واردات الشام لمتطلبات أهلها وإرسال الباقي إلى بيت المال. فقال يذكر أمر أهل الشام: «ولكن أخذ في أمر الشام على القصاص، حرموا كما كانوا يحرمون الناس . وجعل فيهم إلى غيرهم كما كان في فيء غيرهم إليهم... فإن رغبة أمير المؤمنين لنفسه عن هذه السيرة وما أشبهها فلم يعارض من عاب. ولم يمثل ما سخط. كان العدل أن يقصر بهم على فيهم. فيجعل ما خرج من كور الشام فضلا من النفقات ، وما خرج من مصر فضلا من حقوق أهل المدينة ومكة. بأن يجعل ... ديوان مقاتلتهم ديوانهم أو يزيد أو ينقص. غير أنه يأخذ أهل القوة والغناء بخفة المؤنة والخفة في الطاعة. ولا يفضل أحدا منهم على أحد إلا على خاصة معلومة»<sup>(1)</sup>.

ويبرز ابن المقفع عيوب نظام الخراج ، فليس هناك نظام ثابت موحد يتبعه عمال الخراج. مما أدى إلى كثير من المظالم. وأوضح ابن المقفع أخطاء هؤلاء العمال. فهناك عمال يغالون في تقدير الضرائب المفروضة على الأرض. ويتبعون وسائل العنف في تحصيلها. وهناك عمال آخرون لا يهتمون بتعمير الأرض ، مما أدى إلى خرابها. ويتهم ابن المقفع هؤلاء العمال بالخيانة»<sup>(2)</sup> .

ويقترح ابن المقفع على الخليفة مسح الأراضي. وضبط الدواوين ، والتدقيق في اختيار الموظفين ممن يتوفر فيهم الكفاءة والامانة. ثم مراقبتهم واستبدالهم بغيرهم إذا انحرفوا عن الطريق القويم<sup>(3)</sup>.

وهنا تبدو صراحة ابن المقفع واضحة جلية. فهو يعترف بأن تنفيذ المقترحات ليس بالأمر اليسير. وحتى يجني الخليفة الثمار فإنه في حاجة إلى جهد ورجال ووقت. مستشعرا صعوبة هذا العمل مع ضرورته. فيقول ابن المقفع: « وهذا الرأي مؤونته شديدة ، ورجاله قليل، ونفعه متأخر »<sup>(4)</sup>.

وابن المقفع كاتب درس الوضع ، فوجد أن المشكل يكمن في فوضى الخراج ، فشكا أن الأراضي مع اختلافها جودة ليس مقررا على كل "وحدة" منها مبلغ معين. ولا تسجل ذلك في دفاتر يحفظ أصلها ويحصل بمقتضاها. واقترح للإصلاح أن تمسح الأراضي ويفرض عليها الحال المناسب. ويعرف كل مالك ما عليه ويدون ذلك في سجلات تحفظ أصولها في دواوين الدولة. ففي

(1)- ابن المقفع : رسالة الصحابة، ص41-42. غيداء : الخراج 205-206.

(2)- المصدر نفسه ، ص 41-43. محمد مرعي :النظم المالية ، ص 59.

(3)- المصدر نفسه، ص41-43. المرجع نفسه.

(4)- المصدر نفسه ، ص 41-43. المرجع نفسه ، ص59.60.

**الباب الثاني : الأدوار الإيجابية والسلبية للبطانة في توجيه سياسة الخلفاء العباسيين .**  
**الفصل الأول: ..... البطانة : صلاحياتها وملازمها بالخلفاء من خلال دعوات الإصلاح.**

هذا « صلاح للرعية وعمارة للأرض وحسم لأبواب الخيانة وغش العمال»<sup>(1)</sup>. فالمهدي استفاد كثيرا من البجوبة المالية ، والثروة العظيمة التي تركها له أبوه المنصور. ومع ذلك في تقديري لم يكن مثل أبيه في الحفاظ على الأموال ومصادرها ونفقاتها. وهذا ما يفسر كثرة التضخم في عهده. وعلى الرغم من ذلك كله لم يتأثر الاقتصاد في عهده بشكل كبير ، بل بقيت الدولة العباسية عظيمة في سياستها واقتصادها وشؤونها. وختم مطالبه في إصلاح الخراج بتخيير الذين يتولون هذا العمل . وشدة الرقابة عليهم ، والاستبدال بهم عند ظهور خيانة عليهم .

وحددت أنواع الأراضي وجعلوا العشر على الأراضي التي انتقلت إلى الناس عن طريق الشراء أو الوراثة. أما الأراضي التي بقيت بأيدي أصحابها من السكان المحليين فتقرر عليها الخراج. وقد كانت الضريبة على الأرض حسب نظام المساحة ، وحسب البلاذري في نهاية خلافة المنصور طلب أهل السواد تغيير نمط تقييم الضريبة. وبالفعل في خلافة المهدي ظهر نظام ضريبي مستند على سهم المحاصيل. وهو ما يعرف بنظام المقاسمة<sup>(2)</sup> .

ثم إن العالم أبو عبيد الله بن الحسن العنبري قدم خطة إصلاحية للخليفة المهدي. تعكس الحل المقترح للمشكلة الاقتصادية في أواخر أيام الخليفة المنصور. وتتضمن الخطة نقطتين :<sup>(3)</sup>

النقطة الأولى: إصلاح جباية الخراج وذلك بتقليل مقدار الضرائب كي يبقى مبلغ من المال بيد الفلاحين للانفاق منه على عيالهم وعلى أرضهم ، وبذلك يزداد الطلب الفعلي على السلع والخدمات فيتحرك الاقتصاد ويحل الانتعاش محل الركود، فذلك أعمر للبلاد وأدر للخراج .

وأما النقطة الثانية فتتمثل بإعادة توزيع عائدات الضرائب(الفيء) بحيث يمتد ليشمل الجماعات التي حرّمها المنصور من حقها في الفيء، وهذه الجماعات التي اكتفى المسؤولون بإعطائها مما تغنم عند اشتراكها في الحملات العسكرية بعدل .

ومما يلاحظ أن أبا يوسف نبه للمخالفات ، وحاول وضع التدابير المالية ، على أسس مقبولة أو عادلة . ولكن يبدو مرة أخرى أن الدولة لم تأخذ بالاقترحات جميعها، وبالتحديد فيما يخص النسب المقترحة للمقاسمة. فيذكر الطبري في أحداث سنة 172هـ/788م فيشير إلى أن هارون الرشيد وضع عن أهل السواد العشر الذي كان يؤخذ منهم بعد النصف. وهذا يعني تخفيف

(1)- رسالة الصحابة، ص45-46.

(2)- Michele Campopiano :*State, Land Tax and Agriculture in Iraq from the Arab Conquest to the Crisis of the Abbasid Caliphate. (Seventh-Tenth Centuries)* Centre for Medieval Studies,2012. University of York, UK ,p26.

(3)- وكيع : أخبار القضاة ج2، ص102. عبد الوهاب خضر: ظاهرة رخص الأسعار، ص188.

## الباب الثاني : الأدوار الايجابية والسلبية للبطانة في توجيه سياسة الخلفاء العباسيين . الفصل الأول: ..... البطانة : صلاحياتها وملازماتها بالخلفاء من خلال دعوات الإصلاح.

حصّة بيت المال إلى النصف ، أي خمسين بالمائة بعد أن كانت ستين بالمائة. واستمر هذا الإجراء قائماً حتى سنة 204هـ / 819م حين أمر المأمون بمقاسمة أهل السواد على الخُمسين وكان ذلك بعد عودته إلى بغداد قادماً من خراسان<sup>(1)</sup>.

واقترح أبو يوسف إرسال مجموعة من أهل الجند من أهل الديوان ، عرفوا بصراحتهم ونصحهم للخليفة. لمراقبة العمال وأعاونهم . على أن توفي أرزاقهم كاملة من ديوانهم شهراً بشهر . فلا يأخذوا من الخراج شيئاً. « ولتصير مع الوالي الذي وليته قوماً من الجند من أهل الديوان في أعناقهم بيعة على النصح لك ، فإن من نصحك أن لا تظلم رعيتك. وتأمّر بإجراء أرزاقهم عليهم من ديوانهم شهراً بشهر ولا تجرى عليهم من الخراج درهما فيما سواه... فإنه قد بلغني أنه قد يكون في حاشية العامل والوالي جماعة: منهم من لهم به حرمة ، ومنهم من له إليه وسيلة ، وليسوا بأبرار ، ولا صالحين ، يستعين بهم ويوجههم في أعماله يقتضي بذلك الذمات. فليس يحفظون ما يوكلون بحفظه ولا ينصفون من يعاملون ، إنما مذهبهم أخذ شيء من الخراج كان أو من أموال الرعية ، ثم إنهم من يأخذون فيما بلغني بالعسف والظلم والتعدي»<sup>(2)</sup>.

ولاريب في أن جباية الخراج كانت ثقل أو تزيد حسب الاهتمام بتعمير الأرض وتحسين وسائل ريبها. وقد حاول الخليفة هارون الرشيد أن يضع قواعد ثابتة لجبايتها، فسأل قاضي قضاته أبا يوسف أن يضع له كتاباً جامعاً يعمل به في جباية الخراج والعشور والصدقة والجزية. لأنه أراد بذلك رفع الظلم عن رعيته ، والصالح لأمرهم<sup>(3)</sup>.

فوضع أبو يوسف كتاب الخراج معتمداً على الناحيتين الفقهية والتاريخية لتلك الضرائب مع الأخذ بنظر الاعتبار واقعها حينذاك. وقد انطوى الكتاب على مقترحات مهمة وملاحظات جديرة بالاهتمام. فقد ثبت أبو يوسف نسبة تلك الضرائب وشروط تحققها وكيفية استيفائها. أما عن نسب ما يستوفى فقد اقترح ما يلي:

أن يقاسم على الحنطة والشعير من أهل السواد جميعاً على خمسين للشيخ منه، وخمس ونصف على الدوالي ، أي السقي بالواسطة. ويقاسم على النخل والكرم والرطاب والبساتين على الثلث ، أما غلال الصيف فيقاسم على الربع. أما القطائع فما كان منها سيحاً فعلى العشر ، وما سقي بالدلو

(1) - تاريخ الطبري، ج8، ص236. 576.

(2) - أبو يوسف الخراج ، ص 107. غيداء: الخراج، ص191-192.

(3) - أبو يوسف الخراج ، ص 3.

## الباب الثاني : الأدوار الايجابية والسلبية للبطانة في توجيه سياسة الخلفاء العباسيين . الفصل الأول: ..... البطانة : صلاحياتها وملازماتها بالخلفاء من خلال دعوات الإصلاح.

والقرب فعلى نصف العشر ، مراعيًا في ذلك مؤونة السقي<sup>(1)</sup> .  
وكان بديوان الخراج عدد من الكتاب الذين يباشرون أمور السجلات . وموظفون يقومون  
بجباية الخراج من نواحي الأقاليم . وكان المساحون يقومون بمسح الأراضي المزروعة ويقدرون كمية  
المحصول الناتج منها. والسجلات التي يدون فيها الخراج وتقديراته. والجبايات التي ترد إلى  
ديوانه، تسمى قانون الخراج<sup>(2)</sup> . وكان لديوان الخراج المركزي في بغداد فروع في سائر الولايات ،  
ويشرف صاحبه على مبالغ الخراج الواردة من الولايات إلى ديوان الخراج المركزي في بغداد<sup>(3)</sup> .  
وحذر أبو يوسف من أخذ مقادير ضريبة الخراج على أساس الخرص. لأن الخارص قد يقدر  
الانتاج بأكثر من محتوياته الحقيقية. فيلحق ضررا وإجحافا بدافعي الخراج. وفصل أبو يوسف اتباع  
طريقتين إما أن يقوم الانتاج تقويما عادلا. أولا يكون فيه حمل على أهل الخراج. وفي الوقت نفسه  
لا يكون ضررا على موارد بيت المال. وإما أن يباع الانتاج وبعدهن يقسم الثمن بين مستثمري  
الأراضي الخراجية والدولة. وفق النسب المحددة . إن ذلك أخف على أهل الخراج<sup>(4)</sup> .  
وأبو يوسف رجل علم وقضاء ، نادى بثورة إصلاحية ، على أسس دينية ، وتعتمد على قواعد  
شرعية. وتعتمد أحيانا على القياس والاستحسان. يتعاطف مع الرعية ، وخاصة مع الفلاحين. ويتشدد  
مع الموظفين خاصة المستغلين ، ويجعل رفاهية الشعب فوق ازدياد الجباية وإيرادات الدولة<sup>(5)</sup> .  
وفي ما يتعلق بطرق الجباية فقد نبه أبو يوسف إلى مساوئ بعضها ، كطريقة حزر ما في البيادر  
بأن تقدر بأكثر من محتوياتها الحقيقية. ثم يؤخذ صاحب الخراج بنقائص الحزر، وفي هذا هلاك  
لأهل الخراج وخراب للبلاد. يلجأ إلى القسوة والعنف في تحصيل الضريبة ، بالشدة منه على الرعية  
وضربهم شديدا، وإقامتهم في الشمس ، وتعليق الحجارة في الأعناق، وعذاب عظيم ينال أهل  
الخراج. إضافة إلى تقييدهم بما يمنعهم من الصلاة<sup>(6)</sup> .  
وعلى الرغم من تلك الظروف الصعبة التي سادت في عصر الأمين ، فقد اهتم بأمر الرعية.  
ودعا إلى حماية مزروعاتهم . كما التفت إلى الجند وأمر بأن تؤدي أرزاقهم كاملة . وأوصى علي بن

(1)- المصدر نفسه ، ص 50 . 51 .

(2)- الخوارزمي : مفاتيح العلوم ، ص 36 .

(3)- سليمان الدخيل : الفوز بالمراد في تاريخ بغداد ، ص 46 .

(4)- أبو يوسف : الخراج ، ص 50 . الكبيسي : الخراج ، ص 116 .

(5)- محمد مرعي : النظم المالية ، ص 88-89 .

(6)- أبو يوسف : الخراج ، ص 105-108-109 . عبد الباقي : معالم الحضارة ، ص 142 .

## الباب الثاني : الأدوار الايجابية والسلبية للبطانة في توجيه سياسة الخلفاء العباسيين . الفصل الأول: ..... البطانة : صلاحياتها وملازماتها بالخلفاء من خلال دعواتهم الإصلاح.

عيسى عندما أرسله لمواجهة المأمون بما يلي: « امنع جنودك من العبث بالرعية. والغارة على أهل القرى وقطع الشجر... »<sup>(1)</sup> .

إن هذه المقترحات في حال تطبيقها ، كفيلة بأن تلقي في السوق قوة شرائية كبيرة. مما يبعث النشاط الاقتصادي ويقضي على البطالة. فيعم الرخاء في عموم المجتمع ، خاصة إذا علمنا أنه في ظل اقتصاد يعاني من الركود ، تؤدي نفقات الدولة ولا سيما مصروفات الجند دورا مركزيا في تحريك الاقتصاد. ومن ثم تنشيط حركة تداول النقود في المجتمع. ويظهر ذلك جليا من هذه الصيحات التي أطلقها هؤلاء العلماء والمفكرون في رسائلهم وبرامجهم المقترحة .

### 2- مقترح نظام المقاسمة كإصلاح جبائي وزراعي وتطبيقاته:

ورث المنصور سياسة مالية قائمة على اقتصاد زراعي . وكانت هذه الضرائب تختلف اختلافا كبيرا بين ولاية وأخرى مما أدى إلى وجود حالات شاذة عديدة غير عادلة. ولكن المنصور لم يقيم بتغيير هذا الوضع ولم يشأ أن يتركه . بعده . على حاله<sup>(2)</sup> .  
وقد اقترح ابن المقفع نظام المقاسمة فصارت الضريبة تقدر على أساس الانتاج الفعلي ، بحيث تراوحت بين النصف والثالث بناء على طريقة الري ونفقاتها<sup>(3)</sup> . وابن المقفع ينطلق من نقد الوضع القائم في ميدان الجباية. فيلاحظ أن الخراج يجبي على غير قانون. وإن لكل وال أو عامل يقدر على النواحي التابعة له مقادير تختلف عن التي يفرضها آخرون في مناطق أخرى<sup>(4)</sup> . فقال: « فليس للعمال أمر ينتهون إليه ويحاسبون عليه ، ويحول بينهم وبين الحكم على أهل الأرض»<sup>(5)</sup> .

ولهذا ينصح ابن المقفع بإصدار قانون ضريبي واحد يطبق في النواحي ويعتمد سجلات مضبوطة<sup>(6)</sup> . فهو يشكو في رسالته للخليفة المنصور الفوضى في الخراج. وابن المقفع من عادته أن يحدد المشكل ثم يصف له الحل المناسب. فاقترح للإصلاح أن تمسح الأرض ويفرض عليها

(1)- تاريخ الطبري، ج8، ص406.

(2)- شعبان :الدولة العباسية ، ص 30.

(3)- صابر حسين : الدولة الإسلامية ، ص74.

(4)- محمد عابد الجابري :العقل السياسي ، ص347، بشار قويدر: الإصلاح ، ص 56.

(5)- ابن المقفع :رسالة الصحابة ، ص 45.

(6)- محمد عابد الجابري :المرجع السابق ،ص347.

## الباب الثاني : الأدوار الإيجابية والسلبية للبطانة في توجيه سياسة الخلفاء العباسيين . الفصل الأول: ..... البطانة : صلاحياتها وملازماتها بالخلفاء من خلال دعوات الإصلاح.

المال المناسب. ويعرف كل مالك ما عليه ويدون ذلك في سجلات تحفظ أصولها في دواوين الدولة.<sup>(1)</sup> فيقول:

« فمع اختلاف الأراضي جودة ، ليس مقررا على كل وحدة منها مبلغ معين ، ولا سجل ذلك في دفاتر يحفظ أصلها ، ويحصل بمقتضاها... فلو أن أمير المؤمنين أعمل رأيه في التوظيف على الرساتيق والقوى والأرضين وظائف معلومة ، وتدوين الدواوين بذلك ، وإثبات الأصول ، حتى لا يؤخذ رجل إلا بوظيفة قد عرفها وضمنها . ولا يجتهد في عمارة إلا إذا كان له فضلها ونفعها..»<sup>(2)</sup>

وكان قد حضر الخليفة المنصور لنظام المقاسمة في سنواته الأخيرة. لكنه وافته المنية أن يباشر كل ذلك. فواصل ابنه الخليفة المهدي العمل بنظام المقاسمة. وخاصة لما تلقى شرحا وافيا عن هذا النظام الجديد في رسالة للإمام العنبري. فنقل الخراج إلى المقاسمة ، و عممها على جميع المزروعات والمغروسات وجعل الضريبة تحبى دائما بالنسبة إلى المحصول<sup>(3)</sup>.

ويقضي الاقتراح بأن يؤخذ خراج التبن مقاسمة أو يباع لهم إن أحبوا ابتياعه بسعر وقته. وأن تبقى فروض الكروم والشجر وجميع الغلات الأولى على المساحة مع مراعاة القرب أو البعد عن الأسواق. ومستوى الانتاج من حيث الزيادة أو النقصان على أن تحدد حصة لبيت المال بنسبة خمسين بالمائة من الانتاج بعد حساب النفقات اللازمة<sup>(4)</sup>.

واقترح الوزير معاوية بن عبيد الله بن يسار<sup>(5)</sup> على الخليفة ابتداء ، أن يسير في معاملة أهل السواد بمثل ما فعله الرسول صلى الله عليه وسلم في خيبر « فإنه سلمها أهلها بالنصف»<sup>(6)</sup>.

(1) - أحمد أمين: ضحى الإسلام ج1، ص213، محمد مرعي: النظم المالية، ص60.

(2) - ابن المقفع: المصدر السابق ، ص45-46.

(3) - محمد الخضري: محاضرات في تاريخ الأمم الإسلامية، الدولة العباسية ج2، ص89.

(4) - قدامة بن جعفر: الخراج وصناعة الكتابة ، ص 223.

(5) - هو معاوية بن عبيد الله بن يسار ، الأشعري بالولاء، أبو عبد الله، من كبار الوزراء. أصله من طبرية. من بلاد الأردن. اشتغل بالحديث والأدب. واتصل بالمهدي العباسي قبل خلافته. فكان كاتبه ووزيره. وكان المهدي يطيعه ولا يخالفه في شيء يشير به عليه. ولما آلت الخلافة إلى المهدي فوض إليه تدبير المملكة والدواوين. فنهض بالأعباء وجعل للوزارة شأنا. وكان أوحد الناس في عصره حذقا وخبرة وكتابة. وصنف كتابا في الخراج، ذكر أحكامه الشرعية ودقائقه وقواعده. وهو أول مصنف كتابا في الخراج. استمر إلى أن تولى الربيع بن يونس حجابة المهدي. فأفسد ثقة المهدي به. فعزله بعد أن قتل ابنا له، بتهمة الزندقة. وقبض عليه المهدي فسجنه، فما زال في السجن حتى توفي سنة 170هـ. الزركلي: الأعلام، ج7، ص262. وانظر الذهبي: سير أعلام، ج7، ص398.

(6) - قدامة بن جعفر: الخراج وصناعة الكتابة، ص223.

**الباب الثاني : الأدوار الايجابية والسلبية للبطانة في توجيه سياسة الخلفاء العباسيين .**  
**الفصل الأول: ..... البطانة : صلاحياتها وملازماتها بالخلفاء من خلال دعوات الإصلاح.**

كما اقترح مقاسمة أهل السواد وفقا لوسائل الري ، حيث أشار أبو عبيد الله على المهدي أن يجعل أرض الخراج مقاسمة بالنصف إن سقي سيحا. وفي الدوالي<sup>(1)</sup> على الثلث ، وفي الدواليب<sup>(2)</sup> على الربع ، لا شيء عليهم سواه. وأن يعمل في النخل والكرم والشجر مساحة خراج<sup>(3)</sup>.

أما فيما يخص كربي الأنهار والعناية بها فقد اقترح معاوية بن عبيد الله على الخليفة الانفاق عليها من بيت المال وقال إنما وجبت هذه النفقة منه لأن الحافة لا مالك لها، فالنفقة واجبة على من يعود الضرر عليه<sup>(4)</sup>.

وأشاد أبو يوسف بنظام المقاسمة هذا فقال: « لم أجد شيئا أوفر على بيت المال ، ولا أعفى لأهل الخراج من التظالم فيما بينهم، وحمل بعضهم على بعض. ولا أعفى من عذاب ولاتهم وهما لهم. من مقاسمة عادلة خفيفة للسلطان فيها رضى ، ولأهل الخراج من التظالم فيما بينهم ، وحمل بعضهم على بعض راحة وفضل»<sup>(5)</sup>.

وأشار أبو يوسف « بمقاسمة الحنطة والشعير وفقا لوسائل الري. فعلى الخمسين للسيح ، وعلى خمس ونصف للدوالي. وأشار بمقاسمة النخل والكروم والرطاب والبساتين على الثلث. وغلال الصيف على الربع ، على أن يؤخذ بالحرص في شيء من ذلك ولا يحزر عليهم شيء منه يباع من التجار ثم تكون المقاسمات في أثمان ذلك»<sup>(6)</sup>.

وهكذا اقترح أبو يوسف نسب المقاسمة تختلف عن النسب التي اقترحتها معاوية ابن عبيد الله ، مع ملاحظة أن أبا يوسف دعا إلى تطبيق المقاسمة على جميع الغلات والأشجار. فلم يستثن شيئا منها. وأوصى أبو يوسف بأن يلاحظ في التطبيق التخفيف عن أهل الخراج قدر الإمكان. وعدم الإضرار بالسلطان : « ثم يؤخذ منهم ما يلزمهم من ذلك ، أي ذلك كان أخف على أهل الخراج فعل ذلك بهم. وإن كان البيع وقسمة الثمن بينهم وبين السلطان أخف فعل ذلك بهم»<sup>(7)</sup>.

(1)- الدوالي: مفردا دالية وهي دولا ب يشغله رجال. انظر: عبد العزيز الدوري، تاريخ العراق الاقتصادي في القرن الرابع الهجري، ص 62.

(2)- الدواليب: مفردا دولا ب، وتشبه النواعير، وهي الساقية عند العامة. انظر: مرتضى الزبيدي ، تاج العروس ج 10، ص 247.

(3)- الماوردي: الأحكام السلطانية ، ص 97-98.

(4)- غيداء: الخراج ، ص 186.

(5)- أبو يوسف: الخراج، ص 49-50.

(6)- المصدر نفسه، ص 50.

(7)- المصدر نفسه .

**الباب الثاني : الأدوار الايجابية والسلبية للبطانة في توجيه سياسة الخلفاء العباسيين .**  
**الفصل الأول: ..... البطانة : صلاحياتها وعلاقتها بالخلفاء من خلال دعواتهم الإصلاح.**

وميز أبو يوسف بين مشاريع الري التي تتحمل الدولة نفقاتها وبين المشاريع التي يتحملها المزارعون. فيقول: « إذا احتاج أهل السواد إلى كرى أنهارهم العظام التي تأخذ مياهها من دجلة والفرات كُريت لهم وكانت النفقة من بيت المال ومن أهل الخراج. ولا يجوز أن يحمل ذلك على أهل الخراج وحدهم. أما الأنهار التي يجرونها إلى أراضيهم ومزارعهم وبساتينهم فكريها عليهم . إلا البثوق والمسنيات والبريدات التي تكون على دجلة والفرات وغيرها من الأنهار العظام فإن جميع النفقة على هذه من بيت المال ، لأن منفعتها عامة»<sup>(1)</sup> .

وعلى الرغم من تحمس الخليفة هارون الرشيد للموضوع إلا أنه ليس هناك ما يدل على أنه أخذ بنصائح أبي يوسف وتوصياته خارج السواد ، وذلك لصعوبة مراقبة العمال. غير أننا نجد الخليفة هارون الرشيد يحاول التخفيف من عبء الضرائب . في إطار الإصلاح الاقتصادي في سنة 172هـ/788م وضع هارون الرشيد عن أهل السواد العُشر الذي كان يؤخذ منهم بعد النصف<sup>(2)</sup> .

وكان الدافع للإصلاح الرغبة في ضمان وارد سنوي ثابت للجزية استعداد للطوارئ ، من جهة، ومن جهة أخرى. كانت هناك دوافع انسانية للإصلاح وحماية الزراع من عسف الجباة. ويذكر ابن الأثير أن نسبة المقاسمة في الخراج كانت الثلث والرابع والخمس والسدس. حسب أسلوب الري والعمارة<sup>(3)</sup> . أما الدينوري فيجعل نسب المقاسمة النصف والثلث والرابع والخمس إلى العُشر ، على قدر قرب الضياع من المدن وعلى حسب الزكاء والرُبع<sup>(4)</sup> .

وهذه النسب واختلافها يثير التساؤلات . إذ يبدو الحد الأعلى للمقاسمة على الثلث منسجما مع مثل الفقهاء. وبموجبها يكون الثلث الثاني لمعيشة الفلاح وأسرته ، والثلث الثالث للصيانة والحِث. أما بالنسبة للدينوري فيبدو أن معدلات المقاسمة لفترة طويلة بعد إدخالها من قبل المهدي<sup>(5)</sup> .

ففي العصر العباسي الثاني، كثرت النماذج السلبية الفاشلة سياسيا واداريا واقتصاديا ، تولى

(1)-المصدر نفسه ،ص 110.

(2)- تاريخ الطبري، ج8،ص236.

(3)- الدوري: أوراق في التاريخ الاقتصادي، ج2،ص151.

(4)- الدينوري: الأخبار الطوال ، ص 71.الدوري: أوراق ، ج2،ص151.

(5)- الدوري: أوراق في التاريخ الاقتصادي، ج2،ص151.

**الباب الثاني : الأدوار الايجابية والسلبية للبطانة في توجيه سياسة الخلفاء العباسيين .**  
**الفصل الأول: ..... البطانة : ملامحاتها وملازمتها بالخلفاء من خلال دعواتهم الإصلاح.**

كثير من الوزراء وقادة الجند الذين ليس كفاءة ولا أمانة. أساءوا الى الخلفاء والى نظام الخلافة ككل. حيث شهد هذا العصر تحولا خطيرا، أدى إلى اختلال التوازن الاقتصادي. وأوجد هوة شاسعة بين طبقات المجتمع ، الأمر الذي أدى إلى مزيد من التوتر الاجتماعي ، و الثورات ذات الهدف الاقتصادي. الا ما كان من اصلاحات الوزير علي بن عيسى التي سنذكرها ضمن الفصل الثاني من الباب الثاني عن انجازات البطانة بمختلف أصنافها.

### الفصل الثاني:

منجزات الخلفاء الإيجابية وأثر البطانة في ذلك في العصرين

العباسيين الأول والثاني: 132-334هـ / 749- 946م

أولاً- المنجزات السياسية للخلفاء ووزرائهم.

ثانياً- المنجزات الاقتصادية.

ثالثاً- آثار ومنجزات قادة الجيش في توجيه سياسة الخلفاء.

رابعاً - آثار ومنجزات الكتاب في العصر العباسي الأول والثاني (132-

334هـ/749-946م).

خامساً: آثار ومنجزات الحجاب في العصر العباسي الأول والثاني

(132-334هـ/749-946م)

الباب الثاني : الأدوار الإيجابية والسلبية للبطانة في توجيه سياسة الخلفاء العباسيين.  
الفصل الثاني: منجزات الخلفاء الإيجابية وأثر البطانة في ذلك 132- 334هـ / 749- 946م

أولاً- المنجزات السياسية للخلفاء ووزرائهم

1 / في العصر العباسي الأول (132-232هـ / 749-847م) :

يعتبر أبو سلمة الخلال أول وزير لأول خليفة عباسي. فوضت الأمور إليه ، وسلمت إليه الدواوين. ولقب وزير آل محمد. فبدأ الخلال بتأسيس الدواوين وتعيين العمال ، ووجه القواد إلى النواحي ليقاتلوا فلول الجيوش الأموية<sup>(1)</sup>.

وبليه في الأهمية ، الوزير أبو أيوب المورياني . فكان أول عمل إداري لأبي أيوب في خلافة المنصور هو النيابة عن عبدالملك بن حميد كاتب المنصور وصاحب المنزلة الخاصة عنده ، في حال غيابه عن مجلس الخليفة . وحدث أن مرض عبدالملك بداء النقرس فلزم داره وقام أبو أيوب بالعمل نيابة عنه ، وقد وفق في أدائه . مما زاد منزلته عند المنصور ، حتى قلده وزارته ، والإشراف على الدواوين وتدبير شئون الدولة. ولم يزل أمر أبي أيوب يعلو عند أبي جعفر حتى قلده وزارته وفوض إليه أمره كله. ومما يدل على علو منزلته عند المنصور أنه عين جميع أهله وأقربائه في الأعمال و المناصب الإدارية.<sup>(2)</sup> وبسبب قوة المنصور وتحكمه في زمام الأمور ، فقد ظهر وزراؤه بشكل أقرب إلى الكتاب والمساعدين الإداريين منهم إلى الوزراء، وإن كانوا وزراء فهم وزراء تنفيذ لا غير. وفي ذلك يقول صاحب الفخري : « لم تكن الوزارة في أيامه - أي المنصور - طائفة لاستبداده واستغناؤه برأيه وكفاءته مع أنه كان يشاور في الأمور دائما. وإنما كانت هيئته تصغر لها هيئة الوزراء . وكانوا لا يزالون على وجل منه وخوف فلا يظهر لهم أبهة ولا رونق.»<sup>(3)</sup>

ولأن منصب الوزارة - أو على الأقل التسمي بها - حديثا في الدولة العباسية . طالما أن الكاتب هو من كان يقوم غالبا بأعمال الوزير. فقد وزر للمنصور ، وتمكن من المنصور تمكنا لا مزيد عليه. فكان أولا كاتبا للأمير سليمان بن حبيب بن المهلب بن أبي صفرة ، فدافع يوما عن المنصور ، فاستوزره<sup>(4)</sup> . وقد أثبت الربيع بن يونس كفاءته وقدرته في اتخاذ قرارات سريعة في مواقف حاسمة وإخلاصه في

(1) ابن الطقطقي: الفخري، 151-152؛ الذهبي: تاريخ، ج8، ص401. ابن خلكان : وفيات، ج2، ص195. ابن كثير : البداية، ج13، ص284؛ الزركلي: الأعلام ، ج2، ص263؛ فاروق عمر: دراسات ، ص12.

(2) الجهشيارى: الوزراء ، ص 97؛ الصفدي: الوافي، ج15، ص231. الذهبي: تاريخ الإسلام، ج9، ص675. الزركلي: الأعلام، ج3، ص135.

(3) ابن الطقطقي: الفخري، ص174.

(4) الصفدي: الوافي، ج15، ص232. الذهبي: سير، ج7، ص23. ينظر - فيما يأتي - مصيره ضمن عنصر العقوبات على البطانة ، وبالضبط على الوزراء.

تنفيذ أوامر المنصور. ولعل الدور الذي لعبه الربيع بن يونس حين قربت وفاة المنصور في طريق الحجاز لأخذ البيعة من الأشراف وبنو هاشم والقواد لولي العهد المهدي، كان من الأدوار الحاسمة في تاريخ الخلافة العباسية. (1)

وبعد ذلك يمكننا القول بأن في عهد المنصور بدأت الوزارة فعلياً كمؤسسة فعالة تجمع بين خدمة الخليفة والرعية. ومنها أصبح من الضروري اتخاذ رجل كفاء يكون مساعداً أولاً للخليفة يقوم بكل أموره. فكان أن اتخذ الخليفة المهدي كاتبه معاوية بن عبيد الله بن يسار وزيراً. وقد آثره الخليفة المنصور وادخره وزيراً لابنه المهدي. لعلو كعبه في الوزارة والكتابة من قبلها. لازم عبيد الله مولاه المهدي طيلة فترة ولايته للعهد، فقد رافقه في حملته على خراسان سنة 150هـ 767م، وأقام معه في الري مدة طويلة عمل خلالها على تدبير شئونه الإدارية والمالية بكل كفاءة وجدارة. كذلك استعان به المنصور في أخذ البيعة للمهدي من عيسى بن موسى، وفي كتابته نص تنازل عيسى بن موسى عن ولاية العهد للمهدي (2). إذ لم يزل أمر أبي عبيد الله يرتفع عند المهدي ويعظمه ولا يخالفه في شيء يشير به عليه. حتى استوزره، وفوض إليه أمر الخلافة. (3) وتدبير المملكة والدواوين، فنهض بالأعباء وجعل للوزارة شأنًا. و كان أوحده الناس في عصره حذقا وخبرة وكتابة. وصنف كتابا في (الخراج) ذكر فيه أحكامه الشرعية ودقائقه وقواعده. وهو أول من صنف كتابا. كان المهدي يبالي في إجلاله واحترامه، ويعتمد على رأيه وتدبيره وحسن سياسته (4).

وبعد وزارة أبي عبيد الله، استوزر الخليفة المهدي يعقوب بن داود. الذي كان كاتباً من أكابر الكتاب. فقد كتب أبوه وأعمامه للوالي الأموي لنصر بن سيار. وكانت تجتمع بالربيع بن يونس صداقة، فدل عليه المهدي ليستوزره في إطاره سعيه إلى إزاحة الوزير أبي عبيد. فاستحضره المهدي، فرأى أكمل الناس عقلاً وأفضلهم سيرة، فشغف به و استوزره وفوض الأمور إليه، حتى كان يظن أن يعقوب هو الخليفة والمهدي وزيره (5).

(1) ابن خلكان: وفيات، 294. الصفدي: الوافي، ج5، ص. ابن الأثير: الكامل، ج5، ص226-227. الذهبي: تاريخ ج10، ص187. الزركلي: الأعلام ج3، ص15. فاروق عمر: دراسات، ص271. وتركنا الحديث عن أسباب وملايسات مقتله للعنصر المتلق بنكب الوزراء.

(2) الجهشيارى: الوزراء، ص126-127. 145.

(3) المصدر نفسه، ص167-158. ابن فضل الله العمري: مسالك الأبصار، ج11، ص27 وما بعدها.

(4) تاريخ بغداد، ج15، ص259-260. الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج7، ص398. تاريخ الإسلام، ج10، ص550. الزركلي: الأعلام، ج7، ص262.

(5) ابن الطقطقي: الفخري، ص184. ابن فضل الله العمري: مسالك الأبصار، ج11، ص30-29.

الباب الثاني : الأدوار الإيجابية والسلبية للبطانة في توجيه سياسة الخلفاء العباسيين.

الفصل الثاني: منجزات الخلفاء الإيجابية وأثر البطانة في ذلك 132 - 334هـ / 749 - 946هـ

كما أنه ينتقد بعض تصرفاته وجلوسه في مجالس الغناء واللهو وإنفاقه 50 مليون درهم من بيت مال المسلمين على بناء منتزه . وبلغ من ضيقه أن طلب منه إعفاءه من منصبه قائلاً : « ليس على هذا استوزرتني ، ولا على هذا صحبتك ، أبعث الصلوات الخمس في المسجد الجامع يشرب عندك النبيذ ، وتسمع السماع»<sup>(1)</sup>.

وكان الوزير يعقوب ذكيا مدركا للأمور وطموحا ولعله - وهو بحكم وظيفته أقرب ما يكون إلى تقلبات السياسة الأموية- قد أدرك أسباب تدمير أهل خراسان وتدهور دولة الأمويين فاستهوته الدعوة السرية لأهل البيت فاعتنق المذهب العلوي الزيدي. فوجد يعقوب كل ما لديه من حكمة سياسية وقابلية إدارية وشخصية جذابة في خدمة الخليفة. بحيث أصبح الأخير لا يستغني عنه في المشورة وتدبير الأمور. فكان يشير « في أمر الثغور وبناء الحصون وتقوية الغزاة وتزويج العزب وفكك الأسرى والمحتسبين والقضاء على الغارمين والصدقة على المتعفين »<sup>(2)</sup>.

وفي خلافة الهادي تقلد الوزارة ابراهيم بن ذكوان الحراني، وأقر الربيع على دواوين الأزمة ولم يزل عليها حتى توفي في سنة 169 هـ ، فقلد الهادي ديوان الأزمة ابراهيم بن ذكوان.<sup>(3)</sup> وجعله وزيره وصاحب أمره كله<sup>(4)</sup>.

ويظهر دوره الكبير إلى جانب الهادي من اعتقاله من قبل البرامكة مباشرة بعد مقتل الهادي. ويبدو أنه كان معارضا لنقل المهدي لولاية العهد لابنه موسى الهادي. الأمر الذي جعل البرامكة أنصار هذا الاتجاه ، يعتقلونه ويعاملونه معاملة سيئة. وقد استمر الحراني إلى جانب الهادي خلال خلافته . وربما وافقه على خطته بنقل ولاية العهد من هارون إلى ابنه جعفر بن الهادي<sup>(5)</sup>.

وذكر عنه الجهشيارى أنه قلد اسماعيل بن صبيح ديوان زمام الشام وما يليها ، بشفاعة يحيى ابن خالد إليه.<sup>(6)</sup> وكان قد استشاره في أمر خلع عيسى بن موسى، وتأليب الجند ضد بيعته ، وأخذ البيعة عنهم لابنه المهدي. وكلف خالدا بذلك ، فنجح في مسعاه، فشكر له المنصور صنيعة. واستعمل المنصور مرة أخرى على الموصل خالد بن برمك وسبب ذلك أنه بلغه انتشار إفساد الأكراد بها. فقهر

(1) تاريخ الطبري، ج 8 ، ص 157 ، 160 . ابن الأثير: الكامل، ج 5 ، ص 253 . ابن خلدون : العبر، ج 3، ص 266.

(2) البغدادي: تاريخ بغداد، ج 16، ص 383. الصفدي: الوافي، ج 28، ص 71-72. تاريخ الطبري، ج 8، ص 119، ص 154-155؛ ابن

الأثير: الكامل، ج 5، ص 229-230. الزركلي: الأعلام، ج 8، ص 197. فاروق عمر : دراسات ، ص 280-281

(3) الجهشيارى: الوزراء والكتاب، ص 167.

(4) تاريخ خليفة، ص 295. الصفدي: الوافي بالوفيات، ج 5، ص 199. ج 14، ص 58.

(5) تاريخ الطبري، ج 8، ص 207. ابن كثير : البداية، ج 13، ص 556. عبد الملك : سمط النجوم، ج 3، ص 398.

(6) الجهشيارى: الوزراء ، ص 168.

الباب الثاني : الأدوار الإيجابية والسلبية للبطانة في توجيه سياسة الخلفاء العباسيين.

الفصل الثاني: منجزات الخلفاء الإيجابية وأثر البطانة في ذلك 132 - 334هـ / 749 - 946م

المفسدين وكفهم<sup>(1)</sup> . وكان خالد بن برمك أشار على المنصور ببناء مدينة بغداد ، فبناها<sup>(2)</sup> .

و تطيرا مما جرى على أبي سلمة. فكان خالد بن برمك يعمل عمل الوزراء ولا يسمى زيرا.<sup>(3)</sup> قال عنه ابن خلدون : « كان خالد بن برمك من كبار الشيعة وكان له قدم راسخ في الدولة وكان يلي الولايات العظام ، وولاه المنصور على الموصل وعلى أذربيجان . »<sup>(4)</sup> فاستوزره المنصور حوالي سنتين، ثم ولاه إمرة إمرة بلاد فارس ، نحو سنة ثم صرفه عن الديوان وقلده بلاد فارس (الري ، وطبرستان، ودنباوند وما إليها. ونظرا لسياسته وحنكته وتدييره ، فقد ولاه المهدي الأعمال الجليلة.<sup>(5)</sup> حيث يذكر الطبري أن المهدي وجه خالد بن برمك مع الرشيد وهو ولي العهد حين وجهه لغزو الروم. ومعهم يحيى البرمكي يقوم بأمر العسكر و كاتبه، وذلك سنة 163هـ/780م<sup>(6)</sup> .

وباستيوار الخليفة هارون الرشيد ليحيى بن خالد البرمكي ، حدث تطور جديد عن الإدارة العباسية، وهو ضم الدواوين كلها إلى يحيى بن خالد مع الوزارة سوى ديوان الخاتم ، فإنه كان إلى أبي العباس الطوسي . في الوقت الذي كانت الكتب التي تنفذ من ديوان الخراج تؤرخ باسم يحيى بن خالد. ولم تكن تنفذ إلا عن الخليفة. فأصبح يحيى ينوب عن الخليفة الرشيد في تعيين العمال وعزلهم ، وكتابة الكتب وتوقيعها . ويعتبر أول وزير يطلق يده في تصريف الأمور العامة للخلافة ، في حياة الخليفة وبإذنه<sup>(7)</sup> .

ومثل هذه الاجراءات تجعلنا نشيد ببراعة الكاتب والوزير يحيى بن خالد. وفي الوقت نفسه يجعلنا نتساءل عن مدى جدوى ربط الوظائف المتعددة بأشخاص محددين. وعن مصير بقية الكتاب المغمورين ، لماذا لا تتاح لهم فرص الظهور والانتشار؟

ويظهر دور الوزير يحيى بن خالد ، وتعتم في بعض الأحيان على شخصية الخليفة الذي استوزره. وما حصل من وزارة التفويض التي فوضها الخليفة الرشيد لوزيره يحيى سنة 178هـ/794م<sup>(8)</sup> مخاطبا يحيى البرمكي : « قد قلدتك أمور الرعية وأخرجتها من عنقي فول من رأيت وافعل ما تراه »<sup>(9)</sup> .

(1) ابن الأثير: الكامل، ج5، ص87. 182-183. 186. ابن خلدون: العبر، ج3، ص248. 251. 253.

(2) تاريخ الطبري، ج 7، ص650. الذهبي: تاريخ، ج9، ص45. ابن تغري: النجوم الزاهرة، ج 2، ص05.

(3) ابن الطقطقي: الفخري ، ص154.

(4) ابن خلدون: العبر، ج3، ص279. ابن تغري: النجوم الزاهرة، ج 2، ص50.

(5) الذهبي : سير، ج7، ص228. ابن تغري: النجوم الزاهرة ، ج 2، ص50. الزركلي: الأعلام، ج2، ص295.

(6) تاريخ الطبري، ج8، ص146. ابن الأثير: الكامل، ج5، ص245.

(7) الجهشيارى: الوزراء ، ص134-135. ابن فضل الله العمري: مسالك الأبصار، ج11، ص38.

(8) ابن الاثير: الكامل، ج5، ص304. ابن كثير: البداية، ج13، ص593 ابن العماد: شذرات الذهب، ج2، ص348.

(9) المسعودي: مروج الذهب، ج3، ص280. ابن تغري: المصدر السابق، ج2، ص65.

المابج الثاني : الأءوار الإجابفة والسلففة للبطانة فف فوففه سفاسة الخلفاء العباسفف.

الفصل الثاني: منبزاب الخلفاء الإجابفة وأثر البطانة فف ذلك 132 - 334هـ / 749 - 946هـ

علف أن أهم ما فمفز سفاسة فففف وأبنائه هف سفاسفهم المالية ، ففء آفسمف هفذه السفاسة بفءة سففءة لا ففظر ففسرها امفلاء الخزفنة المرkfزة بشروف ضفمة لا ففءر بشفن . و أكبر ءلفل علف فباف سفاسفهم المالية فف ملء خزفنة ءءولة بالأموال الطائلة هف قائمة الخراف الفف أورءها الببفسفارف<sup>(1)</sup> . وفء كان الفضل بن فففف البرمكف الساعء الأفمن لأفبه فف الأمور الإءارفة والسفاسفة . وكان ففوب عنه فف بعض الأففان . كما ءءف سنة 181هـ/798م . علف أن الفضل البرمكف اضطلع كذلك ببفءة بعض ءملاف العسكرفة . كما وأنه كان مسؤولا عن الأقالفم الشرقفة الأفرانبفة وءاصة فف غربف افران مثل الببال وطبرسفان وءنباونء وقومس وأرمفنبفة وأءربفبان . إلف أن الفضل البرمكف أءء كذلك ببفا ببفءا من الخراسانبفة قواءه من العبم أرسل كئاب منه إلف ببءاء قبل عوءفه هف سنة 179هـ . وفء لقب هفا الببش ب (العباسفة ) إلا أن أهل ببءاء أءركوا ءطورفه بفوافءه فف العاصمة فسموه ( الكرنفبفة)<sup>(2)</sup> . وفعطف بعض المؤرخفن ومنهم ابن ءلءون أهمية كبفرة لإعطاء الرشفء الآفم لسببلاف السلطان للوزفر البرمكف لفبفظها ، بامعاً بفن السفف و القلم و سائر معالف الوزارة و المعاونة<sup>(3)</sup> . ونبب البرامكة فف فوارف الوزارة ءفف كونوا امبراطورفة ءاآل ءءولة العباسفة واسفمروا فف الوزارة بفن سنة 170هـ/786م و 182هـ/798م .

وفقلء ببفر البرمكف مع الوزارة بعض المهام العسكرفة الفف كان من ءفن لآخر ففبءبه الرشفء إلفها . ففف سنة فمانفن ومائة ففها هافب الفففة بالشام بفن الفزارفة والفمنفة ، لذلك نءب الرشفء ببفر البرمكف إلف الشام علف رأس ففة من الأمراء والببوء . فأآمءوا فلك الفففة .<sup>(4)</sup> وفسفر الءهبف إلف فولى ببفر البرمكف إمارة مصر سنة 175هـ وعزله عنها سنة 187هـ<sup>(5)</sup> .

وفء آفسن المأمون ووفق فف آفبفار بطائفه ومسفشارفه . ومعظمهم كان من الفرس . ولعل الففسفر بفأثره بالبفئة الفارسفة بفر كاف . هفا من ببفة ، ومن ببفة آفرى ، فإن فباف الببففة هف فباف لفلل الببانة بالضرورة .<sup>(6)</sup> الأمر الءف ببف المأمون فعفز باسببافن الفضل بن الربفع ، وفقول عنه: « إفف لأعرف ربلا ببافف لو قلءفه أمورف كلفها لقام بها »<sup>(7)</sup> .

(1) \_ الوزراء ، ص 281 - 288 .

(2) \_ فارفب الطبرف ، ج 8 ، ص 257 . ابن كففر : البءافة ، ج 13 ، ص 593-594 . فاروق عمر : ءراساف 315

(3) \_ مقءمة ابن ءلءون ، ج 1 ، ص 421 . فاروق عمر : المرجع السابق ، ص 314 .

(4) \_ ابن الأففر : الكامل ، ج 5 ، ص 310 . ابن كففر : البءافة ، ج 13 ، ص 603 .

(5) \_ الءهبف : فارفب ، ج 13 ، ص 17.11 .

(6) \_ آأمء فرفء رفاعف : عصر المأمون ، ج 1 ، ص 217 .

(7) \_ ابن طففور : فارفب ببءاء ، ص 74 .

الباب الثاني : الأدوار الإيجابية والسلبية للبطانة في توجيه سياسة الخلفاء العباسيين.

الفصل الثاني: منجزات الخلفاء الإيجابية وأثر البطانة في ذلك 132 - 334هـ / 749 - 946م

وفي إطار الزواج السياسي ، فقد حظي الحسن عند المأمون وتزوج بوران ابنة الحسن. وكان المأمون قد ولاه جميع البلاد التي فتحها طاهر بن الحسين ، وكان عالي الهمة كثير العطايا للشعراء وغيرهم . ومن هنا كان الحسن بن سهل من كبار الوزراء الممدحين<sup>(1)</sup>.

وكان يحيى بن أكثم قد قلده المأمون قضاء القضاة وتدير أهل مملكته، فكانت الوزراء لا تعمل في تدبير الملك شيئاً إلا بعد مطالعة يحيى بن أكثم. ومهما يكن من شيء ، فقد كان يحيى بن أكثم قاضي القضاة وصاحب الكلمة العليا والأمر النافذ في الدولة ، وكانت مكانته من المأمون لا تدنو منها مكانة<sup>(2)</sup>. ولما كان الخليفة المعتصم رجلاً عسكرياً بالدرجة الأولى اهتم بالجيش وتدريبه وإعداده بانتقاء قادة جنده ، وأثرت ميوله العسكرية على كثير من قراراته السياسية والإدارية ، خاصة فيما يتعلق باختيار البطانة الصالحة ، وتوجيهها لإصلاح الشؤون العامة.

وهكذا تقوت الصلة بين الخليفة وابن الزيات، واعتمد عليه الخليفة المعتصم بالله في كل ما يتصل بالكتابة والإدارة. وتدبير الأموال ، ومنحه صلاحيات واسعة . إذ جعله ينظر في أقصى أموره الشخصية والعائلية ، ومنها ما يتعلق بأبنائه وتعليمهم.

فلما مات المعتصم وجلس الواثق على سرير الخلافة ، ذكر حديث ابن الزيات ، فقال الواثق: والله ما أبقيتك إلا خوفاً من خلو الدولة من مثلك . وسأكفر عن يميني ، فإنني أجد عن المال عوضاً ، ولا أجد عن مثلك عوضاً. ثم كفر عن يمينه واستوزره وقدمه وفوض إليه الأمور<sup>(3)</sup>.

وما نستنتجه مما سبق أنه برغم الأعمال الجليلة التي قدمها وزراء العصر العباسي الأول، من وزارة التنفيذ وما أسدوه من خدمات إدارية عظيمة، وما أضافوه إلى سلطان الخلافة من طريق وزارة التفويض التي مكنت كثيراً من الوزراء من أن يفوضون عن الخلفاء في التوقيعات على الأعمال المختلفة. ما سهل عليهم التعامل المباشر مع المستجدات داخلياً وخارجياً. وتوفير الجهد والعناء في أخذ الإذن من الخليفة كل مرة. ولكن هذا التفويض استغل في بعض الأحيان في غير الصالح العام ، بل في خدمة الأغراض الشخصية. مما جعل الخلفاء يسحبون ثقتهم من هؤلاء المفوضين في كل مرة ، ويعرضونهم للعقوبات.

(1) ابن خلكان: المصدر السابق، ج2، ص120-121. الصفدي: الوافي، ج12، ص26. الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج11، ص271 و ج10، ص100.

(2) الذهبي: العبر، ج1، ص139. الذهبي: تاريخ، ج18، ص537. ابن خلدون: العبر، ج3، ص320. أحمد فريد: عصر المأمون، ج1، ص444-445.

(3) تاريخ الطبري، ج9، ص156. ابن الأثير: الكامل، ج6، ص96. ابن خلكان: وفيات، ج5، ص99. ابن الطقطقي: الفخري ، ص226-227.

## الباب الثاني : الأدوار الإيجابية والسلبية للبطانة في توجيه سياسة الخلفاء العباسيين.

### الفصل الثاني: منجزات الخلفاء الإيجابية وأثر البطانة في ذلك 132- 334هـ/ 749- 946م

وهذا إن دل على شيء، فإنما يدل على قوة معظم خلفاء العصر العباسي الأول، وتحكمهم في زمام الأمور.

ومن خلال ما سبق نستخلص من علاقة خلفاء العصر العباسي الأول بوزرائهم ، كانت علاقة بناءة . وذلك بالنظر إلى أن هؤلاء الخلفاء كانوا ذوي مهابة في أنفسهم. يحسنون اختيار الرجال، من ذوي الخبرة والفتنة، يظلمون بعضائم المهمات والأمور. فكانت الوزارة منذ بداياتها في العصر مزدهرة، ساهمت في ازدهار الحضارة الإسلامية. حيث كان معظم وزراء هذا العصر ، من الكتاب المشهورين ، الذين لهم خبرة طويلة في الكتابة والإدارة والأعمال السلطانية.

#### 2- في العصر العباسي الثاني (232-334هـ/ 847- 946م) :

تميزت هذه الفترة بالنفوذ العسكري التركي وتدهور الوزارة وصراع بين البطانة. و كانت بدايات تدهور مركز الوزير قد وقعت في عهد المعتصم ، ولم تظهر آثارها السلبية بوضوح إلا بعد ذلك ، حين أصبحت المؤسسات الإدارية والسياسية تحت سيطرة زمرة من القادة العسكريين الأتراك. ولم يبق للخليفة أو وزيره الشيء الكثير، بل إن منصب الوزير شغل في أواخر العصر العباسي الثاني ثم ألغي في العصر البويهي . وغدا للخليفة كاتب فقط . واختص أمراء البويهي بالوزير.

وبعد أن كانت سلطة الوزراء تتأثر بشخصية الخليفة قوة وضعفاً، فقد أصبحت الوزراء يخضعون لموقف القادة الأتراك، ويكون مجيء أو مصير هذا الوزير أو ذاك برغبة من الأتراك وإرادتهم. فالظاهر من الناحية الشكلية بقاء تعيينات الوزراء، وإضفاء الشرعية باسم الخلفاء. ولكن الإرادة الحقيقية في التعيين أو العزل كانت بأيدي هؤلاء القادة<sup>(1)</sup>.

وكإجراء عملي قرر الخليفة المتوكل إضعاف سلطة الوزراء. لأنه رأى منهم طموحا يفوق ما أسند إليهم من مهام وصلاحيات. ولأول مرة في التاريخ العباسي. أصبح الخليفة يسرف في تعيين وعزل الوزراء ورؤساء الدواوين والمصالح. حتى لا يتوفر لهم فرص الاستبداد بالسلطة. وهو يسرف في مصادرة أموالهم كوسيلة لإرهاب غيرهم. ولا يجد حرجا في التكنيل بوزرائه وكبار رجال الدولة ، فيسجنهم ويعذبهم<sup>(2)</sup>.

(1) حسام الدين السامرائي: المؤسسات الإدارية في الدولة العباسية، ص 102.

(2) نادية صقر: مطلع العصر العباسي الثاني، ص 15.

الباب الثاني : الأدوار الإيجابية والسلبية للبطانة في توجيه سياسة الخلفاء العباسيين.

الفصل الثاني: منجزات الخلفاء الإيجابية وأثر البطانة في ذلك 132 - 334هـ / 749 - 946م

ورغم فترة الضعف الخلافة ، لكن في خلافة المعتضد ، فقد وزر له عبيد الله بن سليمان بن وهب عشر سنوات. وهذا يعتبر تحسنا نسبيا في الزمن الفعلي الذي شغله الوزير منذ سنين طويلة ، اضطربت الوزارة بكثرة وسرعة التولية والعزل.

وبالنظر إلى وضع الوزير عبيد الله ، فقد تحسنت مكانته. حيث سمح له بأن يتولى تصريف أمور الدولة بحسب رأيه. و أصبح هو المسؤول عن توجيه الإدارة والأمور المالية. كما أن أغلب وزراء هذه الفترة قد أبقوا في مناصبهم حتى وفاتهم ، وهذه تطورات لها دلالتها. وهذا ما تشير إلى ارتفاع شأن الوزارة. كما أنها دليل استقرار جدي وواضح لهذه المؤسسة الإدارية الخطيرة<sup>(1)</sup>.

ولما مات المعتضد سنة 289هـ ، لا يزال القاسم وزيرا قائما بالأمور. وكان المكتفي بالرقعة . فقام الوزير القاسم بن عبيد الله بأخذ البيعة للمكتفي ، فدبر الأمر أحسن تدبير ، وكتب إليه يعلمه ذلك ، ووجه إليه بالبردة والقضيب . فجاء المكتفي إلى بغداد وأقره على الوزارة ولقبه ألقابا . وجل أمر القاسم في أيام المكتفي وعظم شأنه. وهو أول وزير لقب في الدولة، فإن المعتضد لقبه ولي الدولة، وتوفي في زمن المكتفي<sup>(2)</sup> . وبعد سنة كاملة من وزارة القاسم بن عبيد، أخذ البيعة للمكتفي ابن المعتضد على الناس ، واستقامت الأمور ، وعظمت هيئته وجل شأنه.<sup>(3)</sup> وكان القاسم قليل التقوى، كثير الظلم. وكان ما يدخله من ضياعه في العام ، سبعمائة ألف دينار، ولما مات أظهر الناس الشماتة بموته<sup>(4)</sup>.

وقد اشتهر الوزير العباس بن الحسن بن أيوب، بكونه أول وزير منع أصحاب الدواوين من الوصول إلى الخليفة. ثم خلع المكتفي على وزيره العباس بن الحسن خلعا لحسن تدبيره . وكانت وزارته ما بين (291\_296هـ)<sup>(5)</sup>.

وسار أبو الحسن علي بن الفرات (296 - 299 هـ / 909-911م)، (311\_313هـ/ 923\_

925م) أحسن سيرة ، وكشف المظالم ، وحض المقتدر على العدل ، ففوض إليه الأمور لصغره<sup>(6)</sup> . بعكس ابن الفرات الذي حاول أن يستفيد من مركزه ، وسعى إلى جمع المال على حساب الدولة وأفرد ابن فرجويه كاتبه بمحاسبة المصادرين والاستيفاء عليهم فكان يحاسبهم ولا يرفع إلى الدواوين شيء من

(1) السامرائي: تطور نظام الوزارة ، ص 293.

(2) ابن الطقطقي: الفخري ، ص 259. الصفدي: الوافي، ج 24، ص 95. السيوطي: حسن المحاضرة، ج 2، ص 196.

(3) ابن الأبار : إعتاب الكتاب ، ص 184.

(4) الذهبي: العبر ج 1، ص 420.

(5) عريب: صلة تاريخ الطبري، ص 14. السيوطي: المصدر السابق، ج 2، ص 196-197. العمري: مسالك، ج 11، ص 120.

(6) ابن الطقطقي: الفخري ، ص 265، الذهبي: تاريخ الإسلام، ج 22، ص 27.

## المابج الثاني : الأءوار الإيجابية والسلبية للبطانة في ءوءبه سياسة الخفاء العباسيين . الفصل الثاني : منجزاء الخفاء الإيجابية وأئر البطانة في ذلك 132 - 334هـ / 749 - 946هـ

حسابهم . وءون أن يطال يءي صاحبي بيت مال الخاصة والعامة شيء . ومنح أقاربه وأصحابه أحسن الوظائف في الءواوين . على رغم حسن سياسته لأمور الرعية (1) .

وكان من أعمال ابن الفرات الوزير أنه « جلس لكتاب العطاء فحاسبهم وأشرف لهم على خيانة نحو مائة ألف دينار فورى عن الأمر قليلاً إذ كان كتابه منهم واستخرج ما وءء من المال في رفق وستر » (2) . ومعظم المؤرخين ، يعتبرون الوزير علي بن عيسى (301 - 304 هـ / 914 - 916 م) (314-316هـ/926-928م) طفرة من الوزراء الجاءين الحازمين . فقد نهض بأحوال الوزارة ، وضبط الءواوين والأعمال ، وقرر القواعد ، وكانت أيامه أحسن أيام وزير . (3) فلما ولي الوزارة فشلت صدقاته ومبراته ، ووقف وقوفا كثيرة من ضياع السلطان ، وأفرد لها ديوانا سماه ديوان البر . جعل حاصله لإصلاح الثغور ، وللحرمين الشريفين . وكان يجلس لرد المظالم وينصف الناس ، واقتصر على أقل الطعام . وأخشن الملبوس . وولي الوزارة للمقتدر مرارا . فكان هو وأبو الحسن علي بن الفرات يتناوبان الوزارة ، مرة هذا ومرة ذلك (4) .

ولقد استطاع الوزير الجليل المصلح علي بن عيسى بنشاطه وكفايته وباستخدامه للءقيرين من الكتاب والعمال من معالجة القضايا المالية المستعصية . ومن تسيير دفة الحكم بجءارة ، وكانت علاقته بالخليفة ممتازة . وعندما أحس الوزير بضغوط الحاشية على الخليفة المقتدر بالله لعزله بسبب تءابيره المالية التشفية ، فإنه استعفى من الوزارة غير أن الخليفة امتنع عن إعفائه وطمأنه بأن أكد له علو مكانته لءيه وأوصاه بالصبر والتحمل (5) .

و بإشارة الوزير علي بن عيسى سنة 318هـ/930م ولي سليمان بن الحسن بن مءلء عءة ولايات في أيام المقتدر ، منها الإشراف على سائر الءواوين . ولا يتصرف سليمان ولا يقلء أحءاً عملاً ولا يعمل شيئاً إلا بعد موافقة علي بن عيسى (6) .

(1) \_ الصايبي : تحفة الوزراء، ص79 . الءهبي : سير أعلام النبلاء، ج15، ص46 . الءوري : دراسات ، ص149 .

(2) \_ عريب : صلة تاريخ الطبري ، ص35 .

(3) \_ تاريخ بغداد، ج13، ص459 . ابن الطقطقي : الفخري ، ص271-272 . انظر ابن الجوزي : المنتظم ، ج14، ص56 . الصءفي : الوافي، ج3، ص50 . الزركلي : الأعلام، ج5، ص106 .

(4) \_ ابن الطقطقي : الفخري ، ص272 . الءهبي : سير ج299، 15 . 300 . ابن تغري : النجوم ، ج3، ص191 .

(5) \_ الطبري : تاريخ، ج9، ص28-29 . الءهبي : تاريخ الإسلام، ج23، ص21 . ابن الأثير : الكامل، ج6، ص491 ابن كثير : البءاية، ج14، ص800 .

(6) \_ الصءفي : الوافي، ج15، ص224 . ابن تغري : النجوم ، ج3، ص227 .

الباب الثاني : الأدوار الإيجابية والسلبية للبطانة في توجيه سياسة الخلفاء العباسيين.

الفصل الثاني: منجزات الخلفاء الإيجابية وأثر البطانة في ذلك 132 - 334هـ / 749 - 946م

وهكذا نجح علي إلى حد مشكور في إصلاح الوضع المالي. وفي موازنة الدخل والصرف. ولكن سوء سياسة أخلاقه وأنانيتهم أفسد آثار إصلاحاته. فابن الفرات الذي خلفه في الوزارة أنشأ ديوانا خاصا (ديوان المرافق) لأخذ جزء من ثروة الموظفين على أساس ارتشائهم بالإضافة إلى ما يحصل من مصادرة علي وأنصاره<sup>(1)</sup>.

ثم وزر للمقتدر مشاركا لعلي بن عيسى ، ثم عزل ، ثم وزر للراضي بالله سنة 324هـ/936م. وكثرت المطالبات عليه، فبذل ابن رائق القيام بواجبات الجيش، وولي إمرة الأمراء. وسقط حكم الوزارة. فاستعفى سليمان من الوزارة بعد سنة، ثم استوزر الراضي بالله سنة 328هـ/940م. ومضت سيرته على سداد، وكان بصيرا بكتابة الديوان، خبيرا بالتصرف والسياسة. فبقي سليمان على ذلك سنة واحدة وشهرين وتسعة أيام وعُزل، ثم إنّه ولي الوزارة للراضي سنة 324هـ. وخلع عليه وركب معه الجيش. فازدادت الأمور اضطراباً لعدم الأموال واحتداد المطالبات. فبذل محمد بن رائق القيام بواجبات الجيش وولي إمارة الأمراء وصارت الكتب تُورّخ عن ابن رائق وتقدّم على الوزير سليمان ، فسقط حكم الوزارة من ذلك الوقت. واستعفى سليمان من الوزارة فأعفي. وكانت وزارته عشرة أشهر وثلاثة أيام. ثمّ وزر للراضي مرة ثانية فكانت المدّة ثلاث أشهر وسنة وعشرين يوماً. ثمّ ولي للمتقي لله إبراهيم بن المقتدر وعزل، وكانت المدّة أربعة أشهر وثلاثة عشر يوماً. ومضت أيامه على سداد وإحمام من الناس. وكان كاتباً سديداً خبيراً بأحوال الدواوين وقوانين السياسة. توفي سنة 332هـ/944م وله 71 سنة<sup>(2)</sup>.

وسبب عزله أنه أصابته ضائقة، وكثرت عليه العروض بالضمام والوظائف ممن يرغبون في الترشح للوزارة. فاكتشف المقتدر ما به ، وعزله وأشار بتولية الحسين بن القاسم، ولكن القائد مؤنس رفض ، وفرض عليه أن يستوزر أبا القاسم الكلوذاني. وكانت وزارة سليمان سنة وشهرين<sup>(3)</sup>.

واختلط الأمر كثيرا في خلافة المقتدر ، بسبب تعدد الأطراف المتنازعة الأهواء. وزراء وكتاب وقدة وحجاب متفقو الأهواء ومتضاربو المصالح . لذا كان من الطبيعي أن يكون ولاء هذا الوزير بعد توليه مهام الوزارة إلى من كان سببا مباشرا في إيصاله إلى هذا المنصب، ومن يستطيع في الوقت نفسه أن يعزله منه. فلا مأمّن لصاحب منصب البقاء في منصبه. وهذا عام في أحوال هرم الدول ونهاياتها.

ورغم تولي حامد الوزارة اسميا ، لكنه بجهله بقوانينها ومدخلاتها ومخرجاتها، فإنه سلم بالأمور للكاتب علي بن عيسى الذي أتقن وتفنن في التأطير والتسيير الإداري والمالي. وهذا يعطينا فكرة واضحة

(1) الصابي: الوزراء ، ص31-32.

(2) الصفدي: الوافي، ج15، ص324. الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج15، ص327. ابن تغري: النجوم، ج3، ص227.

(3) ابن الأثير: الكامل، ج7، ص64.

المابج الثاني : الأدوار الإيجابية والسلبية للبطانة في توجيه سياسة الخلفاء العباسيين.

الفصل الثاني: منجزات الخلفاء الإيجابية وأثر البطانة في ذلك 132 - 334هـ / 749 - 946هـ

على اختلال موازين الوظائف حتى العليا منها . وكما نلاحظ في هذه الرواية أن الناس لم ينسجوا مع الإجراءات التي كان تصدر الوزير الكفاء علي بن عيسى، فناصره العداة، ليس لأنها كانت خاطئة أو غير مؤسسة ، بل لأنها لا تخدم مصالحهم وتوجههم. وهذا شيء ايجابي خير من أن يكون العكس أي أن يكون وزير أو كاتب كفاء يخضع لأهواء جاهل يدفعه إلى إفساد الأمور كلها.

ثم وزر للمقتدر مشاركا لعلي بن عيسى سليمان بن الحسن بن مخلد(318-319هـ / 930-931م) (324هـ/936م) (328-329هـ/940-941م) ، ثم عزل ، ثم وزر للراضي بالله سنة324هـ. وكثرت المطالبات عليه، فبذل ابن رائق القيام بواجبات الجيش، وولي إمرة الأمراء. وسقط حكم الوزارة. فاستعفى سليمان من الوزارة بعد سنة، ثم استوزر الراضي بالله سنة 328هـ. ومضت سيرته على سداد، وكان بصيرا بكتابة الديوان، خبيرا بالتصرف والسياسة. فبقي سليمان على ذلك سنة واحدة وشهرين وتسعة أيام وعزل، ثم إنّه ولي الوزارة للراضي سنة 324هـ<sup>(1)</sup>.

وهذا ما يفسر لنا قوة بعض شخصيات الخلفاء في العصر العباسي الثاني خاصة في فترة الصحوة المؤقتة(256-295هـ/870-908م) برغم الضعف العام في البطانة ، لكن على مستوى خلفاء هذه الفترة، كانت لديهم بعض القدرة على التمييز والاختيار وإنشاء الأعمال والمشاريع. رغم استبداد قادة الجند الأتراك بالأمور.

فلم يكن الوزراء يستقر لهم حال ، خاصة إذا تعلق الأمر بأجور العمال وخاصة منهم الجند. فكانوا يقومون من حين لآخر بشغب وفوضى، إما للمطالبة بحقوقهم ومستحقاتهم المالية ، أو تستغلهم أطراف في السلطة لضرب الطرف الآخر. وكم من الوزراء الذين نكل بهم وأحرقت دورهم وعزلوا وصدروا، بسبب هذه الحساسيات المفرطة بين الموظفين في دوايب السياسة والإدارة ، بالخصوص في العصر العباسي الثاني.

ولذلك لم يكن من السهولة أن يتمتع وزير مثل الخصيبي بثقة كبيرة ، ومكانة عالية لدى الخليفة القاهر. فقد أوكل إليه الخليفة أمر اختيار وتقليد من يعتقد صلاحه من الكتاب لإدارة الدواوين، كما أنه ناظر برأيه بعض كبار الشخصيات الرسمية وصادرهم<sup>(2)</sup>.

وهذه الوزارات التي تدوم الشهر والشهرين ، لا تدل على حقيقة الوزارة ، التي تبني عليها علاقة الخلفاء بالوزراء. إذ لا يمكن أن يتعرف الخليفة على وزيره بهذه السرعة . ولا أن يتمكن من تقييم

(1) \_ الصفدي: الوافي، ج15، ص324. الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج15، ص327. ابن تغري: النجوم، ج3، ص227.

(2) \_ مسكويه : تجارب، ج5، ص156.

## الباب الثاني : الأدوار الإيجابية والسلبية للبطانة في توجيه سياسة الخلفاء العباسيين.

### الفصل الثاني: منجزات الخلفاء الإيجابية وأثر البطانة في ذلك 132- 334هـ / 749- 946م

شخصيته وأعماله. كما لا يمكن للوزير أن تظهر شخصيته الوزارية في هذا الوقت الضيق. ويمكننا استقراء الواقع السياسي المتعفن بسبب تسلط القادة الأتراك. الذين لا هم لهم إلا جمع المال. وتعيين كل خليفة حسب أهوائهم، بل وإخضاع أو تعذيب أو قتل من حاول أن يردهم أو يعصي لهم أمرا. فهم عملوا على تمييع نظامي الخلافة والوزارة في آن واحد. فأصبح كل من الخليفة والوزير مجرد عاملين مؤتمرين بأوامر القائد التركي. واتضح ذلك أكثر خلال فترتين في العصر العباسي الثاني. بين (256-295هـ / 870-908م) كانت فترة الصحو المؤقتة، حيث طالت فيها مدة الخلافة والوزارة بقدر كبير من الحرية والعمل.

ونستنتج من خلال هذا الفصل أن تجربة الوزارة عرفت في العصر العباسي الأول عدم وضوح صلاحيات الوزير بالضبط. فهو يريد أن يفرض نفسه ويسيطر على الأعمال، وهذا ما يراه الخليفة تجاوزا لما يريه هو من الوزراء، وهو المشورة والرأي فقط. لذلك انتهى العصر العباسي الأول بإثبات سلطة الخليفة، ومعاقبة ونكبة كثير من الوزراء ومصادرتهم.

كما نستنتج أيضا الأدوار المهمة للوزراء في الرفع من التحديات التي كانت تواجه الخلفاء العباسيين الأوائل. بحيث استفادت الخلافة من كفاءاتهم ومهاراتهم السياسية والإدارية. باعتبار معظم وزراء خلفاء العصر العباسي الأول كانوا من الفرس.

الباب الثاني : الأدوار الإيجابية والسلبية للبطانة في توجيه سياسة الخلفاء العباسيين.  
الفصل الثاني: منجزات الخلفاء الإيجابية وأثر البطانة في ذلك 132 - 334هـ / 749 - 946م

ثانيا - المنجزات الاقتصادية:

I - إدارة الموارد المالية :

لقد شغل موضوع اقتصاد الدولة العباسية تفكير كثير من الباحثين. من باب أن العباسيين الأوائل بالخصوص عملوا على تحقيق التوازن بين الموارد والنفقات. حيث تم تحديد وحصر هذه الموارد، مقسمة إجمالاً إلى ثلاثة أقسام : خمس الغنائم التي تؤخذ في الحرب وهي تنعدم عندما تتوقف الفتوحات. والأموال التي تؤخذ من المسلمين وهي الصدقات أو الزكاة . والأموال التي تجبي من غير المسلمين وهي بشكل رئيسي الفياء أي جزية الرؤوس وخراج الأرض<sup>(1)</sup>.

والآن نفصل في ذكر هذه الموارد:

1/ الخراج:

أ- تعريفه: ويعرفه أبو الحسن الماوردي: «هو ما يوضع على رقاب الأرض من حقوق تؤدي عنها»<sup>(2)</sup>.  
و بتعبير آخر فهو ما يؤخذ عن الأرض التي فتحها الفاتحون صلحا ، ثم تركوها بيد أهلها لقاء خراج معين ، يؤدونه سنويا إلى بيت المال<sup>(3)</sup>.

والمقصود بها في اصطلاح الإسلام ، الضريبة التي تفرض على الأرض التي صولح عليها المشركون مقدار معين من حاصلاتهم الزراعية. أو من أموالهم ، وهذا المقدار المفروض يسمى «خراجا»<sup>(4)</sup>.

ب - جبايته :

يعتبر الخراج مصدرا اقتصاديا مهما في دوام الدخل ، وهو من أسس الموارد المالية لتكوين أي حضارة عبر التاريخ. وعن هذه الأهمية يورد الجهشيارى نصا مهما في عهد سابور بن أردشير يقول فيه : «واعلم أن دوام أمرك بדרور الخراج ، ودروره بعمارة البلاد ، وبلوغ الغاية في ذلك يكون باستصلاح أهله ، بالعدل عليهم والمعونة لهم. فإن بعض الأمور لبعض سبب ، وعوام الناس لخواصهم غدة ، وبكل صنف منهم إلى الآخر حاجة . فاختر لذلك أفضل من تقدر عليه من كتابك. وليكونوا من أهل البصر والعفاف والكفاية»<sup>(5)</sup>.

ويسبب الفتوحات الاسلامية ، تزايدت أعداد معتنقي الإسلام. لذا وجب أن تتغير سياسة الدولة

(1)- الفضل شلق: الخراج والاقطاع والدولة ، مجلة الاجتهاد ج1، ص147.

(2)- الماوردي: الأحكام السلطانية ، دار الكتب العلمية ، ص 162.

(3)- أبو يوسف: الخراج ، ص 69.

(4)- صبحي الصالح: النظم، ص359.

(5)- الجهشيارى: الوزراء، ص06.

المابج الثاني : الأءوار الإجابفة والسلففة للبطانة فف ف فوفف سفاسة الخلفاء العباسفف.

الفصل الثاني: منبزاب الخلفاء الإجابفة وأئر البطانة فف ذلك 132 - 334هـ / 749 - 946م

ءول الأرف. فءءولوا من نظام إعطاء الخراج إلى ءفع الزكاة. ونءب عن ذلك تناقص موارد ءولة المالفة. بءقلص الأراضف الخراجفة. بعء أن كانت ءشكل ضرففة الخراج ءشكل نسبة عاففة من موارد بفء المال ، عن الأراضف المففءوءة عنوة<sup>(1)</sup>.

وكان الخلفاء هم الءفن فءولون النظر فف أمر الخراج، وبراقبون سفر الجبافة. وقء بءل العباسفون ببوءا معءبرة فف الأءمام بءفوان الخراج. فوفءوا بءواناً مركزباً للخراج فشممل ما ءءءه من ءواوفن الأعمال . وءعه السفاح وعهء به إلى ءالء بن برمك ببمك ببمكة.

وعنف الخلفة المنصور عناية كبففة بالخراج. فقام بءنظم بءوان الخراج مءصفا له مكانا على مقربة منه ، مءفظا ففه بسببلاء برعب إليها فف ءقءفر الخراج. مراف ففمن فءولف وظائفه من الموظففن الأمانة والءقفة والءفقه فف أمور الءفن.<sup>(2)</sup> كما راقب المنصور الخراج مراقبة شءفءة ، وأمرهم ألا فقبفوا من الناس إلا النقء الموءوء بسلامءه ونقاوءه لمن فءفع نقءا. فكانء الهفرفة والءالءفة والفوسففة أءوء نقوء بنف أمفة ءم أمر المنصور أن لا فقبل فف الخراج بفرفا<sup>(3)</sup>.

ولم ءءقق ءءورة الكبرف فف نظم الخراج فف عهء الخلفة المنصور. إنما ءءققء فف عهء ابنه المهءف. إذ قرر العءول عن نظام المساحة. وكانت نسب المقاسمة فف عهء المهءف قء ءققء فواءء كبففة من هذا الإصلاء. ءفء ءوءء النظام فف ببمف البلاد وضمءء الءولة ءءلا ءابءا ، واسءفاء الزراع وءببفوا الأزماء ءفء ءببم عن الانءفاض المفاءف فف أسعار الغلة<sup>(4)</sup>.

وقء أنشأ المهءف لءرفب بءوان زمام الخراج . واستمر هذا الزمام فف ضبط ءساباء الجبافاء والافراءاء من الأقالفم. وكان بءوان الأزمة فشبه بءوان المءاسبفة الفوم . وقء ببمفها عمر بن بزفب - ففءء ءواوفن الأزمة وفولف على كل منها رجلا<sup>(5)</sup>.

ونظرا للوابباف ءفء كان ملقاء على عامل الخراج. ءاصة مراعاة الرفق فف الاسءففاء ، والصبفر على الزراع ءءف فءفسر لهم أءاء ما عفهم وإعفاء من فسءءق الإعفاء. والءراففة ءائمة بالءساب والمساحة. ملءبمبا بالعدالة والامانة والشبباعة فف الءكم.<sup>(6)</sup> وهذا ما ببم أبو فوسف بببب للءلفة

(1)- الفضل شلق: الخراج والاقءاع والءولة الاسلامفة ، مجلة الاجءهاف ب1، ص146. الكففسف: الخراج، ص141.

(2)- إبراهم أفوب : فف ءارفء العباسف ، ص 236.

(3)- ابن ءلءون : العبر ب3، ص57.

(4)- ءسن و أءمء : العالم الإسلامف فف العصر العباسف، ص154. للمزفء من ءففاففل عن نظام المقاسمة فبظر الفصل السادس من هذا البءء.

(5)- البهشفارف: الوزراء، ص 146.166. ابن كبفر: البءافة ب13، ص537. سلفمان الءءفل: الفوز بالمراف فف ءارفء ببءاء، ص47.

(6)- سلفمان الءءفل: الفوز بالمراف فف ءارفء ببءاء، ص46-47.

الباب الثاني : الأدوار الإيجابية والسلبية للبطانة في توجيه سياسة الخلفاء العباسيين.

الفصل الثاني: منجزات الخلفاء الإيجابية وأثر البطانة في ذلك 132 - 334هـ / 749 - 946م

الرشيد الصفات والشروط التي يجب توفرها فيمن يعين لولاية الخراج. وذلك بأن يكون فقيها ، مشاورا لأهل الرأي ، عفيفا ، لا يطلع الناس منه على هورة ، ولا يخاف في الله لومة لائم ، ولا يخاف منه جور في الحكم ، ويجب أن لا يكون عسوفا لأهل عمله محتقرا لهم ، أو مستخفا بهم. لأن كثيرا من أهل الخراج نالهم عذاب شديد ، من الضرب والإقامة في الشمس ، وتعليق الحجارة في الأعناق<sup>(1)</sup>.

وقد أشرف على ديوان الخراج في عهد الرشيد، بعد أبيه يحيى بن خالد البرمكي. وأجاز الخليفة له أن يكتب إلى عمال الخراج في الولايات دون الرجوع له. وحرص الخلفاء العباسيون على إتباع منهج السلف في تقدير الخراج والجزية. وساءت أمور الدولة المالية. لذلك طلب الرشيد من الفقيه أبي يوسف تصنيف كتاب في الخراج ، يحدد فيه ما يجب اتباعه في الأوراق المالية ، فصنف أبو يوسف كتاب الخراج<sup>(2)</sup>. كتابا جامعا ، يعمل به في جباية الخراج والعشور والصدقات والجوالي<sup>(3)</sup>.

فانتظم الخراج في عهد الخليفة الرشيد بعد الإصلاحات التي استخدمها البرامكة في الزراعة والري. كما شعر الزراع بالأمان بعد أن نظر البرامكة في ظلماتهم. وألغوا المبالغ المتأخرة على الزراع العاجزين عن السداد العاجزين عن السداد. وقد اوصى القاضي أبو يوسف الرشيد بأن تقوم الدولة بحفر الترع والقنوات وتيسير سبل الري<sup>(4)</sup>.

## 2/ توابع الخراج:

### أ - المكوس:

وهي الضرائب التي تفرض على بضائع التجار القادمين من خارج البلاد الإسلامية ، تجبي مرة في السنة. فكان يؤخذ من التجار المسلمين ربع العشر، وأهل الذمة نصف العشر ، ومن أهل دار الحرب العُشر ، وذلك عن كل بضاعة بلغت قيمتها مائتي درهم فصاعدا. وقد أنشئت محلات خاصة تدعى (المراسد) لجباية هذه الضريبة<sup>(5)</sup>.

وهي بالتعبير الحديث تسمى بالرسوم الجمركية. وكانت تؤخذ على البضائع التجارية التي يحملها التجار من الهند والصين بحرا إلى الموانئ العربية. وتستوفى نقدا أو عينا. وكان الخليفة الواثق بالله أمر

(1)- أبو يوسف: الخراج ، ص 105 . 107-109.

(2)- سليمان الدخيل: الفوز بالمراد في تاريخ بغداد، ص 47.

(3)- حسن إبراهيم : تاريخ الإسلام ج2، ص226.

(4)- أبو يوسف: الخراج ، ص94. حسن إبراهيم : تاريخ الإسلام ج2، ص226.

(5)- أبو يوسف: الخراج ، ص 132-133. الدوري: النظم ، ص 154. ينظر سيد أمير علي : مختصر تاريخ العرب، ص 262.

## الباب الثاني : الأدوار الإيجابية والسلبية للبطانة في توجيه سياسة الخلفاء العباسيين.

### الفصل الثاني: منجزات الخلفاء الإيجابية وأثر البطانة في ذلك 132 - 334هـ / 749 - 946م

بترك أعشار السفن ، تشجيعاً لحركة التجارة وكان مالا عظيماً<sup>(1)</sup> .

ب - أخماس المعادن: فهي ضريبة تفرض على ما يستخرج من باطن الأرض من المعادن. وهي من الأموال الظاهرة ، وتجب الزكاة في جميع الخارج منها . سواء كان مما يطبع ، كالذهب والفضة والحديد والرصاص والنحاس . أو مما لا يطبع كالنفط أو حجر كالجواهر والكحل . إذا بلغ المأخوذ من الذهب والفضة بعد السبك والتصفية نصابا ، أو بلغ قيمة المأخوذ من غيرهما نصابا. وقدر المأخوذ : ربع العشر، المقتني من الذهب والفضة وعروض التجارة<sup>(2)</sup> .

ج - الركاظ : فهو كل مال وجد مدفونا من ضرب الجاهلية ، في موات أو طريق سابل يكون لواجده وعليه الخمس ، ويصرف مصرف الزكاة<sup>(3)</sup> .

### 3/ الجزية :

اسم الجزية مشتق من الجزاء ، أي أنها تؤخذ منهم جزاء كفرهم صغارا لهم، كما ورد بنص القرآن الكريم بقوله تعالى: ﴿ قَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ ﴾<sup>(4)</sup>

والجزية واجبة على الرجال أهل الذمة دون النساء والصبيان. على الموسر ثمانية وأربعون وعلى الوسط أربعة وعشرون ، وعلى المحتاج اثني عشر درهما. يؤخذ منهم ذلك في اول كل سنة قمرية ، ولا تؤخذ الجزية من المسكين الذي يتصدق عليه ولا من أعمى لا حرفة له وكذلك المترهبون في الديارات إذا كانوا فقراء. ولا تؤخذ من الشيخ الكبير الذي لا قدرة له على العمل. والنهي عن قتل الذرية من النساء والصبيان فدل جميع ذلك أن الجزية إنما أوجبت على من كان القتل عليه واجبا فكف بها عن قتله. وتسقط عمن لا يقاتل مثل: العميان والرهبان والزمنى وسائر من يجري مجراهم ممن لا يقاتل.<sup>(5)</sup> وهي مبلغ من المال يُفرض على رؤوس أهل الذمة ويسقط بالإسلام.

(1) - تاريخ الطبري، ج9، ص150، ابن الأثير: الكامل، ج6، ص92. عبد الباقي: معالم، ص134.

(2) - الماوردي: الاحكام السلطانية، ص127.

(3) - المصدر نفسه ، ص 127-128.

(4) - سورة التوبة ، الآية 29.

(5) - قدامة بن جعفر: الخراج ، ص 225. الدوري: النظم ، ص 151. سليمان الدخيل: الفوز بالمراد ، ص35.

المابج الثاني : الأءوار الإيجابية والسلبية للبطانة في ءوءبه سياسة الخفاء العباسيين.

الفصل الثاني: منجزات الخفاء الإيجابية وأثر البطانة في ذلك 132 - 334هـ / 749 - 946هـ

وكان ولاة الخراج في العراق يبعثون رجالا يثقون بدينهم وأمانتهم ، يأتون القرية فيأمرؤن صاحبها بجمع من كان فيها من اليهود والنصارى والمجوس والصابئين والسامرة ، فإذا جمعوا أخذوا منهم الجزية على قدر طاقتهم<sup>(1)</sup>.

وهناك من يعتبر فرض الجزية على أهل الذمة يقابل فرض الزكاة على المسلمين، حتى يتكافأ الفريقان. لأنهما رعية لدولة واحدة وينتفعون بمرافقها سواسية. وشبهها بعض الباحثين بضريبة الدفاع الوطني، فكان لا يدفعها إلا القادر على حمل السلاح<sup>(2)</sup>.

وكان في الزكاة معنى تعبدي ، بينما كان في الجزية معنى قانوني خاص يدخل حاليا فيما يسمى حقوق المواطنة<sup>(3)</sup>.

وكانت الجزية تفرض على الروم عند غزؤهم والانتصار عليهم ، ومن ذلك الجزية السنوية التي وافق قسطنطين على دفعها مقابل الصلح مع المنصور في عام 155هـ ، ثم التي وافقت "أغسطه" على دفعها في عهد المهدي لنفس السبب ، وقد تراوحت بين سبعين ألف دينار إلى تسعين ألف دينار ، ثم التي أجب رقفور على دفعها للرشيد عام 190هـ ، وبلغت حوالي خمسين ألف دينار<sup>(4)</sup>.

#### 4/ الصدقات:

الصدقة (الزكاة) ، ضريبة تعبدية مفروضة على الأغنياء من المسلمين إذا توافرت شروطها الشرعية. وتأتي بمعنى الطهارة والنماء. وكان الخراج من المال يطهره من تبعة الحق الذي جعل الله فيه للمساكين. فقد قال سبحانه وتعالى: { خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكؤهم بها وصل عليهم إن صلاتك سكن لهم والله سميع عليم }<sup>(5)</sup>.

وهي شرعا تملك جزء من المال عينه الشارع لمستحقه بشروط معينة. ولا يجب على المسلم في ماله سواها ، وهي واجبة في الأموال المرصدة للنماء إما بنفسها وإما بالعمل فيها ، طهرة لأهلها ، ومعونة لأهل السهمان<sup>(6)</sup>. وهي تؤخذ من أموال أغنياء المسلمين وتقسم في الأصناف الثمانية المذكورة في الآية .

(1) - أبو يوسف: الخراج، ص123.

(2) - عبد الباقي: معالم الحضارة، ص145.

(3) - صبحي الصالح: النظم ، ص363.

(4) - الذهبي: العبر، ج1، ص236. عصام عباس محمد علي نقلي : تحليل الفكر الاقتصادي في العصر العباسي الأول ، ص 48.

(5) - سورة التوبة: الآية 103 .

(6) - الماوردي: الأحكام السلطانية ، ص115.

الباب الثاني : الأدوار الإيجابية والسلبية للبطانة في توجيه سياسة الخلفاء العباسيين.

الفصل الثاني: منجزات الخلفاء الإيجابية وأثر البطانة في ذلك 132 - 334هـ / 749 - 946م

والأموال التي تؤخذ عنها الصدقة هي المواشي من الإبل والبقر والغنم، وثمار النخل والشجر والزروع والفضة والذهب ، وقد بين الفقهاء الأحكام الخاصة بتحقيق الزكاة على هذه الأموال<sup>(1)</sup>.

بالإضافة إلى عشور الزروع ، فقد كانت الصدقات تجبى على المواشي حسب الأسس التي شرحها الفقهاء. كانت جباية الصدقات تترك عادة إلى عمال الخراج . الذين لم يكونوا يحسنون التصرف دائما. قال أبو يوسف: « وقد بلغني أن عمال الخراج يبعثون رجالا من قبلهم في الصدقات فيظلمون ويعسفون ويأتون ما لا يحل ولا يسمح .»<sup>(2)</sup> ولذا اقترح أبو يوسف على الخليفة الرشيد تعيين موظف خاص على الصدقات في جميع البلدان. يوجه فيها أقواما يرتضيهم. ويسأل عن مذهبهم وطرائقهم ، وأماناتهم يجمعون إليه الصدقات.

وقد اشترط القاضي أبو يوسف في والي الصدقات، أن يكون ثقة أمينا ، عفيفا ، ناصحا، مأمونا على بيت المال وعلى الرعية. وأن يوجه أقواما يرتضيهم ويتحرى عن سلوكهم وأمانتهم ليجمعوا إليه الزكاة من البلدان.<sup>(3)</sup> أما الماوردي فيرى أن الشروط المعتمدة في والي الصدقات أن يكون مسلما حرا عادلا عالما بأحكامه ، وأنه قد يُقلد على أخذها وقسمتها ، أو أن يقلد على أخذها فقط<sup>(4)</sup>.

## 5/ المصادر:

شكلت المصادر<sup>(5)</sup> موردا ماليا هاما. فقد تدفقت الأموال على بغداد في العصر العباسي الأول بفضل السياسة المالية الرشيدة للعباسيين الأوائل. حيث تزامن مع الاستقرار الأمني ، استقرار مالية الدولة. وقد ساهم في بث هذا الاستقرار، سياسة الخليفة المنصور وبطانته. حيث خلف لابنه المهدي قبل وفاته من الأموال ما إن كسر عليه الخراج عشر سنين كفاه لأرزاق الجند ، وسائر النفقات . وكان ما خلفه في بيت المال يقال إن المنصور خلف في الخزائن أربعة عشر ألف ألف دينار وستمائة ألف ألف درهم.<sup>(6)</sup> وخلفاؤه من بعده خصوصا الخليفة هارون الرشيد. إذ امتلأت بيت المال بالذهب والفضة حتى بلغ دخل الدولة في بعض السنوات المبكرة من الحكم العباسي مبالغ مالية طائلة.

(1)- الماوردي: الأحكام السلطانية ، ص 116. عبد الباقي: معالم، ص 146.

(2)- أبو يوسف: الخراج، ص80.

(3)- أبو يوسف: الخراج ، ص80.

(4)- الماوردي: الأحكام السلطانية ، ص115.

(5)- لقد أشكال وأوقات المصادر ، وتنوعت معها أصناف المصادرين ، من وزراء وكتاب وحجاب وقادة ، سواء بحق أو بسبب السعيات. كل ذلك تعرضت له بالتفصيل في المبحث الخاص به في الفصل التاسع .

(6)- المسعودي: مروج الذهب ج3، ص255.

الباب الثاني : الأدوار الإيجابية والسلبية للبطانة في توجيه سياسة الخلفاء العباسيين.

الفصل الثاني: منجزات الخلفاء الإيجابية وأثر البطانة في ذلك 132 - 334هـ / 749 - 946م

حيث خلف الرشيد من الميراث ما لم يخلفه أحد من الخلفاء. خلف من الجواهر والاثاث والامتعة سوى الضياع والدور ما قيمته مائة ألف دينار، وخمسة وثلاثون ألف دينار. وكان في بيت المال لمصالح الناس تسعمائة ألف ألف ونيّف.<sup>(1)</sup>

ويبلغ دخل الدولة في عهد الرشيد خمسة آلاف ألف دينار ، ومن الدراهم أربع مائة ألف ألف وأربعة آلاف ألف وسبع مائة وثمانية آلاف درهم.<sup>(2)</sup> وما بعدها.

فصادر الرشيد أموال البرامكة فكانت أموالا عظيمة ، وضياعا كبيرة ، وتحفا ثمينة. وكان جميع ما وجد للبرامكة من المال ولاتباعهم سبعة عشر ألف ألف درهم. بعد أن بحث الرشيد عن أموالهم وتبع ذلك. فما وجد لهم شيئا أكثر منه.<sup>(3)</sup>

وفيها مات محمد بن سليمان . وقبض الرشيد أمواله بالبصرة وغيرها. فكان مبلغها نيّفاً وخمسين ألف ألف درهم سوى الضياع والدور والمستغلات. وكان محمد بن سليمان يغل كل يوم مائة ألف درهم.<sup>(4)</sup>

و في العصر العباسي الثاني ، لم تعد المصادر تعبيراً عن العقوبات فقط ، بل أصبحت بتوالي الأيام المرجع الرئيسي في تحصيل المال. فالعامل يصادر الرعية ، والوزير يصادر العمال ، والخليفة يصادر الوزراء ، ويصادر الناس على اختلاف طبقاتهم. على أن الخلفاء لم يكونوا يعمدون إلى المصادرة إلا عند حاجتهم إلى المال لأرزاق الجند أو لغيرها من نفقات الدولة<sup>(5)</sup>. ومن الأمثلة الواضحة على ذلك مصادرة الخليفة الواثق للكتاب سنة 229هـ.

## 6 / المستغلات :

وأما المستغلات فيراد بها ما يجبي لبيت المال من ضريبة على الأسواق والمنازل والحانات. مما ابتناه الناس على أرض تعود للدولة. إذ يؤدون عليها أجره لبيت المال.<sup>(6)</sup> وفرضت الضرائب على الدور تدعى ضرائب العرصة . ولعلها فرضت على الدور المنشأة على أرض عامة ملك للدولة<sup>(7)</sup>.

(1) - ابن الأثير: الكامل ج5، ص354. ابن كثير: البداية والنهاية ج14، ص48. ابن خلدون: العبر ج3، ص288.

(2) - الجهشيارى: الوزراء ، ص288.

(3) - ابن الزبير: الذخائر ج1، ص224.

(4) - المسعودي: مروج الذهب ج3، ص280.

(5) - جرجي زيدان : التمدن الإسلامي ج2، ص166.

(6) - المرجع نفسه ج2، ص94.

(7) - الدوري: النظم ، ص157-158.

المابج الثاني : الأءوار الإيجابية والسلبية للبطانة في توجبه سياسة الخفاء العباسيين.

الفصل الثاني: منجزات الخفاء الإيجابية وأثر البطانة في ذلك 132 - 334هـ / 749 - 946م

كما فرضت ضرائب جديدة يأخذها الجهابذة<sup>(1)</sup> الذين كانوا يعطون جباية بعض المناطق لقاء سلفة يقدمونها للدولة. إذ كانوا يأخذون شيئاً من الناس ، إضافة إلى الضريبة المعتادة ، لعلها تقوم مقام الفائض المؤجل ، والجهد المبذول ، فكانت ثقيلة على الناس ، وتدعى بمال الجهبذة<sup>(2)</sup>. كانت مبالغ إيرادات المستغلات كبيرة نسبياً. فقد يشير ابن خرداذبة إلى أن غلات الأسواق والأرجاء ودور الضرب بلغت في مدينة السلام ألف ألف وخمسمائة ألف درهم في السنة<sup>(3)</sup>. ويروي اليعقوبي أن أجرة الأسواق ببغداد في الجانبين جميعاً من رحي ابن البطريق وما اتصل بها في كل سنة اثنا عشر ألف ألف درهم. كما أن غلات مستغلات سُر من رأى وأسواقها بلغت عشرة آلاف ألف درهم في السنة<sup>(4)</sup>.

## II - السياسة الاقتصادية وأساليب الجباية:

### 1/ الأساليب المعتمدة في جباية الضرائب :

كانت الضرائب تجبى أول الأمر من قبل موظفين خاصين. ثم تلاشت هذه الطريقة بالتدرج، وخلفتها طريقة الضمان وبموجبها يتعهد شخص ما بدفع مبلغ معين للخرينة سنوياً مقابل السماح له بجباية ما يستطيع من أهل ولايته. وإذا لم تكن الولاية مهمة ، يعين لها أمير كضامن . وبذلك يتسنى له جمع كميات كبيرة من الهدايا والمرافق<sup>(5)</sup>.

وعلى ما يبدو ، فإن التقديرات الضريبية لم تكن تُجب بناءً على تقديرات محددة ثابتة. بل وفق تعديلات جديدة أقرها العامل نفسه. ورفض الجباة تحقيق مطالب دافعي الضريبة ، بدفع ضريبة عينية عن كل نوع من أنواع الغلال. كأن يدفع مقدار من الحنطة عن الحنطة ، وهكذا. بدلاً من الدفع نقداً<sup>(6)</sup>.

وأدرك المنصور أن (قضية الضرائب) قضية رئيسية. ولما كانت الغالبية الكبرى من الحرفيين والمهنيين في الأوائل الإسلام من غير المسلمين، فإن ضريبة الجزية المتدرجة كانت في الواقع ضريبة مدنية عادلة. غير أن نشوء المدن بصورة هائلة وسريعة ، بالإضافة إلى تزايد اعتناق الإسلام ، أوجد مناطق

(1)- الجهابذة: ومفردها جهيد ، وهو كاتب يرسم استخراج المال وقبضه، وكتب الوصولات به، وعليه المخازيم والروزنمجات والنختمات وتواليها. ويطلب بما يقبضه ويخرج ما يرفقه من الحساب اللازم له. ابن ميماتي: قوانين الوزارة ، ص 304. وبعبارة أخرى هم بالأصل من التجار ، أو هم أصحاب البيوتات المالية أو الصرافين. الدوري: تاريخ العراق الاقتصادي، ص 155 وما بعدها.

(2)- الدوري: النظم، ص 158.

(3)- ابن خرداذبة : المسالك والممالك ، ص 125.

(4)- اليعقوبي : البلدان 38.28.

(5)- هيئة التحرير لجلة الاجتهاد : إشكاليات التاريخ الاقتصادي العربي ج 1، ص 23.

(6)- غيداء : الخراج ص 221.

الباب الثاني : الأدوار الإيجابية والسلبية للبطانة في توجيه سياسة الخلفاء العباسيين.

الفصل الثاني: منجزات الخلفاء الإيجابية وأثر البطانة في ذلك 132 - 334هـ / 749 - 946م

عديدة تكاد تكون معفية من الضرائب (1).

فلما آلت الخلافة إلى المهدي أنفذ خالدًا إلى فارس عاملاً عليها ، واستخلف خالد ابنه يحيى ، فقسط الخراج على أهل فارس ، ووضع عنهم خراج الشجر ، وكانوا يلزمون له خراجاً ثقيلاً. (2) كما أمر الخليفة المهدي باقطاء نفقات الزراعة قبل تحديد نصيب بيت مال الخلافة. وأدخلت بعض التعديلات لاعتبار البعد عن الأسواق عند التقدير (3).

1/ الأسلوب الأول: اعتماد نظام القبالة -التقبل - ( الضمان) في جباية الضرائب وانعكاساته:

من الظواهر المستجدة في الاقتصاد في العصر العباسي :التقبل أو القبالة. و معناه أن يجعل شخص قبلاً أي كفيلاً بتحصيل الخراج وأخذه مقابل قدر معلوم يدفعه وهو ما عرف فيما بعد بنظام الالتزام فيستفيد السلطان تعجيل المال ويستفيد المتقبل الفرق بين ما يدفعه وما حصله (4).

وهو ما يعبر عنه تارة أخرى بالكفالة أو الضمان. وذلك حين يجعل الرجل لنفسه قبلاً- أو كفيلاً- يحصل باسمه الخراج وبأخذه لنفسه لقاء أجر معلوم يدفعه إليه. وكان غالباً ما كان القبيل أو التقبل من العمال وذوي الجاه والسلطان . حيث أعطيت مناطق بمساعدة الحكومة أو بدونها ، لا تخضع لإشراف الدواوين . بل يسيروها الضامن. وقد يكون هذا الضامن موظفاً أو قائداً أو تاجراً أو وزيراً (5).

وكان هذا سبباً في قسوة نظرة الفقهاء إلى التقبل وعده وسيلة من وسائل التملك الفاسد وأكل أموال الناس بالباطل. (6) وقد رفض قاضي القضاة أبو يوسف هذا النظام وقال في شأنه للرشيد : « رأيت ألا تقبل تقبل شيئاً من السواد ولا غير السواد من البلاد. فإن المتقبل إذا كان في قبالته فضل عن الخراج عسف أهل الخراج وحمل عليهم ما لا يجب عليهم وظلمهم وأخذ بما يجحف بهم يسلم مما دخل فيه. وفي ذلك وأمثاله خراب البلاد وهلاك الرعية » (7).

(1)- شعبان :الدولة العباسية ،ص 31.

(2)- الجهشيارى: الوزراء ،ص 151.

(3)- صابر حسين : الدولة الاسلامية، ص75. شعبان: الدولة العباسية ، ص40.

(4)- محمد الخضري: الدولة العباسية، ط دار المعرفة ، ص 130.

(5)- الدوري: تاريخ العراق الاقتصادي ، ص53.

(6)- صبحي الصالح: النظم الإسلامية، ص 386.

(7)- أبو يوسف: الخراج ،ص105.

المابج الثاني : الأءوار الإيجابية والسلبية للبطانة في توجيه سياسة الخفاء العباسيين.

الفصل الثاني: منجزات الخفاء الإيجابية وأثر البطانة في ذلك 132 - 334هـ / 749 - 946هـ

وذكر أبو يوسف سليات نظام القبالة: « وإنما أكره القبالة لأنني لا آمن أن يجعل هذا المتقبل على أهل الخراج ما ليس يجب عليهم فيعاملهم بما وصفت لك فيضر ذلك بهم فيخربوا ما عمروا ويدعوه فينكسر الخراج. وليس يبقى مع الفساد شيء ، ولن يقل مع الصلاح شيء »<sup>(1)</sup>.

وسهب أبو يوسف في ذكر مساوى نظام القبالة: « والمتقبل لا يبالي بهلاكهم بصلاح أمره في قبالته. ولعله أن يستفضل بعدما يتقبل به فضلا كثيرا. وليس يمكنه ذلك إلا بشدة منه على الرعية وضرب لهم شديد. وإقامته لهم في الشمس ، وتعليق الحجارة على الأعناق. وعذاب عظيم ينال أهل الخراج مما ليس يجب عليهم من الفساد الذي نهى الله عنه »<sup>(2)</sup>.

وكان المتقبل لا يراعي القدرة المالية لدافعي ضريبة الخراج. ولا يلزمهم بما هو مقرر عليهم شرعا. وإنما ينصرف همه بصلاح أمره في قبالته. ويعمل جاهدا ليستفضل بعدما يتقبل به، فضلا كبيرا. وادرك الفقهاء أنه لا يمكنه تحقيق ذلك إلا باتباع أساليب الظلم والتعسف التي قد يفرضها على أهل الخراج ، والتي لا يجيزها الشرع مطلقا. ولا تتفق مع بنود ما تعاقده عليه<sup>(3)</sup>.

وأجاز الفقهاء الأخذ بطريقة القبالة في تحصيل ضريبة الخراج في حالة قبول أهل منطقة ما برجل منهم بتولي قبالة خراجهم . يثقون بدينه وامانته . وعندئذ يقر الخليفة يقر الخليفة هذه القبالة على أن يسير معه موظفا معتمدا من قبل الخلية يوثق بعدله ونزاهته ، لكي يراقب المتقبل ويمنعه من ظلم أحد من أهل الخراج شرعا<sup>(4)</sup>.

ولا يخلو نظام الضمان من مساوى ، فقد كان فيه مجال كبير للظلم. والزيادة في الضرائب وسوء المعاملة تسببت في الكثير من الثورات في العصر العباسي الأول. ثم تدهور الوضع المالي وانتشار الفوضى الإدارية ، أدت إلى تدهور نظام الري وزيادة ظلم الجباة للفلاحين. و انتشار الفقر والتذمر العام. مما ثبط عزم الفلاحين وأدى إلى ترك كثير من الأراضي بورا<sup>(5)</sup>.

ولما كانت الحاجة العاجلة إلى المال لدفع رواتب الجند والموظفين سببا في انتشار الضمان في الربع الأخير للقرن الثالث/ التاسع. وفي الفترة نفسها ، فإن أجور الجنود الصاعدين (الذين كان لهم قدرة عالية

(1) - المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

(2) - المصدر نفسه. الرئيس: الخراج، ص425.

(3) - الفضل شلق: الخراج والاقطاع والدولة الاسلامية ، مجلة الاجتهاد 146/1.

(4) - أبو يوسف: الخراج، ص106. الكبيسي: الخراج، ص 132.

(5) - الدوري: دراسات ، ص162.

## الباب الثاني : الأدوار الإيجابية والسلبية للبطانة في توجيه سياسة الخلفاء العباسيين.

### الفصل الثاني: منجزات الخلفاء الإيجابية وأثر البطانة في ذلك 132 - 334هـ / 749 - 946م

على المساومة) قد ارتفعت بين ضعفين إلى ستة أضعاف، حسب المصادر المختلفة والمتوفرة<sup>(1)</sup>. كما شرح واينز (wines) في ورقته عن تدهور الامبراطورية العباسية ، فقد فسر الظاهرة من خلال تدهور الناتج الزراعي. فإذا نقص الناتج الزراعي ، فهو بسبب أن الأرض تنتج أقل ، أو أن أرضا قليلة فقط كانت مستعملة للحرث. ويبدو تحليله صحيحا ، خصوصا إذا أخذنا بعين الاعتبار ظاهرتين أخريين . هما: - الأولى أن جزءا كبيرا من عائد الضريبة كان قد جبي من نهاية القرن الثامن ، كسهم عن منتوج الأرض - حسب النظام المعروف بالمقاسمة - وهذا النظام يربط بوضوح الناتج الزراعي بدخل الدولة. - و الثانية: أن ارتفاع الاسعار من نهاية القرن الثامن الميلادي إلى منتصف القرن العاشر الميلادي. فكانت الحنطة عنصرا مهما جدا في التغذية لدى السكان الشرق أوسطيين<sup>(2)</sup>.

هذا في الوقت الذي كانت فيه ضريبة الزراعة ممكنة على مختلف المستويات ، ضمن الحكومة المركزية أو المحلية ، أو ضمن مناطق أصغر . قبل أن يمضى العقد يسلم المبلغ إلى الدولة، والكمية العامة للدخل والمبالغ الإضافية مثبتة على أساس المداخيل السابقة من تلك المنطقة. وكان القائم على الخزانة بإمكانه أن يأمر جنوده أثناء جباية ضريبة المزارع لتخصيص بعض الأموال للأعمال المهمة في المنطقة المزروعة<sup>(3)</sup>. وتحول فيما بعد نظام القبالة - الضمان - إلى نظام آخر هو نظام الإلزام.

#### ب/ الأسلوب الثاني: طريقة الإلزام :

اتسع نظام التقبل أو الضمان كمظهر من مظاهر الاتجاهات المالية والاقتصادية في عهد المتوكل. حتى تحول بعد ذلك إلى النظام السائد وهو الذي أصبح يسمى نظام الإلزام. بالرغم من أن الفقهاء قد صرحوا بمخالفته لمبادئ الشريعة الإسلامية ، وحمل عليه أبو يوسف بشدة لأنه يؤدي إلى ظلم الفلاح<sup>(4)</sup>. لذلك اعتمدت الدولة العباسية طريقة التلزم (الإلزام) في جباية الضرائب. لكي تضمن استمرار تدفق الموارد الضرورية. لكن تزايد عبء الضرائب المفروضة ، أدى إلى إرغام الفلاحين الصغار على ترك أراضيهم. والثورة على أوضاعهم السيئة<sup>(5)</sup>.

(1) - Michele Campopiano :State, Land Tax and Agriculture in Iraq,p11.

(2) - Ibid ,p10

(3) - Ibid ,p29.

(4) - أبو يوسف: الخراج ،ص105. نادية صقر: مطلع العصر العباسي الثاني ، ص 180.

(5) - نادية صقر: المرجع نفسه ، ص247.

الباب الثاني : الأدوار الإيجابية والسلبية للبطانة في توجيه سياسة الخلفاء العباسيين.

الفصل الثاني: منجزات الخلفاء الإيجابية وأثر البطانة في ذلك 132 - 334هـ / 749 - 946م

ولم تكن الضريبة غير مبنية على التقديرات المساحية الثابتة . لذا فقد أصبح من الأهمية بمكان التعامل مع صعوبات المركزية. و صعوبة تقدير دخل الضريبة كان أحد الأسباب التي حملت الدولة العباسية على الاستعانة أكثر فأكثر بالضريبة الزراعية وبأشكال أخرى مختلفة من دخل الضريبة. والتي توجت في النهاية بظهور نظام الإقطاع<sup>(1)</sup>.

ج/ الأسلوب الثالث: نظام الإقطاع:

الإقطاع أسلوب ضريبي قديم. وأصله أن الملك إذا فتح بلادًا وأراد استبقاءها واستغلالها. فرقها على قواده في مقابل حربهم وأتاعبهم . والقواد يفرقون تلك الأرض في العساكر أو من يقوم مقامهم<sup>(2)</sup>. كما أن نظام الإقطاع<sup>(3)</sup> لم يخل من عيوب . إذ أن المقطع أو كان يعمل على الإثراء وجمع المال ، ولا يتردد في إرهاب الأهالي وإثقالهم بالضرائب المختلفة ، حتى يستطيع أن يؤدي إلى الحكومة ما عليه من مال الخراج. ويحتفظ لنفسه بما زاد على ذلك. والأهالي في ذلك مغلوبون على أمرهم. قلما تصل شكايهم إلى السلطة المركزية ، فضلا عما كان يسلكه معهم بعض الجباة من وسائل التعذيب. فيروي الطبري أن « نجاح بن سلمة كان على الضياع فكان جميع العمال يتقونه ، ويقضون حوائجه ، ولا يقدرّون على منعه من شيء يريد»<sup>(4)</sup>.

وأسوأ من ذلك أن صار الإقطاع العسكري مسؤولية ديوان الجيش. ولم يكن الإقطاعيين من الجند من حيث المبدأ سلطة قانونية على الزراع. ولكنهم في الواقع تحكّموا بهم. وكثر التجاوز والمصادرة وفرض رسوم إضافية. واعتادوا أن يديروا إقطاعاتهم بواسطة وكلائهم. وكثر إقطاع الأراضي من قبل الملاكين إلى المقطعين العسكريين تجنبا للإبتراز والإرهاب. وتخلّى بعضهم وهربوا نهائيا<sup>(5)</sup>.

وبمقتضى نظام الإقطاع ، يضمن للجنود أراض زراعية شاسعة. توزع لقاء أجور خدمتهم العسكرية. وكان هذا الإجراء نتيجة فراغ خزانة الدولة خلال السنوات الأخيرة لحكم المقتدر.(أي ما بعد

(1) -Michele Campopiano :State, Land Tax and Agriculture in Iraq,p29.

(2) - جرجي زيدان : التمدن الإسلامي ج1، ص241.

(3) - ومعناه توكيل مهمة حق جباية الضرائب من منطقة أو قرية ، عادة نظير خدماتهم العسكرية. see Hugh Kennedy:

*The Prophet and the Age of the Caliphates: the Islamic Near East from the Sixth to the Eleventh Century,*

(London and New York: Longman, 1988), p. 399.

(4) - تاريخ الطبري ج 9 ، ص 214. ابن الأثير: الكامل ج 6، ص 132.

(5) - الدوري: تاريخ العراق الاقتصادي ،ص53.52..86.85.

الباب الثاني : الأدوار الإيجابية والسلبية للبطانة في توجيه سياسة الخلفاء العباسيين.  
الفصل الثاني: منجزات الخلفاء الإيجابية وأثر البطانة في ذلك 132 -334هـ/ 749 -946هـ

317هـ/929م<sup>(1)</sup>. وباعتبار أن الضريبة الزراعية والإقطاع يضمنان دخلا أكثر استقرارا للدولة ، أو يحميان الدولة من دفع الرواتب للجنود والضباط والوكلاء المستأخرين لاستطلاع الضرائب حول الامبراطورية.<sup>(2)</sup> واستمرت الدولة بقبولها أخذ الضريبة المترتبة عليهم عينا من أهل القرى. وهذا يعطي الانطباع عن وجود فكرة تطبيق المقاسمة مبكرا في الدولة العباسية. وليس في السواد فحسب بل في أقاليم أخرى ، كالجزيرة مثلا.<sup>(3)</sup>

2/ مقارنة بين نظامي الجباية :المساحة (القديم) والمقاسمة(الجديد):

كان أبو عبيد الله معاوية بن يسار يعمل كاتباً خاصاً للخليفة ، فكان هو الذي يكتب الرسائل الصادرة عن الخليفة إلى الأقاليم. وكان أبو عبيد الله متضلعا في الإدارة المالية وقد ألف كتابا في الخراج وإليه تعود فكرة اتباع الدولة (نظام المقاسمة) في المحصول. وقرر هارون الرشيد تخفيف نسبة المقاسمة عن أهل السواد وطلب من أبي يوسف القاضي أن يضع كتابا يوضح فيه الأحكام الشرعية لنظام الأرض والضرائب فكتب كتابه الشهير " الخراج " أقر فيه نظام المقاسمة وتغيير لنظام المساحة. وبالنسبة لخراج المساحة هو تقدير الخراج تبعا لمساحة الأرض . ومن فوائد هذا النظام أنه لا يؤمن للدولة موارد ثابتة. لأنه يعتمد على مساحة الأرض وهي ثابتة. وأنه يشجع الفلاحين على تحسين الانتاج وزيادته . ثانيا: فإن زيادة الحاصل والفائدة من تحسينه تذهب إلى الفلاح. كما أن نقص الحاصل ورداءة نوعيته يقع عبؤه على الفلاح<sup>(4)</sup>.

وذلك لعدة مبررات منها: أن في ذلك مصلحة للمزارعين ، ثم أمر المأمون بتخفيض نسبة المقاسمة إلى الخمسين سيحا، وكانوا يقاسمون على النصف<sup>(5)</sup> . وقد تعرض الفلاحون والمزارعون إلى الابتزاز والتعذيب أثناء جباية الضريبة. وذكر أبو يوسف أنواعا منها في كتابه وأهاب بالخليفة أن يضع حدا

(1) *Udjang Tholib: THE ECONOMIC FACTORS OF THE 'ABBASID DECLINE DURING THEBUWAYHID RULE IN THE FOURTH/TENTH CENTURY*

*State Islamic University (UIN) Syarif Hidayatullah Jakarta, Indonesia .p362.*

(2) *Michele Campopiano :State, Land Tax and Agriculture in Iraq,p29.*

(3)- غيداء: الخراج ، ص222-223

(4)- الكروي: المرجع في الحضارة ، ص 147.

(5)- ابن الأثير : الكامل، ج5، ص452.453.

الباب الثاني : الأدوار الإيجابية والسلبية للبطانة في توجيه سياسة الخلفاء العباسيين.  
الفصل الثاني: منجزات الخلفاء الإيجابية وأثر البطانة في ذلك 132 - 334هـ / 749 - 946م

لهذه التجاوزات والأمر بسياسة تنسم بالعدل<sup>(1)</sup> .

وعلينا ألا ننسى أن نظام المقاسمة كان يستعمل خاصة في جباية الضرائب عن الحبوب. باعتبارها الغذاء الرئيسي للسكان منذ العصر السومري... يبين شيميزو (chemizo) أحد أسباب التأقلم مع نظام المقاسمة في السواد. كان محاولة من الدولة للسيطرة على أسواق الحبوب في منطقة جنوب العراق. حيث أن المدن الأكثر أهمية في الامبراطورية كانت تحتاج للتزود. فمع نظام المساحة كما في السواد فقد كان لدى التجار فرص كثيرة للتاجر. ففي ظل نظام المساحة فإن دافعي الضرائب كان عليهم بيع الحبوب بثمن بخس من أجل دفع الضرائب. مما جعل التجار انتهازيين. وكان بالإمكان المشاركة بالمحاصيل أو الأموال المكتسبة من بيع هذه المحاصيل في الأسواق. والظاهر أن هذا يمنع التصادم بين السلطات ودافعي الضرائب<sup>(2)</sup> .

وقد عالجت مبادرة الكاتب أبي عبيد الله مسألة اختلاف الأراضي من حيث جودة التربة.. وثانيا : اختلاف نوع المحصول من حيث قيمته الفعلية. وثالثا: اختلاف نوع السقي للمحاصيل وما تتطلبه من جهد وتكلفة. ورابعا: قرب الأرض الخراجية وبعدها عن الأسواق، وما تتطلبه عملية نقل الانتاج<sup>(3)</sup> .

علما أنه في ظل نظام المساحة كل جزء من الضرائب كان يجمع في نوع. أما في نظام المقاسمة فلم يكن من الضروري أن تجمع الضرائب في نوع. وحسب الاقتراحات السائدة عن استعمال لفظ المقاسمة، فقد كان جمع الضرائب الثقيلة كسهم عن المحصول<sup>(4)</sup> .

ولقد حفظ لنا الكتاب والاحباريون نتفا عن الرسالة التي وجهها الإمام العنبري للمهدي<sup>(5)</sup>. حول نظام المقاسمة وأهميته بالنسبة للفلاحين، وللدولة على حد سواء. ويشير فيه إلى الإجحاف الذي يلحق بالفلاحين حين تفرض عليهم الدولة ضريبة نقدية سنوية معينة وغيرها. و يبدو أن المهدي قد أخذ بالكثير من الآراء التي طرحها أبو عبيد الله في هذا الشأن.

ومع المقاسمة فقد كان بالإمكان المشاركة بالمحاصيل أو الأموال المكتسبة من بيع هذه المحاصيل في الأسواق. والظاهر أن هذا يمنع التصادم بين السلطات ودافعي الضرائب<sup>(6)</sup> .

ويلاحظ أن الحجاز هو الإقليم الذي عرف بضعف امكانياته الاقتصادية. قد شهد ارتفاعا في

(1)- الخراج، ص 105. فاروق عمر : دراسات، ص 217-218.

(2)- Michele Campopiano : State, Land Tax and Agriculture in Iraq,p27.

(3)- حمدان الكبيسي: الخراج، ص 96.95. وينظر الجهشباري: الوزراء، ص 151.

(4)- Michele Campopiano : Opcit,p27.

(5)- وكيع : أخبار القضاة، ج2، ص 102.

(6)- Michele Campopiano : Opcit,p27.

الباب الثاني : الأدوار الإيجابية والسلبية للبطانة في توجيه سياسة الخلفاء العباسيين.

الفصل الثاني: منجزات الخلفاء الإيجابية وأثر البطانة في ذلك 132 - 334هـ / 749 - 946م

الأسعار، بعكس الأقاليم الأخرى. لا بسبب نقص النقود فحسب ، بل نتيجة للقرار الذي اتخذته المنصور بإيقاف تصدير المواد الغذائية من مصر إلى الحجاز ويظهر هذا من مضمون الرسالة التي أرسلها الفقيه الأوزاعي (ت157هـ/773م) إلى الأمير المهدي ولي عهد الخليفة المنصور في سنة 152هـ/769م فمما جاء فيها:

« ثم إنه أتاني رجل من مقانع أهل مكة كتاب يذكر الذي هم فيه من غلاء أسعارهم وقلة ما بأيديهم منذ حبس عنهم بحرهم وأحدب برهم. وهلك مواشيهم هزلا، فالحنطة فيهم مدان بدرهم والذرة مدان ونصف بدرهم ، والزيت مد بدرهم ثم هو يزداد كل يوم غلاء... فإن رأى أمير المؤمنين أصلحه الله أن يلح على أمير المؤمنين في إغاثة أهل مكة ومن حولهم من المسلمين في بره وبحره بحمل الطعام والزيت إليهم قبل أن يتلى بهلاك أحد منهم جوعا فعل»<sup>(1)</sup>.

ويعرض مايكل ( Michele ) بعض المقارنات بين نظامي المساحة والمقاسمة فيقول: في ظل نظام المساحة فإن دافعي الضريبة كان عليهم دفع 4 دراهم لكل جريب من الأرض المزروعة بالحنطة ، ولكن بإمكانهم استبقاء المحاصيل لهم أنفسهم ، ولإنتاج رطل من الحنطة زيادة ، كان يعني امتلاك رطل زيادة لهم أنفسهم. أما في ظل نظام المقاسمة ، فإن كل رطل من الحنطة كان عليهم تقاسمه مع الدولة<sup>(2)</sup>. ويستطرد مايكل ( Michele ) عن سلبات نظام المقاسمة فيقول: سلبية أخرى من سلبات نظام المقاسمة ، فقد كان من الصعب حساب ميزانية الدولة . وهو ما يشابه ما حصل في الامبراطورية الساسانية فقد تبنى الفرس نظاما سببها بنظام المقاسمة : حيث كان جزء من الحصاد يؤخذ كضريبة ، وكان الحصاد متفاوتا من سنة إلى أخرى مما صعب على الحكومة تقدير دخلها<sup>(3)</sup>.

ومن سلبات نظام المقاسمة أيضا أنه في سنوات الاستقرار الزراعي. لا يقدم هذا النظام للفلاح فائضا ، أو فضلا من المنتج ، إذا ما دفع لعامل الخراج نصف الحاصل. مما يؤدي إلى تراخي الفلاح وخسارته وإهماله للأرض. وخاصة في سنوات الجذب والقحط. ما يفقد الأرض خصوبتها وإنتاجها. ورغم ذلك فهذا النظام يبقي الفلاح ملتزما بالتزاماته الثابتة والمقررة مسبقا ، وفقا للعمل بهذا العمل ، مما يؤدي إلى الإفلاس وترك الأرض نهائيا. كما حصل منذ منتصف القرن الرابع الهجري<sup>(4)</sup>.

(1)- أبو حاتم الرازي(ت327هـ): الجرح والتعديل، ج1، ص192-193.

(2)- Michele Campopiano :Opcit,p28.

(3)- Ibid. p28.

(4)- نوفل محمد نوري: نظاما المساحة والمقاسمة من وجهة النظر الإدارية والفقهاء، دراسة في العصر العباسي (132-447هـ/749-

1055م)، ص21-22.

الباب الثاني : الأدوار الإيجابية والسلبية للبطانة في توجيه سياسة الخلفاء العباسيين.

الفصل الثاني: منجزات الخلفاء الإيجابية وأثر البطانة في ذلك 132 - 334هـ / 749 - 946م

ومن الأضرار التي تلحق بالمزارعين عند الأخذ بنظام المساحة. أن هذا النظام يسير وفق تقويم السنة الهلالية ، الذي من شأنه أن يحمل المكلف بالضريبة الخراجية أن يدفع ضريبة سنة إضافية كل 33 سنة تقريبا<sup>(1)</sup> . ثم إن موعد جباية الخراج غير مقترن في وجوبه بإدراك الغلال. بل إنه يفرض عليهم خراجا على الأرض ، زرعت أو لم تزرع. وهذا الأمر كان يضر ببعض الزراع. بعكس تطبيق نظام المقاسمة، الذي ضمن للدولة الحصول على نصيبها من الخراج بعد تحديده<sup>(2)</sup>.

وظل نظام المقاسمة معمولاً به حتى ولي الرشيد الخلافة فخفض المقاسمة بحيث أصبحت في السواد ، كما حددها أبو يوسف<sup>(3)</sup> على الحنطة والشعير خمسين والنخل والكروم والرطاب والبساتين الثلث ، وأما غلال الصيف فعليها الربيع . على ألا يؤخذ بالخرص<sup>(4)</sup> في شيء من ذلك. ولا يحزر<sup>(5)</sup> عليهم شيء منه يباع من التجار، ثم تكون المقاسمات في أثمان ذلك أو يقوّم ذلك قيمة عادلة. فيما يكون فيه تخفيف عن الفلاحين ، سواء بمقاسمة المنتج، أو قيمته. دون أي ظلم أو عسف. وظل الحال كذلك حتى أيام المأمون<sup>(6)</sup> .

3/ إصلاحات الوزير علي بن عيسى المالية والزراعية في العصر العباسي الثاني :

ما دام أننا عرفنا بوضوح دور العلماء من الكتاب والوزراء في العصر العباسي الأول . ومقترحاتهم الاقتصادية الهامة ، في توجيه السياسة الاقتصادية. فماذا عن دور هذه الفئات المهمة في بلاط خلفاء العصر العباسي الثاني ؟

فقد كان لهم دور ومشاركة في الحياة الاقتصادية ، خاصة وأن الخلافة العباسية كانت تعيش في هذه الحقبة ، حالة من الضعف وانعدام الاستقرار السياسي، لتسلط العنصر التركي على مؤسسة الخلافة. وفقدان سيطرة الدولة المركزية على الأطراف. مما جعلها تتطلع لأي وسيلة لإنقاذ اقتصادها وحل مشكلاتها<sup>(7)</sup> .

(1)- الكيسبي: الخراج ، ص 116-117.

(2)- صابر حسين : الدولة الإسلامية، ص 33-34

(3)- أبو يوسف: الخراج ، ص 50.

(4)- الخرص: تقدير ما على النخل من الرطب تمرا. انظر ابن منظور، لسان العرب ج 7، ص 21، الجوهري: تاج اللغة وصحاح العربية، ج 3، ص 1035.

(5)- الحرز: التقدير والخرص. قال ابن سيده: حرز الشيء يحزره حرزا: أي قدره بالحدس. انظر : الخوارزمي: مفاتيح العلوم، ص 87.

(6)- سليمان الدخيل : الفوز بالمراد ، ص 34.

(7)- الصابي : الوزراء ، ص 209. عبد السلام جمعة: كتاب ديوان الرسائل، ص 113-114 .

## الباب الثاني : الأدوار الإيجابية والسلبية للبطانة في توجيه سياسة الخلفاء العباسيين.

### الفصل الثاني: منجزات الخلفاء الإيجابية وأثر البطانة في ذلك 132- 334هـ/ 749- 946م

ففي العصر العباسي الثاني، كثرت النماذج السلبية الفاشلة سياسيا واداريا واقتصاديا ، تولى كثير من الوزراء وقادة الجند الذين ليس كفاءة ولا أمانة. أسأؤوا الى الخلفاء والى نظام الخلافة ككل. حيث شهد هذا العصر تحولا خطيرا، أدى إلى اختلال التوازن الاقتصادي. وأوجد هوة شاسعة بين طبقات المجتمع ، الأمر الذي أدى إلى مزيد من التوتر الاجتماعي ، و الثورات ذات الهدف الاقتصادي. وأصبح الأمر معاكسا تماما، لما كان عليه الحال في العصر العباسي الأول، إلا في بعض الحالات النادرة ، لوجود وزراء أو كتاب أو حجاب نزهاء، يفكرون بعقلية الدولة. ولا تغريهم المصالح الشخصية الضيقة. ولما نتطرق الآن إلى الوضع المالي لنرى كيف أربكته أنانية الوزراء. لنقدر جهود ذلك الوزير العظيم علي بن عيسى الذي لقب بحق الوزير الصالح. وذلك نظرا لما قام به من إصلاحات اقتصادية جذرية وشاملة.

فهذا الوزير علي بن عيسى أكثر وزراء العصر العباسي الثاني عامة ، وأقدر وزراء المقتدر خاصة . لعناية بشؤون الزراعة و الزراع . فقد كتب كتابا إلى عماله يوصيهم فيه بإنصاف الرعية والعدل عليها ، على أن تدفع الضرائب ، ويأمرهم فيه بالجد والاجتهاد في إعمار الأراضي الزراعية<sup>(1)</sup>. وقد لخص الوزير علي بن عيسى مضمون سياسته المالية بقوله: « ما استغللته من الضياع ووفرتة من أرزاق من يستغني عنه تمتت به عجزا أدخل في الخرج حتى اعتدلت الحال ولم أمدد يدي إلى بيت مال الخاصة»<sup>(2)</sup>.

ومبدأ الوزير علي بن عيسى تلخصه مقولته المشهورة: « لو لم تتفقد الصغير لأضعنا الكبير . وهذه أمانة لا بد من آدائها في قليل الأمور وكثيرها . وإذا علم معاملونا أنا نراعي أمورهم هذه المراعاة لزموا الأمانة وخافوا الخيانة»<sup>(3)</sup>.

وخير تعليق على سياسة علي بن عيسى قول ابن مسكويه: « فساس الدنيا أحسن سياسة، ورسم للعمال الرسوم الجميلة ، وأنصف الرعية ، وأزال السنن الجائرة ، ودبر أمر الوزارة والدواوين. وسائر أمور المملكة بكفاية تامة وعفاف وتصون وديانة... فبانت بركته على الدنيا وعمر البلاد وتوفر الارتفاع ، واستقام أمر السلطان. وعادت الهيبة وصلح أمر الرعية»<sup>(4)</sup>.

وقد جاء الوزير علي بن عيسى في بداية عهده الوزارية ، فوجد الإدارة في حالة من الفوضى.

(1)- الدوري : تاريخ العراق الاقتصادي ص61

(2)- الصابي : الوزراء، ص292.

(3)- الصابي: الوزراء ، ص 352.351. الزهراني: الوزير العباسي علي بن عيسى ، ص98.

(4)- مسكويه :تجارب ج 1، ص3231.

الباب الثاني : الأدوار الإيجابية والسلبية للبطانة في توجيه سياسة الخلفاء العباسيين.

الفصل الثاني: منجزات الخلفاء الإيجابية وأثر البطانة في ذلك 132 - 334هـ / 749 - 946م

والخزينة في حالة يرثى لها. فأخذ يشتغل بجد واستمرار. وسار على طريقة تعيين الكفاءات من الأقارب والأصدقاء. فوقع في عداء أم موسى القهرمانه ولدسائس ابن الفرات. اللذين أضرتهما تدابير المالية. بفقد مطامعهم الشخصية<sup>(1)</sup>.

وما عرف عن الوزير علي بن عيسى أنه اتصف بإرادته وآرائه الهادفة لحل مشكلات اقتصاد البلاد. عندما أطلق الكثير من المكوس وأغلق المفسدات. وأسقط بعض الزيادات في الرواتب لبعض الجند بعد أن أجرى الموازنة للدولة ولاحظ أن مصروفاتها أكثر من وارداتها<sup>(2)</sup>.

وكان مما فعله الوزير علي بن عيسى في وزارته الأولى أن أسقط المكس بمكة. والتكملة بفارس وسوق بحر بالأهواز وحصن مهدي ونهر السرة ، وأزال جباية الجمهور بديار ربيعة. وأشار على المقتدر بالله بوقف المستغلات بمدينة السلام وغلقتها نحو ثلاثة عشر ألف دينار. والضياع الموروثة بالسواد الجارية في ديوان الخاصة.. ونصب لهذه الوقوف ديوانا سماه ديوان البر.<sup>(3)</sup> وكانت هذه تصرف على الحرمين وفي الجهاد ضد البيزنطيين. وقرر إصلاح الإدارة المالية. فأعلن سياسته في منشور أصدره إلى العمال. بين فيه أنه لا يصرف عاملا دون محاكمته. وأنذرهم على سوء التصرف. أو السرقة أو ما شابه ذلك. وقلد علي بعد ذلك الدواوين جماعة وعزل جماعة وفعل مثل ذلك بالعمال<sup>(4)</sup>.

كما أنه حاول إزالة بعض القوانين في الاقتصاد ، ووضع سياسات بديلة وعادلة للعاملين في الدولة. وأوجب عليهم الالتزام بها ، وعدم تجاوزها. إلى جانب مشورته للخليفة المقتدر بالله بوقف العقار والمستغلات ببغداد على الحرمين الشريفين والثغور. حتى بلغت غلات تلك الأوقاف ثلاثة عشر ألف دينار شهريا. كما بلغت أموال الموارث ثمانين ألف دينار، فوافق الخليفة المقتدر على مقترحات ابن عيسى وأمر بتنفيذها وأشهد له بذلك القضاة والشهود<sup>(5)</sup>.

فساس الوزير علي بن عيسى الدنيا السياسة المشهورة ، التي عمرت البلاد . وزادت في أيامه العمارة وتضاعفت الزراعة.<sup>(6)</sup> وضبط الوزير علي بن عيسى الأمر جهده ، ونظر ليله ونهاره ، وجلس للمظالم في كل يوم ثلاثاء . وكان لا يأخذ مال أحد ، ولا يتعلل على الناس كما كان يفعل غيره. فأمن

(1)- الصايي : الوزراء، ص30-31 و285-286.

(2)- المصدر نفسه ، ص 18. السيوطي: تاريخ الخلفاء، ص 301.

(3)- مسكويه: تجارب، ج 1، ص32.31. الصايي: الوزراء، ص 286.

(4)- المصدر نفسه، ج 1، ص 28. الدوري: دراسات، ص163.

(5)- الصايي: المصدر السابق، ص286.

(6)- عريب بن سعد : صلة تاريخ الطبري ، ص203.

الباب الثاني : الأدوار الإيجابية والسلبية للبطانة في توجيه سياسة الخلفاء العباسيين.

الفصل الثاني: منجزات الخلفاء الإيجابية وأثر البطانة في ذلك 132- 334هـ / 749- 946م

البُراء في أيامه ، وقطع الزيادات والتعلل ، وتحفظ من أن يجري عليه حيلة ، ودعته الضرورة بقلة المال إلى الإخلال ببعض الإقامات في طريق مكة وغيرها<sup>(1)</sup>.

فاهتم الوزير علي بن عيسى بإصلاح الإدارة المالية ، فكان من سلطاته الإشراف المباشر على إدارة مالية البلاد . فهو الذي يعمل الدخل والخرج ، ويفرض الضرائب أو يسقطها. و قلد الدواوين جماعة ، وعزل جماعة ، وفعل ذلك بالعمال . وقد اهتم بأمر الدواوين المالية. نظرا لأهميتها في توفير أموال النفقات العامة . والواقع أن أكبر مهمة كان الوزير يواجهها هي ضمان سير ديوان الخراج على الصورة الصحيحة<sup>(2)</sup>.

ومن إصلاحات الوزير علي بن عيسى الإدارية المالية ، تقويم وضع ديوان المصادرات ، هذا الديوان كان يهتم بالإشراف على أموال المصادرات ، وقد جرى التنظيم الإداري ، فيه بان تحفظ رقاغ المصادرين نسخة في الديوان ونسخة أخرى عند الوزير ، إلا أن الوزير الخاقاني (313-314هـ / 925-926م) قد شذ عن هذا التنظيم لجهله بالأمر الإدارية ، مما كان مثار غضب وسخط الوزير علي ابن عيسى<sup>(3)</sup>.

كما أن الوزير سمح للمزارعين زراعة حرم الأنهار، وحرم النهر هو الأرض الزراعية التي تختلف عن انحسار مياه النهر عن جانبيه ، تسمى بأراضي ( طرح النهر ) وهي من أخصب الأراضي الزراعية. بالإضافة إلى عمله على تسليف المحتاجين من الفلاحين البذور على أن يسترجع ذلك منهم في موسم الحصاد<sup>(4)</sup>.

وبمبادرة من الوزير علي بن عيسى جرى تعديل آخر على جباية الخراج ، مضمونه أن هذا الوزير كان قد ألغى ضريبة التكملة المطبقة في بعض الأقاليم الشرقية حتى 303هـ/915م . حيث كان الفلاحون ملزمين بدفع ضريبة الأرض التي هجرها مستثمرها ، فضلا عن دفعهم الضريبة المستحقة على أرضهم. فهم والحالة هذه تحملوا أعباء إضافية جديدة ، فضجوا من ثقلها . وعندئذ تقرر إبطال جبايتها<sup>(5)</sup>.

و عندما أراد الوزير علي بن عيسى أن يحدث دعما لخزينة الدولة. بتخفيض بعض نفقات الخليفة كنفقات الطعام والشراب التي وجد فيها شيئا من الإسراف والتبذير. لكنه تراجع عن ذلك. عندما أحس

(1)- الدوري : دراسات ، ص113.

(2)- الزهراني: الوزير العباسي علي بن عيسى ، ص92.

(3)- المرجع نفسه ، ص95.

(4)- الصايي: الوزراء، ص338، الزهراني : الوزير علي بن عيسى ، ص45.

(5)- الصايي: الوزراء، ص343340. الكبيسي: الخراج، ص129.

أن الخليفة لم يوافق على تلك التخفيضات. التي كان يقصد من ورائها إنقاذ خزينة الدولة من العجز الحاصل فيها. ولكن مع ذلك استطاع تخفيض رواتب الموظفين من الكتاب وأصحاب الدواوين الذين من ضمنهم كاتب ديوان الرسائل من الثلثين إلى النصف، كما أسقط رواتب أبناء الكتاب الذين يحضرون ولا يعملون. (1) فكان الوزير علي بن عيسى إداريا ناجحا. يعطي في موضع العطاء. ويمنع في موضع المنع. ويغلب المصالح العامة للدولة على المصالح الخاصة.

وكان هدف علي بن عيسى الوزير تعمير البلاد ، واستقامة أمر السلطان ، وإعادة هيبة الملك، وإصلاح أمر الرعية. حيث أسقط أكثر ما زاده الخاقاني في وزارته في دواوين الجند وأقطاعهم . وكانت هذه الزيادة قد لحقت القواد وسائر أصناف الجند . ولحقت الخدم والحاشية وجميع الكتاب والمتصرفين. وكانت كثيرة. فلما أسقطها عاداه أكثر الناس ، وشنعوا عليه بالضيق والشح وقطع الأرزاق . وإنما اضطر إلى ذلك لما رأى نفقات السلطان زائدة على دخله زيادة مفرطة (2).

والجدير بالذكر أن علي بن عيسى ، تولى الوزارة وأشرف على أمورها في عهد بعض الخلفاء ولم يكن ذلك بدافع رغبة فيها. بقدر ما كانت حاجة الخلفاء الماسة إلى خدماته. فلم يسع للحصول عليها. ولم يبذل في سبيلها الأموال الطائلة كما فعل غيره من الوزراء. حين قدموا الضمانات والرشاوي في سبيل الحصول على منصب الوزارة (3).

و يجب ألا ننسى أن الوزير علي بن عيسى بذل جهده، لتثبيت أسس المالية على أساس متين، لحل مشكلة اضطراب الدولة إلى الجباية قبل موعدها. لتخليصها من صعوبة الاستدانة عند الحاجة. فأنشأ أول مصرف رسمي عرفه الإسلام . بالاتفاق مع جهذين يهوديين على تسليف الدولة ما تحتاجه من المال لقاء فائض معين وسلمهما جباية الأهواز كضمان. كما إنه استعمل اعتماد هذا المصرف للاقتراض من التجار متى دعت الضرورة. وقد استمر هذا المصرف في أعماله مدة تزيد على عشر سنين (4).

ولأجل التوصل إلى فهم أفضل للأحوال المالية للدولة ، قام علي بن عيسى في أثناء إدارته المشتركة مع حامد بن العباس سنة 306هـ / 918م. بإعداد جريدة مفصلة بواردات الدولة ونفقاتها ، وقد استثنى منها الحرمين ، واليمن وبرقة وشهرزور والصامغان وكرمان وخراسان ، فكانت الواردات تقدر بـ

(1) - الصايي: الوزراء، ص 314. عبد السلام جمعة: كتاب ديوان الرسائل، ص 115 .

(2) - مسكويه : تجارب ، ج 1، ص 29.

(3) - الزهراني: الوزير العباسي علي بن عيسى ، ص 30.

(4) - التنوخي: نشوار ، ج 8، ص 41. الدوري: تاريخ العراق الاقتصادي ، ص 164.

المابج الثاني : الأءوار الإيجابية والسلبية للبطانة في ءوءبه سياسة الخفاء العباسيين.  
الفصل الثاني: منجزاء الخفاء الإيجابية وأثر البطانة في ذلك 132- 334هـ / 749- 946هـ

14، 829، 840 ديناراً. لكن الصاءارات كانت تزيد عليها بمقءار 1، 436، 476 درهما<sup>(1)</sup>.

ومن جملة الإءراءات الأءرى التي اءبعها لزيادة الواءارات ، أنه ألزم موظفيه في بيت المال أن يقدموا ءقريراً حسابياً في كل أسبوع بدلاً من ءقرير الشهرى المعروف بـ « الروزنامجات » الذى كان معمولا به سابقاً ليءءجل الوقوف على المصروفات وما ءبقى في بيت المال.<sup>(2)</sup>

وطلب من المقتءر أن يهءم بحراسة الخزينة الخاصة بعء أن برهن له أن السرقة قامت بءورها في ءفريغها. حيث أظهر له سبءة جوهر ظن المقتءر أنها في الخزينة. بينما وءءها علي في سوق الفسءاط<sup>(3)</sup>.

وهكذا نجح الوزير علي إلى ءء مشكور في إصلاح الوءع المالى. وفي موازنة الءءل والصرف. وءءرد الوزير علي بن عيسى لءفظ الأموال وءقءم ألا يءضع منها درهم واءء. وجمع أموال النواءى وأنفذ المسءءئين إلى العمال فاءءمعت له جملة أءرى. ولكن سوء سياسة أخلافة وأنائءهم أفسء آثار إصلاحاته<sup>(4)</sup>.

ولما رأى الوزير القءير علي بن عيسى ءعفن مءىط الخليفة والفساء المال الذى بلغت الخزينة ، وإصرار بطانة الخليفة على الاستمرار في مءطءاتهم ومؤامراتهم لءءمة مصالحهم الشخصية ، اسءعفى المقتءر ، وطلب الخليفة منه الصبر وءاراه هو وقائءه المظفر مؤنس ، لكن الوزير اعءذر وأصر على الاستعفاء<sup>(5)</sup>.

ومن الملاءظ أن فساء الءءم والاءارة والوزارة ، بسبب ءرءى الأوءاع السياسية والأمنية الناءمة عن الءءءل العسكرى ءركى في شؤون الخلاءة. ءرءت الأوءاع الاءءاءية ، وفشت الرشوة والمءسوءية، وبءل المناصب لغير مسءءقئها ، ما جعل الأمور ءسوء أكثر فأكثر. رءم بعض المءاولات الناءرة للإصلاح. كمءل مءاولات الوزير علي بن عيسى وبطانءه. غير أنها كانت غير كافية ، ولم ءءقق النظرة الشمولية لاقتصاد الخلاءة الذى كان يرءو إليه الوزير.

ولاءظ الوزير علي بن عيسى أيضاً أن اضطراب الخزينة أءى إلى سقوء الوزيرين السابقين، وعلى ذلك فىجب أن يقوم بإصلاح عاجل لذلك. وأءرك أن سبب الأءمة كءرة الصرف وقلة الءءل. أما كءرة

(1) - الصابى: رسوم ءار الخلاءة ، ص272. ءءورى: المرجع نفسه ، ص165.

(2) - مسكويه: ءءارب الأمم ، ج1، ص151.152.

(3) - ءءورى: ءراسات ، ص167.

(4) - الصابى: الوزراء ، ص31-32. مسكويه: المصدر السابق ، ج5، ص103.

(5) - مسكويه: ءءارب ، ج5، ص105.

الباب الثاني : الأدوار الإيجابية والسلبية للبطانة في توجيه سياسة الخلفاء العباسيين.

الفصل الثاني: منجزات الخلفاء الإيجابية وأثر البطانة في ذلك 132 - 334هـ / 749 - 946م

الصرف فكانت راجعة إلى تبذير الوزيرين من قبله وبشاركهما في ذلك الخليفة. وأما قلة الدخل فناشئة من كثرة الاضطرابات والثورات الداخلية خلال القرن الثالث الهجري<sup>(1)</sup>.

فعملت العصبية على إزاحة الوزير القدير علي بن عيسى. والاتيان بوزير فاشل ، لكنه يخدم مصالح الذين أتوا به. ورغم فقد أخفق الخصيبي إخفاقا ذريعا. فقررُوا إعادة علي بن عيسى لوزارته الثانية. فوجد المالية في حالة مؤلمة. فحاول تحسين الوضع بأن جعل أسقط الزيادات التي كان سلفه الوزير الخاقاني قد أضافها إلى أرزاق أولاد قرابة الخليفة والحرم والحواشي والخدم والفرسان وسائر أصناف الجند ، والقادة والكتاب والمتصرفين ، والخدم والحشم والجلساء والندماء. وأصحاب العنايات وأرباب الشفاعات. وكانت كثيرة جدا<sup>(2)</sup>.

وللمرة الثالثة بعد عزل الوزير الخاقاني أكثر الناس التزوير على خطه بأعطيات وهبات مختلفة ، ونفقات هائلة. وإرادة القائد مؤنس تقرر تعيين علي بن عيسى على الوزارة. فنظر في تلك الخطوط ، فأنكرها ، وأراد إسقاطها ، فخاف ذم الناس ، فكلف بها الخاقاني ليميز الصحيح من المزور عليه ، فيكون الذم له. ولكنه اعترف بها ليحمده الناس<sup>(3)</sup>.

إن هذه الأعمال الإصلاحية التي قام بها الوزير علي بن عيسى جعلته شخصا مكروها من الحاشية قد أكسبته أعداء كثيرا، من أصحاب المصالح والمطامع الشخصية. وأصبحوا ينشرون ضده الاشاعات المغرضة ، بهدف محاولة تشويه صورته أمام الرأي العام. وبالفعل تعرض الوزير لضغوطات مختلفة ، ما جعله يستعفي من الوزارة عدة مرات.

#### 4 / تقييم دور البطانة في توجيه السياسة المالية لبطانة الخلفاء العباسيين الأوائل:

لم يكن دور البطانة منحصرًا في الجانب السياسي الاستشاري . كما إنه لم ينحصر في جانب الاقتصاد الزراعي وحسب. وإنما يكاد يشمل دورهم المالية العامة للدولة. لا سيما في العصر العباسي الأول تدييرا أو كفاءة . وهذا مما زاد في تطور اقتصاد الخلافة بصفة عامة. فالجهود الفردية للوزراء والكتاب في خدمة الاقتصاد العام للخلافة لا ينكره إلا جاحد . فبذل الخلفاء جهودا شخصية كبيرة . لكن ذلك لم

(1)- الدوري : دراسات، ص 162.

(2)- مسكويه : المصدر السابق ج1، ص155. الصابي: الوزراء، ص314. الدوري: دراسات ، ص 167.

(3)- المصدر نفسه ، ص 20. ابن الأثير: الكامل ، ج1، ص473.

الباب الثاني : الأدوار الإيجابية والسلبية للبطانة في توجيه سياسة الخلفاء العباسيين.

الفصل الثاني: منجزات الخلفاء الإيجابية وأثر البطانة في ذلك 132 - 334هـ / 749 - 946م

يصل - بالتأكيد - إلى اقتصاد تفيض فيه خزائن الأموال طيلة العصر العباسي الأول ، إذا ما استثنينا من ذلك زمن الفتنة بين الأخوين .(الأمين والمأمون)

حيث كان الخلفاء العباسيون الأوائل قديرين في السياسة والاقتصاد. ولعل جزءا كبيرا من نجاحهم في برامجهم ، كان بسبب اتخاذهم لبطانات صالحة ، وذوي كفاءات ومهارات عالية في مجالات عدة. وكان من عاداتهم استبطان العلماء وأصحاب الفكر ، فاتخذوا منهم الوزراء والكتاب والمستشارين في جميع نواحي الحياة. فقرب الخليفة المنصور جملة من العلماء والمفكرين واستفاد من تجاربهم وحكمهم. فأخذ عن ابن المقفع كثيرا من النظريات في السياسة والاقتصاد .

فإذا تحدثنا عن الخليفة المؤسس الحقيقي المنصور . فقد كان قديرا في القضايا المالية. يقتصد في النفقات. حتى أشرف على حساب بناء بغداد إلى أصغر التفاصيل. ويصفه بعض المؤرخين بالبخل ويلقبونه ﴿أبا الدوايق﴾ . ولكن هذا جهل وتحايف منهم لا يبعد أن يكون الخليفة من دعايات رجال الحاشية التي تؤثر أن يكون الخليفة مبذرا لكي تستفيد منه (1) .

وهذه عادة كل عصر ، أن المتسلقين والمتزلفين إلى السلطان أو صاحب الجاه ، إن هم لم يحفظوا بما أرادوا رموه بشتى العنوت. ولكن مع هذا النعت - في تقديري- فهو ليس ذما للخليفة المنصور ، بل هو مدح. فهو بحق لم يترك المجال لأي مفسد يفسد عليه حكمه. بل فتح المجال لتقريب المصلحين وأصحاب الرأي والخبرة.

وقد استفاد المنصور الكثير من بطانته الصالحة ، ومن برامجهم ومقترحاتهم. ولما ورث المنصور سياسة مالية قائمة على اقتصاد زراعي . إنما يجب أن يشار إلى أنه لم يكن هناك نظام ضرائبي عام شامل للإمبراطورية كلها. ولئن كان المسلمون يدفعون من حيث المبدأ ضرائب ملائمة على الأرض التي يملكونها ، فإن هذه الضرائب تختلف اختلافا كبيرا بين ولاية وأخرى . مما أدى إلى وجود حالات شاذة غير عادلة. وكان ذلك مدعاة للخيبة الشديدة(2) .

وقد شكوا ابن المقفع إلى الخليفة المنصور الفوضى في الخراج - كما سبق وأن بينا في المطلب الأول من هذا المبحث. ولكن ظهرت بعد ذلك مشكلة أخرى ألا وهي مشكلة التضخم. فسارع المنصور وبطانته إلى علاجها بطريقتين أساسيتين هما:

\* الطريقة الأولى ترشيد النفقات: ويتطلب هذا الإجراء الاقتصاد في الانفاق ، وترشيد النفقات. وقد عرف

(1)- الدوري: العصر العباسي الأول ، ص81.

(2)- شعبان: الدولة العباسية، ص 30.

الباب الثاني : الأدوار الإيجابية والسلبية للبطانة في توجيه سياسة الخلفاء العباسيين.  
الفصل الثاني: منجزات الخلفاء الإيجابية وأثر البطانة في ذلك 132 - 334هـ / 749 - 946م

عن المنصور اقتصاده في النفقات. فالاقتصاد عنده يعني انفاق ما هو ضروري وذلك لتجنب هدر أموال الدولة، فقد قال لابنه:

« وأعد الأموال واخزنها وإياك والتبذير»<sup>(1)</sup>. «..ولا تبدلها إلا في إصلاح أمور السلطان والرعية وثواب اهل الطاعة والنصيحة»<sup>(2)</sup>.

وقد ضبطت مالية الدولة ضبطاً دقيقاً. وبسبب التحكم في الإدارة المالية، فقد تم القيام بأعمال عظيمة تعود على الناس بالخير. كتعبيد الطريق وإنشاء الفنادق والمساجد والمشافي والمدارس في جميع أنحاء الدولة، ولا سيما بغداد والبصرة والموصل<sup>(3)</sup>. ما جعل بعض الباحثين يعزوا إجراءات الخليفة المنصور وبطانته إلى إيجاد توازن في العلاقة بين الطلب الفعلي مع العرض الفعلي. لأن الزيادة في كمية النقود عن مقدار معين، تؤثر في ارتفاع الأسعار، وانخفاض قيمة العملة. وهي علاقة طردية. ولذلك لا بد من موازنة كمية النقود ومستوى الأسعار. والحل يكمن في سحب القوة الشرائية الزائدة عن الحاجة<sup>(4)</sup>.

وفيما يتعلق بالعلاقة المالية بين الدولة والجند، فقد نبه ابن المقفع (ت 140هـ/757م) الخليفة المنصور بعظم الرواتب التي يتقاضاها الجند الخراساني وكثرة الأموال التي تخرج لهم. لغلاء السعر في السنوات الأولى من خلافة المنصور. فقد قدم ابن المقفع مقترحاً للمنصور لمعالجة مشكلة ارتفاع الأسعار، يقضي بتصحيح رواتب الجند الخراساني بجعل نصفها عينا، ونصفها الآخر نقداً (رسالة الصحابة) أي سحب القوة الشرائية الزائدة عن الحاجة من مداخيل الجند<sup>(5)</sup>.

ولكن الاستقرار المالي الذي حققه المنصور لبيت المال، لم يتم بتخفيض رواتب ومخصصات الجيش الخراساني، إن صح أخذ المنصور بنصيحة ابن المقفع.

\* الطريقة الثانية: منع الترف الزائد عن الحاجة :

وذلك بمنعهم من الانفاق الزائد عن الحاجة، بواسطة الضرائب. بهدف تقليص كمية النقود المتداولة حتى لا تتأثر الأسعار. مع أن نجاح خطة جمع النقود، منوط بوضع سياسة متشددة مع عمال الجباية

(1)- تاريخ الطبري، ج8، ص106.

(2)- البلاذري: أنساب الأشراف، ج4، ص363.

(3)- لوبون: حضارة العرب، ص 172-173.

(4)- عبد الوهاب خضر إلياس : ظاهرة رخص الأسعار في عهد الخليفة أبي جعفر المنصور، ص 177-178.

(5)- المرجع نفسه، ص179.

## الواجب الثاني : الأدوار الإيجابية والسلبية للبطانة في توجيه سياسة الخلفاء العباسيين.

### الفصل الثاني: منجزات الخلفاء الإيجابية وأثر البطانة في ذلك 132 - 334هـ / 749 - 946م

ومحاسبتهم . وعليه فقد أنشأ المنصور لهذا الغرض قسم المحاسبة ( بيت مال المظالم) والذي كان يتولاه خالد البطين لاستخراج المال من العمال المعزولين وإيداعه في البيت المذكور<sup>(1)</sup> .

وقد حرص الخلفاء العباسيون وبناتهم على تحسين أحوال الدولة المالية ، فعرف عن الخليفة المنصور وبناته الخبرة الواسعة في إدارة المال . حتى أنه فرض رقابة شديدة على عمال الخراج . وأمره بعدم قبول الدنانير والدرهم من الناس إلا الموثوق بسلامتهما من الغش والتزيف<sup>(2)</sup> .

ورغم استفادة الخليفة المهدي من بعض ابتكارات وزيره أبي عبيد المالية والزراعية. حيث كان أبو عبيد الله يضبط أمور المهدي. ويشير عليه بالاقتصاد وحفظ الأموال. ولم يزل مستقيماً الأمر إلى سنة 163هـ/780م . حيث بدأت سعاية الربيع به<sup>(3)</sup> .

ومع وجود البطانة الصالحة للخليفة المهدي. فقد أزاحه و وقع من جهة أخرى ، تحت تأثير صاحب السوء ، والبطانة الفاسدة. وهو وزيره يعقوب بن داود. وهذا ما يفسره كثرة إنفاق الخليفة المهدي للثروة الهائلة التي تركها أبوه أبو جعفر خلف في بيوت الأموال عند وفاته . فزين له هواه ، فأنفق المال وأكب على اللذات والشرب. وسمع الغناء. وفي ذلك يقول بشار:

بني أمية هبوا طال نومكم إن الخليفة يعقوب بن داود.

ضاعت خلافتكم يا قوم فاطلبوا خليفة الله بين الرق والعود<sup>(4)</sup> .

واشتهر من بطانة الرشيد العالم القاضي أبو يوسف بكتابه (الخراج) الذي ألفه أساساً إجابة لأسئلة الخليفة الرشيد الاقتصادية والمالية. وبين فيه أصول الأموال وكيفية النفقات، وتنظيم الضرائب بعدل. استفادت منه الخلافة العباسية كثيراً. كما اشتهر البرامكة الذين أحسنوا تسيير الأمور الإدارية والمالية ، وأشهر يحيى بن خالد البرمكي وابنه الفضل. ولكن مصيرهم السيء ينبؤنا عن تماديهم و إغراقهم في تسيير الامور من دون الخليفة.

وأخذ المنحني يتنازل بسرعة بتولي الخليفة الأمين. الذي أخبر عنه السيوطي أنه: « كان سيء التدبير ، كثير التبذير، ضعيف الرأي ، أرعن ، لا يصلح للإمارة»<sup>(5)</sup> . هذا من جهة ومن جهة أخرى ، فقد وقع تحت تأثير وزير الفضل بن الربيع ، الذي أحس أن مركزه مهدد إذ انتقلت الخلافة للمأمون. فعمل

(1)- تاريخ الطبري، ج8، ص81 . البلاذري: أنساب، ج3، ص260. عبد الوهاب خضر إلياس : ظاهرة رخص الأسعار، ص181.

(2)- ابن خلدون: العبر، ج3، ص57. ابن تغري: النجوم، ج1، ص177.

(3)- الجهشيارى: الوزراء، ص151.

(4)- المصدر نفسه، ص118

(5)- الخلفاء، ص236.

الباب الثاني : الأدوار الإيجابية والسلبية للبطانة في توجيه سياسة الخلفاء العباسيين.

الفصل الثاني: منجزات الخلفاء الإيجابية وأثر البطانة في ذلك 132 - 334هـ / 749 - 946م

على تأليب الأمين ضده ، وإسقاط البيعة المتفق عليها للمأمون. وتوليتها لابنه موسى . وهو يومئذ طفل صغير. وأمر الأمين بإسقاط ما كان يضرب لأخيه عب الله المأمون من الدينار والدرهم بخراسان سنة 194هـ/810م . فقال بعض الشعراء:

أضاع الخلافة غش الوزير      وفسق الأمير ، وجهل المشير .  
ففضل وزير ، وبكر مشير      يريدان ما فيه حتف الأمير (1).

وبسبب الحروب التي نشبت بين الأمين وبين أخيه . حيث أنفقت فيها أموال طائلة. فأخذت موارد الدولة المالية تتناقص و تتضاءل . وظهرت فيها اليد الطولى لبطانة الأخوين. بحيث أن الفضل ابن الربيع هو من أغرى الأمين بخلع أخيه المأمون ، والبيعة لابنه موسى. ووافق على ذلك علي بن عيسى بن ماهان. وأنفقت الأموال الكثيرة في إعداد الجيوش واستمالة الأنصار (2).

ولكن بعد خلع الخليفة الأمين، وتولي أخيه المأمون الخلافة سنة 198هـ/813م عزم الخليفة الجديد وبطانته على ضمان الاستقرار والهدوء في الدولة. فتحسنت موارد البلاد المالية. حيث ظهرت عدة إصلاحات إدارية واقتصادية. منها إعادة تنظيم الدواوين وغيرها. وكذا تخفيف مقاسمة أهل السواد على الخمسين بعد النصف. وبهذا كفل المأمون وبطانته للدولة الاستقرار والهدوء ، فتحسنت موارد البلاد المالية.

وبسبب شخصية الخليفة المعتصم القوية وحبه للجندية ، وتأثره بما يحيط به من البطانة وخاصة من الجند الترك. فقد انصرف لإنفاق الأموال الكثيرة في شراء الترك وإعدادهم للجندية . ومع ذلك فقد حرص على المحافظة على حقوق الدولة المالية. ولكنه أساء اختيار وزرائه من أمثال الفضل بن مروان وأحمد بن عمار اللذين أساءا التصرف في الشؤون الإدارية والمالية. فعزلهما ، وولى الوزارة الكاتب المشهور محمد بن عبد الملك الزيات. الذي دبر الأمور أحسن تدبير (3). حيث نجح في عمله بالوزارة. وهو الذي له خبرة بالاقتصاد ، الحازم في الإدارة ، العارف بأمور التجارة في تدبير الأموال (4).

وظل المعتصم حتى نهاية عهده ، يعترض على تدبير استطاع الوزير التاجر ابن الزيات أن يقره حين

(1) - تاريخ الطبري، ج 8، ص 389. السيوطي: الخلفاء، ص 236.

(2) - ابن الطقطقي: الفخري، ص 213. 214. 215. ابن خلدون: العبر، ج 3، ص 291. سليمان الدخيل: الفوز بالمراد في تاريخ بغداد، ص 40.

(3) - الدوري: دراسات 143.

(4) - الجبوري: علاقة الخلافة، ص 84.

الباب الثاني : الأدوار الإيجابية والسلبية للبطانة في توجيه سياسة الخلفاء العباسيين.

الفصل الثاني: منجزات الخلفاء الإيجابية وأثر البطانة في ذلك 132- 334هـ/ 749- 946م

صارت حريته بالتحرك أوسع فور وفاة المعتصم. وكان هذا التدبير يقضي بإلغاء جميع الضرائب، على البضائع الداخلة من موانئ خليج فارس. وترك أعشار السفن. ويعتقد أن هذا الإجراء ساهم في خفض الأسعار. وهذا في العادة ما يخدم الأغنياء<sup>(1)</sup>.

ومن الشخصيات المؤثرة في صقل شخصية المعتصم، رئيس قضاة سامراء أحمد ابن أبي دؤاد، الشخصية التي كانت تتمتع بأقصى النفوذ في عهد المعتصم. هي على كل حال. ويبدو أنه كان وراء جميع مقررات المعتصم، خاصة الضرائبية منها<sup>(2)</sup>.

ويلخص حجم الفساد المالي والإداري الذي أحدثته البطانة في أواخر العصر العباسي الأول. تلك المصادرات التي قام بها الخليفة الواثق سنة 229هـ/844م حيث أمر الخليفة الواثق بعقوبة كتاب الدواوين لاستخلاص الأموال منهم بعد أن ظهرت له خياناتهم، وأخذهم أموال الدولة دون وجه حق<sup>(3)</sup>.

لكن الأمر المحير حيل الخلفاء في العصر العباسي الأول، هو أنهم لم يطبقوا المبادئ التي طبقوها في السياسة على النواحي المالية والاقتصادية. ففي الوقت الذي ألزمو فيه الموالي الطامحين طاعة للخلافة، فحافظوا على مقدراتهم وفعاليتهم، وأطلقوا لهم العنان في المجال الاقتصادي. فبرعوا فيه وسيطروا عليه وتملكوا ثروات البلاد سواء في الحاضرة أو في الريف. وتألقت منهم طبقة ممتازة هابها الخلفاء ورجال الدولة.

وشهد العصر العباسي الثاني تحولا خطيرا، أدى إلى اختلال التوازن الاقتصادي. ما أدى إلى حصول الطبقة في المجتمع، و مزيد من الثورات ذات الهدف الاقتصادي. ولو طبق العباسيون المبادئ نفسها التي طبقوها في العصر العباسي الأول، وفرضوا القيود والضوابط على هذا التحول الاقتصادي، لكان للتاريخ العباسي شأن آخر<sup>(4)</sup>.

ثانيا- آثار ومنجزات قادة الجيش في توجيه سياسة الخلفاء.

أ/ أدوار قادة الجند العباسي في العصرين الأول: (132-232هـ/749-847م)

بعد تأسيس الدولة العباسية، انشغل الخلفاء العباسيون الأوائل بتكوين جيش نظامي محترف. وبناء على ذلك ظهر على الساحة العسكرية عدة قادة عسكريين. ومنهم من اشتهر من أيام الدعوة العباسية،

(1)- ابن الأثير: الكامل، ج6، ص95. شعبان: الدولة العباسية، ص91.

(2)- شعبان: المرجع نفسه.

(3)- ينظر العنصر المخصص بالمصادرات في الفصل التاسع.

(4)- حسن وأحمد: العالم الإسلامي في العصر العباسي، ص176.

المابج الثاني : الأءوار الإجابفة والسلففة للبطانة فف ف فففة سفاسة الخلفاء العباسففن.

الفصل الثاني: منبزاب الخلفاء الإجابفة وأئر البطانة فف ف ذلك 132 - 334هـ / 749 - 946م

وأملوا من أصقاع خراسان ونواحبها. ومن أبرز هؤلاء القاءة ، أبو مسلم الخراساني. الذي عرف بفصاحته بالعربف والفارسف، آاءا فف منطقه ووقته. صاحب الدعوة، أعمء العباسفون على آهوءه فف هزفمة آفوش الأءولة الأموفة. أن له الفضل فف إقامة الأءولة العباسفة.<sup>(1)</sup>

وبسبب المؤهلات المذكورة سابقا، فقد كسب أبو مسلم ثقة إبراهيم الإمام<sup>(2)</sup> ابن محمد بن على بن عبء الله بن العباس بن عبء المطلب أآف السفاح ، وآعله على الدعوة فف إقليم خراسان. فكلفه بأمر الدعوة للعباسففن بخراسان. ظهر بها فف مءفنة مرو، فءانت له البلاد. وهزم الأحزاب المروانفة. وكان إبراهيم المذكور بالقرفة المعروفة بالآفمفة ، و تصله الكتب بما أففق من الففوحات.<sup>(3)</sup>

وتهفأ لأبف مسلم آآففش الآفوش وآنظفم الصفوف وءعوة الناس لركوب موجه الآورة. فواء أبو مسلم مسآآبففة ، فآرآوا آمففا فف فوم وآاء من آمفب كور خراسان آفف وآفوه ، وقد سوءوا ثفابهم ، تسلفا على إبراهيم بن محمد بن على.<sup>(4)</sup> فبذل أبو مسلم الخراساني آهوءا كبفرة فف نشر الدعوة العباسفة، وآءمة الأءولة العباسفة. بما فف ذلك قضاؤه على أف آمرء فذكر فف خراسان وبلاد ما وراء النهر. إلى آانب انآصاراته المآررة على المناوفن للعباسففن . ففآف إلى ذلك كله إآماده لآورة عبء الله بن على عم المنصور.

لما اسآقام الأمر للسفاح (132 - 136 هـ / 749 - 754 م) اسآوزر أبا مسلم ، فكان أول وزفر لأول آلففة عباسف. والسفاح فأنس به لما فف آءففه من إماء وآءب ولما كان علىه من علم بالسفاسة والآءفر. واسآمر أربعة أشهر.<sup>(5)</sup> وبلغ منه مبلعا عظفما ، آفف كان السفاح لا فقفع أمراً ذا بال ءون أبف مسلم ومشاروته.<sup>(6)</sup>

آفر أنه إلى آانب أعماله الآلفة فف إقامة الأءولة العباسفة. آفر أنه ارآكب كآفرا من الأآفاء . ربما ءعت إليها ضرورة المرحلة. منها قآله لسلفمان بن كآفر الخزاعف المروزف الأمفر، آءء نقباء بنف العباس.<sup>(7)</sup>

(1) \_ الأهف: سفر ، آ6، ص48. ابن آلكان: وففاء الأعلان ، آ3، ص145.

(2) \_ فقآل لهم إبراهيم: « إنف قء رأفآ أن أولف الأمر هناك أبا مسلم، لما آرفب من عقله، وبلوت من أمأنفه، وأنا موجهة معكم، فاسمعوا له، وأطففوا أمره، فإن والءف - رآمة الله علىه - قء كان وصف لنا صففه، وقء رجوت أن فكون هو الذي فسوق إلنا الملك، فعاونوه، وكانفوه، وانآهوا إلى رأفه، وأمره.» الآفنورف: الأخبار الطوال، ص236.

(3) \_ ابن العماء : شءرات، آ2، ص125. عبء الملك: سمط النجوم، آ3، ص343-344.

(4) \_ الآفنورف: الأخبار الطوال، ص343.

(5) \_ الزركلف: الأعلام، آ2، ص263.

(6) \_ الأهف: آرفف الاسلام، آ8، ص342.

الباب الثاني : الأدوار الإيجابية والسلبية للبطانة في توجيه سياسة الخلفاء العباسيين.

الفصل الثاني: منجزات الخلفاء الإيجابية وأثر البطانة في ذلك 132 - 334هـ / 749 - 946م

العباس (1) وكان أبو مسلم الخراساني هو الذي أغرى السفاح بقتل ابن هبيرة. (2) وبعث بقائده المرار بن أنس الضبي لقتل أبي سلمة الخلال الوزير. (سنة 136هـ/754م) (3)

ولا يقل حزما وحكمة ، فقد اشتهر القائد عيسى بن موسى من قادة المنصور المشهورين في جيشه. وولي عهده كان أبو العباس قد عهد بالخلافة من بعده لأخيه أبي جعفر ومن بعده لعيسى بن موسى. (4) فاستنزه المنصور عن ولاية عهده سنة 147 هـ/764م ، وعزله عن الكوفة، وأرضاه بمال وفير، وجعل له ولاية عهد ابنه المهدي. (5)

وفي رواية للذهبي أن المنصور ألح وأسرف وتحيل بكل ممكن على ابن عمه ولي العهد عيسى بن موسى بالرغبة والرغبة حتى خلع نفسه كرهاً. وقيل بل عوضه عشرة آلاف ألف درهم. (6) وتعرض للأمر للأمر نفسه في عهد المهدي حيث تعرض لعدة محاولات الخلع. فيها ألح المهدي على ولي العهد عيسى بن موسى بكل ممكن رغبة ورهبة في خلع نفسه ليولي العهد لولده موسى الهادي. وفي سنة 160 هـ/777م، وبعد تهديد ووعيد، وكان ولي العهد لا يخلع ما لم يخلع نفسه ويشهد الناس عليه، فأقام بالكوفة إلى أن توفي. (7) فأجاب خوفاً على نفسه. فأجزل له المهدي عطاء عشرة آلاف ألف درهم وإقطاعات (8) .

ولما توفي الخليفة ، وولي العهد أبو جعفر خارج العاصمة أميرا للحج سنة 136هـ/754م عيسى بن موسى ولي العهد الثاني إلى العاصمة الأنبار وأخذ البيعة لأبي جعفر ، ثم كتب له بذلك فبايع الناس في مكة لأبي جعفر. (9)

واستمر المنصور يكسب ولاء القادة العسكريين ، حيث عين القائد معن بن زائدة الشيباني من صحابته المقربين. وعين خازم بن خزيمة التميمي نائبا عنه في الهاشمية ومسؤولا عن الجيش والميرة، حين حج سنة 154هـ/771م. ورغم ذلك لم يتجاوز الجيش حدوده. لأن خلفاء العصر الأوائل كانوا أقوياء .

(1) \_الذهبي:العبر ، ج1، ص137.

(2) \_الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج6، ص208.

(3) \_الذهبي: العبر، ج1، ص138. ابن العماد: شذرات، ج2، ص148.

(4) \_ تاريخ الطبري، ج7، ص470. ابن خلدون: العبر، ج3، ص227. ابن تغري: النجوم، ج2، ص53 - 54.

(5) \_ المصدر نفسه، ج8، ص24. ابن الأثير: الكامل، ج5، ص180.

(6) \_الذهبي: العبر، ج1، ص63.

(7) \_ تاريخ الطبري، ج8، ص124.125. ابن الأثير: الكامل، ج5، ص233.

(8) \_ ابن الاثير: الكامل، ج5، ص233.الذهبي: العبر، ج1، ص71. ابن خلدون: العبر، ج3، ص248.

(9) \_ حمدان عبد المجيد الكيسي: عيسى بن موسى ، مجلة المؤرخ العربي، ع40، بغداد 1989، ص172.

## الباب الثاني : الأدوار الإيجابية والسلبية للبطانة في توجيه سياسة الخلفاء العباسيين.

### الفصل الثاني: منجزات الخلفاء الإيجابية وأثر البطانة في ذلك 132 - 334هـ / 749 - 946م

وقد استخدم المنصور عناصر الجيش فيما يتعلق بولاية العهد . فحين طلب من عيسى بن موسى التنازل لمحمد المهدي بين له أن تلك هي ربة أهل خراسان في الجيش<sup>(1)</sup> .

ولما توفي المنصور رفض عيسى بن موسى البيعة للمهدي. وكاد الأمر يثير أزمة سياسية في البيت العباسي والجيش. إذ شارك عيسى بن موسى في رفض البيعة بعض قادة الجيش. وفي الأخير اضطر عيسى ابن موسى أن يبايع للمهدي تحت ضغط الربيع بن يونس وعيسى بن علي العباسي وتهديد القائد عيسى بن ماهان صاحب الحرس<sup>(2)</sup> .

وتمهيدا لتعيين ولده وليا للعهد، أشرك المهدي الجيش في هذه المسألة ، وعين ابنه هارون الرشيد أميراً للجهاد (سنة 163هـ/780م) . ومعه قادة الجيش المشهورين. ثم قاد هارون حملة أخرى (سنة 165هـ/782م). ضد البيزنطيين ، وعند عودته، ولنجاحه مهامه القتالية وعينه وليا لعهد أخيه موسى سنة 166هـ/783م ولقبه بالرشيد<sup>(3)</sup> .

وضمن جيش الرشيد أيضا ، ظهر القائد هرثمة بن أعين. ولاه على إمرة مصر (سنة 178هـ/794م).<sup>(4)</sup> ثم وجهه الرشيد إلى إفريقية لاختصاص عصاتها ، فدخل (القيروان) سنة 179 هـ ، ولقي من أهلها ما يحب ، فأحسن معاملتهم.<sup>(5)</sup>

واستمر واليا على إفريقية سنتين ونصفا. وطلب من الرشيد أن يعفيه ، فنقله (سنة 181هـ) وعقد له على خراسان ، فأقام فيها. وولاه غزو الصائفة (سنة 191هـ/807م) . ثم ولاه ما كان لابن ماهان (علي ابن عيسى) فانتقل إلى مرو (سنة 192هـ/808م) ولما بدأت الفتنة بين الأمين والمأمون ، انحاز إلى المأمون ، فقاد جيوشه وأخلص له الخدمة ، حتى سكنت الفتنة بانهزام جيوش الأمين ومقتله.<sup>(6)</sup>

(1) \_ المناصير: الجيش، ص 458.

(2) \_ ابن الأثير: الكامل، ج5، ص226. الكبيسي: المرجع السابق.

(3) \_ الجهشيارى: الوزراء والكتاب، ص 146.141. الدوري: العصر العباسي الأول، ص99. المناصير: الجيش، ص 460.

(4) \_ ابن الأثير: الكامل، ج5، ص299. الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج9، ص129. ابن تغري: النجوم، ج2، ص88-89. الزركلي: الأعلام، ج8، ص81.

(5) \_ المصدر نفسه ، ج5، ص299. الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج9، ص129. ابن تغري: النجوم، ج2، ص89. الزركلي: الأعلام، ج8، ص81.

(6) \_ الدينوري: الأخبار الطوال، ص 370. المصدر نفسه، ج9، ص337. ابن العماد: شذرات، ج2، ص428. الزركلي: الأعلام، ج8، ص81.

الباب الثاني : الأدوار الإيجابية والسلبية للبطانة في توجيه سياسة الخلفاء العباسيين.

الفصل الثاني: منجزات الخلفاء الإيجابية وأثر البطانة في ذلك 132 - 334هـ / 749 - 946م

وانتظمت الدولة للمأمون ، فانتظم جيشه ، واشتهر من قواده طاهر بن الحسين. الذي ولاه المأمون على جميع بلاد خراسان والمشرق وأعطاه عشرة آلاف ألف درهم<sup>(1)</sup>.

ومما يدل على وفرة عقله وجوده رأيه الرسالة التي وجهها إلى ابنه عبد الله، لما ولاه المأمون الرقة ومصر . فكتب إليه أبوه طاهر كتابه المشهور. عهد إليه فيه ووصاه بجميع ما يحتاج إليه في دولته وسلطانه، من الآداب الدينية والخلقية والسياسة الشرعية والملوكية. وحثه على مكارم الاخلاق ومحاسن الشيم بما لا يستغني عنه ملك.

وكان على الكوفة حين نزل طاهر بن الحسين بها من قبل محمد الأمين الفضل بن العباس ابن موسى بن عيسى. ولكنها كتبا إلى طاهر ببيعتهم للمأمون وخلعهم محمدا أقرهم طاهر على أعمالهم. ثم أخذ طاهر بن الحسين من أصحاب محمد المدائن ثم صار منها إلى صرصر<sup>(2)(3)</sup>.

ولى الخليفة المأمون كل ما كان طاهر بن الحسين افتتحه من كور الجبال وفارس والأهواز والبصرة والكوفة والحجاز واليمن الحسن بن سهل اخا الفضل بن سهل ولك بعد مقتل محمد المخلوع ودخول الناس في طاعة المأمون . وأن يشخص طاهر عن ذلك كله إلى الرقة وجعل إليه حرب نصر ابن شيبث وولاه الموصل والجزيرة والشام والمغرب. وهكذا لا يزال القائد الفذ طاهر بن الحسين يتقلد مناصب رفيعة ، وينهض بالأعمال الجليلة ، إلى أن ولاه المأمون من مدينة السلام إلى أقصى عمل المشرق وقد كان قبل ذلك ولاه الجزيرة والشرط وجانبي بغداد ومعاون السواد وقعد للناس<sup>(4)</sup>.

وبسبب التكوين العسكري الذي تقاه الخليفة المعتصم، فقد أحسن اختيار قواده على الجند. ومنهم عجيف بن عنبسة الذي وجهه المعتصم لحرب الزط . الذين كانوا غلبوا على طريق البصرة ، وعاثوا وأخذوا الغلات من البيادر بكسكرو وما يليها من البصرة ، وأخافوا السبيل ، ورتب عجيف الخيل في سكك البريد ، لأخذ الأخبار، وشدد عليهم في الطرق ، و حاربهم حتى قتل منهم وأسر عددا كبيرا<sup>(5)</sup>.

(1) ابن تغري: النجوم الزاهرة، ج2، ص178. الذهبي: تاريخ الاسلام، ج14، ص19. ابن خلدون: العبر ، ج3 ، ص314.

(2) صرصر: قرينان من سواد بغداد، العليا والسفلى، وهما على ضفة نهر عيسى. وربما قيل نهر صرصر فنسب النهر اليهما. يعقوبي: معجم البلدان، ج3، ص401.

(3) تاريخ الطبري، ج8، ص436.

(4) المصدر نفسه، ص577.

(5) تاريخ الطبري، ج9، ص08. مسكويه: تجارب، ج4، ص05. ابن كثير: البداية، ج14، ص237-238. الذهبي: تاريخ الاسلام، ج15، ص30.

الباب الثاني : الأدوار الإيجابية والسلبية للبطانة في توجيه سياسة الخلفاء العباسيين.

الفصل الثاني: منجزات الخلفاء الإيجابية وأثر البطانة في ذلك 132 - 334هـ / 749 - 946م

ونلاحظ أن الخليفة المعتصم قد استدرك بعض الأمر ، خاصة حينما وجه بعجيف بن عنبسة إلى ملك الروم بزيطرة . فإنه لم يطلق يد عجيف في النفقات كما أطلقت يد الأفشين . وقيد حركته واستقصر أمره وأفعاله . فعمل على تحريض العباس بن المأمون على عمه وشجعه على طلب الخلافة<sup>(1)</sup> .

ولم يكتف بذلك بل حمله على أخذ البيعة من الأمراء له ، وبينما هم قاصدون عمورية ، أشار عجيف على العباس أن يقتل عمه ، ولكن العباس كره أن تعطل الغزوة ، فأرجأ الأمر إلى ما بعد الانتهاء منها. زفي طريق العودة من الغزوة، فطن المعتصم للمكيدة المدبرة فأحبطت الخطة. فأمر لهم بعقوبات مختلفة، بحيث يموت كل احد منهم بنوع لم يقتل به الآخر<sup>(2)</sup> .

ويعتبر الأفشين من قادة الجند المشهورين في العصر العباسي الأول قاطبة. ففي سنة 222هـ/827م وقعت الواقعة بين بابك الخرمي<sup>(3)</sup> وبين الأفشين ، فطحنه الأفشين، واستباح عسكره ، وهرب. ثم إنه أسر بعد فصول طويلة<sup>(4)</sup> . ولما قتله توج المعتصم الأفشين وقلده وشاحين من جوهر ، وأطلق عشرين ألف ألف درهم. وكتب له بولاية السند. وأمر الشعراء أن يدخلوا عليه فيمدحوه.<sup>(5)</sup>

ولكن الإشكال الذي يبقى مطروحا لدى المؤرخين هو : لماذا تمت تصفية هؤلاء العسكريين العظام ، رغم بلاتهم الحسن عسكريا لصالح الخلافة العباسية؟ مثلما حصل لأبي مسلم الخراساني والأفشين وغيرهما.

وفي سنة 227هـ و228هـ / 842-843م استخلف الخليفة الواثق على السلطنة أشناس التركي وألبسه وشاحين مجوهرين وتاجاً مجوهراً.<sup>(6)</sup>

و كان للأمير أشناس التركي سلطة تعيين العمال على الأقاليم . فكان أن ولي على مصر عيسى ابن منصور بن موسى بن عيسى الرافقي، وليها ثانياً بعد عزل علي بن يحيى الأرمني. ودخل إلى مصر سنة

(1) \_ ابن الاثير: الكامل، ج6، ص46. ابن خلدون: العبر، ج3، ص233-234.

(2) \_ ابن كثير: البداية، ج14، ص259.260.

(3) \_ حركة بابك الخرمي: ظهرت هذه الحركة سنة 192هـ في أواخر أيام الرشيد ، بدأها رجل يسمى جاويدان بن سهل، وقد ظهر في الجبال بناحية أذربيجان. وصار له أتباع، عرفوا بالخرمية. استباحوا المحرمات، وعاثوا في البلاد. وقد هز لهم خلفاء بني العباس حملات لقمعهم. انتهت بعد عشرين سنة ، بأخذ بابك وصلبه في سامراء. أيام المعتصم سنة 223هـ/838م. الشابشتي: الديارات، ص .

(4) \_ تاريخ الطبري، ج9، ص13. وما بعدها. ابن تغري: النجوم، ج2، ص236. الذهبي: سير، ج10، ص292.

(5) \_ ابن كثير: البداية، ج14، ص249. ابن أعثم: الفتوح، ج8، ص353.

(6) \_ تاريخ الطبري، ج9، ص124. مسكويه: تجارب، ج4، ص71. السيوطي: تاريخ الخلفاء، ص 270. الذهبي: سير أعلام النبلاء،

ج10، ص312. ابن كثير: البداية، ج14، ص296.

الباب الثاني : الأدوار الإيجابية والسلبية للبطانة في توجيه سياسة الخلفاء العباسيين.

الفصل الثاني: منجزات الخلفاء الإيجابية وأثر البطانة في ذلك 132 - 334هـ / 749 - 946م

تسع وعشرين ومائتين. وسكن العسكر على عادة أمراء مصر في الدولة العباسية. وجعل على الشرطة ابنه، ومفد أمور مصر، ودام بها إلى أن توفي الأمير أشناس التركي المعتصمي عامل مصر من قبل الخليفة - وهو الذي كان إليه أمور مصر يولي عليها من شاء من الأمراء - في سنة 230هـ/845م وولى الخليفة مكانه على مصر الأمير إيتاخ. وكانت ولاية أشناس على مصر اثنتي عشرة سنة أو نحوها.<sup>(1)</sup> وكان إيتاخ أحد القواد الشجعان المذكورين. وجهه المأمون غازياً إلى حصن سندس فأثابه بصاحبه. وكان مقدم جيش المعتصم حين فتح عمورية. ثم ولي إمرة الجزيرة والشام ومصر للوائق. ونظروا في أعطيات المعتصم لأشناس فبلغت أربعين ألف ألف درهم.<sup>(2)</sup> وولى المعتصم على اليمن إيتاخ. بعد عزل جعفر بن دينار عنها.<sup>(3)</sup> وكذلك الواثق من بعده، ضم إليه أعمالاً كثيرة. وكذلك عامله المتوكل وذلك لفروسيته ورجلته وشهامته.<sup>(4)</sup>

ب/ أدوار قادة الجند في العصر العباسي الثاني (232-334هـ / 847-946م)

وولى الخليفة مكان - عيسى بن منصور - على مصر الأمير إيتاخ التركي فأقر عيسى بن منصور على عمله هذا. فاستمر عيسى بمصر على إمرتها نيابة عن إيتاخ إلى أن مات الخليفة هارون الواثق في سنة 232هـ.<sup>(5)</sup>

وكان الأمير إيتاخ التركي سيف النعمة للخلفاء، و مقدم الجيوش وكبير الدولة خافه المتوكل وعمل عليه بكل حيلة.. فتعنت على المتوكل فقال له: أتريد أن تلعب بي كما لعبت بالخلفاء. فهم به وافترقا على ضغينة، فدرس إليه المتوكل من يشير عليه بالحج فأذن له... واستصفى المتوكل أمواله فبلغت ألف ألف دينار، وحبس ابنه إلى أن أطلقهما المنتصر. وكان ذلك سنة 234هـ/848م.<sup>(6)</sup>

(1) ابن تغري: النجوم، ج2، ص257.

(2) المسعودي: مروج الذهب، ج4، ص49. الذهبي: تاريخ الاسلام، ج19، ص88.

(3) ابن كثير: البداية، ج14، ص272.

(4) تاريخ الطبري، ج9، ص166. مسكويه: تجارب، ج4، ص115. ابن الأثير: الكامل، ج6، ص101. ابن كثير: البداية، ج14، ص337-338.

(5) الحموي: معجم البلدان، ج2، ص51. ابن تغري: النجوم الزاهرة، ج2، ص257.

(6) ابن العماد: شذرات، ج3، ص157. الذهبي: تاريخ الاسلام، ج17، ص106.

الواجب الثاني : الأدوار الإيجابية والسلبية للبطانة في توجيه سياسة الخلفاء العباسيين.

الفصل الثاني: منجزات الخلفاء الإيجابية وأثر البطانة في ذلك 132 - 334هـ / 749 - 946م

وبقيت الكتب تؤرخ سنة باسم وصيف التركي ثم إنه اختص بالمتوكل وطرح ذكر وصيف وورخت الكتب باسميهما. (1) كان وصيف أكبر أمراء الدولة وكان قد استولى على المعتز واصطفى الأموال لنفسه (2). وتمكن من المستعين وأصبح مدير ملكه يومئذ (3).

وهكذا فإن منصب الوزارة قد ضعف كثيراً بسبب تسلط قادة الجند على الإدارة والجيش. وسيطرتهم على الأموال. وتسييرهم الدولة على حسب أهوائهم. وقد بلغ الأمر حدًا جعل المتوكل «الكتب تكتب باسم وصيف التركي الذي انتصب منصب الوزارة وإن كان لم يسم بها... فكان يعرض الأعمال عليه كما كان الوزراء يعرضونها وليس هو بعد قدير لها، وأثبت المتوكل اسمه، ثم أمر له الخليفة بعد زمن بالوزارة، ثم خوطب بها وكان وزيراً أميراً.» (4)

ومنذ أن قتل المتوكل بهذه الطريقة البشعة، بدأت سلسلة اغتيالات الخلفاء، وتنصيب الخلفاء الضعفاء والتحكم فيهم. وبدأ فعليا التلاعب بهذا المنصب الرفيع في الدولة الإسلامية، وأصبحت سلطة الخليفة شكلية، أما مضمونها فهو بيد الجند والبطانة.

وكان اغتيال المتوكل على أيدي القادة العسكريين، نذيراً بفترة امتدت عشر سنوات من اضطراب لا مثيل له في قلب الامبراطورية. فقد نصب المنتصر خليفة من قبل قتلة أبيه ليتنفذ أوامره، وكان على استعداد كلي لتنفيذ ما يطلبون. وأعيد تشكيل جيش سامراء في العاصمة كما كان عليه في عهد المعتصم، وألغيت جميع ترتيبات المتوكل. (5)

وكان من المهام العظيمة التي اضطلع بها وصيف التركي أنه أغزاه المنتصر لقتال الروم. وجهزه بجيش كثيف، ورجالا وعُددا، وأمر له بنفقات كثيرة. وأمره إذا فرغ من قتال الروم أن يقيم بالشعر أربع سنين. (6) وكانت نهاية القائد وصيف مأساوية للغاية، فقد قتل وأرادت العامة نهب داره في سامرا ودور أولاده فلم يمكنهم ذلك، وجعل الخليفة ما كان إليه إلى بغا الشرايبي. (7)

(1) \_ الصفدي: الوافي، ج19، ص275.

(2) \_ الذهبي: العبر، ج1، ص146. الذهبي: تاريخ الاسلام، ج19، ص365. الصفدي: الوافي، ج19، ص275.

(3) \_ ابن كثير: البداية، ج14، ص477.

(4) \_ ابن العماد: شذرات، ج3، ص241.

(5) \_ ابن الأثير: الكامل، ج6، ص136. ابن تغري: النجوم، ج2، ص329. شعبان: الدولة العباسية، ص102.

(6) \_ ابن كثير: البداية، ج14، ص460.

(7) \_ ابن كثير: البداية، ج14، ص494. ابن العماد: شذرات، ج3، ص241.

وأصبحت الكتب في خلافة المعتز تخرج باسم صالح بن وصيف وكأنه مرسوم بالوزارة. لغلبيته على الأمر و تفردته بالتدبير. (1) حيث استضعف الأتراك الخليفة المعتز، واستولى القائد صالح بن وصيف. وأثار عليه الجند، للمطالبة بأرزاقهم. غير أن الخليفة تحجج بنفاذ الأموال. واضطر أن يطلب من أمه ، فشحت عليه. ولما علم الأتراك اكتنازها لأموال طائلة، قرروا خلع ابنها، ومصادرتها، وأخذوا منها ألف دينار ذهباً (2).

وفي سنة 255هـ/869م ، صادر صالح بن وصيف خاصة المعتز وكتابه ، وهم : أحمد بن إسرائيل، والحسن بن مخلد ، وأبا نوح عيسى بن إبراهيم. بحجة الخيانة لما قد عرف عنهم من تماثل على أكل بيت المال. فضربهم وأخذ خطوطهم بأموال جزيلة. واحتيط على أموالهم حواصلهم وضياعهم وسموا الكتاب الخونة وولى الخليفة عن قهر غيرهم (3).

واشتهر من قادة الجند الترك أوتامش ، الذي تقلد الوزارة، رغم جهله بقوانين وأصول الوزارة. وبعد وفاة الخليفة المنتصر اجتمع أوتامش وبغا الصغير وبغا الكبير وغيرهم من كبار القادة الترك. ومعهم الوزير أحمد بن الخصيب . وتشاوروا ثم خلصوا للعدول عن ولد المتوكل، خوفا منهم فبايعوا المستعين من ولد المعتصم. وكتبه أحمد بن الخصيب ووزيره أوتامش (4).

غير أن المستعين هو الآخر وقع في خطأ تفويض الأمر لوزيره العسكري أوتامش، أُلذي أسرف في أخذ الأموال حتى لم يبق بيت المال شيئاً. وفي سنة 249هـ/863م غضب الأتراك من أوتامش وغاروا منه، فاجتمعوا عليه، وأحاطوا بقصر الخلافة، وهو عند المستعين، ولم يمكنه منعه منهم ولا دفعهم عنه. فأخذوه صاغرا فقتلوه وانتهبوا أمواله وحواصله ودوره (5).

غير أن المستعين هو الآخر وقع في خطأ تفويض الأمر لوزيره العسكري أوتامش، أُلذي أسرف في أخذ الأموال حتى لم يبق بيت المال شيئاً. وفي سنة 249هـ غضب الأتراك من أوتامش وغاروا منه، فاجتمعوا عليه، وأحاطوا بقصر الخلافة، وهو عند المستعين، ولم يمكنه منعه منهم ولا دفعهم عنه. فأخذوه صاغرا فقتلوه وانتهبوا أمواله وحواصله ودوره (6).

(1) \_ المسعودي: مروج ، ج4،ص137. المسعودي: التنبيه، ص365.

(2) \_ الذهبي: العبر، ج1،ص366. عبد الملك : سمط النجوم، ج3،ص474.

(3) \_ تاريخ الطبري ، ج9،ص387. ابن الأثير: الكامل، ج6،ص203. ابن كثير: البداية ج14،ص504. الذهبي: تاريخ ، ج14،ص19.

ج14،ص19. الذهبي: العبر، ج1،ص366. ابن خلدون: العبر، ج3،ص370. ابن العماد : شذرات، ج3،ص249.

(4) \_ مسكويه: تجارب، ج4،ص146-147. الذهبي: تاريخ، ج18،ص22. ابن خلدون: العبر، ج3،ص354.

(5) \_ تاريخ الطبري، ج9،ص387. ابن الأثير: الكامل، ج6،ص154. ابن كثير: البداية، ج14،ص470.

(6) \_ المصدر نفسه، ج9،ص387. المصدر نفسه ، ج6،ص154. المصدر نفسه ، ج14،ص470.

و كانت لبغا الكبير هممة عالية، في الغزوات المتوالية. وكان له من المتاع والضياع ما قيمته عشرة آلاف ألف دينار. (1) وعندما تحقق الخليفة المعتصم كذب منكجور ، بعث إليه بغا الكبير فحاربه وأخذه بالأمان وجاء به إلى الخليفة (2) .

بالإضافة إلى القائد بغا الصغير، المعروف بالشرابي الأمير؛ من كبار قواد المتوكل، وهو أحد من دخل عليه وفتك به وغلب على المستعين هو ووصيف (3) .

وفي ظل تدهور الأوضاع السياسية في تلك الفترة، واختلال الوضع الاقتصادي، انتهى الأمر بقتل الخليفة المقتدر، على يد مؤنس الخادم وجماعة من القواد . وكان السبب في ذلك وقوع الخليفة المقتدر بين رحى الصراع التي كانت تدور بين الوزير والقائد مؤنس الخادم. ومحاولة انحياز المقتدر إلى وزيره عندما وافق على عزله لا على مصادرتة. فكان مصيره مع وزيره القتل. وكان ذلك سنة 320هـ. (4) وكان ما فعله مؤنس سببا لجراءة أصحاب الأطراف على الخلفاء وطمعهم فيما لم يكن يخطر لهم على بال. وضعف أمر الخلافة ، وعظم أثر النساء والخدم. وضاعت الأموال ، وكثر تولية الوزراء وعزلهم ، حسب الأهواء والمصالح .

وعزم مؤنس على تولية أبي العباس بن المقتدر ليطيب قلب أم المقتدر . ولكنه عدل عن ذلك لعدم موافقة بقية الأمراء. و بإحضار محمد بن المعتضد فبايعوه بالخلافة ولقبوه بالقاهر. (5) ولما وجد مؤنس نفسه سيد الموقف وتحتم عليه حفظ النظام واختيار خليفة جديد. وأخيرا وقع الاختيار محمد بن المعتضد من المحبس وبايعوه ، ولقبوه بالقاهر بالله. وقلدوا ابن مقلة وزارته. ووقع النهب في دار الخلافة. وأشهد المقتدر على نفسه بالخلع. وجلس القاهر من الغد ، وصار نازوك حاجبه (6) .

ولكن مؤنسا لم يرتح لهذا الاختيار، فلم يلبث أن رد مؤنس الأمور إلى نصابها وعاقب الجناة وجدد البيعة للمقتدر، وبذلوا للجند أموالا عظيمة. (7) وبقي على مؤنس بعد اختيار الخليفة ، انتخاب وزير

(1) ابن كثير: البداية، ج14، ص306.

(2) والقضية أن منكجور الأشروسني قرابة بأرض أذربيجان ، وخلع الطاعة ، وذلك أن الأفشين كان قد استنابه على بلاد أذربيجان حين فرغ من أمر بابك ، فظفر منكجور بمال عظيم مخزون لبابك في بعض البلدان. فاحتجبه لنفسه وأخفاه عن الخليفة ، وظهر على ذلك رجل وكاتب الخليفة بكذب منكجور. ابن كثير: البداية ج14، ص264.

(3) الصفدي: الوافي، ج10، ص109.

(4) ابن الأثير: الكامل، ج7، ص68. 74-75. الذهبي: تاريخ الإسلام، ج23، ص390.

(5) ابن الأثير: الكامل، ج7، ص75. ابن كثير: البداية، ج15، ص62-63. الذهبي: تاريخ الإسلام، ج23، ص376.

(6) ابن الأثير: الكامل، ج8، ص76. الذهبي: العبر، ج1، ص473-474. الدوري: دراسات، ص168.

(7) الذهبي: العبر، ج1، ص473-474.

الباب الثاني : الأدوار الإيجابية والسلبية للبطانة في توجيه سياسة الخلفاء العباسيين.

الفصل الثاني: منجزات الخلفاء الإيجابية وأثر البطانة في ذلك 132 - 334هـ / 749 - 946م

وزير يرضاه. فمال إلى علي بن عيسى ثم صرفه عن ذلك. وكان سبب ذلك أن عليا لما رأى نقص الارتفاع واختلال الأعمال بوزارة الخاقاني والخصيبي ، وزيادة النفقات. وأن الجند لما عادوا من الأنبار زادهم المقتدر في أرزاقهم مائتي ألف وأربعين ألف دينار في السنة. ورأى أيضا أنه رأى نصرا الحاجب يقصده وينحرف عنه لميل مؤنس إليه ، فإن نصرا كان يخالف مؤنسا في جميع ما يشير به، فلما تبين له ذلك استعفى من الوزارة. واحتج بالشيخوخة وقلة النهضة .<sup>(1)</sup>

وما لبث القاهر أن تأمر عليه جماعة القواد الذين جاؤوا به لأنه عظمت هيبة القاهر في النفوس . غير أنه لم يلبث أن تأمر عليه مؤنس وجماعته وخلعوه ، وكانت خلافته سنة ونصف وذلك سنة 322هـ/934م ، وولوا مكانه المكتفي. ولم تكن تسلط القائد مؤنس على الخلفاء بل شمل حتى الوزراء . فقد حدث وأن قدم مؤنس الخادم وسلم إليه الوزير ابن الفرات، فأهانته غاية الإهانة بالضرب والتفريع<sup>(2)</sup>.

ونلاحظ تأثير القائد مؤنس في اختيار الوزراء وتعيينهم حسب هواه. ففي سنة 300هـ/913م ظهر للمقتدر عجز الخاقاني في الوزارة ، فهم بعزله وإعادة أبي الحسن بن الفرات . فمنعه مؤنس الخادم عن ابن الفرات لنفوره منه . وأشار عليه مؤنس أن المصلحة يستدعي علي بن عيسى من مكة ويجعله وزيرا. فهو الكافي الثقة الصحيح العمل المتين الدين ، فاضطر الخليفة المقتدر بالله لاستيثار علي بن عيسى سنة 301هـ/913م.<sup>(3)</sup> وهذا من حسنات القائد مؤنس. حتى تسود النظرة تجاهه بأنه جهول مثل سائر الترك. وهذه المشورة في محلها ، لا سيما وأنه مر بنا الحديث عن الوزير الكاتب الكفاء علي بن عيسى. كما يعتبر القائد محمد بن رائق من أشهر قواد الجند في خلافة المقتدر. حيث ولي شرطة بغداد للمقتدر سنة 317هـ/929م . ثم إمارة واسط والبصرة . وولاه الراضي إمرة الأمراء والخراج ببغداد (سنة 324هـ).<sup>(4)</sup> ونلاحظ هذه السمة البارزة في قادة الجند العباسي في العصر الثاني. وهي تولي القادة مهام سياسية أو إدارية أو اقتصادية. وهذا لم يكن في عصر الخلفاء الأوائل.

وفي الأخير وخلال فترة خلافة المستكفي بالله أقدم أمير الأمراء توزون على منع الخليفة من تعيين أي شخص بمنصب الوزارة وحرمة من حق اتخاذ وزير له ، وسمح له أن يستكتب من يدبر له أمر ضياعه فقط. مما يشير إلى إلغاء المنصب من بين المؤسسات الإدارية للدولة العباسية خلال هذه الفترة التي ختمت بالتسلط الأجنبي على الخلافة.

(1) \_ ابن الأثير: الكامل، ج7، ص39.

(2) \_ ابن كثير: البداية، ج15، ص13. 69. الذهبي: تاريخ الإسلام، ج24، ص17.

(3) \_ ابن الطقطقي: الفخري، ص 267. ابن الأثير: الكامل، ج6، ص473.

(4) \_ الزركلي: الأعلام، ج6، ص123.

**الباب الثاني : الأدوار الإيجابية والسلبية للبطانة في توجيه سياسة الخلفاء العباسيين.**  
**الفصل الثاني: منجزات الخلفاء الإيجابية وأثر البطانة في ذلك 132 - 334هـ / 749 - 946م**

ويمكننا القول إن العصر العباسي الثاني ، عصر الفوضى العسكرية فعلا ، كانت فيه الغلبة للعنصر التركي الذين كانوا أساسا مادة بناء الجيش العباسي. تدرجوا في المسؤوليات العسكرية ، وتحكموا وتسلطوا على الخلافة والخلفاء. وأصبح بيدهم الحل والعقد. بل تحكموا حتى في إقامة الخلفاء وعزلهم أو قتلهم. وأصبح الخليفة مجرد موظف عندهم ، إلا في بعض النماذج الاستثنائية مثل المعتضد فقد كان حرا من قيدهم.

والممتنع لأحوال نهاية القرن الثالث الهجري وبداية القرن الرابع ، يجد أن الخلافة شهدت انتكاسة كبيرة في الوظائف العامة وخاصة الحساسة في الدولة ومنها الوزارة والكتابة والحجابه. بسبب غلبة الجند الترك ، واستبدادهم بالأمور. رغم بعض الهدوء والاستقرار في فترة المعتضد والمكتفي والمقتدر. إلا أنها عادت لتضع مرة أخرى ، بشكل كلي في عهد إمرة الأمراء.(324—334هـ/936-945م)

المابج الثاني : الأءوار الإيجابية والسلبية للبطانة في ءوءبه سياسة الخفاء العباسيين.  
الفصل الثاني: منجزاء الخفاء الإيجابية وأءر البطانة في ذلك 132- 334هـ/ 749- 946م

ثالثا - آءار ومنجزاء الكتاب :

ا/ في العصر العباسي الأول (132-232هـ/749-847م)

أما عن ءور الكتاب السياسي والاءاري فقد كان ءورا مهما جدا. حيث كما لا حظنا فيما سبق من الحيا عن الوزراء أن معظمهم - أن لم أقل كلهم - قد كانوا من مهرة الكتاب ومشاهيرهم. وءرقوا إلى منزلة الوزارة لكفاءءهم المهنية الكتابية والاءارية. وهو الءي الأمر حتم عليهم ، أن يءءلطوا بالسياسة ، ويصيبون منها الجواب الإيجابية والسلبية. وفيما يلي نعرض لأهم هذه الأءوار.

ولا يخفى على أحد من المهءمين والءارسين لءاريخ الءولة العباسية أثر أسرة البرامكة السياسي والاءاري. لا سيما في الوزارة والكتابة. فهذا يءءر خالد البرمكي من أشهر كتاب البرامكة الءين ءءموا الخلفة العباسية. فكب للءليفة أبي العباس السفاح ، وءمءى على ذلك صءرا من خلفة المنصور وبقي خالد كءبا على ءيوان الخراج. ويقال إنه أول من وليه ، ثم ولي حرب فارس وءراجها. وءصرفء به الولاياء إلى أن ءوفي المنصور ، وءالء البرمكي على الموصل ونواحيها. فأقره المهءي عليها. وزاءه ثم ولاء فارس وأعمالها<sup>(1)</sup>.

وقء اسءعان الخلية المنصور بءءة كفاءء إءارية ، واسءعملهم على أعماله. ومن أشهر كتابه على الإءلاق أبو أيوب المورياني . الءي غلب على المنصور غلبة شءيءة . وصرف أهله جميعا في الأعمال<sup>(2)</sup>. وإلى جانب ءمءعه بمقءرة وملكاء إءارية كبيرة ، فقد كان له ءور سياسي كبير في عءة أءاءء. وءءكر عءة رواياء ءاريخية أبا أيوب إلى جانب الخلفة المنصور حين اءءء قراراء هامة<sup>(3)</sup>. على أن كل ذلك لا يعني أن مسؤولياءه السياسية كانت كبيرة أو خطيرة. خاصة وأن المنصور لم يكن يسمح بإءراك أحد في سلءءه السياسية. ولهذا فإن المورياني قد اقءنع بءسءيل مراسلاء الخلفة المنصور. والإءابة عليها حسب ءعليماء الخلفة. وكذلك ءءءيم الاءءماساء والعراض للمنصور. وأءيرا الإءارة المالية بما فيها ريع الأملاك العاءءة للءولة<sup>(4)</sup>.

ويؤكد الجهشيارى أن مسؤولية المورياني كانت أكبر من كءب وأعلى من ذلك. فلم يزل أمر أبي

(1) ابن الأبار : إءءاب الكتاب ، ص 67.

(2) الجهشيارى: الوزراء، ص 97. باءءاره من أوائل الوزراء المعءمءين خلفاء بني العباس الأوائل. لءا ينظر إلى موقعه ضمن الوزراء في هذا البءء ءءء رقم (02)

(3) ءاروق عمر: ءراساء، ص 265. وانظر ءرءءه في ابن الطءقءي: الفءري 151-152. الءهبي: ءاريخ الاسلام ج 8، ص 401. ابن ءلكان : وفيات الأعيان، ج 2، ص 195.

(4) ءاروق عمر: ءراساء ، ص 265.

الباب الثاني : الأدوار الإيجابية والسلبية للبطانة في توجيه سياسة الخلفاء العباسيين.  
الفصل الثاني: منجزات الخلفاء الإيجابية وأثر البطانة في ذلك 132 - 334هـ / 749 - 946م

أيوب يعلو عند المنصور حتى قلده الوزارة وفوض إليه أمره كله (1).

وتؤكد الروايات أن المورباني تقلد عدة مسؤوليات وصلاحيات. بل تتهمة بعض الروايات أنه استغل موقعه باعتباره مسؤولاً عن الواردات والجباية، ومدخولات الأملاك العائدة للدولة. فأثرى ثراء فاحشاً عن طريق إخوته وأقربائه وأعوانه. الذين شغلوا مراكز حساسة في الإدارة. ومنها الرواية التي تشير إلى استغلال المورباني لخص الأسعار واحتكاره بعض المواد الغذائية طمعا في الربح. يقول الجهشيارى: « ورخصت الأسعار في أيام أبي جعفر المنصور فسولت لأبي أيوب نفسه أن يشتري طعام سواد الكوفة وسواد البصرة وطمع الربح. » (2)

وكان المورباني يبرر جشعه وحبه لجمع الأموال ، وابتزازه لبعض الواردات، المتأتية من الخراج إلى أن الخليفة ، يطالبه بالمال ويرهقه بالمطالبة به. ولذلك فعليه أن يكون مستعداً على الدوام لتلبية طلبات الخليفة. (3)

ويؤكد الجهشيارى بأن الخليفة المنصور حرص على ألا يكرر تجربته مع المورباني. ولذلك لم يعط أحداً سلطات واسعة أو صلاحيات كبيرة في أمور الدولة. بل إنه اهتم بتوزيع المهمات التي اضطلع بها المورباني على أكثر من شخصية. (4)

ونظراً لكفاءة أبي عبيد الله معاوية بن يسار الكتابية والإدارية، فقد استكتبه الخليفة أبو جعفر المنصور ، وأسند إليه عدة مهام كتابية. وادخره لابنه المهدي. من أجل أن يكون ولي العهد قادراً على تحمل مسؤولياته ، حين يأتي اليوم الذي يكون خليفة ، قرر الخليفة المنصور أن يلحق بولي العهد مريباً وكتاباً . يدربه ويعده ثم يصبح ساعده الأيمن . حين يتولى الخلافة. وهذا نظام جديد ابتدعه المنصور ولم يكن موجوداً. و هذا التقليد الذي ابتدعه المنصور والمساعد الأول أو فيما يخص اختيار مرب وكتاب لولي عهده سيستمر لسنوات طويلة. (5)

وكان أبو جعفر لما شخص المهدي إلى الري أذن لأبي عبيد الله كاتبه في الإنفاق والتصرف في بيت المال ، فأقام بالري مع المهدي مدة طويلة ، وأنفق أموالاً عظيمة. (6) وقد اختار المنصور أبا عبيد الله

(1) \_ الجهشيارى: الوزراء، ص97. فاروق عمر : دراسات ، ص265-266.

(2) \_ المصدر نفسه ، ص117.

(3) \_ فاروق عمر: دراسات، ص 267 .

(4) \_ الجهشيارى: الوزراء، 96. فاروق عمر : دراسات ، ص269. سبق الحديث عنه ضمن وزراء الخليفة المنصور تحت رقم (02)

(5) \_ فاروق عمر : دراسات ، ص272. سبق الحديث عنه ضمن وزراء الخليفة المهدي تحت رقم (04)

(6) \_ الجهشيارى: الوزراء ، ص127.

**الباب الثاني : الأدوار الإيجابية والسلبية للبطانة في توجيه سياسة الخلفاء العباسيين.**  
**الفصل الثاني: منجزات الخلفاء الإيجابية وأثر البطانة في ذلك 132 - 334هـ / 749 - 946م**

الله معاوية بن عبيد الله بن يسار لتربية ابنه المهدي الكتابة له. ولم يمض وقت طويل حتى غدا أبو عبيد الله معاوية يدير بحرية وكفاءة شؤون مولاة محمد المهدي. وأصبح أكثر من مجرد كاتب للمهدي. بل يظهر في حملة المهدي على خراسان سنة 150هـ/767م يتمتع بسلطات واسعة مصدرا أوامر إلى قطعات الجيش حيث تضاربت تلك الأوامر مع أوامر القائد خازم بن خزيمة.<sup>(1)</sup>

ومن أشهر كتاب البرامكة أبو الفضل جعفر البرمكي (150 - 187 هـ = 767 - 803 م). كان على ديوان الخراج. وقربه الخليفة هارون الرشيد لبلاغته وعلمه وفطنته. يضرب بجوده المثل . تمكن من الرشيد وبلغ من الجاه والرفعة ما لا مزيد عليه. وولي هو وأبوه وإخوته الأعمال الجليلة ، وكثرت أموالهم. وكان الرشيد يأنس به لسهولة أخلاقه.<sup>(2)</sup>

وقد استفاد الخليفة المعتصم من خدمات الكاتب محمد بن عبد الملك الزيات ، التي مكنته من تبوأ منصب الوزارة للوائح والمتوكل .

والملاحظ أن معظم الكتاب الذين تولوا مهما الكتابة والإدارة، قد ترقوا إلى منصب الوزارة. إلا القليل منهم. ولهذا وجدنا كثيرا من الأعمال الإدارية تنسب إلى الكتاب الوزراء، أي على أنهم وزراء. نظرا لازدهار مركز الوزارة في العصر العباسي الأول. ولذلك اكتفينا بذكر تلك الأعمال في العنصر المخصص بدور الوزراء .

(1) \_ فاروق عمر : دراسات ، ص272.

(2) \_ ابن الطقطقي : الفخري ، ص 205. الذهبي: تاريخ الإسلام، ج12، ص99. راجع ترجمته في تاريخ بغداد ج8، ص30. الصفدي: الوافي، ج11، ص120. ابن خلكان: وفيات، ج1، ص328. سبق الحديث عنه ضمن وزراء الخليفة الرشيد تحت رقم (10)

الباب الثاني : الأدوار الإيجابية والسلبية للبطانة في توجيه سياسة الخلفاء العباسيين.  
الفصل الثاني: منجزات الخلفاء الإيجابية وأثر البطانة في ذلك 132 - 334هـ / 749 - 946م

ب/ في العصر العباسي الثاني (232-334هـ/847-946م):

أما في العصر العباسي الثاني (232-334هـ/847-946م)، وقع ضعف شديد في جميع المستويات، في شخصيات الخلفاء وبطانتهم باختلاف أنواعها. واستقوى الجند الترك، وخاصة القادة منهم. فأصبح بيدهم مقاليد الأمور السياسية والاقتصادية. وتحكموا في الأوضاع بهوامهم ، طالما أنهم عرفوا بالجهل والميل إلى استخدام العنف ضد من يقف ويحاول أن يمنع مصالحهم . وتم لهم الأمر ، بتمكثهم في التدخل في السياسة. وتدهورت حتى الكتابة تبعاً لتدهور الخلافة والوزارة. وأصبح للقائد كاتب أهم من كاتب الخليفة، بل حتى الخليفة نفسه أصبح خليفة اسمياً وشكلياً فقط لا معنى له. بحيث إذا حاول الاعراض أو رفض أمر قادة الجند، عزلوه وعذبوه وربما قتلوه.

فكثرت تولية الوزراء من الكتاب وعزلهم. وكان منهم من يعين ويعزل. للمرة والمرتين والثلاث . وكان أحياناً يعاد تعيينه بعد عزله. وأحياناً يستغنى عنه تماماً. فينصرف إلى أحواله.

ورغم ضعف شأن الكتابة في العصر العباسي الثاني، إلا أننا وجدنا كتاباً مهرة ، لا يقلون شأناً عن كتاب العصر العباسي الأول. ففي خلافة المعتز (252-255هـ/866-869م) عين الكاتب أحمد بن إسرائيل الأنباري وزيراً للمعتز. وكان كاتباً ذكياً حذقاً ، نال رضا المعتز. غير أن الخليفة المهدي (255-256هـ/869-870م) قام بعزله واستعاض عنه ببديل ، وهو سليمان ابن وهب. وكان من ذوي الرأي والكتابة والفضل والأدب.

وفي خلافة المعتمد (256-279هـ/870-892م) اضطلع الكاتب عبيد الله بن يحيى بن خاقان بأمور الوزارة. فكان خبيراً بأحوال الرعية، وضابطاً للأموال.

ونظراً لكفاءة عبيد الله بن سليمان ، فقد كتب للمعتضد ، وعمل ديواناً سماه ديوان الدار، وجمع إليه سائر الأعمال ودبره بنفسه وكتابه، واستناب أخاه أبا الحسن علي بن عيسى، على رسم أصحاب الدواوين إذ ذاك. وجرى الأمر على هذا الترتيب سنوات. وكان عبيد الله بن سليمان والقاسم ابنه بعده ينكران على عمالهما الاستتار عنهما ويقولان: إنما يقع الاستتار مع الإشفاق من الظلم، فأما مع الإنصاف في المعاملة واعتماد الحق في المحاسبة فهو طمع في السلطان وإرادة لكسر ماله<sup>(1)</sup>.

وكتب للمعتضد (279-289هـ/892-902م) أيضاً له عدة كتاب مشهورين ، منهم الحسين بن القاسم ، وكان يشرف على ديوان الأصول. والكاتب أبو العباس الخصيبى ، وكان يشرف على ديوان

(1) \_ الصابي: تحفة الوزراء، ص355-356.

الباب الثاني : الأدوار الإيجابية والسلبية للبطانة في توجيه سياسة الخلفاء العباسيين.  
الفصل الثاني: منجزات الخلفاء الإيجابية وأثر البطانة في ذلك 132 - 334هـ / 749 - 946م

الأزمة.

وفي عصر الخليفة المكتفي (289\_295هـ/902-908م) تكتل الكتاب في كتلتين ، كتلة علي بن عيسى تؤيد المعتز. وكتلة ابن الفرات تؤيد المقتدر. وفي الأخير اتفقوا على أن يكون المقتدر هو الخليفة.

وفي عصر الخليفة المقتدر (295\_320هـ/908-933م) ، وبسبب الإسراف والتبذير ، وتضييع الأموال بكثرة النفقات فيما لا يعني ، فإننا نرى الكاتب الفذ علي بن عيسى ينبري لإنهاء التلاعبات الموجودة. نظرا لما كان عليه من كفاءة عالية ، حيث نهض بأحوال الخلافة ، وضبط الدواوين والأعمال. وكان نموذجا فريدا عن نجاح الكاتب والوزير خلال العصر العباسي الثاني. و عين كاتباً كفواً على بيت المال. وهذا الكاتب كان قدامة بن جعفر ، الذي عرض عليه كتابه الموسوم بـ «الخراج وصناعة الكتابة»<sup>(1)</sup>.

وأصبح لا معنى لوزير الخليفة أو كاتبه إلا بمقدار ما يرضى به قائد الجند الترك. بل أصبح لقائد الجند هذا كاتب أهم من وزير الخليفة و كاتبه. وعلى سبيل المثال لا الحصر ، أبو علي الكوفي كاتب الأمير بجكم التركي. وكان حينها سليمان بن الحسن وزيرا. فما كان له منها إلا الاسم وكل معانيها للكاتب الكوفي<sup>(2)</sup>.

وفي الختام يمكن القول أن صنعة الكتابة ، ومنصب الكاتب ، لم يمكن التلاعب بهما. كما حصل في المناصب الأخرى في الدولة العباسية مثل الوزارة والحجابه. فكانت الكفاءة الكتابية والإدارية هي المعيار الوحيد لتقلد هذا المنصب.

والملاحظ أن كتاب العصر العباسي الأول كانوا في غاية الانضباط والإلتزام بمهامهم الكتابية والإدارية ما جعلهم يكونون منظومة إدارية قوية، محددة المعالم تسيير عليها الدولة. ولكن في العصر العباسي الثاني ، وباختلاط الحابل بالنابل، فقد ضعفت مؤسسات الدولة العباسية، ومنها مؤسسة الكتابة. فأصبح هم بعض الكتاب خدمة المصالح الخاصة بهم وبأسيادهم من الوزراء وقادة الجند. وفي حالة رفضهم تأدية هذه الخدمات ، فإنهم يقابلون بالعزل المصادرة. وبالتالي أصبح الكاتب يحافظ - قدر الإمكان - على منصبه ، بخدمة هؤلاء القادة. وهذا ما يفسر كثرة عزل الكتاب في العصر العباسي الثاني، وقلة إقبال الكتاب على العمل في الكتابة خوفا مما سبق ذكره.

(1) - قدامة بن جعفر: الخراج وصناعة الكتابة ، ص12.

(2) - ينظر في ترجمته وزيرا ضمن وزراء العصر العباسي الثاني تحت رقم (55) من هذا البحث.

المابج الثاني : الأءوار الإيجابية والسلبية للبطانة في ءوءبه سياسة الخفاء العباسيين.  
الفصل الثاني: منجزاء الخفاء الإيجابية وأئر البطانة في ذلك 132 - 334هـ / 749 - 946م

رابعاً- آأار ومنجزاء الحجاب ( مراسيم الاآصال بالخلفاء)

كان عهد أبي العباس السفاح قصيرا (132.136هـ/749-754م) بالنسبة لعمر ءولة قوية وشاسعة مثل الءولة العباسية. فقد عرفت خلافة السفاح مرحلة ءرتيبية ءأسيسية. لءلك فقد كانت المؤسسات الإءارية قليلة الضبط والآسير. لانشغال الخليفة والقاءة ، بالآرتيبات المهمة سياسيا وعسكريا. لءا لا نكاء نجد آأرا لمؤسسة الحجابة مثلا.

أما في عهد الخليفة المنصور (136-158هـ/754-775م) فكان الحاجب الربيع بن يونس الحاجب الكبير جليلا نبيلًا منفا للأمور مهيبا فصيحًا كافيا حازما عاقلا فطنا. خبيرا بالحساب والأعمال. حاذقا بأمور الملك ، حجب للمنصور ثم وزر له ولم يزل وزيرا إلى أن مات المنصور ، وقام الربيع بأخذ البيعة للمهءي.<sup>(1)</sup> وكان ابنه الفضل يشيد برأي الخليفة المنصور لكونه حاجبه ويذكر ما قاله بحق الخلفاء وهو نفسه يقول : « سمعت المنصور يقول الخلفاء أربعة: أبو بكر وعمر وعثمان وعلي والملوك أربعة: معاوية وعء الملك بن مروان وهشام بن عبد الملك وأنا»<sup>(2)</sup> .

وءوسعت مهام الحجاب بحسب شخصية الخليفة وثقافته وءدينه . فكان منهم من يحجب لخليفآين أو أكثر . فآصبح عنءه معرفة وءراية كبيرة بكيفية إءارة شؤون باب الخليفة من جهة ، أو حتى ءءءل والمشورة على الخليفة نفسه. وآكاء أجزم أنه في بعض فآرات الآريخ العباسي ، كان الحاجب أهم من الوزير . وربما عمل أعمال الوزارة ءون أن يسمى بها.

وكان الربيع قد ءءم في البءاية مع حاجب المنصور أبي الخصب ثم خلفه في الحجابة . وبءلك أصبح أءء أعمءة البلاط العباسي ومن خاصة الخليفة المنصور. وظهر الربيع في العءيء من المناسبات مع الخليفة وجانبه يشير إليه ويجيبه حين يسأله الخليفة المشورة.<sup>(3)</sup> وقد أثبت الربيع بن يونس<sup>(4)</sup> كفاءته في آآاء قرارات سريعة في مواقف حازمة وإءلاصه في ءنفيز رغبات المنصور<sup>(5)</sup> .

وأسنءء للربيع بن يونس الحاجب سلطات جديدة ، ومسؤوليات جديدة إضافية بعء سقوط المورياني. وقد آشرنا فيما سبق إلى أن الربيع بن يونس لعب ءورا مباشرا في سقوط المورياني . حين كشف

(1)ـ ابن الطقطقي : الفآري ، ص 278.

(2)ـ الءهبي: آاريخ الإسلام، ج9، ص468.

(3)ـ فاروق عمر : ءراسات، ص270-269.

(4)ـ اشآهر الربيع بالحجابة ثم بالوزارة. وكان له ءور بارز في كلا الوظيفآين. ينظر ءفصيل عمله الوزاري ضمن وزراء العصر العباسي الأول.

آءر رقم (03)

(5)ـ المرجع نفسه، ص271.

المابج الثاني : الأءوار الإيجابية والسلبية للبطانة في ءوءبه سياسة الخلفاء العباسيين.

الفصل الثاني: منجزات الخلفاء الإيجابية وأثر البطانة في ذلك 132 - 334هـ / 749 - 946م

للمنصور العءاء من نقائصه وابتزازته. إلا أن المؤرخين يختلفون في طبيعة المسؤوليات التي أنيطت بالربيع ابن يونس. بينما يؤكد الجهشياري أنه رقي إلى مرتبة وزير، وفي نفس الوقت كان مسؤولاً عن النفقات والعرض. أما العرض فهو تقديم الرسائل ومذكرات الالتماس وطلبات الحوائج<sup>(1)</sup>.

ولم يقتصر عمل الحاجب الربيع بن يونس على الحجابة فقط ، بل تعدى ذلك إلى حضوره مجلس الخليفة عند مناقشة أي مسألة . فقد حضر مناقشة الخليفة لأبي حنيفة النعمان (ت150هـ/767م) عندما طلب الخليفة منه أن يتولى مهام القضاء فأبى فذكر الذهبي طلب المنصور أبا حنيفة فأراه على القضاء وحلف ليلتين فأبى وحلف إنني لا أفعل فقال الربيع الحاجب : ترى أمير المؤمنين يحلف وأنت تحلف قال أمير المؤمنين على كفارة يمينه أقدر مني ... وقال أبو حنيفة ما أنا بمأمون الرضى فكيف أكون مأمون الغضب فلا أصلح لذلك . قال المنصور : كذبت بل تصلح. قال : كيف يحل أن يولي من يكذب؟؟؟ ولم يقبل العهد بالقضاء فضرب وحبس ومات في السجن<sup>(2)</sup> .

وكان للربيع بن يونس دور في إعطاء الأوامر في بناء جسر عند باب الشعير من بغداد على يد حميد القاسم الصيرفي . وكان يتابع تشييد الجسر بنفسه والإشراف على إنجازه<sup>(3)</sup> .

ولم تكن مهمة الحاجب إءخال الناس إلى الخليفة بل تعدت ذلك من المشاركة في فتح الخزائن بعد إءن الخليفة وفي القضاء وسؤال الفقهاء فنراه هنا يستطلع سبب الأصوات المرتفعة خارج مقر الخليفة<sup>(4)</sup> .

في حين نرى الحاجب الربيع بن يونس يكرم موت الخليفة المنصور ويأخذ البيعة للمهءاء (158-169هـ/775-786م) من رؤوس بني هاشم والقواد الذين هم مع الخليفة المنصور في الحج قبل دفنه وبعث الربيع الحاجب بالبيعة مع البريد إلى المهءاء وهو ببغءاء فءخل عليه البريد بذلك يوم الثلاثاء النصف من ذي الحجة فسلم عليه فسلم عليه بالخلافة وأعطاه الكتب بالبيعة وبايعه فيما بعد أهل ببغءاء ونفذت بيعته إلى سائر الآفاق<sup>(5)</sup> .

فضلا عن ذلك فقد عزل الخليفة المهءاء أبا عبيء الله عن ديوان الرسائل وولاه الربيع الحاجب. وهذا إن ءل على شيء فإنما يدل على الثقة المطلقة التي منحها إياه ، بإشرافه على أهم ديوان في الءولة،

(1) \_ الجهشياري: الوزراء، ص125. فاروق عمر : دراسات ، ص270.

(2) \_ الذهبي: تاريخ الإسلام ، ج9، ص311. الذهبي: سير ، ج6، ص401. ابن تغري: النجوم ، ج2، ص13-14.

(3) \_ تاريخ الطبري، ج8، ص52.

(4) \_ ضياء يوسف و سهيلة مزيان : الحجابة في الءولة العباسية ، ص159.

(5) \_ ابن الأثير : الكامل ج5، ص226-227. ابن كثير : البداية، ج13، ص458. الذهبي: سير ، ج7، ص401.

الباب الثاني : الأدوار الإيجابية والسلبية للبطانة في توجيه سياسة الخلفاء العباسيين.

الفصل الثاني: منجزات الخلفاء الإيجابية وأثر البطانة في ذلك 132 - 334هـ / 749 - 946م

ويطلع على أسراره ، ثم استوزره<sup>(1)</sup>.

ونظرا لثقة الخليفة المهدي بالفضل بن الربيع ، فقد ضمه مع الحسن بن قحطبة إلى جيش هارون الرشيد عند غزوه لبلاد الروم، وذلك سنة 165هـ/782م حيث غزا المسلمون غزوة مشهورة وعليهم هارون الرشيد وهو شاب، وفي خدمته الربيع الحاجب. والتقوا الروم وهزموهم ثم ساروا حتى وصلوا خليج قسطنطينية وقتلوا وسبوا وصالحتم ملكة الروم على مال جليل<sup>(2)</sup>.

ومع ذلك فقد بقي الفضل بن الربيع حاجبا<sup>(3)</sup>. للهادي ويصوره بعض المؤرخين وفي خلافة الهادي ، فقد استخلف على حجابته بعد الربيع ابنه الفضل . فقال له : « لا تحجب عني الناس ، فإن ذلك يزيل عني البركة. ولا تلق إلي أمرا إذا كشفته أصبته باطلا. فإن ذلك يوقع الملك ، ويضر بالرعية»<sup>(4)</sup>.

وتعددت مهام الحاجب الفضل بن الربيع ، فكان يكتب حوائج الناس ومن ثم يعرضها على الخليفة الرشيد. في حين نرى الحاجب يأمر بدخول المتناظرين إلى مجلس الخليفة الرشيد أيام يحيى بن خالد بن برمك ويستمع للمتناظرين فضلا عن إحاطته بما يدور في مجلس الخليفة من مناظرات.<sup>(5)</sup> حيث بعد نكبة نكبة البرامكة استوزر الرشيد الفضل بن الربيع ، وكان حاجبه.<sup>(6)</sup> وهو الذي كان زوال دولة البرامكة على يديه. وقدر وزر للرشيد ، وقد كان متمكنا من الرشيد. وكان شديد التشبه بالبرامكة. وكانوا يستهينون به ، فلم يزل يعمل جهده فيهم حتى هلكوا. وكان الرشيد يعتمد اعتمادا كبيرا على حاجبه. فيعطي بعضهم حقوقا معينة فوق مهامهم ، التولية والعزل والكتابة والنسخ ضمن دائرة معينة ، ويغدق عليهم المال ليستميلهم إلى شخصه .

و عهد الخليفة الأمين للقائد العباس بن الفضل بن الربيع بن يونس، مولى المنصور، كان من كبار الأمراء ، ولي حجة الأمين ، وكان شاعرا فصيحاً، توفي في حياة أبيه سنة 193هـ/809م<sup>(7)</sup>.

وباستخلاف المأمون ، كان الفضل بن الربيع الحاجب قد استمر في الحجابة للخليفة الهادي

(1) تاريخ الطبري، ج8، ص165. الذهبي: تاريخ الاسلام، ج10، ص27.

(2) المصدر نفسه ، ج8، ص145. ابن العماد : شذرات، ج2، ص292.

(3) كانت شخصية الفضل قوية. حيث تدرج في منازل العمل والتقرب من الخلفاء العباسيين الأوائل ، واشتهر بالحجابة ثم الوزارة. وكان له دور بارز في كلا الوظائف. ينظر تفصيل عمله الوزاري ضمن وزراء العصر العباسي الأول. تحت رقم (11)

(4) تاريخ الطبري، ج8، ص217.

(5) ضياء يوسف و سهيلة مزبان: الحجابة في الدولة العباسية ، ص163 . 164.

(6) ابن الطقطقي: الفخري ، ص210. ابن كثير: البداية، ج14، ص172.

(7) الصفدي: الوافي، ج16، ص372.

الباب الثاني : الأدوار الإيجابية والسلبية للبطانة في توجيه سياسة الخلفاء العباسيين.

الفصل الثاني: منجزات الخلفاء الإيجابية وأثر البطانة في ذلك 132 - 334هـ / 749 - 946م

والرشيد ثم المأمون. وكان غالبا ما يحضر مع المتظلمين في مجلس الخليفة المأمون الذي كان يتحرى العدل ويتولى بنفسه الحكم بين الناس. فذات مرة جاءت امرأة ضعيفة قد تظلمت على ابن الخليفة العباس وهو قائم على رأسه، فأمر الحاجب فأخذه بيده فأجلسه معها بين يديه. فادعت بأنه أخذ ضيعة لها واستحوذ عليها فتناظرا ساعة فجعل صوتها يعلو صوته فزجرها بعض الحاضرين فقال له المأمون: «اسكت فإن الحق أنطقها والباطل أسكته. ثم حكم لها بحقها وأغرم ابنه لها عشرة آلاف درهم»<sup>(1)</sup>.

وكان من الأعمال الإدارية اليومية التي درج عليها الحجاب، أنه حاجب المأمون علي بن صالح، وكان يسمح للمتناظرين للجلوس بين يدي الخليفة<sup>(2)</sup>. و باستخلاف المعتصم، وتغلغل نفوذ الأتراك في الجيش خاصة، وفي دوايب الإدارة عامة. فلم تكن مهنة الحاجب مقتصرة على العرب فقط زمن الخلافة العباسية بل دخل فيها الأتراك فنرى في زمن الخليفة المعتصم رفع ايتاخ. وكان ايتاخ هذا غلاما حرز لسلام الأبرش، فاشتراه منه المعتصم. وكان لايتاخ بأس ورجله<sup>(3)</sup>.

وكانت الحجابة في عهد الخليفة المعتصم من المناصب الإدارية المهمة التي تقلدها قادة الجند الترك، ومنهم ايتاخ وجماعته. فكان بيدهم إدارة والحجابة ومراقبة الوافدين. حتى أعطوها الصبغة العسكرية.<sup>(4)</sup> مثلما كلف الخليفة المعتصم حاجبه محمد بن حماد بن دنقش، باستحضار القائد الأفشين الأفشين لمعاقبته<sup>(5)</sup>.

واستمر تقلد الأتراك للحجابة في عهد الخليفة الواثق، فتولى الحجابة للواثق ايتاخ، وتقلد الأعمال العظيمة. منها أنه تقلد أميرا للشرطة، فكان من أراد المعتصم والواثق قتله، حبس عند ايتاخ<sup>(6)</sup>.

فلما ولي المتوكل كان إلى ايتاخ الحبس، والمغاربة، والأتراك والبريد والحجابة ودار الخلافة. كان ايتاخ مقدم الجيوش وكبير الدولة، سيف النعمة للخلفاء. وكان الخليفة المتوكل (232-247هـ/847-861م) هو من جعل من ايتاخ التركي حاجبا له. فضلا عن توليه مهام كثيرة، منها أن الخليفة المتوكل فوض الخليفة المتوكل لإيتاخ إمرة مصر والكوفة ومكة والمدينة، ودعي له على المنابر<sup>(7)</sup>.

(1) - ابن عساکر: تاريخ دمشق، ج 33، ص 308. ابن كثير: البداية، ج 14، ص 223-224.

(2) - المسعودي: مروج الذهب، ج 4، ص 18.

(3) - تاريخ الطبري، ج 8، ص 166. مسكويه: تجارب الأمم، ج 4، ص 115.

(4) - *Matthew S. Gordon : The Turkish officers of Samarra and the exercise of Authority, p468.*

(5) - تاريخ الطبري، ج 8، ص 106.

(6) - المصدر نفسه، ص 167.

المناصب الثاني : الأدوار الإيجابية والسلبية للبطانة في توجيه سياسة الخلفاء العباسيين.  
الفصل الثاني: منجزات الخلفاء الإيجابية وأثر البطانة في ذلك 132 - 334هـ / 749 - 946م

المناصب (1).

وكان المتوكل قد خافه. وخشي أن يلعب به كما لعب بالخلفاء. وعمل عليه بكل حيلة ، فهم به، ودس إليه المتوكل من يشير عليه بالحج فأذن له. فلما بلغ الكوفة قلده مكانه هذا المنصب -الحجابه- وصيف الخادم ، وأيضا كان تركي الأصل. بعد أن تأكد الخليفة من عدم ولاء ابتاخ التركي في سنة 233هـ/848م واستصفى المتوكل أمواله فبلغت ألف ألف دينار (2).

واشتهر من حجاب الخليفة المتوكل. الذين كانت توكل إليهم مهمات مختلفة، سعيد بن صالح. فقد أوكل الخليفة المتوكل إلى حاجبه سعيد بن صالح بضرب عبدان بن الموفق خمسمائة سوطا. لأنه كان يحرض الناس ويؤلبهم على التمرد ضد الخليفة ، فذكر الطبري: « فلما كان يوم الجمعة اجتمع في المشغبة خلق كثير بباب حرب بالأسلح والأعلام والطبول رئيسهم رجل يقال له عبدان بن الموفق ويكنى أبا القاسم . وكان من أثبات عبيد الله بن خاقان. فقدم بغداد فباع دارا له بمائة ألف دينار فشخص إلى سامراء. فلما وثب الشاكرية بباب العامة فضربه سعيد الحاجب خمسمائة سوط وحبسه حبسا طويلا» (3).

ونرى الحاجب سعيد بن صالح يشارك في قتل الخليفة المستعين بضربه حتى الموت. سنة 252هـ/866م (4). وفي سنة 256هـ/869م ، تقدم سعيد بن صالح الحاجب لحرب صاحب الزنج . فهزمهم وأخذ ما معهم وأتخن فيهم. حيث هزم صاحب الزنج في أراضي البصرة واسترجع منه أموالا جزيلة (5).

وكان نجاح بن سلمة من أشهر حجاب الخليفة المتوكل ، حيث كان إليه ديوان التوقيع والتتبع على العمال يتقونه ويقضون حوائجه (6). وقد كان حظيا عند المتوكل، واختص به وعظم قدره إلى أن حسده جماعة وعملوا عليه إلى أن سخط عليه. ثم جرت له حكاية أفضت به إلى أن أخذ المتوكل أمواله وأملاكه وحواصله ، ومات تحت الضرب سنة 245هـ/859م (7).

(1) ابن تغري: النجوم الزاهرة، ج 2، ص 275.

(2) تاريخ الطبري، ج 8، ص 166 ابن كثير: البداية، ج 14، ص 338. ابن العماد: شذرات الذهب، ج 3، ص 157.

(3) تاريخ الطبري، ج 9، ص 357.

(4) ابن الأثير: الكامل، ج 6، ص 185. ابن كثير: البداية، ج 14، ص 491. ابن خلدون: العبر، ج 3، ص 364. ابن العماد: شذرات، ج 3، ص 237.

(5) تاريخ الطبري، ج 9، ص 473. ابن الأثير: الكامل، ج 6، ص 227. ابن خلدون: العبر، ج 3، ص 379.

(6) تاريخ الطبري، ج 9، ص 214. مسكويه: تجارب الأمم، ج 4، ص 132. ابن الأثير: الكامل، ج 6، ص 131. ابن خلدون: العبر، ج 3، ص 349.

(7) ابن كثير: البداية، ج 14، ص 441. الذهبي: تاريخ الاسلام، ج 18، ص 505.

المابج الثاني : الأدوار الإيجابية والسلبية للبطانة في توجيه سياسة الخلفاء العباسيين.

الفصل الثاني: منجزات الخلفاء الإيجابية وأثر البطانة في ذلك 132- 334هـ / 749- 946هـ

ومن المواقف التي أظهر فيها نجاح الحاجب تأثيراً على سياسة المتوكل أنه أشار عليه يوم أراد بناء قصره المسمى بالجعفري. أن سمي له قوما ليستخرج منهم أموالاً. فوقع ذلك في نفس المتوكل وأعجبه ، ومال إليه. لولا تدخل الوزير الحكيم عبيد الله بن يحيى ، الذي نصح المتوكل ، بأن نجاح الحاجب لا يريد أن يدع قائداً ولا عاملاً إلا أوقع بهم. ومن يقوم بالأعمال إذن؟

غير أن الذهبي يطلق عليه لقب الوزير، ولا يوجد في غيره من المصادر ما يوحي إلى تقلده نجاح منصب الوزارة. ربما الغالب عليه فيها هو اعتماد الخليفة بشكل أساس على حاجبه. فكان بذلك في حكم الوزير .

ويعتبر بعا الصغير أبرز قواد الجند الترك. الذين تولوا مهام إضافية إلى مهمتهم الرئيسية العسكرية. ففي زمن الخليفة المتوكل نرى القائد بعا الصغير حاجباً يشارك في اغتيال الخليفة نفسه بعد اتفاق ابن الخليفة - محمد المنتصر - والحاجب بعا الصغير ومجموعة من الأتراك<sup>(1)</sup>.

ويشارك بعا الصغير مع جماعة من قواد وأمراك الأتراك في تولية المستعين. حيث تشاوروا بينهم وكرهوا أن يتولى الخلافة أحد من ولد المتوكل. لقتلهم المتوكل وخوفهم أن يغتالهم من يتولى الخلافة منهم. فأجمعوا أمرهم على تولية أحمد بن محمد بن المعتصم. وقالوا: « لا تخرج الخلافة من ولد مولانا المعتصم. فبايعوه وله ثماني عشرة سنة»<sup>(2)</sup>.

ونرى الحاجب بعا الصغير يسارع إلى إخماد فتنة الغوغاء زمن الخليفة المستعين الذي خرج عن دار العامة وأتى إلى القصر الهاروني، فبات به. ودخل الغوغاء دار العامة. فنهبوا خزائن السلاح ، ونهبوا دوراً عديدة. وكثرت الأسلحة واللامعة عليهم ، فأجلاهم بعا الصغير عن دار العامة ، وكثرت القتلى بينهم. فوضع المستعين العطاء<sup>(3)</sup>.

و يظهر لي أثناء الدراسة أن عدد الحجاب قليل الذكر في المصادر ، مقارنة بالوزراء والكتاب، وأرى أن السبب في ذلك راجع إلى النقاط الآتية:

- تقلد بعض الحجاب مهام أخرى عسكرية أو سياسية أو مدنية تصرفهم عن وظيفتهم الأساسية في الحجابة.

- ترقى بعض الحجاب إلى مرتبة كاتب أو وزير وهذا يجعل ذكرهم ضمن هذه المراتب المرتفعة عن الحجابة.

(1) - ابن خلدون : العبر ، ج 3، ص 354.

(2) - مسكويه: تجارب الأمم، ج 4، ص 147. ابن الأثير : الكامل، ج 6، ص 148.

(3) - الذهبي: تاريخ الاسلام، ج 18، ص 22.

الباب الثاني : الأدوار الإيجابية والسلبية للبطانة في توجيه سياسة الخلفاء العباسيين.

الفصل الثاني: منجزات الخلفاء الإيجابية وأثر البطانة في ذلك 132- 334هـ/ 749- 946هـ

- من خلال الدراسة ، لاحظت أنه لم يمنع بعض الحجاب أن يحافظوا على وظيفتهم إلى جانب تقلد وظائف أخرى عليا مثل الوزارة دون التسمي بها. فهو ليس شرطا ، بل يلتزمون بالواجب منها ، أي عمليا، دون التسمي بها. وهناك من تسمى بها دائما مثل الربيع بن يونس . وهناك من لم يتسم بها إلا في أحيان قليلة جدا مثل الحاجب نجاح.

تعتبر سيطرة العنصر التركي خلال العصر العباسي الثاني. على كل مفاصل وأجهزة الخلافة العباسية. من الوزارة إلى الكتابة ثم الحجابة. بغض النظر عن صبغتهم للجيش بصبغتهم. حتى أصبح كأنه جيش في دولة الأتراك.

أما في زمن الخليفة المعتضد (279-289هـ) فكان للحاجب مهام أخرى. فقد قلد الخليفة حاجبه صالح الأمين النظر في المظالم . بعد أن كان النظر في المظالم من مهام الخليفة<sup>(1)</sup>.

ومن حجاب الخليفة المقتدر، كان حاجبه سوسن الحاجب ، الذي كان يدخل مع العباس بن الحسن في التدبير، فلما وزر أبو الحسن بن الفرات لم يجر هذا المجرى. فدبر له عدة مكائد، إلى أن قبض عليه وقتله سرا.<sup>(2)</sup> ومن هنا يمكننا الحكم أن الحاجب لم يعد حاجبا بقوة الخليفة ، وإنما أصبح حاجبا بقوة الوزير أو قائد الجند الذي يعطيه الولاء دائما، لسيطرته على الأمور.

ثم حجب للخليفة المقتدر نصر الحاجب. وتولى عند مهام مدنية وعسكرية منها أنه قاد الجيوش لمواجهة القرامطة ، ومحاربتهم لكل من سعى لمكائبتهم أو الاتصال بهم ضد الخلافة . وذلك بتتبع أخبار القادة وأمراء المناطق ومعرفة موقفهم من القرامطة . وذكر ذلك كله لدى الخليفة . فكان نصيب القادة الذين يشك في أمرهم العزل أو الضرب بالسياط سنة 315هـ/927م<sup>(3)</sup>.

ونرى الحاجب نصر ، كيف أنه لا يقيم أي احترام لمن سخط عنه الخليفة. ولو كان هذا المسخوط عنه وزيرا. مثلما فعل الوزير المعزول حامد بن العباس ، عندما استأذن على نصر الحاجب، فلم يقم إليه، ولا وفاه من الحق ما كان يوفيه إياه من قبل. وعاتبه على تنكره، وتجاوزته الحدود<sup>(4)</sup>.

في حين نرى الحاجب وأمير الأمراء يتدخلون في أمور الخليفة فيبعدون هذا ، وينحون هذا من منصبه . وهذا ما فعله نصر الحاجب ومؤنس الخادم أمير الأمراء. من أن بعض العُمَّال ذكر لابن الفرات ما يتحصّل لحامد بن العباس من أعمال واسط زيادة على ضمانه، فاستكثره، فخاف حامد أن يؤخذ ويطالب

(1) تاريخ الطبري، ج10، ص68-69. وهذا نظرا لشحة المعلومات عنه فيما وقع بين يدي من مصادر.

(2) الصابي: الوزراء، ص26.

(3) الذهبي: تاريخ الاسلام، ج23، ص362.

(4) الصابي: رسوم ، ص78.

المابج الثاني : الأءوار الإيجابية والسلبية للبطانة في توجيه سياسة الخلفاء العباسيين.

الفصل الثاني: منجزات الخلفاء الإيجابية وأثر البطانة في ذلك 132 - 334هـ / 749 - 946هـ

بذلك المال، فكتب إلى نصر الحاجب وإلى والدة المقتدر، وضمن لهما مالاً ليتحدّثا له في الوزارة، فأمره بالحضور من واسط، فحضر، وقبض على ابن الفرات سنة 316هـ/928م<sup>(1)</sup>. فألحوا على الخليفة المقتدر بقتل وزيره علي بن محمد بن الحسن بن الفرات. الذي وزر للخليفة المقتدر ثلاث مرات. فامتثل لأمرهم وقام بقتل علي بن محمد بن الحسن بن الفرات.<sup>(2)</sup> وواصل ابن مقلّة يكثر من الهدايا إلى نصر الحاجب، حتى أشار به على المقتدر فاستوزره سنة 320هـ/932م<sup>(3)</sup>.

وحجب الخليفة القاهر ، محمد بن ياقوت . وكانت هذه المنزلة في ذلك الوقت تزيد على الوزارة ويخاطب من يتولاها بالإمارة على رسم بدر المعتضدي وإليه أمور الجند وتدير الدولة بيده والوزراء كالمنصرفين على أوامره.<sup>(4)</sup> واستبد الحاجب محمد بن ياقوت في عهد الخليفة القاهر والراضي بعمل الوزراء. وأساء استعمال السلطة الممنوحة له<sup>(5)</sup>.

في سنة 321هـ/933م نرى الحاجب علي بن بليق يستمد قوته من فشل القائد مؤنس الخادم وزير الخليفة القاهر الذي اجتمع وجماعة من الأمراء ، تشاوروا فيما بينهم على خلع الخليفة القاهر. وتولية أبي أحمد المكتفي وبايعوه سرا فافتضح أمرهم لدى الخليفة . غير أن هذه المحاولة باءت بالفشل<sup>(6)</sup>.

ونلاحظ أيضا أن الحاجب علي بن بليق وأصحابه قد اتفقوا على التصييق على القاهر وتفتيش كل من يدخل دار الخلافة. وإن وجد مع أحد رقعة دفعها إلى مؤنس. وكان من مروءة علي بن بليق أنه نقل من كان في دار القاهر محبوسا إلى داره كوالدة المقتدر وغيرها. وجعلها عند والدته ، وأكرمها ورفهها. إلا أن علتها من ضرب القاهر اشتدت عليها ، فتوفيت ، ودفنت بتربتها بالرصافة. وقطع أرزاق حاشيته.<sup>(7)</sup> ثم استدعى القاهر جماعة من أولاد المقتدر منهم أبو العباس وهارون والعباس وعلي والفضل وإبراهيم ، فأمر بمصادرتهم وحبسهم ، وسلمهم إلى حاجبه علي بن بليق<sup>(8)</sup>. ولم يكن القاهر متمكنا من الامور، وحكم عليهم علي بن بليق<sup>(9)</sup>.

(1) \_ ابن الأثير : الكامل ، ج6، ص499.

(2) \_ الذهبي: تاريخ الاسلام، ج23، ص352.

(3) \_ ابن الأثير : الكامل، ج7، ص40.

(4) \_ الصفدي: الوافي، ج 5 ، ص 120.

(5) \_ أسماء عمارة : البلاط العباسي، ص 236.

(6) \_ ابن كثير: البداية، ج15، ص67-68. ابن خلدون : العبر، ج3، ص394.

(7) \_ ابن الأثير : الكامل، ج7، ص79.80. الذهبي: تاريخ، ج5، ص24. الزركلي: الأعلام، ج3، ص168.

(8) \_ ابن الأثير: الكامل، ج7، ص76. ابن كثير: البداية، ج15، ص63.

(9) \_ ابن كثير: البداية، ج15، ص67. الذهبي: سير، ج15، ص99. الذهبي: تاريخ الاسلام، ج24، ص06.

الباب الثاني : الأدوار الإيجابية والسلبية للبطانة في توجيه سياسة الخلفاء العباسيين.

الفصل الثاني: منجزات الخلفاء الإيجابية وأثر البطانة في ذلك 132 - 334هـ / 749 - 946م

وكانت نهاية الحاجب علي بن بليق مأساوية جدا ، حيث كان سبب قتله أنّ أصحاب مؤنس شغبوا وثاروا، وتبعهم سائر الجند. وأحرقوا دار الوزير أبي جعفر، ونادوا بشعار مؤنس، وقالوا: لا نرضى إلا بإطلاق مؤنس. وكان القاهر قد ظفر بعلي بن بليق. وأفرد كلّ واحد منهم في منزل. فلما شغب الجند، أمر القاهر بقتل الحاجب بن بليق<sup>(1)</sup>. وفي سنة 329هـ خلع المتقي على بدر الخرشني وقلده الحجابة ، وجعله حاجب الحجاب، أي كبير الحجة<sup>(2)</sup>.

وطرح قضية المؤامرة على الخلفاء من الحجاب أو الكتاب أو الوزراء، أو العكس، لا تعتبر قضية جديدة. طالما أن في فترات العصر العباسي الثاني ، انتشرت الضعف في معظم الوظائف الحساسة في الخلافة. وأصبح هم كل طرف خدمة مصالحه الشخصية، ومهما كلفه الأمر.

وفي العصور العباسية المتأخرة أسرف الحجاب العباسيون في منع الناس من المقابلات الرسمية. ولعل هذا كان السبب الرئيسي في نشأة الحاجب الثاني ، فكان بين الخليفة والناس دارين حاجزين : إحداهما دار الخاصة ، والأخرى دار العامة ، يقابل بهما الخليفة الناس. كل طائفة حسب حالتها وظروفها. ولما اشتد ضعف الدولة وضعوا حاجبا ثالثا يحجب الخليفة عن الناس حجبا تاما<sup>(3)</sup>.

ومن خلال هذا العرض يتبين لنا جلليا قيمة الحاجب في البلاط العباسي . وتنوع أدواره ومهامه. فلم يبق مجرد بواب يرتب الزيارات ويستقبل الوفود التي تدخل إلى الخليفة . ولكن أصبح في منصب أخطر من منصب الوزير نفسه. بل ربما طمع الوزير في فضل خدمات الحاجب، أو خاف من بطشه. وأصبح الحاجب يشارك في أخذ البيعة للخليفة الجديد. ويزكي من يستوزه الخليفة . وربما شارك في حركات التأليب ضد الخليفة عينه.

(1) ابن الأثير: الكامل، ج7، ص80.

(2) ابن تغري: النجوم، ج3، ص272.

(3) الهاشمي و شنقاروا : الحضارة ، ص24.

الرابح الثاني : الأدوار الأيجابية والسلبية للبطانة في توجيه سياسة الخلفاء العباسيين.  
الفصل الثالث: ..... النتائج السلبية لتوجيه البطانة للسياسة العامة لخلفاء العصر العباسي

### الفصل الثالث:

النتائج السلبية لتوجيه البطانة للسياسة العامة لخلفاء العصر

العباسي الأول والثاني (132-334هـ/749-946م):

أولا - المساوى السياسية لتدخل الوزراء والكتاب والحجاب

ثانيا- المساوى الاقتصادية لتدخل الوزراء والكتاب والحجاب

ثالثا- المساوى السياسية للبطانة العسكرية

رابعا- المساوى الاقتصادية للبطانة العسكرية في العصر العباسي

الثاني (232-334هـ/ 847-946م)

## الباب الثاني : الأدوار الايجابية والسلبية للبطانة في توجيه سياسة الخلفاء العباسيين.

### الفصل الثالث: ..... النتائج السلبية لتوجيه البطانة للسياسة العامة لخلفاء العصر العباسي

نظرا لأنني ذكرت الأعمال والنتائج الايجابية في فصل منجزات أصناف البطانة ، كل في مكانه. رأيت أنه من الاطناب الزائد والتكرار الممل إعادة ذكرها هنا، واكتفيت بحصر السلبيات ، والآثار السيئة لكل صنف من أصناف البطانة .

#### أولا – المساوئ السياسية لتدخل الوزراء والكتاب والحجاب في توجيه سياسة الخلفاء

##### 1/ الدسائس والمؤامرات مظاهر وأشكال:

تنوعت أسباب الدسائس والمؤامرات التي تحاك بين الخاصة من أفراد البطانة. ما يوغر صدر الخليفة على بعض مقربيه بل ومستشاريه المؤتمنين . مما يجعله يستوحش منهم بعد أنس. وليس مستبعدا أن يضحي الخليفة بأخلص الوزراء وأشجع القواد ، إذا بدرت فيه سعاية صحيحة. فلا مجال عندهم للصدفة ولا مجال للشغرات التي قد تتسع وتفسد الأخضر واليابس. نخص بالذكر والتمثيل على ذلك العصر العباسي الأول. أي عصر قوة الخلفاء والخلافة. فقد انتشرت فيه عدة جرائم، كان سببها الحسد والسعاية. راح ضحيتها مشاهير في السياسة والاقتصاد والإدارة والجنديّة.

##### 1-1- السعاية والإطاحة بالوزير المورياني:

كان سعي البطانة بالفتك بعضهم ببعض موجودا في عهد الخليفة المنصور. ذلك أنه مهما كان محتوى هذه السعيات، فإن الخليفة سيتبين صحة ذلك من عدمها. فربما كان السعي بسبب الحقد والحسد. أو فقدان الامتيازات كلية ، أو فقدان المشاركة في بعضها على الأقل. « ففي سنة 154هـ ، سخط المنصور على وزيره أبي أيوب المورياني، واستأصله وحبس معه أولاد أخيه سعيدا ومسعودا ومحمدا ومخلدا. وقتل في السنة التالية. وكان الذي سعى بأبي أيوب هذا هو كاتبه أبان بن صدقة.»<sup>(1)</sup>

ويؤكد الجهشيارى تمتع الكاتب المورياني بسلطات إدارية واسعة . ويستطرد قائلاً بأن المنصور لم يسلمه الوزارة والدواوين . حيث أصبح على رأس الجهاز الإداري فحسب بل إنه « فوض إليه أمره كله.»<sup>(2)</sup> ولعل هذه الرواية تشير إلى مدى اتساع نفوذه وسطوته . وقد استغل ذلك فوزع أفراد عائلته وأقرباءه على المراكز الإدارية. والواقع فإن روايات البلاذري واليعقوبي تتفق مع روايات الجهشيارى في تأكيد نفوذه.

ومما يدل على نفوذه وتدخله في جباية الخراج من الأقاليم رواية البلاذري التي تذكر اتهام العلماء

(1) - تاريخ الطبري، ج8، ص44. ابن كثير: البداية، ج13، ص430. ابن الجوزي: المنتظم، ج8، ص174-175. ابن تغري : النجوم، ج2، ص21. فاروق عمر : دراسات، ص 264 .

(2) - الجهشيارى : الوزراء، ص97.

## الباب الثاني : الأدوار الإيجابية والسلبية للبطانة في توجيه سياسة الخلفاء العباسيين.

### الفصل الثالث: ..... النتائج السلبية لتوجيه البطانة للسياسة العامة لخلفاء العصر العباسي

للمورياني بالابتزاز على غير حق ومطالبتهم الخليفة بعزله . أثر استدعاء الخليفة لعامل الأحواز ، بتهمة تعذيبه أحد المواطنين حتى الموت. ويبدو أن المورياني كانت لديه السلطة لتعيين عمال الخراج في العراق والأقاليم المجاورة له على أقل تقدير . والمعروف أن كثيرين منهم كانوا من أقربائه. على أن ذلك لا يعني بأنه كان قادرا على عزل ولاة أو عمال دون علم المنصور أو إقراره. (1)

ولا أدل على ذلك من أن هناك روايات أخرى تؤكد الدور الذي قام به حاجب المنصور الربيع ابن يونس في الواقعة بين الخليفة والمورياني . وفي توسيع الشقة بينهما ، وفي تعميق شكوك المنصور من نوايا المورياني. وأن الربيع بن يونس بمساعدة بعض أعوان وموظفي المورياني ، نجح في إبلاغ الخليفة ببعض خيانات المورياني وابتزازاته للأموال (2) .

وبعض المصادر تنسب إلى الخلال فكرة المؤامرة بقلب الخلافة لصالح العلويين. غير أن هذه المحاولة باءت بالفشل ، لشك العلويين وحذرهم من المحاولة، التي ربما عدها بعضهم دسياسة لجس النبض أولا. ولتردد الشخصيات العلوية بالمغامرة التي تتطلبها السياسة ثانيا. ولقوة الدعاة العباسيين وجهودهم في التحري عن البحث عن الخليفة ثانيا (3) .

### 1-2/ المنافسة بين الوزير الخلال والقائد أبي مسلم الخراساني :

ولاشك فإن المنافسة بين الخلال وأبي مسلم الخراساني لعبت دورا في التعجيل بقتل الخلال. ولهذا يشير المسعودي إلى أن أبا مسلم الخراساني كتب إلى الخليفة أبي العباس السفاح يشير عليه بقتله بعد أن سمع بمؤامراته « لأنه نكث وغير وبدل » (4) .

هذا إضافة إلى أن نفوذ الخلال تعاضم بحيث غدا أبو مسلم يخشاه ويحسب له حسابا. لأنه على حد قول الدينوري: « ينفذ الأمور من غير مؤامرة » (5) .

وفي رواية أخرى « أنه كان يظهر الادلال والقدرة على أمير المؤمنين. » (6) وقد يكون الأمر مجرد

(1)- فاروق عمر : دراسات ، ص264-265.

(2)- المسعودي: مروج ، ج3، ص237. الصفدي: الوافي، ج15، ص232. وقد تناولت هذه القضية بعض التفصيل في عنصر العقوبات المنزلة بالوزراء.

(3)- الجهشياري: الوزراء، ص 141. فاروق عمر : دراسات ، ص256.

(4)- مروج، ج3، ص225.

(5)- الدينوري: الأخبار الطوال ، ص 351.

(6)- فاروق عمر : دراسات، ص 256.

## الباب الثاني : الأدوار الإيجابية والسلبية للبطانة في توجيه سياسة الخلفاء العباسيين.

### الفصل الثالث: ..... النتائج السلبية لتوجيه البطانة للسياسة العامة لخلفاء العصر العباسي

سعيات ناتجة عن الحسد للإطاحة بالوزير القدير. لأنه ي الغالب من كان في مثل مكانته ودوره الفعال يتعرض دائما لمثل هذه المعاملات.

وقد اصطدمت سلطة الوزير بسطة القائد العسكري في منافسة قوية. خاصة على تعيين الولاة في الأقاليم ، وخاصة بلاد فارس. ويعتبر الرجال الوحيدان القويان في الدولة الجديدة في تلك الفترة. وهذا يفسر. فيما بعد. دور أبي مسلم الخراساني في مقتل الخلال<sup>(1)</sup>.

ومن الأسباب الحقيقية لمقتل الخلال<sup>(2)</sup> أنه كان أراد أبو سلمة الخلال أن يحول الخلافة إلى آل علي بن أبي طالب ، فغلبه بقية النقباء والأمراء، وأحضروا أبا العباس السفاح وسلموا عليه بالخلافة. وبقي متهماً عندهم<sup>(3)</sup>. ثم غضب عليه الخليفة المنصور ، ونسبه إلى أخذ الأموال ، ثم استأصله وأخذ منه أموالا عظيمة<sup>(4)</sup>.

وكان لمقتل أبي سلمة الخلال الملقب بوزير آل محمد. مع أثره المحمود في الدعوة العباسية . أثر في تخوف رجال الدولة من التسمي . فيما بعد . بالوزارة ، بل قيل : إن كل من استوزر بعد أبي سلمة كان يتجنب أن يسمى وزيرا، تطيرا مما جرى على أبي سلمة<sup>(5)</sup>.

وبعد التخلص من أبي سلمة ، كان أبو جعفر نفسه هو من ألح على أن يقتل أبو مسلم، ليتسنى له تأسيس سلطة مطلقة على الخلافة. لأن أبا مسلم مكن لنفسه مكانة مؤثرة من الأيام الأولى لبداية الخلافة. والتي تجاوزت حتى الخليفة نفسه. وهذا يفسر لماذا بذل النصيحة لقتل أبي سلمة. أي لتجنب خطر الغضب من إعدامه<sup>(6)</sup>. فقال لأخيه أبي العباس : « لست خليفة ولا أمرك بشيء إن تركت أبا مسلم ولم تقتله. قال: وكيف؟ قال: والله ما يصنع إلا ما أراد »<sup>(7)</sup>.

(1)- ابن الطقطقي: الفخري ، ص258 .

(2)- قد فصلت هذه الأسباب في معرض الحديث عن مصيره في العنصر المخصص لذلك.

(3)-الصفدي: الوافي بالوفيات، ج17،ص232. ابن كثير : البداية، ج13،ص284. الذهبي: تاريخ، ج8، ص341.

(4)-الصفدي: المصدر نفسه،ج15، ص232. الذهبي: سير، ج7،ص23. ينظر مصيره ضمن عنصر العقوبات على البطانة ، وبالضبط على الوزراء.

(5)- المصدر نفسه ، ص224. وهذا ما بعض الوزراء ومنهم أحمد بن أبي خالد يقول للخليفة المأمون :«اعفني من التسمي الوزارة ، وطالمني بالواجب فيها.» الفخري، ص224 .

(6)- *Huzaiifa Aliyu Jangebe :Abu Muslim Al-Khurasani: The Legendary Hero of Abbasid Propaganda ,p09.*

(7)- ابن الأثير: الكامل، ج5،ص82 . الذهبي: تاريخ ج8،ص341.

## الباب الثاني : الأدوار الإيجابية والسلبية للبطانة في توجيه سياسة الخلفاء العباسيين.

### الفصل الثالث: ..... النتائج السلبية لتوجيه البطانة للسياسة العامة لخلفاء العصر العباسي

وبقي في نفس أبي مسلم شيء ضد أبي سلمة ، فبعث إلى أبي العباس السفاح يزين له قتله. فأبى ، لما عرف من بذل أبي سلمة في سبيل الدعوة بنفسه وماله. ولكن أبا مسلم أصر على قتله ، فدعا أحد قواده ، وهو مروان الضبي . أن ينطلق إلى الكوفة ليخرج أبا سلمة من عند الإمام أبي العباس فيضرب عنقه. فقتله غيلة ليلا بالأنبار. وأشاعوا بأن الخوارج قتلوه (1) .

ونحن لا ندري مدى صدق هذه الحوادث والاعتقالات. أحيانا يبدو المبرر منطقيا باستقراء تاريخ نشأة الدولة الفتية. وأحيانا تبدو غريبة كون معظم تلك الاعتقالات طالت أهم رجالات الثورة العباسية ، ونخص منهم سليمان بن كثير الخزاعي (2). وأبو سلمة الخلال وأبو مسلم الخراساني وعبد الله ابن علي وغيرهم كثير.

#### 1-3/ إسقاط الوزير أبي عبيد الله معاوية بن يسار :

ورغم المكانة التي حظي بها الوزير أبي عبيد الله ، ومع علو كعبه في الوزارة والكتابة من قبلها إلا أن ذلك لم يشفع له طويلا . و سلطته على ما يتفق عليه المؤرخون لم تدم طويلا. فقد وذلك أن الموالي كانوا يشنعون على أبي عبيد الله عند المهدي ، ويسعون عليه عنده... ويختلى الموالي بالمهدي ، فيبلغونه عن أبي عبيد الله وبحرضونه عليه (3) .

وفي المقابل لما رأى أبو عبيد الله « غلبة الموالي على المهدي ، وخلوتهم به ، نظر إلى أربعة رجال من قبائل شتى من اهل الأدب والعلم. فضمهم إلى المهدي. فكانوا في صحابته . فلم يكونوا يدعون الموالي يتخلون بالمهدي» (4).

ورغم أن الربيع بن يونس فشل في اتهام أبي عبيد الله بالتقصير أو عدم الكفاءة . ولم يستطع أن يجد ثغرة في إخلاصه للمهدي أو في ورعه وتقواه. ولكنه استطاع استغلال الموقف وظروف مطاردة الزنادقة لمصلحته ، فاتهم أحد أبنائه بالزندقة وأقع المهدي بصحة هذا الاتهام. ولما رسخ في ذهن المهدي زندقته ابن أبي عبيد ، قتله. (5) واستمر أبو عبيد في الوزارة. وظل الربيع بن يونس ، يتتبع عشرات

(1) - الدينوري: الأخبار الطوال ، ص 351. تاريخ الطبري، ج7، ص449-450. ابن الأثير : الكامل، ج5، ص81. المسعودي: مروج، ج3، ص284-285. الذهبي: تاريخ، ج8، ص401. ابن خلدون: العبر، ج3، ص222 .

(2) - هو سليمان بن كثير الخزاعي المروزي الأمير أحد نقباء بني العباس ، قتله أبو مسلم الخراساني سنة 132هـ. الذهبي: العبر، ج1، ص137.

(3) - تاريخ الطبري، ج8، ص137.

(4) - تاريخ الطبري، ج8، ص136-137. ابن الأثير : الكامل، ج5، ص230. ابن كثير: البداية، ج13، ص488.

(5) - ابن الطقطقي: الفخري، ص 182-183. فاروق عمر : دراسات، ص 277-278.

## الباب الثاني : الأدوار الإيجابية والسلبية للبطانة في توجيه سياسة الخلفاء العباسيين.

### الفصل الثالث: ..... النتائج السلبية لتوجيه البطانة للسياسة العامة لخلفاء العصر العباسي

عشرات أبي عبيد ، إلى أن اضمحل أمره وتهياً للربيع ما أراده من إزالة نعمته. <sup>(1)</sup> وأصبح الربيع يخوف المهدي من رد فعل الوزير معاوية، بعد قتل ابنه بتهمة الزندقة. وادعى أنه لا يتركه يختلي به لهذا السبب <sup>(2)</sup>. خاصة إذا علمنا أن مصطلح الزندقة فضفاض جدا ، بحيث يسع لإدراج كل المخالفات السياسية والدينية التي لا تتماشى والمذهب الرسمي للدولة. أو حتى تلك التي لا توافق بعض أهواء رجال البطانة. وبعد هذه الحادثة التي وقعت سنة 162هـ، أعفى أبو عبيد الله من كافة مسؤوليات الوزارة. إلا ديوان الرسائل، حيث بقي مسؤولاً عنه حتى سنة 166هـ. و عزل المهدي عنه وولى عنه الربيع الحاجب <sup>(3)</sup>. ولتبرير هذا الصعود المتدرج للكاتب أبي عبيد الله معاوية حتى وصوله للوزارة، ثم إسقاطه بهذه السرعة ، فإن هناك عوامل متداخلة أدت دورها في تحديد نفوذه ثم في سقوطه. فهناك كثير من الروايات التاريخية التي توضح بأن المهدي ظل يثق بأبي عبيد الله ويعطيه قدرا كبيرا من الاحترام ويعمل بمشورته. ونورد هنا رواية للطبري عن نشاط أبي عبيد : « كان معاوية يخرج الكتب إلى خازم بن خزيمة وإلى غيره من القواد بالأمر والنهي. » <sup>(4)</sup> ولكنه بسبب تجاوز حدود سلطته وتدخله بأمر لا تعنيه، فكره الخليفة منه وعزله <sup>(5)</sup>. وبالرغم من المكانة المهمة التي نالها الوزير أبو عبيد في بلاط الخليفة المهدي ، غير أن تلك النعمة قد جلبت له حسادا وسعاة كثر ، عجلوا بتحويل النعمة عليه ، وانتهائه إلى مصير أسود <sup>(6)</sup>. كما أن هذه الحادثة وإعفائه لم يؤثر في احترامه له. وفي منزله في بلاط المهدي سنة 167هـ/783م. وتهياً للربيع ما أراده من إزالة نعمته ومات أبو عبيد الله سنة 170هـ/786م <sup>(7)</sup>.

#### 1-4/ تأليب موالى الخليفة المهدي على وزيره يعقوب بن داود:

استمر حسد الموالى نفوذ يعقوب ومنزلته لدى الخليفة ، فاستطاعوا أن يغيروا وجهة نظر الخليفة عليه. يقول الطبري: « فحسده موالى المهدي فسعوا عليه. » <sup>(8)</sup> فامتألت عنه قلوبهم حسدا وغيره.

(1)- ابن الطقطقي: الفخري، ص 183.

(2)-المصدر نفسه، ص178. ابن الأثير: الكامل، ج5، ص239.

(3)- تاريخ الطبري، ج8، ص165.

(4)- المصدر نفسه، ج8، ص29.

(5)- وحتى روايات العزل تبين أنه قد عزل عن الوزارة. ومرة أخرى عزل عن ديوان الرسائل سنة 167هـ. (ابن الأثير: الكامل ج5، ص255. ابن كثير: البداية ج14، ص288.

(6)- وسيأتي الحديث عن مصيره في العنصر المخصص بالعقوبات المنزلة بالبطانة.

(7)- ابن الأبار : إعتاب الكتاب ،ص75.فاروق عمر :دراسات ، ص 278-279.

(8)- تاريخ الطبري، ج8، ص156. ابن الأثير: الكامل، ج5، ص251.

## الباب الثاني : الأدوار الإيجابية والسلبية للبطانة في توجيه سياسة الخلفاء العباسيين.

### الفصل الثالث: ..... النتائج السلبية لتوجيه البطانة للسياسة العامة لخلفاء العصر العباسي

وأصبحوا يشيعون عنه أن « المشرق والمغرب في يد يعقوب وأصحابه ، وقد كان كاتبهم . وإنما يكفيه أن يكتب إليهم فيثوروا في يوم واحد، على ميعاد واحد ، فيأخذوا الدنيا. كان ذلك يملأ قلب المهدي عليه»<sup>(1)</sup> . وربما نجد في هذا مبالغة كبيرة في القيمة التي لاقاها الوزير يعقوب. وإن تكن له تلك المنزلة فعلا فهذا لا يعدو أن يكون موظفا مركزيا يطيعه بقية الموظفين المحليين في الأنحاء، ولا يجعل السلطة في شخصه، أو عرقه وتوجهه العقائدي.

وكان هذا مما يعتب عليه. كما وأنه كان يشير على الخليفة بتعيين الولاة. وأنفذ عهده إلى جميع الآفاق بوضع الأمناء ليعقوب ، وكان لا ينفذ كتاب المهدي حتى يكتب يعقوب إلى يمينه بإنفاذ ذلك<sup>(2)</sup> . وبهذا بدأت تتعزز شكوك المؤرخين بارتباط تهمة الخيانة بالوزير يعقوب بن داود. ورغم القيمة التاريخية التي حظي بها الوزير يعقوب بن داود ، فإنه لم يلم من الحسد والسعيات . يعني شأنه شأن الوزراء والكتاب المحسودين من قبله . فتذكر رواية ثانية: « وكثرت الأقوال في يعقوب ووجد أعداؤه مقالا فيه... وذكروا للمهدي خروجه على المنصور.»<sup>(3)</sup> وكان أعداء يعقوب يعمدون إلى إظهار عيوبه. وبمرض يعقوب تهيأت الفرصة لأعدائه بتأليب المهدي عليه<sup>(4)</sup> . ثم إننا لا نسلم لهذه السعيات كونها مرتبطة بالحسد دوما، بل قد يكون فيها جزء من الحقيقة أو كل الحقيقة. فالوزير مهما تقلب في النعمة لا يعفيه من مسؤولية الخطأ أخلاقيا أو إداريا، وكل المتابعين من حوله يعظمون تلك الأخطاء، ويجعلون منها مصادم ومكائد.

وبالفعل لما تأكد الخليفة المهدي من خلفيات أصحاب يعقوب على الأقاليم، « أمر المهدي بعزل أصحاب يعقوب عن الولايات في الشرق والغرب. وأمر أن يؤخذ أهل بيته وأن يحبسوا ففعل ذلك بهم»<sup>(5)</sup>.

ولكن الواقع التاريخي يدلنا على بعض الحقائق التي تورط فيها الوزير الكاتب يعقوب بن داود، «

(1) - تاريخ الطبري، ج8، ص156. ابن الأثير: الكامل، ج5، ص251. ابن عساکر: تاريخ دمشق، ج59، ص249 وما بعدها.

الجهشياري: المصدر السابق ، ص158. ابن خلکان : المصدر السابق ج7، ص21.

(2) - المصدر نفسه، ج8، ص136.154. ابن فضل الله العمري: مسالك الأبصار، ج11، ص31 وما بعدها. ابن خلدون: المصدر السابق ج3، ص156.

(3) - المصدر نفسه، ج8، ص156. ابن الأثير: الكامل، ج5، ص251. الجهشياري: الوزراء، ص159. ابن خلکان: وفيات ج7، ص23.

(4) - فاروق عمر : دراسات 293، ص-294.

(5) - تاريخ الطبري، ج8، ص165.

## الباب الثاني : الأدوار الإيجابية والسلبية للبطانة في توجيه سياسة الخلفاء العباسيين.

### الفصل الثالث: ..... النتائج السلبية لتوجيه البطانة للسياسة العامة لخلفاء العصر العباسي

فلما وزر يعقوب زين له - أي للمهدي - هواه ، فأنفق المال وأكب على اللذات.<sup>(1)</sup> وهذه الرواية تبين أن بطانة الخليفة الواحد لم يكونوا سواء. بل كانوا متباينين منهم العالم المقتصد النصح ، ومنهم الذي يزين اللهو والهوى . وهذا ما يطرح أثر تنوع البطانة في شخصية الخليفة. كل يطبع أثره فيه وحسب توجهه. لاسيما وأن أفرادا كثيرين نشأوا وترعرعوا في بلاط الخلفاء . فهم يعرفون عن الخلفاء حتى تفاصيل حياة الصبي.

وإزداد الموالي مكانة وامتانة في بلاط الخليفة المهدي ، الذي حرص على تقريبهم في مجالسه. الأمر الذي جعل المنافسة تحتد بينهم وبين الوزراء. ولم يكن ليمنع وقوع المحذور من المؤامرات والدسائس، ولم يستطع أن يضع لها حدا<sup>(2)</sup>.

ويمكننا أن نستنتج بأن سقوط وزارة يعقوب بن داود ، مرده إلى عوامل متداخلة في مجموعها. منها السياسي حيث فشل في سياسة الترضية العلوية. وأهمها بعد تسلمه الوزارة. منها إطلاقه سراح العلوي السجين. إلا أن أهمها أثرا هي السلطة الاستثنائية الواسعة التي تمتع بها يعقوب، وبخطره المتعظم ، حتى إن الخليفة أحس بتأثيره. فما كان من الخليفة إلا أن يسارع إلى التخلص منه بسرعة<sup>(3)</sup>.

(1)- تاريخ الطبري، ج8، ص157. الجهشيارى: المصدر السابق، ص158-159. ابن خلكان: وفيات الأعيان، ج7. وهذه الرواية التي انفرد بها الطبري تناقضها رواية أخرى لصاحب الفخري مفادها أن المهدي هو الذي انصرف للهو واللعب ، وأن يعقوب رجل عاقل نصح يعرض على المهدي المصالح والمهمات والنصائح الجليلة ما لم يكن يعرض عليه من قبل، فاستخضه، واستوزره وفوض إليه الأمور كلها وسلم إليه الدواوين وقدمه على جميع الناس. الفخري، ص184.185.

(2)- فاروق عمر : دراسات، ص304.

(3)- تاريخ الطبري، ج8، ص156. الذهبي: العبر ج1، ص 189-190. فاروق عمر : دراسات، ص300

الباب الثاني : الأدوار الإيجابية والسلبية للبطانة في توجيه سياسة الخلفاء العباسيين.  
الفصل الثالث: ..... النتائج السلبية لتوجيه البطانة للسياسة العامة لخلفاء العصر العباسي

1-5/ نكبة البرامكة: أسبابها ودوافعها:

ظلت أسرة البرامكة في خدمة الخلافة في الإدارة والسياسة وبالأخص في الوزارة والكتابة بين سنة 170هـ/786م و 187هـ/802م. ونخص بالذكر منهم جعفر بن برمك والفضل بن يحيى .. إلا أن ذلك أدى إلى بروز عدة منافسين وحاسدين لهم ، كمنوا لهم ، وتصيدوا لهم الأخطاء المقصودة وغير المقصودة وحتى تلك المفتراة عليهم. إلى أن انتهى بهم الأمر إلى النكبة المشهورة. ونحن لا نريد أن نقطع بأن نكبة البرامكة كانت نتيجة لسبب بعينه من هذه الأسباب. بل يعتقد أنها كانت نتيجة لجملة من الأسباب مجتمعة، منها ما عرف ، ومنها ما لم يعرف بعد . و يبقى في حاجة إلى التحقيق العلمي<sup>(1)</sup>. فقد عزل الرشيد جعفر ابن يحيى عن مصر في 177هـ/ 793م ، وولى عليها اسحاق بن سليمان<sup>(2)</sup>. وعزله أيضا عن خراسان وولى عليها عيسى بن جعفر. كما عزل محمد بن خالد بن برمك عن الحجابة سنة 179هـ/ 795م ، وعين مكانه الفضل بن الربيع<sup>(3)</sup>. كما عزل الفضل بن يحيى في 180هـ/ 796م عن طبرستان والرويان<sup>(4)</sup>، وولى عليها عبد الله بن خازم. وعزله عن الري وولى عليها محمد بن الحارث بن شخير<sup>(5)</sup>.

فالبرامكة منذ أن استوزروا تأثر بهم الفضل بن الربيع . وكان يبطن البغضاء والحقد على البرامكة، ويظهر معارضتهم. ويحاول مجاراتهم ومنافستهم في أحوالهم. و يكثر التشبه بهم، برغم ما ليس لديه من القدرة على إدراكهم واللاحق بهم. فسعى بهم الفضل لما تمكن من مجالسة الرشيد ، الذي استوزره مباشرة بعد نكبة البرامكة . فأوغر قلبه عليهم وساعده على ذلك كاتبهم اسماعيل بن صبيح ، فستروا المحاسن وأظهروا القبايح ، حتى أودى بهم إلى النكبة المشهورة<sup>(6)</sup>. وباستخلاف الأمين ، استوزر الفضل بن الربيع ، وقربه وجعله صاحب أمره وأعماله. وفوض إليه سلطة تولية الولاية وعزلهم، ورفعهم أو وضعهم<sup>(7)</sup>. واحتجب الأمين فلم يكن يصل إليه أحد ، ولا يجلس

(1)- الرفاعي:عصر المأمون ، ج1، 158.

(2)- تاريخ الطبري، ج8،ص255. 266. ابن الأثير: الكامل ، ج5،ص300.

(3)-المصدر نفسه، ج8،ص266.261.

(4)- مدينة كبيرة من جبال طبرستان وكورة واسعة وهي أكبر مدينة في الجبال. ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج3، ص104-105.

(5)- تاريخ الطبري، ج8،ص266. ابن الأثير: الكامل ، ج5،ص311.

(6)- ابن خلكان : وفيات الأعيان، ج1، ص355. ج4،ص37. ج4،ص37.الصفدي: الوافي، ج24،ص29. ابن الأبار : إعتاب الكتاب ، ص100.

(7)- ابن أعثم : الفتوح، ج8،ص288 . تاريخ بغداد، ج14،ص303.304.

## الباب الثاني : الأدوار الإيجابية والسلبية للبطانة في توجيه سياسة الخلفاء العباسيين.

### الفصل الثالث: ..... النتائج السلبية لتوجيه البطانة للسياسة العامة لخلفاء العصر العباسي

الناس إليه في فرط. وكان الفضل بن الربيع هو المتولي لجميع الأمور. وساق إليه خزائن الرشيد ، وسلم إليه البرد والقضيب والخاتم ، وأسباب الملك وتديبيرها (1) .

وتفاصيل النكبة ذكرها ابن خلدون في تاريخه (2) . ثم إنه في عهد الرشيد استأثر البرامكة بالوظائف وحصروها في أقاربهم وأتباعهم. ما جعل بعض الشخصيات غير العربية كعلي بن عيسى بن ماهان الذي لم يكن من حزبهم ، والفضل بن الربيع الذي لم يكن من صنائعهم ، تتعاون مع الكتلة العربية لإسقاطهم والتكيل بهم. (3) وقيل : إن أعداء البرامكة مثل الفضل بن الربيع ، مازالوا يسعون بهم إلى الرشيد. ويذكرون له استبدادهم بالملك واحتجائهم للأموال حتى أوغروا صدره فأوقع بهم. كان زوال دولة البرامكة على يديه. (4) فيما يعرف تاريخياً بنكبة البرامكة . (5)

ومهما تكن السعيات جادة للنيل من البرامكة - الذين شهد التاريخ لمآثرهم وأعمالهم الإدارية والحضارية - فإن نكبتهم هذه تعتبر سلسلة من تراكمات العثرات والسعيات معا. وتتجاوز قضية الحسد النفسي المجرد.

ومهما كان الأمر، فإن السؤال الذي يبقى مطروحا هو : لماذا لقي كثير من الشخصيات الفذة من بطانة الخلفاء هذا المصير المشؤوم ؟ مصير العقوبات المختلفة؟ هل يستحق كل هؤلاء البطانة ما حصل من هذه العقوبات ؟ (6)

غير أن تصرفات البطانة ، نتيجة السعاية والنفاق ، مما لم يكن بحسابات الرشيد من قبل، حيث وقعت الفتنة بين الأخوين \_ الأمين والمأمون \_ بشكل عنيف غير مسبوق. وكان لبطانة الأخوين بالغ الأثر في إذكاء نار الفتنة بينهما. ومحاولة الاستفادة من ذلك ببعث الشعوبية، ودعوى الانتصار لكل من أخوال الأخوين ، عربا وفرنسا (7).

وصفوة القول إن النكبات والمحن التي تعرض لها الكتاب والوزراء في العصر العباسي الأول عديدة. الأمر الذي يومئ إلى حقيقة واضحة. وهي أن الخلفاء العباسيين في عصرنا الأول كانوا شديدي

(1) - ابن الأثير : الكامل، ج5، ص363. ابن أعثم : الفتح، ج8، ص288. تاريخ بغداد، ج14، ص303. الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج10، ص109 .

(2) - ابن خلدون: العبر، ج3، ص265.

(3) - الدوري: العصر العباسي الأول، ص134.

(4) - ابن الطقطقي : الفخري ، ص 209. ابن كثير: البداية ج14، ص172.

(5) - ابن خلدون: العبر، ج3، ص280. وما بعدها.

(6) - نتاول قضية العقوبات المنزلة بالبطانة بالتفصيل في محله من هذا البحث.

(7) - أحمد فريد : المرجع السابق ج1، ص217.

## الباب الثاني : الأدوار الإيجابية والسلبية للبطانة في توجيه سياسة الخلفاء العباسيين .

### الفصل الثالث : ..... النتائج السلبية لتوجيه البطانة للسياسة العامة لخلفاء العصر العباسي

الحذر والريبة من رجالات الدولة. كما كانوا حريصين أيما حرص على سلطانهم. وعدم مزاحمة أحد إياهم عليه. مهما كانت كفايته ومعرفته وبصره بسياسة العباد والبلاد. مما جعلهم أميل إلى البطش والاستبداد وعدم العفو، منذ قيام الدولة . إذ كان يهولهم أن يسلب سلطانهم ، وتزول دولتهم ، التي كثيرا ما تشوفوا إلى قيامها ، مرهوية الجانب ، متماسكة البنيان. ولا ينسى المرء أن مكائد رجال الدولة واطماعهم ، وتنافسهم على المناصب. كانت سببا في تعرضهم إلى صنوف الهوان والتقتيل. وقد عرف بعض العباسيين بهذه الخلة ، أي الغدر برجال الدولة . بل بمن كان له فضل في قيامها أساسا ، كسليمان بن كثير الخزاعي، وأبي سلمة الخلال وأبي مسلم الخراساني، وغيرهم. لذا اتصلت شخصيات بارزة من قبول الوزارة .

ولا شك أن كثرة الدسائس والسعيات قد أفرغت الرشيد ، وجعلته يشعر أنه صار مغلوبا على أمره، وأن البرامكة شاركوه في سلطانه ، بشكل أخل بتوازن الدولة وسلامتها. مما اضطره إلى التخلص منهم. والعباسيون عموما كانوا حساسين من هذه الناحية ولهذا قتلوا كل من شكوا في إخلاصه . ولعل هذا الشعور هو الذي دفع المنصور إلى الإطاحة بأبي مسلم ، والرشيد إلى نكبة البرامكة ، والمأمون إلى التخلص من الفضل بن سهل ، والمعتصم إلى قتل قائده الأفشين<sup>(1)</sup>.

كما نلاحظ أيضا تنصل شخصيات عظيمة من قبول الوزارة في ذلك العهد، لما عهدوه من وخيم عواقبها، وسوء مغبة الاضطلاع بها<sup>(2)</sup>.

#### 1-6 / تأليب المضحك الهتفي للمعتصم على وزيره الفضل بن مروان:

رغم الصداقة المتينة التي جمعت بين الخليفة المعتصم ووزيره الفضل بن مروان . وتطورت بالوزارة ولكن وجدت مسارا مسدودا ، انتهت بالقطيعة والتدابير . « حيث تألب عليه بسبب ساعية ابراهيم الهتفي صاحب المعتصم منذ ما قبل الخلافة. فكان المعتصم يأمر بإطلاق الشيء لندمائه ولغيرهم ، فلا ينفذه الفضل وربما راده فيه إدلالا عليه وأنسا به. وكان قد حل من قلب المعتصم بالمحل الذي لا يحدث أحدا نفسه بملاحظته. وكان مع المعتصم رجل مضحك يستخف المعتصم روحه . وأصبح الهتفي (إبراهيم بن جهرويه أن إبراهيم المعروف بالهتفي وكان مضحكا) يؤلب المعتصم على وزيره الفضل ، ويوغر صدره

(1)- العبادي: في التاريخ العباسي، ص89.

(2)- أحمد فريد: المرجع السابق، ج1، ص312.

## الباب الثاني : الأدوار الإيجابية والسلبية للبطانة في توجيه سياسة الخلفاء العباسيين . الفصل الثالث : ..... النتائج السلبية لتوجيه البطانة للسياسة العامة لخلفاء العصر العباسي

عليه . حتى قبض على الفضل بن مروان ، وأخذت منه الأموال ما لا يحصى<sup>(1)</sup> . واستوزر المعتصم بعده محمد ابن عبد الملك الزيات<sup>(2)</sup> .

وبالفعل لم تكن هذه السعاية بالفضل افتراء وكذبا ، بل لها ما يبررها تاريخيا من سيرة الوزير الفضل بن مروان . فتذكر المصادر أن الفضل استولى على الدواوين كلها وكنز الأموال ، فتضاعفت كنوزه . وقد استطاع الفضل أن يحل من قلب الخليفة المحل الذي لم يصل إليه أحد . وأمكن منه واستقل بالأمور ، فغلب على أمره حتى لم يبق للمعتصم معه يد ، لم يزل في ارتقاء ، والناس يحسدونه حتى نكب<sup>(3)</sup> .

حيث ولاه المعتصم العرض ، فعرض الكتب عليه أشهراً ، فورد كتاب بليغ من الأمير عبد الله بن طاهر . فعجز عن الرد ، واحتاج إلى كاتب . وعرف بذلك المعتصم فصرفه<sup>(4)</sup> . إلا أنه هبط مركز الوزير إلى الحد الذي يعترف فيه الخليفة المعتصم نفسه حين فوجئ بأن وزيره أحمد بن عمار الخراساني يعجز عن الإجابة على سؤال له فيقول : «خليفة أُمي ووزير عامي . فكان أحمد بن عمار جاهلا بأعمال الوزارة ومهامها . وفيه قال بعض شعراء عصره :

سبحان ربي الخالق البارئ صرت وزيرا يا ابن عمار .

وكنت طحانا على بغلة بغير دكانا ولا دار .

كفرت بالمقدار إن لم تكن قد جرت في ذاك مقدار .<sup>(5)</sup>

وربما يكون الحكم في مثل هذه الحالات صعبا جدا ، وذلك لأن تداخل علاقات الصداقة وتصدامها مع مستلزمات الحكم والإدارة من جهة ومع فوات المصالح العامة والشخصية من جهة أخرى . فإن ذلك أحرى إلى إثارة الحزم والعقوبة ووضع الأمور في نصابها . ويتكرر المشهد مع ابن أبي دؤاد مرة أخرى .

فقد كان أحمد بن أبي دؤاد حين ولي المعتصم الخلافة ، عادى الأفشين . وحرص عليه المعتصم . وكان جسورا مقداما لا يبالي ما يصنع . فلم يزل يخبر المعتصم بأن الأفشين على دين

(1)- تاريخ الطبري، ج9، ص19 . مسكويه: المصدر السابق ج4، ص14 .

(2)- مجهول: العيون والحدائق ، ص384 .

(3)- تاريخ بغداد، ج16، ص293 . ابن الأثير: الكامل، ج6، ص23.22 . الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج12، ص84 . ابن تغري: النجوم، ج2، ص300 . ابن خلكان : وفيات، ج4، ص45 . الصفدي: المصدر السابق، ج24، ص48 . تنظر تفاصيل نكته في موقعا من هذا ضمن عنصر نكب الوزراء .

(4)- الذهبي: سير، ج11، ص165 . الذهبي: تاريخ الإسلام، ج17، ص49 . الصفدي: الوافي، ج7، ص167 .

(5)- ابن خلكان : وفيات الأعيان، ج5، ص94 . ابن العماد: شذرات، ج2، ص154 . فاروق عمر : دراسات، ص 246 ، ابن الطقطقي: الفخري، ص 233 . أحمد عبد الباقي: سامراء ، ص 373 .

## الباب الثاني : الأدوار الإيجابية والسلبية للبطانة في توجيه سياسة الخلفاء العباسيين.

### الفصل الثالث: ..... النتائج السلبية لتوجيه البطانة للسياسة العامة لخلفاء العصر العباسي

المجوسية . وأنه كاتب المرزبان حتى عصى ، وأنه .. وأنه .. حتى أوغر صدر قلب المعتصم على الأفشين. وهم به بعد أخذ المرزبان وضربه بالسياط حتى مات... (1) .

و حبس المعتصم العباس بن المأمون وأمر بلعنه. وكان السبب في ذلك ، أن المعتصم كان يقدم الأفشين على عجيف بن عنبسة ، ولما بعثه إلى زبطرة لم يطلق يده كما أطلق للأفشين. وكان يستقصر شأن عجيف وأفعاله. فطوى عجيف على النكت ، وقي العباس بن المأمون، وأخذ يلومه عن قعوده عند وفاة المأمون عن الأمر حتى بويع للمعتصم، وندمه على تفريطه. وشجعه على أن يتلافى ما كان منه. فقبل العباس ذلك. ولكن المعتصم سرعان ما تفتن لهذه المكيدة، أمر بتقييد العباس ، وتبع المعتصم أولئك القواد فأخذوا جميعا، بالحبس والتنكيل والقتل (2) .

ويمكننا القول إن النكبات التي تعرضت لها البطانة ، سواء من العزل أو السجن أو المصادرة والتعذيب ، يمكن أن يوجد لها ما يبررها في بعض الأوقات ، وفي بعض الحالات ، مثل حالات التلبس واحتجاز أموال الدولة وصرافها في المصالح الشخصية ، أو الأخطاء الإدارية والقيادية الفادحة.

كما حصل في مرات في جباية الضرائب والخراج. أو الخوف من القيام بحركات انفصالية بتمرد الجند. ونخص بالذكر مرحلة التأسيس ونهضة الدولة العباسية أي تقريبا خلال العصر العباسي الأول. أما في العصر العباسي الثاني فالأمر مختلف تماما. فقد أصبحت البطانة من الجند الترك لهم الكلمة العليا والقول الفصل. وأصبح الخليفة رمزيا شكليا .

#### 1-7/ دور البطانة في إذكاء الفتنة بين الأخوين الأمين والمأمون:

بسبب قوة الخلفاء العباسيين الأوائل ، فقد كانت بطانتهم تحسب لهم حسابات عدة. فلم تظهر السلبيات على السطح ، خاصة فيما يتعلق بأمور خطيرة ، قد تعصف بالدولة. مثل الفتن والمؤامرات. ولكن بعد وفاة الرشيد واستخلاف الأمين ، بدأ الفساد بين الأخوين بسبب البطانة أن الفضل بن الربيع كان يسارع إلى إقناع الأمين بمكاتبة الأمصار بالدعاء لابنه موسى بالإمارة بعد الدعاء له وللمأمون - شكليا- غير أن المأمون لم يكن يحسن الظن بأخيه الأمين، فجاءه الخبر بذلك فقطع البريد عن محمد، وأسقط اسمه من الطرز والضرب (3) .

فازداد خوف الفضل بن الربيع من المأمون ، فأخذ يزين للأمين أن يخلع المأمون من ولاية العهد.

(1)- وكيع : أخبار القضاة، ج3، ص297.

(2)- مسكويه: تجارب، ج1، ص54.50-55. ابن خلدون: العبر، ج3، ص330-331.

(3)- تاريخ الطبري، ج8، ص375. ابن الجوزي: المنتظم، ج10، ص04. الذهبي: تاريخ الإسلام، ج13، ص19. ابن كثير: البداية، ج14، ص56-57. السيوطي: تاريخ الخلفاء، ص236.

## الباب الثاني : الأدوار الإيجابية والسلبية للبطانة في توجيه سياسة الخلفاء العباسيين.

### الفصل الثالث: ..... النتائج السلبية لتوجيه البطانة للسياسة العامة لخلفاء العصر العباسي

ويجعل ولي عهده موسى بن الأمين . وأوعز إليه أن المأمون إن حكم الخلافة فإنه لن يبقى عليه حيا. وأسهب في إغرائه بالبيعة لابنه موسى بولاية العهد. ولم يزل يصغر له ذلك ويزينه له حتى نكث عهد أخيه المأمون<sup>(1)</sup>. وحصلت الوحشة بين الأخوين إلى أن سير المأمون جيشا من خراسان مقدمه طاهر بن الحسين بإشارة من الفضل بن سهل ، وأخرج الأمين من بغداد جيشا بإشارة وزيره الفضل بن الربيع ، وذلك سنة 194هـ. ثم اضطرت أحوال الأمين وقويت شوكة المأمون<sup>(2)</sup>.

ورغم أن الخليفة الأمين كان « في نهاية الشدة والقوة والبطش والبهاء والجمال. إلا أنه كان عاجز الرأي ضعيف التدبير ، غير مفكر في أمره.»<sup>(3)</sup> على أنه ليس معنى ذلك أن الأمين لم يكن يستشير ، ولكنه كان في كل شؤونه يغلبه هواه على وجه الصواب من أمره. وكان لرياء حاشيته وتأثير بطانته فيه النتيجة السيئة. فكان لا يعمل بما يدل به إليه من نصح<sup>(4)</sup>.

ونلاحظ هنا بوضوح احتدام الصراع بين بطانتي الأخوين. ولا شك أن مطمع رجال الحاشية في بلاط كل من الأمين والمأمون . كانت من العوامل التي زادت في اتساع الخلاف بين الأخوين. وبذلك بدأ يظهر دور الفضل بن سهل على أنه المحرك الأساسي للفتنة التي وقعت بعد ذلك بين الأخوين الأمين والمأمون. حتى أن بعض المؤرخين يرجعون جميع ما حدث من أحداث في تلك الفترة إلى الفضل . ويغيبون دور المأمون تماما . حيث يورد الطبري رواية أن الفضل بن سهل قال للمأمون اصبر وأنا أضمن لك الخلافة- وضرب صدره بيده- فقال المأمون: قد فعلت وجعلت الأمر إليك، فقم به<sup>(5)</sup>. فلما علم المأمون بذلك غضب وجمع من معه من قواد أبيه وشاورهم فأشاروا عليه بقتالهم وردهم إليه . وخالفهم الفضل بن سهل ، وقال للمأمون : بعدم استخدام القوة وإرسال وفد إلى الفضل بن الربيع يذكره بالبيعة ويطالبه بالوفاء لوصية أبيه<sup>(6)</sup>.

وهنا ينبغي أن نلاحظ أن الأمين لم يكن موقفا في اختيار رجال بطانته ، فلم يكن لديه من السياسة والقواد من يضارع الفضل بن سهل أو طاهر بن الحسين . وهذا كان له أثر كبير في نجاح سياسة المأمون، وفشل الأمين<sup>(7)</sup>.

(1)- ابن الأثير: الكامل، ج 5، ص 363. ابن خلدون: العبر، ج 3، ص 291. ابن العبري: مختصر ، ص 229.

(2)- ابن خلكان: وفيات الأعيان، ج 4، ص 38. الذهبي: سير أعلام، ج 10، ص 109. ابن العبري: مختصر ، ص 229.

(3)- المسعودي: مروج، ج 3، ص 403. السيوطي: المصدر نفسه.

(4)- أحمد فريد الرفاعي: عصر المأمون ج 1، ص 204.

(5)- تاريخ الطبري، ج 8، ص 372. ابن الأثير: الكامل، ج 5، ص 361.

(6)- عبد المنعم ماجد ، العصر العباسي الأول ، ج 1 ، ص 294 .

(7)- العبادي: في التاريخ العباسي، ص 100.

## الباب الثاني : الأدوار الإيجابية والسلبية للبطانة في توجيه سياسة الخلفاء العباسيين.

### الفصل الثالث: ..... النتائج السلبية لتوجيه البطانة للسياسة العامة لخلفاء العصر العباسي

ولم تكف تنقضي السنة الأولى من خلافة الأمين حتى كانت الدسائس قد فعلت فعلها ، وحتى كانت المنافسة العنيفة بين البطانتين قد بلغت غايتها. وأخذ كل من الأخوين يحذر من أخيه ويتقيه ، وامتألت الصدور شحناء وبغضاء ، ما جعل الأمور تتعطل وتتعرش<sup>(1)</sup>. الأمر الذي أودى بالأخوين إلى الانزلاق في فتنة كادت أن تأتي على الأخضر واليابس.

#### -1-8/ الحسد والوشاية وتلفيق التهم:

وبسبب السعيات الناتجة عن الحسد والحقد ، فرط المأمون في وزيره الفضل بن سهل. إذ بعد قتله تبين أنه لا يوجد له مال ولا ضيعة ولا فرس ولا آنية ، إلا خمسة أعبد وفرسا وبرذونا.. وعلى إثر ذلك أقصى المأمون قوما من قواده سماهم الشامته<sup>(2)</sup>.

ولم يكن الحسد بين بعض أفراد البطانة مستقرا في مجرد البغض النفسي والحقد القلبي. بل تجاوزه إلى السعاية والوشاية التي أدت ببعض من لحقت به إلى العزل من المنصب أو النفي إلى أرض بعيدة . وربما وصل الأمر إلى حد الوضع تحت الإقامة الجبرية بالتعبير المعاصر فقد « وشى محمد بن أبي العباس الطوسي ، وأحمد بن أبي داود يحيى ابن أكرم إلى المأمون فقربا إلى أبي إسحاق. فسخط عليه المأمون، وأمر بنفيه من معسكره ، ونزع السواد عنه ، وأخرجه إلى بغداد. وأمره ألا يخرج من منزله»<sup>(3)</sup>.

وهكذا تتضح لنا علاقة البطانة ببعضها أحيانا تكون عدائية جدا . فتصل إلى حد الوشاية وتلفيق التهم وإصاقها بمن لا يرضون سيرهم أو مكانتهم ، وهذا خير مثال على ذلك. وانتشرت المنافسة بين موظفي الخلافة الكبار سواء منهم الوزراء أو الكتاب والحجاب وغيرهم ممن حظيوا بالعمل في القصر. فكان الحسد سببا مباشرا في كثير من النكبات والمحن التي تعرض لها الكتاب والوزراء. كما لا ينفي وجود أسباب أخرى، تذكرها المصادر في بيانها لسبب النكبة. ولكنها في كثير من الأحيان لا تعدو أن تكون هنات ، يمكن غفرانها. والعفو عن صاحبها ، لولا هوى متبع ، وحسد كامن طوته الصدور .

ومعنى ذلك أنه لم يكن لبعض أفراد البطانة أطماع في الأموال والمتاع. لم ينشغلوا بجمع الذهب والفضة وتسخير الضياع والغلات. وتوريثها لأبنائهم أو تخصيص أقاربهم بها. ولكن كان منهم من همه

(1)- أحمد فريد الرفاعي: المرجع السابق ج1، ص220.

(2)- تاريخ يعقوبي، ج2، ص452.

(3)- المصدر نفسه، ج2، ص465.

## الباب الثاني : الأدوار الإيجابية والسلبية للبطانة في توجيه سياسة الخلفاء العباسيين.

### الفصل الثالث: ..... النتائج السلبية لتوجيه البطانة للسياسة العامة لخلفاء العصر العباسي

خدمة الخليفة والخلافة والقيام بشؤونهما. طاعة واستجابة. ويدل على ذلك تركوه وخلفوه بعد وفاتهم.

ب/ في العصر العباسي الثاني (334.232هـ / 946.847م)

#### 1 - انفصال السلطة السياسية عن السلطة الروحية . الخلافة . :

وفي عهد المعتمد على الله ابن المتوكل انفصلت السلطة السياسية عن السلطة الروحية أي الخلافة . فكانت الخلافة للمعتمد بينما كان الملك والسلطان لأخيه الموفق . كما فوض الخليفة الراضي أمر المملكة إلى الأمير محمد بن رائق وأصبح الحكم الفعلي . بينما صار الخلفاء ألعيب ودمى بعينهم الملوك والقواد والخدم والنساء . بسبب ضعف الخلفاء من جهة ، ومن جهة أخرى ، بسبب تصاعد وتنامي قوة أمراء الجند وقادتهم .

ولم تظهر النتائج السلبية لهذا الوضع بصورة مكشوفة إلا في العهد الذي تلا مقتل المتوكل . حيث تولى الحكم خلفاء غالبيتهم ضعفاء مسلوبو السلطة . تحت وضع استبد القادة العسكريون ، وبمنطق القوة يدافعون عن كل يوافق أهواءهم . لأنهم من وجهة نظرهم قد جاؤوا إلى الحكم ليقوا فيه . وهكذا تحول الوضع إلى دوامة لا نهاية لها <sup>(1)</sup> .

وقد أثمرت الفوضى في المركز ثمارا مرة للدولة العباسية . فإنها سهلت الطريق للمتذمرين والطامحين للقيام ضد بني العباس . فانفصلت الولايات البعيدة . ومما ساعد على الانفصال أن زعماء الترك كانوا ضد توليتهم على المقاطعات لا يريدون ترك العاصمة فيرسلون نوابا عنهم . وهذا الإهمال شجع أحد الطموحين من النواب ، وهو أحمد بن طولون على الانفصال بمصر <sup>(2)</sup> .

إن أزمة العصر العباسي الثاني لم تكن محصورة في نفوذ الترك بكل مظاهره ، بل تجاوزت كل الحدود والتوقعات . وأصبح يعين على رأس هرم الخلافة صبي لا يحسن من الأمر شيئا، حتى يكون هو بدوره لعبة في أيدي هؤلاء الأتراك . وأسرع الجند في سد فراغ منصب الخلافة . بعد أن تدارسوا أمرهم عزموا على تولية المقتدر الذي كان صبيا عمره 13 سنة ، مترفا لا خبرة له بالسياسة أو بالإدارة . مبذرا متلافا . بدد في مدة قصيرة ما في الخزينة . وزعزع ركن الدولة المالي وهو أهم أركانها .

(1) - فاروق عمر : الجيش والسياسة، ص 130 .

(2) - الدوري : دراسات ، ص 15 .

الباب الثاني : الأدوار الإيجابية والسلبية للبطانة في توجيه سياسة الخلفاء العباسيين.  
الفصل الثالث: ..... النتائج السلبية لتوجيه البطانة للسياسة العامة لخلفاء العصر العباسي

2/ الدسائس والمؤامرات مظاهر وأشكال:

-2-1/ بداية تعيين الأتراك للوزراء:

حيث تضاعفت أهمية الوزارة منذ اغتيال الخليفة المتوكل على الله ، واستبداد الأتراك في إدارة الدولة فأصبح منصب الوزير يخضع لتأثيرهم المباشر . كما أن اختيار المرشح للوزارة يجري حسب إشارتهم . وهكذا فإنهم عهدوا بالوزارة إلى أحمد بن الخصيب<sup>(1)</sup>.

ومما يذكر في تأثير الوزير ابن الخصيب على الخليفة المنتصر أن ابن الخصيب كانت بينه وبين وصيف التركي قائد الجند شحناء وتباغض . فرأى الوزير إبعاد القائد بحيلة هي أنه حرض الخليفة المنتصر على أن يبعد وصيفاً التركي إلى بلاد الروم. وتحقق للخصيبي إبعاد خصمه اللدود القائد وصيف. وكان ذلك سنة 248هـ<sup>(2)</sup>.

ومن الأمور التي يؤاخذ عليها الوزير أحمد بن الخصيب أنه اشترك مع القائدين التركيين وصيف وبغا لما خافوا من أن المعنز والمؤيد بعد المنتصر ، فتنقلب عليهم الأوضاع في غير صالحهم. فعملوا على خلعهما ما دام المنتصر في أيديهم فألحوا عليه حتى أجابهم إلى ما أرادوا<sup>(3)</sup>.

حتى تنكر لأوتامش القائد التركي بغا الشرابي وألب عليه الأتراك. فهرب إلى بغداد وكانت وزارته أربعة أشهر وأياماً ، واستتر بالكرخ عند بعض التجار إلى أن أدركه أجله سنة إحدى وستين ومائتين. إلا أنه كان ضعيفاً في الحساب . ولم تكن سيرته محمودة. وكان عاكفاً على لذاته والأمور مهملة ، وكان يقول لنوابه بالأعمال: «أنا أوقع إليكم وأنتم افعلوا ما فيه المصلحة»<sup>(4)</sup>.

-2-1/ وقوع الوزير علي بن عيسى تحت ضغوط الحاشية والجند:

بسبب الأعمال الإصلاحية الجليلة التي قام بها الوزير علي بن عيسى . فقد أصبح شخصاً مكروهاً من الحاشية والجند. وأثقلت وطأته على الناس. فكرهوا أيامه. وخاصة بعد انتشار الدعايات المغرضة ، التي بدأت الحاشية تطلقها بقصد التشنيع عليه ، وثلبه . وقد تعرض الخليفة لضغط شديد من

(1) ابن خلدون : العبر، ج3، ص599. فاروق عمر : دراسات، ص 246. سبق الحديث عن وزارته تحت رقم :24.

(2) تاريخ الطبري، ج9، ص240. ابن الاثير: الكامل، ج6، ص146. الذهبي: تاريخ، ج18، ص19. مسكويه: تجارب، ج4، ص142.

(3) المصدر نفسه، ج9، ص248. مسكويه: تجارب، ج4، ص143. ابن الاثير: الكامل، ج6، ص146-147. النويري: نهاية الأرب، ج22، ص216. ابن خلدون: العبر، ج3، ص353.

(4) ابن الطقطقي: الفخري ، ص259. الذهبي: تاريخ الإسلام، ج22، ص23.

## الباب الثاني : الأدوار الايجابية والسلبية للبطانة في توجيه سياسة الخلفاء العباسيين.

### الفصل الثالث: ..... النتائج السلبية لتوجيه البطانة للسياسة العامة لخلفاء العصر العباسي

الحرم والحاشية والقواد من أجل صرف الوزير علي بن عيسى عن الوزارة<sup>(1)</sup> . ودس نصر الحاجب علي بن عيسى من ادعى مكاتبة القرمطي على يده . وذلك لعداوة بينه وبينه ، ولممايلة علي لمؤنس<sup>(2)</sup> . ولما رأى الوزير علي بن عيسى هذه الصراعات لا تخدم توجهه الإصلاحية ، وهو يرى ضعف الخلافة وجيشها. استعفى من منصبه. فسعى لتقلد منصب الوزارة من بعده علي بن مقلة بسفارة من نصر الحاجب . وبالفعل مكنه من الاستيزار ، وتكوين جيش كثيف مع مؤنس الخادم ، وهزموا القرامطة، وأسروا منهم عددا كبيرا<sup>(3)</sup> .

غير أن المؤامرات ما لبثت تتولى حسدا وغيره من الوزير القدير علي بن عيسى . فجاءته أم موسى القهرمانه لتتفق معه علي ما يحتاج حرم الدار والحاشية التي للدار من الكسوات والنفقات . وبسبب تذرعه بأنه نائم . فغضبت منه ، ودخلت علي المقتدر . بكل بساطة . وحرصته علي الوزير ، فعزله عن الوزارة<sup>(4)</sup> .

-2-2/ضعف الوزارة وكثرة عزل الوزراء:

وكان من عادة خلفاء عصر الضعف العباسي، كثرة تولية الوزراء وعزلهم . فكان منهم حتى من يستوزر لشهر أو شهرين أو حتى أقل من ذلك . فعزل المقتدر أبا العباس الخصيبي عن الوزارة . وكان سبب ذلك أن الخصيبي قصر تقصيرا شديدا . وكان يترك الكتب الواردة الدواوين لا يقرأها إلا بعد مدة . ويهمل الأجوبة عنها فضاقت الأموال . وفاتت المصالح ، ووكل الأمور إلى نوابه ، وأهمل الاطلاع عليهم ، فباعوا عليه مصلحته بمصلحة نفوسهم<sup>(5)</sup> .

وحالات العزل هذه منها ما مبرر ومنها ما هو غير مبرر ، أي لمجرد الهوى أو الانتقام أو قبول السعاية أو غير ذلك مما فصلناه في عزل الوزراء والكتاب . وسبب عزله (الوزير سليمان بن الحسن) أنه أصابته ضائقة، وكثرت عليه العروض بالضمام والوظائف ممن يرغبون في الترشح للوزارة . فاكشف المقتدر ما به ، وعزله وأشار بتولية الحسين بن القاسم، ولكن القائد مؤنس رفض، وفرض عليه أن يستوزر أبا القاسم الكلوذاني . وكانت وزارة سليمان سنة وشهرين<sup>(6)</sup> .

(1)- الدوري: تاريخ العراق الاقتصادي ، ص 40.

(2)- عريب بن سعد : صلة تاريخ الطبري ، ص 257.

(3)- ابن كثير: البداية ، ج، ص 31-32. الذهبي: تاريخ، ج 23، ص 373. ابن خلدون: العبر، ج 3، ص 467.

(4)- ابن الأثير: الكامل، ج 6، ص 491.

(5)- المصدر نفسه، ج 7، ص 28.

(6)- المصدر نفسه، ص 64.

## الباب الثاني : الأدوار الإيجابية والسلبية للبطانة في توجيه سياسة الخلفاء العباسيين .

### الفصل الثالث : ..... النتائج السلبية لتوجيه البطانة للسياسة العامة لخلفاء العصر العباسي

وفي سنة 319هـ ، عزل الوزير سليمان بن الحسن واستوزر أبو القاسم الكلوذاني . وكان سبب ذلك أن سليمان ضاقت الأموال عليه إضاقة شديدة ، وكثرت عليه المطالبات ، ووقفت وظائف السلطان . واتصلت رقاع من يرشح نفسه للوزارة بالسعاية به والضمان بالقيام بالوظائف ، وأرزاق الجند وغير ذلك . فقبض عليه ونقله إلى داره . وكان المقتدر كثير الشهوة لتقليد الحسين بن القاسم الوزارة . فامتنع مؤنس من ذلك وأشار بوزارة أبي القاسم الكلوذاني . فاضطر المقتدر إلى ذلك فاستوزره ، فكانت وزارة سليمان سنة واحدة وشهرين . وكانت وزارته غير متمكنة أيضا ، فإنه كان علي بن عيسى معه على الدواوين ، وسائر الأمور ، واشتغل علي بن عيسى بأمور الوزارة ولازم النظر فيها فمشت الأمور ، واستقامت الأحوال<sup>(1)</sup> .

وفي سنة 320 هـ أيضا ظهر عجز الوزير الحسين بن القاسم فعزل عن الوزارة . وسبب ذلك أنه ضاقت عليه الأموال وكثرت الإخراجات فاستسلف في هذه السنة جملة وافرة أخرجها في سنة تسع عشرة ، فقبض عليه ، وكانت وزارته سبعة أشهر<sup>(2)</sup> .

ويمكن تبرير كثرة الوزراء في عهد المقتدر ، بتعدد المصالح وتضاربها . وسهولة تنصيب هذا المنصب لمن يدفع أكثر ، ولمن يخدم الأطراف الذين تسببوا في استيزاره . هذا من جهة ومن جهة أخرى ، فإن هذا المنصب كان يدر أرزاقا كبيرة ، ومصالح جملة للوزير . فكان بإمكانه مصادرة الوزير السابق وأخذ أمواله ، ومحاسبته ، وهكذا تدور الدائرة ، وتكون السلسلة . فلم يكن أحيانا المنصب يبتغي ويرتجى لذاته . ولكن لما يحقق من هذه الأطماع والمصالح . فالوزير على يقين أنه يدفع الرشوة ، لكي يحصل أمواله ويسترجعها من طريق مصادرة من قبله .

وهذا ما يفسر لنا قوة بعض شخصيات الخلفاء في العصر العباسي الثاني خاصة في فترة الصحوة المؤقتة (256-295هـ) برغم الضعف العام في البطانة ، لكن على مستوى خلفاء هذه الفترة ، كانت لديهم بعض القدرة على التمييز والاختيار وإنشاء الأعمال والمشاريع . رغم استبداد قادة الجند الأتراك بالأمور .

فلم يكن الوزراء يستقر لهم حال ، خاصة إذا تعلق الأمر بأجور العمال وخاصة منهم الجند . فكانوا يقومون من حين لآخر بشغب وفوضى ، إما للمطالبة بحقوقهم ومستحقاتهم المالية ، أو تستغلهم أطراف في السلطة لضرب الطرف الآخر . وكم من الوزراء الذين نكل بهم وأحرقت دورهم وعزلوا وصودروا ،

(1) ابن الأثير : الكامل ، ج7 ، ص64-65 .

(2) المصدر نفسه ، ص72 . ابن كثير : البداية ، ج15 ، ص58 . السامرائي : تطور نظام الوزارة ، ص302 .

## الباب الثاني : الأدوار الإيجابية والسلبية للبطانة في توجيه سياسة الخلفاء العباسيين.

### الفصل الثالث: ..... النتائج السلبية لتوجيه البطانة للسياسة العامة لخلفاء العصر العباسي

بسبب هذه الحساسيات المفرطة بين الموظفين في دواليب السياسة والإدارة، بالخصوص في العصر العباسي الثاني.

وظهر تشارك يشبه التنافس على الوزارة بين محمد بن علي بن مقله ومحمد بن ياقوت، هذا الأخير استبد بالأمر دونه، وأصبح لا يمضى أمر إلا بتوقيعه، الذي هو بدوره ألقى أمره على كاتبه أبي إسحاق القراريطي، فإذا رغب في إمضاء شيء عرضه على ابن ياقوت، ولا يقبل إمضاء غيره.<sup>(1)</sup> ونظرا لكثرة الفساد السياسي والإداري الذي ضرب بأطنابه في المناصب المؤثرة مثل الوزارة والحجابه وقيادة الجند. مما اضطر الخليفة الراضي أن استتر وراء وزرائه الذين يأمل في نجدتهم. إلا أن وزرائه لم يستطيعوا أن يعيدوا الدولة إلى مسارها. حيث عمت فيها الفوضى واهتز عرشها. وأسند الخليفة الراضي ضعفه وقلة أمره لغيره. فأنشأ منصب إمرة الأمراء، وأصبح هذا المنصب فوق الوزارة بل إنه أبطلها<sup>(2)</sup>.

وهذه الوزارات التي تدوم الشهر والشهرين ، لا تدل على حقيقة الوزارة ، التي تنبني عليها علاقة الخلفاء بالوزراء. إذ لا يمكن أن يتعرف الخليفة على وزيره بهذه السرعة . ولا أن يتمكن من تقييم شخصيته وأعماله. كما لا يمكن للوزير أن تظهر شخصيته الوزارية في هذا الوقت الضيق. ويمكننا استقراء الواقع السياسي المتعفن بسبب تسلط القادة الأتراك. الذين لا هم لهم إلا جمع المال . وتعيين كل خليفة حسب أهوائهم، بل وإخضاع أو تعذيب أو قتل من حاول أن يردهم أو يعصي لهم أمرا. فهم عملوا على تمييع نظامي الخلافة والوزارة في آن واحد. فأصبح كل من الخليفة والوزير مجرد عاملين مؤتمرين بأوامر القائد التركي. واتضح ذلك أكثر خلال فترتين في العصر العباسي الثاني . بين 248-256هـ و 295-334هـ . وما بينهما أي 256-295هـ كانت فترة الصحوة المؤقتة ، حيث طالت فيها مدة الخلافة والوزارة بقدر كبير من الحرية والعمل.

### -2-3/ صراع أجنحة البطانة:

انتشرت ظاهرة تصفية الحسابات بين الوزراء والكتاب . فلا يكاد يسلم منهم أحد من فخ أو مكيدة. فلما ولي ابن الفرات الوزارة الثانية سنة 304هـ ، وقعت حساسية بينه وبين ابن مقله الذي أحس

(1) \_ الصولي: أخبار الراضي ، ص 31.

(2) \_ محمد العازمي: مظاهر الحياة السياسية والعلمية والاقتصادية في القرن الرابع الهجري من خلال أدب القاضي للمحسن التنوخي ، ص 30.

## الباب الثاني : الأدوار الإيجابية والسلبية للبطانة في توجيه سياسة الخلفاء العباسيين.

### الفصل الثالث: ..... النتائج السلبية لتوجيه البطانة للسياسة العامة لخلفاء العصر العباسي

هو الآخر بشأن مكانته .« فكفر ابن مقله إحسان ابن الفرات ، ودخل في جملة أعدائه والسعاة عليه . حتى جرت النكبة على ابن الفرات . فلما رجع ابن الفرات إلى الوزارة قبض عليه وصادره على مائة ألف دينار أدتها عنه زوجته ، وكانت ذات مال طائل» . ومازالت الأحوال تتقلب بآبن مقله حتى استوزره الراضي . لكن أعداءه سعوا به إلى الراضي وخوفوه منه، فقطع يده اليمنى ، ومكث في الحبس مدة مقطوع اليد<sup>(1)</sup> .

وتطورت الأزمة المالية ، بسبب أن ابن الفرات في وزارته الأولى، كان يخشى نفوذ مؤنس . ولذلك تجده يخصص مرتبات لأفراد الأسرة المالكة، ليقوي نفوذه في البلاط . كما أنه ألغى الضرائب التي يستثقلها الناس . ولم يفكر في كيف تتحمل الخزينة تلك التدابير<sup>(2)</sup> . ويجب ألا ننسى أن الوزير ابن الفرات استغل مركزه لجمع المال لنفسه على حساب الدولة والخليفة<sup>(3)</sup> .

وبالرغم من معاقبة ابن الفرات وسجنه إلا أن الخليفة المقتدر بالله كان كثير الاستشارة له في كثير من القضايا السياسية ، والأخذ برأيه ، وتبين لنا من خلال ما أشار به بعض المؤرخين بقولهم: «ثم صار المقتدر بعد ذلك يشاور ابن الفرات في الأمور ويقرئه رقع وزراء إليه ويجيبهم عنها برأيه»<sup>(4)</sup> . ومن خلال ما سبق ظهر أن ابن الفرات وقع في الفخ ، من خلال المؤامرات والعداء بينه وبين أعوانه المقربين في دار الخلافة، والتي أدت أخيراً إلى عزله من الوزارة، وتعيين ابن خاقان بدلا عنه سنة 299هـ/911م<sup>(5)</sup> .

إن ما ارتكب بحق الوزير علي بن محمد بن الفرات مع خدماته للدولة وتكرار استلامه منصب الوزارة . يعكس مدى الانحلال والتردي التي وصلت إليه العلاقة بين الخليفة والوزير، والانحطاط الذي بلغه منصب الوزارة . ومدى الاستهانة بأرواح كبار المسؤولين في الدولة كما يعبر عن مدى تدخل قادة الجند الأتراك والحاشية والحرم وجشعهم وتغليبهم المصلحة الذاتية على المصلحة العامة للخلافة والأمة<sup>(6)</sup> .

فضلا عن أن الوزير ابن الفرات لم يراع جانب الأتراك ، وعلى رأسهم مؤنس الخادم الذي بدأ نجمه

(1) - ابن الطقطقي: الفخري ، ص 275.276.

(2) - الدوري : دراسات، ص 161.

(3) - الصابي: تحفة الوزراء، ص79.

(4) - ابن الأثير: الكامل، ج6، ص491. الصابي: الوزراء ، ص 30. مسكويه: تجارب، ج5، ص15.

(5) - الصابي: المصدر السابق، ص 26-28. مسكويه: تجارب، ج5، ص13.

(6) - السامرائي: تطور نظام الوزارة ، ص 299.

## الباب الثاني : الأدوار الإيجابية والسلبية للبطانة في توجيه سياسة الخلفاء العباسيين.

### الفصل الثالث: ..... النتائج السلبية لتوجيه البطانة للسياسة العامة لخلفاء العصر العباسي

يتصاعد خاصة بعد القضاء على حركة ابن المعتز والذي أدى إلى ظهور العداء بينهما. فضلا عن شعور الخليفة بأن وزيره لم يهتم بشؤون الخلافة.<sup>(1)</sup>

ويتبين لنا من خلال هذه المواقف ضياع هيبة الوزارة ، وطفو الصراع إلى السطح. مما عرقل عمل الوزراء والخلفاء على حد سواء. وهذه الصراعات لا يفسرها دائما فساد جانب معين من البطانة ، بل العكس هو الصحيح. وحتى أولئك الذين لا علاقة لهم بالصراع ، يجدون أنفسهم مقحمين ، ومدفوعين دفعا للدفاع عن أنفسهم ، أو التهرب من المسؤولية كلية، تجنباً للمصائب التي قد تلحقهم.

#### -2-4/الصدام بين الجيش والإدارة:

يظهر أن أول صدام علني بين الجيش والإدارة كان في وزارة ابن الفرات الثالثة. فقد كان القائد مؤنس يبغض ابن الفرات ويكن له كل سوء. وصار المحور الذي تحاك فيه الدسائس والمؤامرات. وسعى ابن الفرات إلى ابعاده عن بغداد. واقترح على الخليفة إرساله إلى الرقة. بحجة أن بقاءه في العاصمة يجعله خطرا على السياسة العامة. وأكد على الخليفة وجوب منع الجيش من التسلط على الشؤون العامة. ثم بين للخليفة أن إرسال مؤنس إلى الرقة يسهل جمع ضرائب الولايات الغربية. كما إنه يمكن دفع رواتب الجيش منها. وبذلك تتخلص الخزينة من نفقات ثقيلة ، فقنع الخليفة ، واضطر مؤنس إلى أن يخضع لرغبته.<sup>(2)</sup> ولكن مؤنسا استدعي إلى العاصمة عند سقوط الوزير<sup>(3)</sup>.

وكان القائد مؤنس يبغض ابن الفرات ويكن له كل سوء. وصار المحور الذي تحاك فيه الدسائس والمؤامرات. وسعى ابن الفرات إلى ابعاده عن بغداد. واقترح على الخليفة إرساله إلى الرقة. بحجة أن بقاءه في العاصمة يجعله خطرا على السياسة العامة. وأكد على الخليفة وجوب منع الجيش من التسلط على الشؤون العامة. ثم بين للخليفة أن إرسال مؤنس إلى الرقة يسهل جمع ضرائب الولايات الغربية. كما إنه يمكن دفع رواتب الجيش منها. وبذلك تتخلص الخزينة من نفقات ثقيلة ، فقنع الخليفة ، واضطر مؤنس إلى أن يخضع لرغبته.<sup>(4)</sup> ولكن مؤنسا استدعي إلى العاصمة عند سقوط الوزير<sup>(5)</sup>.

(1) ابن كثير : البداية ج15، ص06. عاصم مراد ظاهر إبراهيم الراوي : دور المشورة في تعيين وعزل الوزراء (295 - 320 هـ / 907 - 932 م) ، ص104.

(2) - الصابي: تحفة الوزراء، ص45-46.

(3) - الدوري: دراسات، ص154.

(4) - الصابي: الوزراء، ص45-46.

(5) - الدوري: دراسات، ص154.

**الباب الثاني : الأدوار الإيجابية والسلبية للبطانة في توجيه سياسة الخلفاء العباسيين.**  
**الفصل الثالث: ..... النتائج السلبية لتوجيه البطانة للسياسة العامة لخلفاء العصر العباسي**

وأشار الوزير ابن الفرات على الخليفة المقتدر بالله أن يبعد عنه مؤنسا الخادم ويأمره بالذهاب إلى الشام وكان قدم من بلاد الروم ، وقد فتح شيئاً كثيراً من بلدانهم ، وعنم مغانم كثيرة جدا ، فأجاب الوزير إلى إبعاد مؤنس فأخرجه إلى الشام<sup>(1)</sup> .

ويمكن أن نستنتج من كثرة المؤامرات والصراعات نتيجة المنافسة والحسد. أنه رغم قوة شخصيات خلفاء وبطانة العصر العباسي الأول ، إلا أن ذلك لم يكن ليمنع وقوع مثل هذه الخروقات والسعيات.

(1)- ابن كثير : البداية، ج15، ص06.

الباب الثاني : الأدوار الإيجابية والسلبية للبطانة في توجيه سياسة الخلفاء العباسيين.  
الفصل الثالث: ..... النتائج السلبية لتوجيه البطانة للسياسة العامة لخلفاء العصر العباسي

ثانيا- المساوى الاقتصادية لتدخل الوزراء والكتاب والحجاب في توجيه سياسة الخلفاء

1/ في العصر العباسي الأول (132-232هـ / 749-847م)

1/ الفساد المالي واستغلال المنصب:

برغم العوامل التي شكلت حضارة كبيرة في العصر العباسي الأول، إلا أن عوامل الضعف بدأت تتسلل إليها في العصر العباسي الثاني. بدءا بالمشكلات الاقتصادية الناجمة عن تدخل الجند الترك في السياسة. مما أساء إلى الإدارة والمجتمع على حد سواء. تراكمت المشاكل الاقتصادية و، وازدادت مضاعفاتها، وضاعت الفرص ، وظهرت الطبقية ، واستاء الناس.

وظلت الممارسات الفاسدة التي بدأها البلاط العباسي. وسادت في أوساط الطبقات الحاكمة ، لا بل تطورت حتى صارت فنا . وتطورت الى امتلاك الأراضي بسهولة مدهشة. واستغلال الموظفين لمناصبهم لزيادة ثروتهم و ثروات أسيادهم . وفرض ضرائب على حساب صغار الملاكين مما اضطر كثير من هؤلاء إلى التخلي عن ممتلكاتهم ما أدى الى انضمامهم إلى حركات الاحتجاج .

بدأت ظهور حالات الفساد المالي التي قام بها بعض أفراد البطانة ، كما تذكر الروايات الحالات التي تلبس بها الوزير أبو أيوب المورياني. من احتكاره لرخص المواد الغذائية في سواد الكوفة والبصرة طمعا في الربح<sup>(1)</sup> . وأخذه مبلغ ثلاثمائة درهم لإصلاح ضيعة ابن الخليفة ( صالح المسكين) بالقرب من الأهواز فأخذ المال ولم يصلحها. وزعم أنه أصلحها ، ولما علم بعزم المنصور على الذهاب لمعاينة الضيعة كتب أبو أيوب الى وكلائه أن يبنوا على دجلة في طريق الضيعة على طريق أبي جعفر قرى من اللين والقصب. وأن يغرسوا نخلا وسدرا ، وكل ما تهيا أن يحسن به. ويرى ظاهره ، ليراها أبو جعفر عامرة الظاهر. ففاض الماء وغرقت الضيعة . وانتظر أبو جعفر حتى وقف على الضيعة ، ووقف على كذب أبي أيوب، وعاد إلى بغداد وأوقع به<sup>(2)</sup> .

إلى المتاجرة باسمه ، ومركزه ، ومن ذلك بيع اسمه لصاحب ضيعة من الأهواز بمبلغ من المال ، يقدر بمائة ألف درهم في كل سنة ، وذلك حتى يرهبه العمال والناس فلا يعتدون على ضيعته<sup>(3)</sup> .

(1)-الجهشياري ، الوزراء ، ص 117 .

(2)-المصدر نفسه ، ص 118-119.

(3)-المصدر نفسه ، ص 118 .

## الباب الثاني : الأدوار الإيجابية والسلبية للبطانة في توجيه سياسة الخلفاء العباسيين.

### الفصل الثالث: ..... النتائج السلبية لتوجيه البطانة للسياسة العامة لخلفاء العصر العباسي

وفي الأخير ، مشاركته هو وأخوه خالد في الأرباح مع العمال الذين يعينهم على الجباية ، حتى قيل بأن الأموال التي كانت تجمع مع جباية الأهواز كان يذهب نصفها لبيت المال والآخر يذهب إلى بيت مال خالد شقيق أبي أيوب (1) .

وعندما تحقق للمنصور سوء تصرفات وزيره وأعوانه وابتزازهم للأموال ، أمر بعزل المورباني عن الوزارة ، كما عزل جميع أقرائه وسجنهم وصادر أموالهم وضيق عليهم سنة 153هـ / 770م . وبقي المورباني في السجن حتى مات في السنة التالية سنة 154هـ / 771م . واشتهر الوزير الخاقاني بسوء سيرته وتدبيره، حتى أنه ولى في يوم واحد تسعة عشر ناظرا للكوفة، وأخذ من كل واحد رشوة(2) .

### 2/ ارهاق الفلاحين بالضرائب:

ذلك أن البرامكة اتبعوا أساليب صارمة في جمع الضرائب لتعويض ما لحق بالخزينة من خسائر أيام خلافة المهدي ، وإن كانت الضرائب في أحيان كثيرة تجمع بطريقة تعسفية غير شرعية . ففي بداية وزارة يحيى فرضت ضريبة العشور الإسلامية على معتنقي الإسلام في السودان ، إضافة إلى ما كانوا يدفعونه بناء على نظام المقاسمة الذي عمل به في أيام المهدي . ولما كان ذلك يعني عقوبة على اعتناق الإسلام فإنه سرعان ما أبطل (3) .

ومن أساليبهم المتشددة في جمع الضرائب أنهم كانوا يطالبون الناس بدفع الضريبة كاملة مع جميع المتأخرات " البقايا " فتولى مطالبتهم في دار السلام عبدالله بن الهيثم بن سام ، الذي لم يتوان عن استخدام القوة التي تصل أحيانا إلى التعذيب ، وذلك لإجبارهم على دفع الضرائب أو البقايا ، كما عينوا من أجل ذلك في جميع الولايات موظفين للقيام بهذه المهمة (4) .

وفي الموصل استطاع يحيى بن سعيد الحرشي تحصيل جميع المتأخرات إلى جانب الضرائب التي فرضت على الدواجن والماشية ، فبلغت ستة ملايين درهم (5) . وفي أذربيجان التي تم إعفاء أهلها من

(1)- البلاذري ، أنساب الأشراف ، ج 4 ، ص 326 .

(2)- ابن الطقطقي: الفخري، ص 271.

(3)- تاريخ الطبري، ج 8 ، ص 236 .

(4)- اليعقوبي ، تاريخ ، ج 2 ، ص 415 ، الطبري ، تاريخ ، ج 8 ، ص 272 .

(5)- الأزدي ، تاريخ الموصل ، ص 287 ، ابن الأثير ، الكامل ، ج 5 ، ص 103 .

## الباب الثاني : الأدوار الإيجابية والسلبية للبطانة في توجيه سياسة الخلفاء العباسيين.

### الفصل الثالث: ..... النتائج السلبية لتوجيه البطانة للسياسة العامة لخلفاء العصر العباسي

دفع الضريبة على أراضيهم تشجيعاً لهم للاستيطان في المناطق الحدودية صاروا يطالبون من قبل عمال البرامكة بدفع هذه الضريبة<sup>(1)</sup>.

وهكذا أدت سياسة البرامكة المالية الصارمة إلى امتلاء خزانة الدولة بالأموال ، مما رفع من شأنهم في نظر الرشيد . وكما عمل البرامكة على ملء خزانة الدولة عملوا أيضاً على ملء خزانة الرشيد الخاصة، وذلك عن طريق مصادرة الأراضي المهجورة التي تركها أصحابها بسبب عبء الضرائب ، وأراضي بني أمية، حتى ممتلكات بعض أفراد العائلة العباسية التي مات عنها أصحابها صادروها وأضافوها إلى خزائن الرشيد وعائلته.

### 3/ ظاهرة التضخم النقدي في بدايات العصر العباسي:

كانت الدولة العباسية في سنواتها الأولى ، تعاني من مشكلة اقتصادية خطيرة هي ارتفاع الأسعار<sup>(2)</sup>. أو ما يسمى التضخم النقدي. وسببه الرئيس هو الزيادة في كمية النقود . فقد أشار ابن المقفع إلى ذلك، وانعكاسه على الخراج بقوله للمنصور: " وإن هذا الخراج إن يكن رائجا لغلاء السعر، فإنه لا بد من الكساد والكسر، وإن لكل شيء درة وغزارة ، وإنما درور خراج العراق بارتفاع الأسعار<sup>(3)</sup>.

ويبدو من كلام ابن المقفع هذا ، أن سبب الغلاء هو كثرة الطلب على المنتوجات الزراعية. لأن السلعة لا تروج ولا تنفق إلا إذا كثر طلبها.<sup>(4)</sup> بسبب تدفق النقود وكثرة تداولها في السوق ، لكثرة تدفق الأموال المصروفة على الجند النظامي الخرساني ، فقد قال ابن المقفع للمنصور : « إن أمير المؤمنين قد علم كثرة أرزاقهم (أي أرزاق الجند) ، وكثرة المال الذي يخرج لهم ، وأن هذا الخراج إن لم يكن رائجا لغلاء السعر، فإنه لا بد من الكساد والكسر»<sup>(5)</sup>.

كما خصصت رواتب مرتفعة للجند الخرساني ، فكان الجندي يتقاضى 80 درهما في الشهر. أما القادة والنقباء فكانت رواتبهم تتراوح ما بين 1000 و2000 درهما في الشهر. فضلا عن الإكراميات التي كانت تصرف لهم بمناسبة الانتصارات الكبرى أو لتحفيزهم أو لإرضائهم، كما كانت تجرى عليهم على عهد بني أمية<sup>(6)</sup>.

(1)-شعبان: الدولة العباسية ، ص 33-34.

(2)- تاريخ الطبري، ج7، ص507.

(3)- ابن المقفع : رسالة الصحابة، ص37.

(4)- الفيومي: المصحح المنير، مادة راج، 242.

(5)- ابن المقفع : رسالة الصحابة، ص37.

(6)- ابن أعثم الكوفي: الفتوح، ج8، ص366. عبد الوهاب خضر إلياس : ظاهرة رخص الأسعار ، ص175.

## الباب الثاني : الأدوار الإيجابية والسلبية للبطانة في توجيه سياسة الخلفاء العباسيين.

### الفصل الثالث: ..... النتائج السلبية لتوجيه البطانة للسياسة العامة لخلفاء العصر العباسي

ولا بد أن تؤدي هذه الأموال التي حازوها إلى تحسين مستواهم المعاشي ومن ثم الغلاء وارتفاع الأسعار. ومما زاد الطلب على المنتوجات الزراعية إيقاف توزيع العباسيين للمواد العينية ، وخاصة توزيع الحنطة على الجند. ويظهر هذا من نصيحة ابن المقفع للمنصور بأن يدفع رواتب الجند نقدا لا عينا. (1) كعلاج لمشكلة الغلاء وارتفاع أسعار المواد الغذائية. ولا بد أن إيقاف توزيع المواد العينية التي كانت توزع على الجند في الفترات السابقة (2).

ولقد أدت الاضطرابات الداخلية والحروب والثورات إلى زيادة الإنفاق العسكري. إذ كان على الدولة أن تتحمل عبء الإنفاق على الحملات التي كانت ترسلها، لإخماد الثورات التي اندلعت ضدها في الفترة ما بين 132-145هـ/749-762م (3).

وهناك سبب آخر لغلاء الأسعار، ويتمثل في نقص الانتاج الزراعي ، ذلك أن لكمية النقود وكمية السلع ، تأثير تضخمي على الاقتصاد. والواقع أن الانتاج الزراعي خاصة في العراق. قد سجل تراجعا ملحوظا لكثرة الغامر الذي لا يعمل ، وقلة العامر الذي يعمل بذلك الخراج.(خراج عمر بن الخطاب رضي الله عنه) 13-23هـ/634-643م (4).

وكان خراج المساحة - قبل العباسيين - سببا في تقلص المساحات المزروعة في العراق خاصة ، ومن ثم تدهور الإنتاج ، اهمال نظام الري الذي أدى إلى تكسر بعض السدود وإلى حدوث «البثوق» وازدياد البطائح ، وغرق مساحات من الأراضي ، واندثار بعض الأنهار وانقطاع الماء عنها (5).

وقد ساعد أيضا على تقلص المساحات المزروعة. ومن ثم تدهور الانتاج الزراعي. ويعود النقص الحاصل في الأيدي العاملة لسببين: الأول انتشار الأوبئة كالتطاعون الذي قضى على الكثير من الأيدي العاملة (6). والثاني: هجرة الفلاحين من القرى إلى المدن، وقد اتخذت الدولة تدابير حازمة للحد من ظاهرة ظاهرة ترك الأرض، « فقد كان سكان القرى يوشمون بوشم خاص يدل على اسم قريتهم. وعين موظف للقبض على الهاربين أو المهاجرين من قراهم» (7).

وقد رافق ذلك انخفاض في الأسعار، وقد بدأت الأسعار بالانخفاض بعد بناء بغداد بقليل من

(1)- ابن المقفع: رسالة الصحابة، ص37.

(2)- جمال جودة: العرب والأرض في العراق في صدر الإسلام، ص199-200، 227.

(3)- شاکر مصطفى : دولة بني العباس، ج1، ص194-220، 243.

(4)- عبد الوهاب خضر إلياس : المرجع السابق ، ص176.

(5)- صالح العلي: الخراج في العراق في العهود الإسلامية الأولى ، ص70 .

(6)- ابن الغملاس: ولاية البصرة ومتسلموها، ص9.

(7)-عبد الوهاب خضر إلياس : ظاهرة رخص الأسعار، ص176.

## الباب الثاني : الأدوار الإيجابية والسلبية للبطانة في توجيه سياسة الخلفاء العباسيين.

### الفصل الثالث: ..... النتائج السلبية لتوجيه البطانة للسياسة العامة لخلفاء العصر العباسي

السنين كما يرى الرئيس<sup>(1)</sup> أنه يستفاد من الأدلة أن حالة الرخص والرخاء تابعت إلى آخر عهد المنصور. فإن رخص الأسعار هو الذي دعا المزارعين أن يطالبوه بالمقاسمة . ويقول الجهشياري: « رخصت الأسعار أيام المنصور فاستغل المورياني وزير المنصور هذا الرخص ، فأقدم على شراء المواد الغذائية التي تنتجها سواد الكوفة وسواد البصرة لغرض احتكارها طمعا في الربح، وكان المنصور يطلب من المورياني بالمال سنة بعد سنة فتحمل منه الشيء بعد الشيء»<sup>(2)</sup>.

بمعنى أن المورياني كان يدفعها بمشقة بسبب رخص الأسعار أملا في تحسنها ، إلا أن الأسعار لم يتوقف هبوطها. فيذكر الجهشياري<sup>(3)</sup> تابع الرخص عليه ، وارهاق المنصور له بطلب المال ، الأمر الذي دفع المورياني إلى ابتزاز بعض الواردات المتأتية من الخراج لتلبية طلبات الخليفة المنصور وكنتيجة لرخص الأسعار على نطاق واسع في أواخر عهد الخليفة المنصور، حيث وصلتنا من سنة 157هـ/773م من خلافته مجموعة من الفلوس النحاسية المضروبة بمدينة السلام.<sup>(4)</sup>

وهكذا يظهر أن هناك فجوة بين أرزاق الموظفين عسكريين ومدنيين ، وأجر العمال ومعنى هذا أن رخص الأسعار زمن المنصور كان لمصلحة موظفي الدولة ، إلا أنه لا بد وأن يلحق أفدح الأضرار بالمنتجين، وهم دافعو الضرائب . ويوضح ابن خلدون آثار رخص الأسعار على الفلاحين فيقول بأن الرخص إذا استمر يلحق أفدح الأضرار بالعاملين بالزراعة ومراحلها من الفلاحة والزراعة « لقللة الربح فيه ، ونزارته أو فقده فيفقدون النماء في أموالهم أو يجدونه على قلة ، ويعودون على رؤوس أموالهم ، وتفسد أحوالهم ويصيرون إلى الفقر والخصاصة»<sup>(5)</sup>.

ويمتد تأثير رخص الأسعار إلى الأعمال المرتبطة بالإنتاج الزراعي حيث يقول ابن خلدون: « ويتبع ذلك فساد حال المحترفين أيضا، بالطحن والخبز وسائر ما يتعلق بالزراعة من الحرث إلى صيرورته مأكولا.»<sup>(6)</sup> كما « إنه في حالة رخص الأسعار يعجز الفلاحون عن دفع لضريبة. مما يدفعهم إلى بيع ما يملكون للحصول على المال اللازم لدفع الخراج. مما أثر على عمارة الأراضي الزراعية»<sup>(7)</sup>.

ويترتب عن هبوط الأسعار تأثير في ركود النشاط الاقتصادي. بسبب ضعف هوامش الربح . يقول

(1)- الرئيس: الخراج ، ص394.

(2)- الوزراء والكتاب، ص117.

(3)- المصدر نفسه.

(4)- القيسي ناهض عبد الرزاق : النقود في العراق، ص128-129.

(5)- مقدمة ابن خلدون ، ج2، ص88.

(6)- المصدر نفسه.

(7)- صالح أحمد العلي: الخراج في العراق ، ص77.

## الباب الثاني : الأدوار الإيجابية والسلبية للبطانة في توجيه سياسة الخلفاء العباسيين . الفصل الثالث : ..... النتائج السلبية لتوجيه البطانة للسياسة العامة لخلفاء العصر العباسي

ابن خلدون: « إذا استديم الرخص في سلعة أو عرض من مأكول أو ملبوس أو متمول على الجملة، ولم يحصل للتاجر حوالة الأسواق فيه (تغيرها) فسد الربح والنماء بطول تلك المدة . وكسدت سوق ذلك الصنف ولم يحصل للتاجر إلا على العناء . فقعد التجار عن السعي فيها وفسدت رؤوس أموالهم »<sup>(1)</sup> . ويمتد تأثير هبوط الأسعار إلى الصناعة أيضا فيقول ابن خلدون : « وكذا إذا استديم الرخص في السكر أو العسل فسد جميع ما يتعلق به وقعد المحترفون عن التجارة فيه . وكذا الملبوسات إذا استديم فيها الرخص أيضا . فإذا الرخص المفرط مجحف بمعاش المحترفين بذلك الصنف الرخيص »<sup>(2)</sup> .

### 4/ الأزمات الاقتصادية بسبب الفتن والحروب

وفي العصر العباسي الذي اتسم بكثرة الأزمات الاقتصادية وتعددت أسبابها مثل الصراعات والفتن السياسية وأهمها الصراع بين الأمين والمأمون سنة (193 هـ / 808 م) والذي استمر لمدة خمس سنوات وكلف الدولة أموالاً طائلة حتى أفلست الخزينة في عهد الخليفة الأمين .

كانت هذه الأزمة الاقتصادية في حدود سنة (197هـ/ 812 م)، وكان السبب المباشر لها هو الحرب بين الأخوين الأمين والمأمون . والتي امتدت بين سنة (193 - 198 هـ) والتي انتهت بمقتل الخليفة الأمين.<sup>(3)</sup> وكانت أولى نتائج النزاع انقسام الدولة . فانفصلت خراسان والمشرق تحت رئاسة المأمون ووزيره الفضل بن سهل عن العراق . والمغرب تحت رئاسة الأمين ووزيره الفضل بن الربيع . وانقسم ولاء الرعية في أنحاء كثيرة أيضا تبعا لذلك . وشغلت كل من الدولتين بحرب الأخرى عن تدبير الأمور الداخلية . التي تؤدي إلى رفاهية رعاياها، فنتج عن ذلك نقصان الخراج ، وتوالي حدوث الفتن<sup>(4)</sup> . وفي أثناء الحرب نفذت الأموال التي كانت في خزينة الدولة . عندها اضطر الخليفة الأمين - من أجل معالجة الأزمة بدفع مرتبات الجند - إلى ضرب أواني الذهب والفضة التي يمتلكها وجعلها نقوداً . وتفرق ما كان بيده من الأموال ، فأمر ببيع ما في الخزائن من الأمتعة<sup>(5)</sup> .

فضلاً عن إسراف الخليفة الأمين الذي أمر بعمل خمس حرافات وهي نوع من السفن فيها مرامي للنيران ، أمر بعملها على صورة الأسد والفيل والعقاب والحية والفرس ، أنفق مالا عظيماً بلغ على

(1) - مقدمة ابن خلدون، ج2، ص88 .

(2) - المصدر نفسه .

(3) - ابن الأثير: الكامل، ج5، ص393 .

(4) - الرئيس: الخراج ، ص 437 .

(5) - ابن الأثير: الكامل، ج5، ص393 .

## الباب الثاني : الأدوار الإيجابية والسلبية للبطانة في توجيه سياسة الخلفاء العباسيين.

### الفصل الثالث: ..... النتائج السلبية لتوجيه البطانة للسياسة العامة لخلفاء العصر العباسي

أحدهما ثلاثة ملايين درهم ، ثم بناؤه عدة قصور.<sup>(1)</sup> ويذكر أن الخليفة الأمين بذر الأموال التي جمعها الخليفة أبو جعفر المنصور والخليفة هارون الرشيد. حتى لم يبقَ له من ذخائر الخلفاء إلا أنفقه . وكان من آثار القتال بين جيشي الأخوين ، أن خربت الديار ، وغلت الأسعار ، وانتهت الأموال ، وذلك سنة 196هـ<sup>(2)</sup>.

ب- في العصر العباسي الثاني (334.232هـ / 946.847م):

#### 1- فساد الوزراء ونيل المناصب الرفيعة بالرشاوي :

في البداية رتب الوزير أبو علي محمد بن عبيد الله الخاقاني الأمور الدواوين . ثم أخذت شخصيته تنحو منحى سلبيا. فانصرف الى الوضاعة، ومراجعة أصحاب الحاجات والحقوق إلى ما يريد من قضائه منها. وما إلى ذلك من سوء السيرة والتدبير.<sup>(3)</sup> وكان الخاقاني أسوأ من سلفه ، حيث كان كثير التولية والعزل. إذ أفرط في قبول الرشوات. وقام ببيع الوظائف لجمع المال لنفسه . حتى وصل من ولاهم على الكوفة في يوم واحد تسعة عشر ناظراً. وأخذ من كل واحد رشوة.<sup>(4)</sup> ولا يخفى أثر ذلك في إفساد الوضع المالي وتدهور الجباية. ويتغلب ابنه عبد الله عليه وتحكمه في الأمور دونه، وكثر التخليط من الخاقاني في رأيه وجميع أمره<sup>(5)</sup>

هذا بالإضافة إلى أنه لم يعمل شيئاً لحل أزمة الخزينة. بل زاد الوضع سوءاً بسبب حرصه على تقوية مركزه. فذهب إلى أبعده مما ذهب إليه ابن الفرات في زيادة رواتب الجيش والكتاب وخدم القصر والحاشية<sup>(6)</sup> . وأصبح منصب الوزارة يؤخذ بالرشوة، ولا مجال للكفاءة أو النزاهة. فهذا أبو علي بن مقلة رغم اشتغاله بالوزارة لمرة. إلا أنه طمع في الوزارة الثالثة له ، بذل من أجلها 500 ألف دينار حتى استوزره الراضي. وكانت النتيجة أنه لم يحسن القيام بواجب الوزارة. وربما حصل تعارض وتضارب في المصالح مع الجند. وحصلت له فتنة أوجبت عزله. فعزله الراضي واستوزر عبد الرحمن بن عيسى بن داود بن الجراح<sup>(7)</sup>.

(1)- ابن الأثير: الكامل، ج5، ص410-411.

(2)- المسعودي: مروج، ج3، ص330.

(3)- ابن خلدون: العبر، ج3، ص356.

(4)- ابن الطقطقي: الفخري، ص 267-268.

(5)- عريب: صلة تاريخ الطبري، ص 39. ابن الطقطقي: الفخري، ص 267.

(6)- الدوري: دراسات، ص 162.

(7)- ابن الطقطقي: الفخري، ص 281.280.

## الباب الثاني : الأدوار الإيجابية والسلبية للبطانة في توجيه سياسة الخلفاء العباسيين .

### الفصل الثالث: ..... النتائج السلبية لتوجيه البطانة للسياسة العامة لخلفاء العصر العباسي

واستمر فساد الأمور، وأصاب جميع مرافق الدولة الإهمال. جاء كل ذلك بسبب ابتعاد الوزير عن القيام بواجباته الضرورية والأساسية، وانشغاله بالأمور الثانوية. فكان متشاغلا بخدمة السلطان ومراعاة أعدائه ، لا يقرأ الكتب الواردة ولا النافذة.. وتبقى الكتب بالحمول في خزانتها لا تفتح ولا يعرف حال ما فيها. ففسدت الأمور بولاية أبي علي الخاقاني وضاعت (1) .

كان حامد بن العباس يتولى دائما أعمال السواد ، ولم يكن له خبرة بأعمال الحضرة. ولما عرف المقتدر قلة فهم حامد وقلة خبرته بأمور الوزارة أخرج إليه علي بن عيسى ابن الجراح من الحبس وضمه إليه ، وجعله كالنائب له. فكان علي بن عيسى لخبرته هو الأصل. كل ما يعقد ينعقد. وكل ما يحله ينحل. وكان اسم الوزارة لحامد وحقيقتها لعلي بن عيسى (2) .

وكان حامد بن العباس يزيد على ضمانه ، فذكر ذلك لابن الفرات ، فخاف حامد من العقوبة، فكتب إلى نصر الحاجب وإلى والدة المقتدر، وضمن لهما مالا ليتحدثا له في الوزارة، وبالفعل استوزره المقتدر بدل ابن الفرات. ولكنه وجد منه جهلا كبيرا بأصول الوزارة ، مما اضطره لأن يطلق علي بن عيسى ليكون نائبا له ، حتى إنه لم يبق لحامد غير اسم الوزارة، ومعناها لعلي سنة 306هـ (3) .

فسبب رفع أسعار الحبوب في بغداد بأن منع استيرادها من المقاطعات فأضر الغلاء الحاصل في سعر الخبز بأهالي بغداد وأدى بهم إلى الشعب. فدعا الخليفة حامد ليهدئ الحال. فأخفق في إخماد الحركة بالقوة. فتنبه المقتدر للخطر وأمر بفتح مخازن الحبوب العائد لحامد وللسيدة ولبعض الأمراء ، وبيع الحبوب التي فيها بسعر رخيص . وكذلك فرض على التجار البيع بذلك السعر المخفض. ولكن المشكل لم يحل لقلة الحبوب واتضح وجوب نقض ضمان حامد. فأمر المقتدر بذلك. وتراجع حامد إلى واسط بعد هذا الإخفاق ، وأسرع بإرسال الحبوب إلى بغداد. فاتعظ المقتدر بما حصل فأمر بمنع الضمان لرجال السياسة والجيش (4) .

رغم تولي حامد الوزارة اسميا ، لكنه بجهله بقوانينها ومدخلاتها ومخرجاتها، فإنه سلم بالأمور للكاتب علي بن عيسى الذي أتقن وتفنن في التأطير والتسيير الإداري والمالي. وهذا يعطينا فكرة واضحة على اختلال موازين الوظائف حتى العليا منها . وكما نلاحظ في هذه الرواية أن الناس لم ينسجوا مع

(1) مسكويه: تجارب، ج5، ص15.

(2) ابن الطقطقي: الفخري، ص255-256، الصابي: تحفة الوزراء، ص347-348، ابن الأثير: الكامل، ج5، ص500. ابن كثير :

البداية، ج14، ص807، الذهبي: تاريخ الإسلام، ج23، ص26، الدوري دراسات، ص151.

(3) - ابن الأثير: الكامل، ج6، ص500.

(4) - المصدر نفسه، ج6، ص503-504. الدوري: دراسات151-152.

## الباب الثاني : الأدوار الإيجابية والسلبية للبطانة في توجيه سياسة الخلفاء العباسيين.

### الفصل الثالث: ..... النتائج السلبية لتوجيه البطانة للسياسة العامة لخلفاء العصر العباسي

الإجراءات التي كان تصدر الوزير الكفاء علي بن عيسى، فناصره العدا، ليس لأنها كانت خاطئة أو غير مؤسسة ، بل لأنها لا تخدم مصالحهم وتوجههم. وهذا شيء ايجابي خير من أن يكون العكس أي أن يكون وزير أو كاتب كفاء يخضع لأهواء جاهل يدفعه إلى إفساد الأمور كلها.

#### 2- إغراق الخلافة بالمال الفاسد:

ومن آثار الفساد السياسي للبطانة المدنية في العصر العباسي الثاني، إغراق الخلافة في المال الفاسد. وذلك بانتشار الرشاوي التي كانت تقدم للوزراء أو الكتاب أو الحجاب. بل وحتى لبعض القهرمانات . وذلك للحصول على بعض المكاسب أو الامتيازات. وفي ظل هذه الفوضى السياسية تفاقم أمر القواد الأتراك لدرجة أن القائد مؤنس المظفر، كان له أثر كبير في توجيه إدارة الخلافة. إذ أخذ يفرض إرادته وسيطرته على الخليفة ويتدخل في اختيار الوزراء وعزلهم. ومنها إشارته بعزل الوزير الخصيبي إبداعه السجن بعد شهرين فقط من ولايته السيئة ، وتولية علي بن عيسى الوزارة<sup>(1)</sup>.

وبعد أن تردت أمور الخلافة خرج مؤنس الخادم سنة 315 هـ ، على المقتدر واستوحش منه. لما بلغه من أن المقتدر يريد الفتك به. فامتنع مؤنس من دخول دار الخليفة وانضم إليه الجند . فوجه إليه المقتدر كتاباً يعتذر إليه . ويحلف ببطان ما بلغه وصفاء نيته له.<sup>(2)</sup> وهذا ما لا يترك مجالاً للشك في عظمة القادة العسكريين ، وسلطتهم ، ودورهم في صناعة القرار السياسي في الدولة آنذاك.

وهكذا أراد القادة العسكريون أن يكون للخليفة الاسم ، ولهم السلطة والتدبير، حسب مصالحهم الذاتية والمالية. وأصبح الخليفة في أيديهم آلة متى تعطلت أو شارفت على الهلاك أتوا بغيرها . حتى أوجس في أنفس الخلفاء خيفة منهم ، لأنهم تربوا على الدنيا ولم يروا غيرهم. فكان المخطط المدبر المتصرف بشؤون الدولة في زمن الخليفة المقتدر بالله ، هو مؤنس المظفر، ولا أدل على نفوذ سلطته أنه أثار الجند ضد الخليفة المقتدر بالله ، التي انتهت بقتل الخليفة المقتدر شر قتله ، ووصف ابن الأثير ذلك بقوله « كان ما فعله مؤنس سبباً لجراءة أصحاب الأطراف على الخلفاء وطمعهم في ما لم يكن يخطر لهم على بال ، وانخرقت الهيبة وضعف أمر الخلافة»<sup>(3)</sup>.

فقد كان القادة الأتراك يختارون للخلافة من البيت العباسي من هو ضعيف الشخصية. ليسهل توجيهه حسب ما يريدون. وتآمروا على المقتدر والقاهر والراضي خلعا ، وحبسا ، وسملا للأعين، وقتلا.

(1)- ابن الأثير: الكامل، ج7، ص28.

(2)- المصدر نفسه ، ص31.

(3)- المصدر نفسه ، ص75.

## الباب الثاني : الأدوار الإيجابية والسلبية للبطانة في توجيه سياسة الخلفاء العباسيين.

### الفصل الثالث: ..... النتائج السلبية لتوجيه البطانة للسياسة العامة لخلفاء العصر العباسي

ثم ظهر منصب إمرة الأمراء رسمياً ، والمنصب عبارة عن نقل كل سلطات الخليفة إلى قائد عسكري تتوفر فيه صفات الرئاسة العسكرية والمدنية ، ويطلق عليهم ( أصحاب السيف والقلم)<sup>(1)</sup> . والسبب وراء ظهور نظام إمرة الأمراء 324-335هـ/ 935-945م . هو أن الخليفة الراضي بالله ورث دولة متدهورة ، ومتهالكة سياسياً واقتصادياً. فالوزراء عجزوا عن النهوض بأعباء الوزارة لازدياد نفوذ كبار القواد ، وتدخلهم في أمور الدولة<sup>(2)</sup> . وكان لنظام إمرة الأمراء نتائج سيئة على نظام الري الذي لم يكن ليتحسن نظراً للجهود المحدودة للدولة. فالقنوات أهملت ، والبلاد خربت ، نتيجة التنافسات والحروب بين الأمراء. والفوضى التي حصلت بتمرد الجيش. أثناء الصراع بين بحكم التركي واين رائق<sup>(3)</sup> .

### ثالثاً- المساوى السياسية للبطانة العسكرية

#### 1- في العصر العباسي الأول:

رغم الأهداف السامية التي وضعت لتكوين الجيش النظامي العباسي، لكن حالة الضعف التي مست الجوانب السياسية والاقتصادية ، لا سيما خلال العصر العباسي الثاني، كان أهم عواملها انحسار دور قادة الجند عن مهام الجندية، وانصرافهم الى التدخل في السياسة ، بدواع شتى منها ، كسب السمعة أو تكوين الثروة وما اليه. ومنذ عصر المعتصم أحس الجنود الترك بنقلة نوعية في مراتب الجندية، تطورت فيما بعد للتحكم في الخلافة ككل.

#### 1 - سياسة الاستكثار من الجند الترك:

يعتبر من أهم أسباب استكثار المعتصم من الأتراك ، تخلي أهل المدن عن الجندية وانصرافهم لحياة الترف. وذلك أنه لما كان أهل البلاد يعيشون في حالة من الرخاء والرفاه، فهم بعيدون عن حياة الجندية. وما دامت الفتوحات قد توقفت ، ولم يعد الجهاد على نطاق واسع كما كان. وإنما في أوقات محددة تقتضيه الظروف.. ولهذا فإن السكان لا يرون ضرورة للانخراط في الحياة العسكرية. وكان الخليفة مضطراً لاستقدام جنود من مناطق لا تزال غير مترفة بعد. أو قد دخلت في الإسلام منذ وقت قصير<sup>(4)</sup> وكان جذب العراق والأقاليم الحضرية الأخرى ، التي تعودت الرفاهية والدعة من عنصر محارب حيوي

(1)- آدم متز : الحضارة الإسلامية، ج1، ص176.

(2)- حسن إبراهيم حسن : تاريخ الإسلام، ج3، ص42.

(3)- Udjang Tholib : *The Economic Factors Of The Abbasid Decline* .p362.

(4)- محمود شاكر: التاريخ الإسلامي، ج5، ص8-7

## الباب الثاني : الأدوار الإيجابية والسلبية للبطانة في توجيه سياسة الخلفاء العباسيين.

### الفصل الثالث: ..... النتائج السلبية لتوجيه البطانة للسياسة العامة لخلفاء العصر العباسي

فعال تعتمد عليه الخلافة .

#### 2 - فشل سياسة المعتصم العسكرية:

رغم أن المعتصم كان في مستوى المسؤولية. ونجح في إفشال مؤامرة القائد الأفشين. وكانت هذه نقطة الضعف في الجيش الجديد، وهي قلة ولاء القادة البارزين واستقرار تطلعاتهم إلى مواطنهم التي استقدموا منها. ثم تعصب الجند الترك لقاداتهم وأمرائهم وإخلاصهم لهم أكثر من إخلاصهم للسلطة العباسية. وإيثار خدمة مصالحهم على مصالح الدولة . وظهرت نقطة الضعف هذه جليا في العصر العباسي الثاني الذي يطلق عليه (عصر الفوضى العسكرية) (1).

ولكن هناك سبب آخر استراتيجي للاعتماد على هؤلاء الجند. وهو قول المعتصم في رواية: « أخرج إلى موضع وأبني فيه مدينة وعسكر به ، فإن رابني من عسكر بغداد حدث كنت بنجوة ، وكنت قادرا على أن آتيهم في البر وفي الماء.» (2) وهذا ما يدل على أن المعتصم - تماما كما كان المنصور - كان حذرا من جند أهل بغداد والأبناء (الحربية) وأراد أن يكون بمأمن منهم من جهة ، ويستطيع ضربهم إذا تمردوا من جهة ثانية. وقسم المعتصم الجند المشاركة (الترك) إلى فرق عسكرية حسب جنسياتهم الأصلية مثل الفرغانية والأشروسنية وجعل لكل وحدة قائدها. (3) ومثل هذه التقسيمات تفيده في معرفة مناحي الخلل في كل جانب، وضرب العناصر المتمردة بعناصر أخرى موالية.

فلا نستغرب أن يكون القادة الترك معول هدم في زعزعة قواعد الخلافة العباسية . إذ سرعان ما استفحل نفوذهم بعد نقل مركز الخلافة من معقله الحصين ومواطن أنصاره . بغداد . إلى سامراء التي بقيت معسكرا للترك. وساعدتهم الظروف على التلاعب بمقدرات الخلافة (4).

وكانت سياسة المعتصم في تقريب (الترك) معارضة من بعض العباسيين من الأسرة الحاكمة. الذين استنكروا صعود أشخاص أمثال الأفشين وإيتاخ وأشناس إلى مرتبة القادة وموالي الخليفة ووصفهم بأنهم « فروع لا أصول لها.» (5) ولكن المعتصم لم يأبه بهذه الاعتراضات وحقق جيشه الجديد انتصارات كبيرة على أعداء السلطة في الخارج والداخل أعادت إلى الأذهان الأمجاد العسكرية القديمة (6).

(1) - فاروق عمر: الجيش والسياسة ، ص 123-124.

(2) - ابن الطقطقي: الفخري ، ص 231.

(3) - ابن الأثير: الكامل، ج 6، ص 22. فاروق عمر: الجيش والسياسة، ص 124.

(4) - الدوري: دراسات ، ص 14.

(5) - ابن الأثير: الكامل، ج 6، ص 72. فاروق عمر: الجيش والسياسة ، ص 123.

(6) - فاروق عمر: المرجع نفسه.

## الباب الثاني : الأدوار الإيجابية والسلبية للبطانة في توجيه سياسة الخلفاء العباسيين.

### الفصل الثالث: ..... النتائج السلبية لتوجيه البطانة للسياسة العامة لخلفاء العصر العباسي

والدليل على فشل هذه السياسة العسكرية، أن الخليفة المعتصم أحس أنه ارتكب خطأ جسيماً بتأسيس جيش يتكون من مجموعات مرتزقة من الأتراك و بانغماسهم في الحياة وإفراطهم في ملذاتها، حولوا بغداد إلى مكان لا يطاق العيش فيه<sup>(1)</sup>. وخوفاً من انتقام السكان المحليين للعاصمة قرر الخليفة بناء مدينة سامراء شمال بغداد<sup>(2)</sup>.

وأدرك المعتصم خطورة سياسة الاعتماد على العناصر التركية فندم على سياسته. ولكن لم يكن يستطيع التراجع فقد أصبحت سياسته مقررة. كما تكاثرت الأتراك وتغلغلوا في الجيش والحكومة. وعبر عن ندمه لإبراهيم بن إسحاق فقال: « نظرت إلى أخي المأمون ، وقد اصطنعوا أربعة أنجبوا ، واصطنعت أنا أربعة لم يفلح أحد منهم.» قال إسحاق : « ومن الذين اصطنعهم أخوك؟ قال: طاهر بن الحسين ، فقد رأيت وسمعت. وعبد الله بن طاهر ، فهو الرجل الذي لم ير مثله ، فأنت والله الذي لا يعتاض السلطان منك أبداً. وأخوك محمد بن إبراهيم ، وأين مثل محمد؟؟ واما أنا فاصطنعت الأفيشين ، فقد رأيت ما صار أمره، وأشناس ففشل أي فشل ، وإيتاخ فلا شيء ، ووصيف ، فلا معنى فيه... قال اسحاق : يا أمير المؤمنين نظر أخوك إلى الاصول فاستعملها فأنجبت فروعا. واستعمل أمير المؤمنين فروا لم تنجب إذ لا أصول لها. قال: يا إسحاق لمقاساة ما مر بي في طول هذه المدة أسهل علي من هذا الجواب»<sup>(3)</sup>.

وأصبح هؤلاء -الجند- الذين سيطروا على الدولة العباسية قد أضعفوا أمرها. واستبدوا بحكمها ولا فرق في طغيان جنس الترك أو غيرهم ، فالنتائج واحدة. و حكم الجند في أي عصر كان دليل على التخلف والتأخر المستمر<sup>(4)</sup>.

وقد ظهرت بوادر سيطرة قادة الجيش من المشاركة (الترك) على إدارة الدولة وسياستها في عهد الخليفة الواثق بالله (227-232هـ). فقد كان استخلف القائد أشناس التركي على السلطنة ووضع على رأسه تاجا. فكان بذلك أول خليفة استخلف سلطانا<sup>(5)</sup>.

وبمجيء هؤلاء الجند إلى مركز السلطة ، أصبحت الأمور بأيديهم. وبقي الخليفة اسما أو صورة في قصره. ليس له سوى التوقيع على التعليمات في كثير من الأحيان. أو إصدار الأوامر ، حسب رأي القادة

(1)- Thomas w, and others :The Cambridge medieval History , Muslim civ during the Abbasid period, Magdolene college , Cambrige,1923, p276.

(2)- Ibid .

(3)- تاريخ الطبري، ج9، ص122.

(4)- محمود شاكر: الدولة العباسية، ج5، ص9. 10.

(5)- ابن الأثير: الكامل، ج6، ص77. السيوطي: الخلفاء، ص270. فاروق عمر: الجيش والسياسة ، ص 124.

## الباب الثاني : الأدوار الايجابية والسلبية للبطانة في توجيه سياسة الخلفاء العباسيين.

### الفصل الثالث: ..... النتائج السلبية لتوجيه البطانة للسياسة العامة لخلفاء العصر العباسي

حتى وصف الخليفة أحد الشعراء، فقال :

خليفة في قفص بين وصيف وبغا.  
يقول ما قال له كما تقول البيغا<sup>(1)</sup>.

وأصبح الحكم بالسيف لا بالرأي . والتنفيذ بالسوط لا بالحكمة. والناس يخضعون جبرا. وعليهم أن يقولوا عن كل شيء أنه حق وصحيح وجيد مادام مفروضا من القادة. ومن قال غير ذلك قتل. وهكذا فسد الوضع ، وخاف الناس على أرواحهم و أموالهم و أعراضهم ، وفقدوا حريتهم ، ومتى وقع ذلك فقدت الأمة مقوماتها<sup>(2)</sup>.

#### ب- في العصر العباسي الثاني: (334.232هـ / 946-847م):

إن من الضروري التمييز بين الترك الذين جلبهم الخلفاء العباسيون لاستخدامهم في الجيش. وبين الترك المستقرين في خراسان وما وراء النهر الذين تأثروا بالإسلام وثقافته. واعتبروا جزءا من العالم الإسلامي .. وخاصة أن عملية جلبهم واستخدامهم في الدولة العباسية ، تمت سريعة ودون خطة عملية مسبقة. في وقت كانت الإدارة العباسية بحاجة إلى الرجال الأكفاء ، والتخطيط السليم المبني على سياسة حكيمة<sup>(3)</sup>.

وكان المنصور أول من استخدم الأتراك في الجيش العباسي، فاتخذ حمادا التركي ثم اتخذ المهدي مبارك التركي.<sup>(4)</sup> ثم بدأ المأمون يستخدمهم و ذلك لأنه كان قد خبر الأتراك وعرفهم خلال إقامته في خراسان فاستقدم منهم عددا ألحقه بجيشه<sup>(5)</sup>.

ويعتبر استقدام الدولة العباسية لعنصر جديد في الجندية وهو العنصر التركي أحسن الحلول لضمان قوة الدولة. لا سيما وأنهم كانوا أفضل من العناصر الأخرى الذين تقاسمتهم النزعات العصبية والولاءات الاقليمية. وركنوا إلى حياة الدعة والاستقرار والتحضر. بينما كان هؤلاء «المشاركة» بدوا محاربين أشداء اعتادوا شظف العيش . يتميزون بالشجاعة والاندفاع إلى القتال والمهارة فيه . وهذا ما

(1) - الذهبي: تاريخ الاسلام، ج 9، ص94. السيوطي: الخلفاء، ص285. المسعودي: مروج، ج4، ص118. محمود شاکر: الدولة العباسية، ج6، ص13.

(2) - محمود شاکر: الدولة العباسية، ج6، ص13.14.

(3) - صابر حسين: الدولة الإسلامية، ص 106.

(4) - العسكري: الأوائل، ص 268-269.

(5) - محمد حلمي أحمد: الخلافة والدولة في العصر العباسي، ص 77.

## الباب الثاني : الأدوار الايجابية والسلبية للبطانة في توجيه سياسة الخلفاء العباسيين.

### الفصل الثالث: ..... النتائج السلبية لتوجيه البطانة للسياسة العامة لخلفاء العصر العباسي

يريد المعتمض وما تتطلبه مصلحة الدولة (1) .

وبعد النتائج الايجابية العديدة ، في عصر المعتمض. الذي حقق انتصارات مهمة على حركات مناهضة ، مثل حركة بابك الخرمي. وانتصر على البيزنطيين في معركة عمورية. لم يستمر الأمر طويلاً. ذلك أن قادة الفرق الجديدة. أدركوا أهميتهم في مساندة الخلافة. وشعروا بقوتهم فقتلوا الخلفاء أو خلعواهم أو أبعدهم. كما شاركوا في الصراع على السلطة. وفي الخصومات الداخلية بين الكتل المتنافسة. أو أحياناً داخل كتلة الأتراك نفسها. فغدا الجيش عبارة عن مجموعة فرق متنازعة على السلطة والمال والامتيازات لا ضابط لها. وكانت الأتراك تؤذي العوام بمدينة السلام بحريها الخيول في الأسواق وما ينال الضعفاء والصبيان من ذلك. فعزم المعتمض على النقلة منهم. وأن ينزل في فضاء من الأرض. فنزل بالموضع المسمى بـ (القاطول) فاستطاب الموضع وبنى هناك قصراً وبنى الناس ، وانتقلوا من مدينة السلام ، وخلت من السكان إلا لليسير (2) .

وباستخلاف المعتمض ، فقد توسع في استخدام الجند الترك ، كدم جديد بديل ليحلوا محل القوات العربية والخرسانية . تم تحويل أعداد كبيرة منهم إلى العاصمة الجديدة ( سامراء ) ، التي بناها وشييدها لنفسه ولجيشه. ورغم أن الخلافة العباسية اقترنت ببغداد لستين سنة ، فإن سامراء العاصمة. كانت فاصلاً آذناً ببدائية عملية سيطرة الترك على الخلافة، وتحويل الخلفاء العباسيين من قادة إلى رموز (3) .

#### 1- عزل الخلفاء وتعذيبهم وقتلهم:

منذ أن تمكن الأتراك وتنفذوا في دواليب الخلافة العباسية ، لا سيما منذ استخلاف المتوكل (232-247هـ) أصبح بأيديهم أمر الخلافة وما شاكلها من أنظمة الحكم والإدارة ، مثل الوزارة والحجابه وقيادة الجند. فاستضعفوا الخلفاء. ولم يبق للخلافة معنى .

وكان مصير المتوكل آخر خلفاء العصر العباسي الأول هو القتل وذلك سنة 247هـ ، إثر مؤامرة دبرها مجموعة من الجند بمشاركة بل بأمر ابن المتوكل الذي نصب بعد أبيه خليفة عرف بالمنتصر. بدعوى أن أباه قد خلعه من ولاية العهد. ومن جهة ثانية أن المتوكل قد صادر بعض رؤساء الدولة (4) .

(1)- فاروق عمر : الجيش والسياسة، ص 124.

(2)- ابن الطقطقي: الفخري، ص231. ابن الأثير: الكامل، ج6، ص22. المسعودي: مروج، ج4، ص53.

(1) \_ Amirak . Bennison : *The Great Caliphs the Golden Age of the Abbasid Empire*,

Printed in the United States of America.2009. p36

(4)- الذهبي: العبر، ج1، ص353.

## الباب الثاني : الأدوار الإيجابية والسلبية للبطانة في توجيه سياسة الخلفاء العباسيين.

### الفصل الثالث: ..... النتائج السلبية لتوجيه البطانة للسياسة العامة لخلفاء العصر العباسي

وأتى الدور على المنتصر أول خلفاء العصر العباسي الثاني، فقتله الجند الترك. قيل بالذبحه، وهي الخوانيق، وقيل: إنه سم سنة ..... (1).

وتوالت نكبات الخلفاء على أيدي قادة الجند الترك ، لتمس الخليفة المستعين بالله، حيث استولى عليه أمراء الترك ، وبقي مقهوراً معه. فحبسوه، وخلعوه، ثم قتلوه سنة 252هـ (2).  
ثم تواصل أمر قتل الخلفاء بشكل شنيع جداً. فقتل المهدي قتلة مريعة، والأشهر ما ذكرناه من قتله بالخناجر، ومنهم من رأى أنه عصرت مذاكيره حتى مات، ومنهم من رأى أنه جعل بين لوحين عظيمين وشد بالحبال إلى أن مات، وقيل: قتل خنقاً، وقيل: كبس عليه بالبط والوسائد حتى مات سنة 256هـ/870م (3).

ثم استمر مسلسل الاغتيالات السياسية التي لاحقت الخلفاء سواء من فعل الجند الترك ، أو بايعاز منهم. فقد قتل الخليفة المعتز بالله شر قتلة ، حيث «جروه إلى الباب وضربوه وأقاموه في الشمس في صحن الدار وكلما مر به أحد منهم لطمه ثم خلعوه وأشهدوا على خلعه نفسه مكرها. ثم أدخلوه بعد خمسة أيام إلى حمام فعضش حتى عاين الموت، وهو يطلب الماء، فيمنع ثم أعطوه ماء بثلج، فشربه وسقط ميتاً. أن جماعة من الأتراك وعلى رأسهم صالح بن وصيف، قالوا اعطنا أرزاقنا. فطلب من أمه مالا، فلم تعطه، وكانت ذات أموال عظيمة . وكان ذلك سنة 255هـ» (4).

وفي عهد الخليفة المقتدر، كان العباس الوزير قد دبر خلع المقتدر مع الحسين بن حمدان، ومبايعة ابن المعتز، ووافقهما وصيف، فبلغ المقتدر، فأصلح حال العباس، ودفع إليه أموالاً أرضته، فرجع عن رأيه. فاتفق جماعة على خلع المقتدر، وتولية عبد الله بن المعتز، بطريقة سلمية لا دموية . وكان رأسهم محمد ابن داود بن الجراح، وأبو المثنى أحمد بن يعقوب القاضي، والحسين بن حمدان، واتفقوا على قتل المقتدر، ووزيره العباس، وفاتك. فبايعوه بالخلافة، ولقبوه بالغالب لله. وقبض المقتدر على جماعة من الأمراء الذين خلعوه، وسلموا إلى مؤنس الخادم فقتلهم، إلا علي بن عيسى، وابن عبدون (5). وإن نجى المقتدر من قبل ، فإنه لاقى مصير القتل على يد مؤنس سنة 320هـ . وكان غالب جند مؤنس من البربر ، فبعث إليه واحدا منهم فقتله ذبحاً ، ثم دفن في الموضع وعفي عليه.

(1) - ابن خلدون: العبر، ج3، ص353-354. الذهبي: تاريخ الإسلام، ج18، ص21.

(2) - المصدر نفسه، ج3، ص363. الذهبي: العبر، ج1، ص1. عبد الملك : سمط النجوم، ج3، ص472.

(3) - المسعودي: مروج الذهب، ج4، ص150. ابن خلدون: العبر، ج3، ص379-380. ابن العماد: شذرات ، ج3، ص249.

(4) - الذهبي: العبر، ج1، ص265-266. ابن خلدون: العبر، ج3، ص370-371. عبد الملك : سمط النجوم، ج3، ص474.

(5) - الذهبي: تاريخ الاسلام ، ج22، ص26-23.

## الباب الثاني : الأدوار الإيجابية والسلبية للبطانة في توجيه سياسة الخلفاء العباسيين.

### الفصل الثالث: ..... النتائج السلبية لتوجيه البطانة للسياسة العامة لخلفاء العصر العباسي

وعد خلافة تعد هي الأطول في التاريخ العباسي (25 سنة) وولي أخوه القاهر<sup>(1)</sup>. وبعد استخلاف القاهر بسنة قتل. والسبب أن وزيره ابن مقلة كان قد استتر خوفا منه. فكان يفسد عليه قلوب النجد، ويحذرهم منه. حيث عرضوه لأبشع صنوف التعذيب، وسملوا عينيه حتى سألت على خديه. ثم خلع وقتل سنة 321هـ<sup>(2)</sup>. وليس بالضرورة أن يكون السبب مقنعا للقادة الأتراك. بل يكفي أن يصادم الخليفة مصالحهم، أو يذكر عنه شيء لا يعجبهم، حتى يبادرون إلى خلعه وقتله. ثم استقدم توزون المتقي من الرقة الى بغداد. ولما التقى توزون بالمتقي ترجل وقبل الأرض، فأمره بالركوب، فلم يفعل، ومشى بين يديه إلى المخيم الذي ضربه له. فلما نزل قبض عليه ابن مقلة ومن معه. ثم كحله، فسمل عينيه. ثم خلع ، وأدخل بغداد مسمول العينين، وقد أخذ منه الخاتم والبردة والقضيب. وذلك سنة 333هـ . وبقي في قيد الحياة. وكان فيه دين وصلاح ، وتوفي في السجن سنة 157هـ<sup>(3)</sup>.

#### 2- عزل قادة الجند للوزراء والكتاب وتعذيبهم وقتلهم:

من مظاهر استضعاف قادة الجند الأتراك لوزراء الخلفاء وكتابهم، التحكم فيهم تولية وتعذيبا وعزلا. فقد حفظت لنا بعض المصادر التاريخية جملة من الأحداث الأليمة التي تعرض لها هؤلاء الوزراء والكتاب. منها أن كان صالح بن وصيف بن بغا متغلبا على المعتز. فطلب الأتراك أرزاقهم وشغبوا. فقال صالح للمعتز هذه الأموال قد ذهب بها الكتاب والوزراء، وليس في بيت المال شيء. فرد عليه أحمد بن إسرائيل وأفحش في رده. فوثبوا على أحمد بن إسرائيل، فأخذوه وضربوه واستصفوا أمواله، وشفع فيه المعتز وأمه إلى صالح بن وصيف، فلم يلتفت إليهما وحبس الثلاثة ابن إسرائيل وابن مخلد وعيسى بن إبراهيم ، وضرب أحمد بن إسرائيل بعد ذلك في أيام المهدي حتى مات<sup>(4)</sup>.

ثم يضيف الطبري في ذكر العقوبات التي تعرض لها هؤلاء الثلاثة . فيقول: « ثم ضرب ابن إسرائيل حتى كسرت أسنانه. وبطح ابن مخلد، فضرب مائة سوط. وكان عيسى ابن إبراهيم محتجما فلم يزل يصفع حتى جرت الدماء من محاجمه». وبالفعل يثبت الطبري التهمة على الوزير فيقول: « وفي الوقت الذي لم يبق فيه شيء للأتراك من الأموال. كان ابن إسرائيل قد ذهب هو وأصحابه بأموال الدنيا .»<sup>(5)</sup>. وحتى في حال يكون للوزير هيبة أو كفاءة يريد أن يضبط الأمور ، مثلما حصل للوزير أبي صالح بن

(1)- ابن الحوزي: المنتظم ، ج13، ص305. ابن تغري: النجوم، ج3، ص233. عبد الملك: سمط النجوم، ج3، ص490.

(2)- المصدر نفسه ، ج13، ص316. ابن تغري: النجوم، ج3، ص238.

(3)- الصفدي: الوافي، ج5، ص224. الذهبي: تاريخ الاسلام ، ج25، ص19.

(4)- ابن الطقطقي: الفخري، ص245. ابن الأثير: الكامل، ج6، ص203. ابن كثير: البداية، ج14، ص509.

(5)- تاريخ الطبري، ج9، ص387.

## الباب الثاني : الأدوار الإيجابية والسلبية للبطانة في توجيه سياسة الخلفاء العباسيين.

### الفصل الثالث: ..... النتائج السلبية لتوجيه البطانة للسياسة العامة لخلفاء العصر العباسي

يزداد ، حيث ضيق على أمراء الدولة من الأتراك. فتهددوه بالقتل فهرب. ولم يكتفوا بالتهديد والوعيد فقط ، بل إن جماعة منهم قتلوا الوزير العباس بن الحسن ، رغم مكره ودهائه ، إلا أن الأمور اضطربت عليه ، ولقي حتفه، في عصلا الخليفة المقتدر<sup>(1)</sup>.

### 3- احتكار العسكر للسلطة السياسية :

من الآثار السلبية تحويل الخلافة إلى واجهة شرعية لشرعنة أعمال المؤسسة العسكرية . ولتبرير احتكار قادة الجيش وأمرائهم للسلطة. وما جر ذلك إلى التسلط والتعسف في السياسة الداخلية. وفشل الدولة في إدارة المجتمع<sup>(2)</sup>.

ولقد أحس المعتصم بخطورة مطامع الأتراك. وبدأ يدرك أن التوازن بين سلطة الخلافة وهذا العنصر الجديد بدأ يختل. مما ينذر بخطر ضياع هيبة الخلافة وفعاليتها. ولهذا عمد إلى قتل القائد الطموح الأفشين بتهمة الخيانة، حيث تأثر المعتصم تأثرا كبيرا من جراء هذه الطعنة. وكأن هذا الحدث جعله يتفطن ويراجع خطأه في إقصاء العرب والفرس ، والاستكثار من الجند الترك ، مما جعلهم يتبؤون أعلى المناصب ، لكن المعتصم برغم ذلك لم يتخل عن سياسته في الاعتماد على الأتراك على كره منه<sup>(3)</sup>.

ومن ذلك أيضا فقد استضعف الخليفة المقتدر ، وأصبح عهده ( 295-320هـ ) نموذجا لغالبية خلفاء تلك الحقبة ، إلا أن المقتدر ابن بيئته ولا يمكننا أن نضع اللوم عليه بل إن قراءة دقيقة ناقدة لمجريات الأحداث تبين أن هناك خطة مدبرة من رجال السيف ورجال القلم اشتركت فيها نساء من الحرم هدفها تنشئة أمراء بني العباس المرشحين للخلافة تنشئة لا تؤهلهم لقيادة دولة وزعامة أمة. ونجحت الخطة وغدت الدولة بيد عصابة<sup>(4)</sup>.

وأرى أن الأمر لا يحتاج إلى مثل هذه الخطة والمؤامرة ، لأن الأوضاع أصلا متردية، وبيئة عفنة تسمح بنمو كل الأزمات وتفاقمها. وانحدار نظام الحكم والإدارة ، كل ذلك برعاية بطانة فاسدة. وهذه الظروف المتعددة قامت بدورها في تصديق كيان العباسيين. منها ضعف المقتدر نفسه ووقوعه تحت تأثير الحرم. وانقسام البيروقراطية على نفسها، وعودة الجيش إلى التدخل في السياسة ، وفعاليات القرامطة<sup>(5)</sup>.

(1)- ابن الطقطقي: الفخري، ص 246. 263.

(2)- فاروق عمر: الجيش والسياسة، ص 183.

(3)- حسن و أحمد: العالم الإسلامي في العصر العباسي، ص 256-257.

(4)- فاروق عمر: دراسات، ص 180-181.

(5)- الدوري: دراسات، ص 148.

## الباب الثاني : الأدوار الإيجابية والسلبية للبطانة في توجيه سياسة الخلفاء العباسيين.

### الفصل الثالث: ..... النتائج السلبية لتوجيه البطانة للسياسة العامة لخلفاء العصر العباسي

ويصف ابن الطقطقي هذا الوضع بوصف دقيق بقوله: « واعلم أن دولة المقتدر كانت دولة ذات تخليط كبير، لصغر سنه ولاستيلاء أمه ونسائه وخدمه عليه. فكانت دولته تدور أمورها على تدبير النساء والخدم. وهو مشغول ببلداته. فخربت الدنيا في أيامه، وخلت بيوت الأموال ، واختلفت الكلمة فخلع، ثم أعيد ، ثم قتل»<sup>(1)</sup>.

وما يميز شخصية المقتدر هو وقوعه تحت تأثير الحرم. و لعل تربيته وصغر سنه أوقعاه تحت تأثير الحرم. وبالدرجة الأولى أمه شغب (التي صارت تعرف بالسيدة) ثم قهرماناتها وخاصة أم موسى الهاشمية. أما السيدة فكانت حظية للمعتضد. ثم أصبحت في خلافة ابنها أهم شخصية في البلاط. وكان المقتدر يعاملها بمنتهى الاحترام حتى كانت طلباتها تنفذ حتما. وكان تأثيرها بصورة عامة مضرًا. إذ أنها أفسدت ابنها بتشجيعه على الانهماك في الملاذ وعلى التبذير.<sup>(2)</sup> و شهد حكمه رجوع الانقسام والتصادم بين العناصر المتنفذة. وتضعف سلطان الخلافة حتى انتهى بخضوعها لحكم أجنبي<sup>(3)</sup>.

#### 4- بداية تنصيب وعزل وقتل الجنود الأتراك للخلفاء:

تتميز هذه الفترة باستبداد الترك. حتى أصبح الخلفاء ألعوبة بأيديهم يولونهم ويعزلونهم حسب أهوائهم ورغباتهم. وقد وصف الفخري هذا الوضع فقال: « إن الأتراك كانوا قد استولوا منذ مقتل المتوكل على المملكة ، واستضعفوا الخلفاء فكان الخليفة في أيديهم كالأسير ، إن شاءوا خلعوه وإن شاءوا قتلوه »<sup>(4)</sup> .  
والواقع أن تدخلهم - أي الأتراك - في اختيار الخلفاء بدأت بوادره عندما توفي الواثق بالله الذي لم يعهد لأحد بالخلافة من بعده. حيث لما توفي الواثق حضر الدار أحمد بن أبي داود وايتاخ ووصيف ومحمد بن عبد الملك وأحمد بن خالد الوزير. فعزموا على البيعة لمحمد بن الواثق ، احتجوا بعدم لياقة ابنه للخلافة ، فأحضره وهو غلام أمرد قصير. فنهاهم وصيف عن توليته لأنه لا تجوز معه الصلاة.<sup>(5)</sup>  
فتناظروا فيمن يولونها . فذكر أحمد بن أبي داود جعفرًا أخا الواثق. فأحضره وألبسه الطويلة وعممه. وقبل بين عينيه وسلم عليه بالخلافة. ولقبه أحمد بن أبي داود (المتوكل على الله) وأمر محمد بن عبد الملك بالكتابة به إلى الناس. وأمر للأتراك برزق أربعة أشهر. وأمر بأن يوضع العطاء للجنود ثمانية أشهر. وأخذت

(1) - ابن الطقطقي: الفخري، ص249.

(2) - المسعودي: التنبيه، ص378. الدوري: دراسات ، ص 147. وللمزيد ينظر المبحث المتعلق بدور الحرم في البلاط العباسي ي العصر الثاني.

(3) - الدوري: دراسات ، ص 144.

(4) - ابن الطقطقي: الفخري ، ص 243. الدوري: دراسات، ص51.

(5) - تاريخ الطبري ج8، ص154. مسكويه: تجارب الأمم ج 4، ص106.

## الباب الثاني : الأدوار الإيجابية والسلبية للبطانة في توجيه سياسة الخلفاء العباسيين.

### الفصل الثالث: ..... النتائج السلبية لتوجيه البطانة للسياسة العامة لخلفاء العصر العباسي

ليبعة عليهم. وبويح له وله ست وعشرون سنة.<sup>(1)</sup>

وقد شجعهم هذا التدخل في اختيار الخليفة على الاستمرار في التدخل بشؤون الدولة طيلة عهده الذي قضاه في صراع مستمر ضد تدخلهم ومحاولتهم السيطرة على السلطة.<sup>(2)</sup> ولعل أحدا لم يدعش لأعمال الحاكم الجديد(247.232هـ/861.847م) أكثر مما دهش لها الذين اختاروه . إذ سرعان ما اتضح لهم أن له عقليته الخاصة. فقد اندفع يحدث تغييرات حاسمة في أشخاص إدارته خلال أسابيع معدودة. لا سيما وأن الخليفة المتوكل جاء إلى الحكم (247.232هـ) بمباركة وترشيح ومساندة القادة الأتراك في الجيش. وبدأت فترة من الاضطراب السياسي أدرك الخليفة المتوكل خلالها خطر تدخل القادة الأتراك في السياسة. وحاول أن ينهج نهجا جديدا ، ويربط نفسه بتكتلات جديدة لينقذ نفسه ومؤسسة الخلافة من الأزمة.<sup>(3)</sup>

فالتفت المتوكل إلى الجيش ، وكانت الخطوة الأولى هي إضعاف قيادته. وكانت الخطوة التالية هي حل الجيش في سامراء ، وهنا أيضا قام بهذه الترتيبات الجديدة بحذر شديد. وقد خطا خطوة عملية في ذلك بأن أدخل فرقة عربية في الجيش ، إذ ضم إلى وزيره عبد الله بن خاقان نحو من اثني عشر ألفا<sup>(4)</sup>

وبعد أن أحس المتوكل بتعاظم نفوذ القادة الأتراك . فقرر أن يحد من هذا النفوذ وهذه القوة. فبدأ المتوكل بايتاخ « وكان إليه الجيش والمغاربة والأتراك والموالي والبريد والحجابه ودار الخلافة»<sup>(5)</sup> . إضافة إضافة إلى الإشراف على بيوت الأموال. وبذلك كانت سلطته خطرا على الخليفة. ولم يتردد ايتاخ في إظهار غروره. فأخذ الخليفة يدبر أمر قتله. وفعلا أرسل إليه من حسن له الحج. ففعل ذلك ايتاخ. فأسرع المتوكل بنقل الحجابه إلى وصيف ثم دبر له مؤامرة مع حاكم بأن يسجنه عند رجوعه ، فنجحت المؤامرة، ومات ايتاخ في السجن في 5 جمادى الآخرة سنة 235هـ<sup>(6)</sup>.

وبقي المتوكل يشعر بضعف مركزه. وبأنه في وسط جيش لا يدين له بولاء خاص. ففكر في نقل حكمه إلى محل آخر يتخلص فيه من نفوذ الترك. ويكون فيه بين عنصر مؤيد وهو العنصر العربي. لأنه

(1) - مسكويه : المصدر نفسه،ص106-107.

(2) - أحمد عبد الباقي :سامرا عاصمة ،ص 231.

(3) - شعبان :الدولة العباسية ،ص93. فاروق عمر : العباسيون الأوائل، ج2،ص520.

(4) - المرجع نفسه، ص95. 96. الدوري : دراسات ،ص 41.

(5) - تاريخ الطبري ،ج9،ص167، مسكويه: تجارب الأمم، ج4،ص115.116. النويري: نهاية الأرب، ج22، ص201.

(6) - المصدر نفسه، ج9،ص166.167، ابن الأثير: الكامل، ج6،ص103. الدوري : دراسات ،ص 40 .

## الباب الثاني : الأدوار الإيجابية والسلبية للبطانة في توجيه سياسة الخلفاء العباسيين.

### الفصل الثالث: ..... النتائج السلبية لتوجيه البطانة للسياسة العامة لخلفاء العصر العباسي

لاحظ فشل التعاون مع الفرس والأتراك. ولذلك فكر في دمشق. التي كان النفوذ التركي والفارسي فيها معدوما. كما أنها تتعصب للسنة وتكره العلويين. فهي بذلك تتفق وميوله. وفعلا انتقل إليها في صفر 242هـ. وعزم على المقام بها ونقل دواوين الملك إليها وأمر بالبناء بها<sup>(1)</sup>.

لذلك تعد الأزمة بين الخليفة والقادة العسكريين سببا رئيسيا في اغتيال المتوكل. لقد بدأت الأزمة بسقوط القائد ايتاخ. ثم تطورت الأحداث التي سعدت الأزمة حتى انفجرت حين بدأ المتوكل يتخذ إجراءات متتالية لاستئصال القادة الترك ، واستبعادهم ، فصادر ضياع وصيف . وانتهاز القادة الترك الفجوة بين الخليفة وابنه المنتصر.. فتحالفوا مع المنتصر ووضعوا نهاية مؤلمة للخليفة<sup>(2)</sup>.

ولكن الأتراك أدركوا خطر الوضع فأجبروه على الرجوع بعد أن أقم بها شهرين وأياما. فتحرك الأتراك في أرزاقهم وأرزاق عيالاتهم فأمر لهم بما أرضاهم به.<sup>(3)</sup> ثم لم يقنعوا باستلام أعطيائهم بل فكروا في قتله، فلم ينجحوا لتأييد بغا الكبير للخليفة ، وهكذا اضطروا إلى الرجوع<sup>(4)</sup>.

ثم لم يستقر الخليفة في سامراء ذاتها بل قرر الانتقال إلى شمالها. ففي سنة 245هـ أو 246هـ انتقل إلى موضع يقال له الماحوزة على ثلاثة فراسخ من سامراء ، وفيها أمر المتوكل ببناء الماحوزة ، وسماها ( الجعفري ) . وأقطع الأمراء بناها، وأنفق بعد ذلك عليها أكثر من ألفي ألف دينار. وبنى قصرا سماه (اللؤلؤة) ، لم ير مثله في علوه وارتفاعه.<sup>(5)</sup>

وأمر بالبناء هناك. وأقطع القواد وأصحابه. وأمر بحفر نهر مصدره شمال مدينته الجديدة. التي سماها (المتوكلية).<sup>(6)</sup> ولعله أراد بذلك تقليل ضغط الترك عليه. والابتعاد عن خصومه. ولعل أوضح دليل على ذلك نقض هذه المدينة حال مقتله. واستمر يدبر ضد الترك . قال المسعودي: « وجفا الموالي من الأتراك ، واطرحهم وحط من مراتبهم. وعمل على الاستبداد بهم والاستظهار عليهم.»<sup>(7)</sup>

(1)- تاريخ الطبري ، ج9، ص210، مسكويه: تجارب الأمم، ج4، ص131. السيوطي: الخلفاء، ص276. الدوري : المرجع نفسه ، ص 41-40.

(2)- ابن الأثير: الكامل، ج6، ص136 وما بعدها. ابن خلدون: العبر، ج3، ص349 وما بعدها. فاروق عمر: العباسيون الأوائل، ج2، ص591.

(3)- تاريخ الطبري، ج9، ص167.

(4)- الدوري : دراسات، ص 41. 40.

(5)- الذهبي : تاريخ الإسلام، ج18، ص15.

(6)- تاريخ الطبري، ج9، ص212.

(7)- المسعودي : التنبيه والإشراف، ص361.

## الباب الثاني : الأدوار الإيجابية والسلبية للبطانة في توجيه سياسة الخلفاء العباسيين.

### الفصل الثالث: ..... النتائج السلبية لتوجيه البطانة للسياسة العامة لخلفاء العصر العباسي

وقد شعر الخليفة المتوكل بتآمر الأتراك عليه. ولذلك أكثر من إحاطة نفسه بالخدم والحاشية . ولكن لم يكن إلى جانبه شخص عسكري كفاء لحمايته من القادة الترك. وقد فشل الفتح بن خاقان والوزير عبيد الله بن يحيى في اتخاذ الإجراءات صارمة للحفاظ على أمن الخليفة وسلامته. (1)

ولا شك في أن قتل المتوكل كان نذير شؤم على الخلافة. وإعلاننا عن زوال حرمتها. فهي أول مرة يجرؤ فيها الجند الترك على سفك دم الخلفاء. والتعدي عليهم. وشجعهم على اقتراح أنواع الجرائم وإثارة دسائس البلاط ضدهم. ويعد المتوكل أول خليفة عباسي قتل بانقلاب عسكري ، قام به الجيش الذي بدأ قاداته مرحلة جديدة من تحكم الجند الترك بشكل مباشر في أمور السلطة السياسية.

#### 5- التنافس والصراع على النفوذ فيما بين القيادات العسكرية:

كانت سنة 247هـ/861م منعطفا مهما في تبلور دور الجيش في علاقته بالسلطة العباسية. وذلك للاعتبارات الآتية: «اعتبار أن الجيش قام بأول انقلاب عسكري ضد خليفة عباسي ، ونجح في اغتياله والتخلص من سياسته. وبيده اعتبار تعزيز دور الجيش في سياسة الدولة بل وفي اختيار وعزل الخلفاء ورؤساء الدولة. وأخيرا اعتبار فشل جهود الدولة في الحفاظ على جيش نظامي موحد موالي للسلطة ، بعيد عن التدخل في السياسة» (2).

وقد أسفر مقتل المتوكل عن فوضى واضطرابات شديدة للخلافة . اقترب الترك فيه أنواع الفظائع وانحطت هيبة الخلافة إلى الحضيض . وتشجيع أمراء الأطراف على الانفصال ولا سيما في إيران ومصر. وتضاءلت أهمية الوزارة ، واختلت الإدارة ، وظهرت تيارات اجتماعية عنيفة ، كما حصل في حركة الزنج والقرامطة التي زعزعت أركان الدولة وكادت أن تقضي عليها (3).

ثم إن قادة الجند الذين وصلوا إلى مراكز مؤثرة في السلطة عن طريق القوة ، لن يتخلوا عنها بسهولة. لأنهم من وجهة نظرهم قد جاؤوا إلى الحكم ليقوا . وهكذا أصبح الوضع يدور في دوامة ليس لها نهاية. و أصبح الجيش المحرك الأول للسلطة بعد مقتل المتوكل. وذلك لخلو الساحة السياسية من قوى أو مؤسسات تحد من تجاوز الجيش لصلاحياته أو توقفه عند حده (4).

وقد شعر القادة العسكريون بعد مقتل المتوكل بالإطمئنان . فلم يبق أحد يهدد مصالحهم وصارت لهم اليد العليا في تعيين الخلفاء وعزلهم. وفي تقرير شؤون الدولة. وهذا ما يتصف به العصر

(1) - فاروق عمر : العباسيون الأوائل، ج2، ص591.

(2) - فاروق عمر : الجيش والسياسة ، ص182.

(3) - الدوري : دراسات، ص51.

(4) - فاروق عمر : الجيش والسياسة ، ص182-183.

## الباب الثاني : الأدوار الإيجابية والسلبية للبطانة في توجيه سياسة الخلفاء العباسيين . الفصل الثالث : ..... النتائج السلبية لتوجيه البطانة للسياسة العامة لخلفاء العصر العباسي

العباسي الثاني، إذا ما استثنينا فترة الصحوة المؤقتة (256-295هـ) فقد سادت حالة من الفوضى العسكرية. تحكّم فيها زمرة من القادة العسكريين بأمور الدولة. باستثناء بعض المحاولات الجدية للإصلاح من قبل بعض الخلفاء باءت بالفشل بسبب عدم امتلاك الخليفة للآلية التي يتمكن بواسطتها من تنفيذ الإصلاح (1).

وبوفاة المنتصر اتفق الموالي لتولية المستعين، فاجتمعوا على الهارونية من الغد وفيها بغا الكبير ، وبغا الصغير ، وأتامش وغيرهم فاستحلفوا قواد الأتراك ، والمغاربة ، على الرضا بمن يختارون ، وذلك بتدبير من أحمد بن الخصيب ، ورفي أتامش إلى رتبة وزير ، وعين أحمد بن الخصيب كاتباً (2).

وفي هذا الترتيب كان الاعتراف بمبدأ الفصل بين الشؤون العسكرية والمالية لا يزال قائماً. لكن أتامش كانت لديه أفكار مغايرة لنظام الحكم برمته. ولذلك قرر أنه لا بد له من تأمين سيطرته في الميدانين لتنفيذ هذه الأفكار. وبعد مرور شهر على تعيين هذه الحكومة. عزل أحمد بن الخصيب ونفي إلى كريت ، أما أتامش فظل وزيراً وعين شخص آخر كاتباً مساعداً إدارياً له (3).

وكان أمراء الترك قد استولوا على الأمر ، وبقي المستعين مقهوراً معهم. فتحول من سامراء إلى بغداد غضبان، ثم عمدوا إلى الحبس فأخرجوا المعتز بالله وحلفوا له . واضطر المستعين إلى خلع نفسه ، ثم اعتقل ستة أشهر وبعدها قتل في آخر رمضان سنة 252هـ (4).

وباستخلاف المعتز سنة 252هـ ، كان الأتراك كانوا قد استولوا منذ قتل المتوكل على الخلافة واستضعفوا الخلفاء. فكان الخليفة في يدهم كالأسير ، إن شاؤوا أبقوه وإن شاؤوا خلعه... ثم إن الأتراك ثاروا بالمعتز ، وطلبوا منه مالا فاعتذر إليهم وقال: ليس في الخزائن شيء. فاتفقوا على خلعه وقتله . فحضروا إلى بابه، فهجموا عليه ، وضربوه بالدبابيس ، وحرقوا قميصه ، وأقاموه في الشمس. فكان يرفع رجلا ويضع أخرى من شدة الحر. وكان بعضهم يلطمه وهو يتقي بيده. ثم جعلوه في بيت ، وسدوا بابه حتى مات بعد أن أشهدوا عليه أنه خلع نفسه وذلك سنة 255هـ (5).

كانت نهاية المعتز مؤلمة ، تدل على طغيان الجند الترك وقادتهم. وسوء أدبهم وسلوكهم. حيث سحب من رجله وضرب بالدبابيس ثم سجن حتى مات. (6) وكان من القادة الأتراك الذين برز نجمهم

(1)- فاروق عمر : الخلافة العباسية، ص 59 وما بعدها .

(2)- ابن الأثير : الكامل، ج6، ص149-150. ابن خلدون: العبر، ج3، ص354. النويري: نهاية الأرب، ج22، ص 218-219.

(3)- ابن خلدون : العبر، ج3، ص375. شعبان: الدولة العباسية، ص104.

(4)- تاريخ الطبري، ج9، ص348. ابن الأثير : الكامل، ج6، ص182. الذهبي: العبر، ج1، ص361.

(5)- المصدر نفسه، ج9، ص389. مسكويه: تجارب الأمم، ج4، ص214. ابن الطقطقي : الفخري، ص 232-233. الذهبي: العبر، ج1، ص365.

(6)- فاروق عمر: الجيش والسياسة، ص 149.

## الباب الثاني : الأدوار الايجابية والسلبية للبطانة في توجيه سياسة الخلفاء العباسيين.

### الفصل الثالث: ..... النتائج السلبية لتوجيه البطانة للسياسة العامة لخلفاء العصر العباسي

صالح بن وصيف التركي الذي ارتفعت منزلته ، وقتل المعتز ، وظفر بأمه قبيحة ، فصادرها حتى استصفى نعمتها ، وأخذ منها نحو ثلاثة آلاف ألف دينار ، ونفاها إلى مكة. ثم صادر خاصة المعتز وكتابه ، وهم: أحمد بن نوح ابن إسرائيل ، والحسن بن مخلد ، وأبا نوح عيسى بن إبراهيم<sup>(1)</sup> وبخلع المعتز نفسه ، وتولية المهدي(محمد ابن الواثق) الذي أدرك أن ضعف مؤسسة الخلافة يكمن في وجود حفنة من القادة العسكريين الطموحين. الذين يمثلون كتلا عسكرية متنازعة. وأن السبيل لإنقاذ الخلافة هو التخلص منهم. والحد من نفوذهم السياسي. وقد برزت في الآونة الأخيرة ظاهرة جديدة في الجيش ، حيث أن الجند والضباط الصغار يحقدون على القادة الكبار. حين أدرك هؤلاء بأن القادة ذوي المراتب ، إنما يستغلونهم للحصول على امتيازات وأموال ومناصب لهم. دون أن يصيب منها الجندي العادي أو الضابط الصغير شيئا. وقد ثار الجند في بغداد متذمرين من واليها الذي امتنع عن دفع أعطياتهم . وهكذا أعطى الجند فرصة طيبة يتخلص من القادة ويستعيد مكانته.

غير أن الأمور كانت تجري في صالح الخلافة بصفة عامة. فامتدت أيدي الجند مرة أخرى ، للنيل من الخليفة المهدي . وذلك بإثارة بعض الموالي فشغب عليه الأتراك وهاجموا واخذوه أسيرا وعذبوه ليخلع نفسه فلم يفعل. فخلعوه هم ومات ، وذلك في سنة 256هـ<sup>(2)</sup>.

وهكذا أصبح مصير الخلفاء ، بين تولية ما يريده الجند ، وخدمة مصالحهم ، وإن أبي فمصيره العزل والخلع أو التعذيب والقتل.

#### 6- فساد الجندية والإدارة معا:

رغم ما كان يحسب للمقتدر من جودة العقل والرأي ، لكنه كان مؤثرا للعب والشهوات. غير ناهض بأعباء الخلافة كانت أمه وخالته والقهرمانه ، يدخلن في الأمور الكبار، والولايات والحل والعقد.<sup>(3)</sup> حاول أن يستقل بالأمور ، وينهض بها ، ويتحجب إلى الخاصة والعامة. لولا أن أمه وغيرها من حاشيته كانوا يفسدون كثيرا من أمره.<sup>(4)</sup>

وما زاد الأمر سوءا ، تزامن فساد الإدارة وفساد الجندية. فما إن تقلد أبو علي محمد بن عبد الله الخاقاني الوزارة، حتى فسدت الأمور، وأصاب جميع مرافق الدولة الإهمال. جاء كل ذلك بسبب

(1)- الذهبي : العبر، ج1، ص366.

(2)- ابن الطقطقي: الفخري ، ص247. ابن الأثير: الكامل، ج6، ص323.

(3)- الذهبي : العبر، ج2، ص80.

(4)- سعد عريب : صلة تاريخ الطبري ، ص29.

## الباب الثاني : الأدوار الإيجابية والسلبية للبطانة في توجيه سياسة الخلفاء العباسيين.

### الفصل الثالث: ..... النتائج السلبية لتوجيه البطانة للسياسة العامة لخلفاء العصر العباسي

ابتعاد الوزير عن القيام بواجباته الضرورية والأساسية وانشغاله بالأمر الثانوية. (1) ومن أمثلة ذلك وصول الوزراء إلى هذا الحد من التدهور، مما أدى بالخليفة إلى استشارة مؤنسا فيمن يقلده الوزارة بعد الخاقاني. فأشار إليه أن يولي علي بن عيسى الجراح. وذلك لتدينه وعفته وأمانته وكفاءته، فاستقدمه من مكة، فقلده الخليفة المقتدر بالله وزارته وخلع عليه سنة 301هـ/913م (2).

وعلى نقيض دأب الوزير الصالح علي بن عيسى ، فقد عمل الوزير الحسن بن القاسم أيضا أعمالا، أخذ فيها خطوط أصحاب الدواوين الأصول والأزمة. وما فيها من ارتفاع الأموال من النواحي. وقدر النفقات تقديرا متقاربا للارتفاع فسكن بذلك قلب المقتدر فسلم المقتدر ذلك العمل إلى الخصيي، الذي تتبع الأمر فوجد «أن الحسين بن القاسم قد احتال بأن أضاف إلى ما يقدر حصوله من أموال النواحي (...) مثل الري والجبل ومؤنس على أعمال الموصل وديار ربيعة (...)» فاجتمع الكتاب، وأمره المقتدر بمناظرتهم . فلما خاطبوه أخذ في التشجيع عليهم وأنهم سعوا به. فظهر للمقتدر عجزه وخيانتة ، ما أدى إلى عزل الوزير بن القاسم ، واستيزار الفضل بن محمد بن الفرات» (3) .

ومثل هذه الحالة كثير أثناء شيوع فساد البطانة الأخلاقي والسياسي والإداري. وبالتعمق في العصر العباسي الثاني ، نجد أنه بوجود مؤنس ، والأزمة المالية ، العاملين الرئيسيين في تدخل الجيش في السياسة. فمؤنس الذي قضى على فتنة ابن المعتز أصبح صاحب الحول والطول في البلاط. وأخذ يتدخل في تعيين الوزراء وعزلهم. وكان ذلك يزداد بازدياد أزمة الخزينة. ولكن متانة الإدارة نسبيا ووجود وزراء أقوياء كابن الفرات في النصف الأول من خلافة المقتدر قلل من خطر الجيش آنئذ (4). وأوقفه عند حده مؤقتا. إلا أن تخليط الوزراء واشتداد الأزمة المالية ساعده على تأكيد نفوذه. ومن ورائه الجيش الذي صار يستغل كل فرصة لطلب زيادات على الرواتب. أو للمطالبة برواتب متأخرة (5).

وزاد الحال سوءا العلاقة بين الخليفة ومؤنس. ولما كانت القوة للجيش. صار الأمر بيده في سني المقتدر الأخيرة. حتى إنه خلع مرتين ثم أرجع. وقد حاول الخليفة تأكيد سلطته بإذكاء المنافسة والخصام

(1) - مسكويه : تجارب الأمم، ج1، ص8079. عاصم مراد الراوي : دور المشورة في تعيين وعزل الوزراء، ص105.

(2) - ابن الأثير: الكامل، ج6، ص473. وما بعدها .

(3) - مسكويه: تجارب الأمم، ج5، ص129. ابن كثير: البداية، ج15، ص57. ابن تغري: النجوم، ج3، ص332.

(4) - الدوري: دراسات، ص154.

(5) - ابن كثير : البداية والنهاية، ج 15، ص 58. الدوري : تاريخ العراق الاقتصادي، ص 48.

## الباب الثاني : الأدوار الإيجابية والسلبية للبطانة في توجيه سياسة الخلفاء العباسيين.

### الفصل الثالث: ..... النتائج السلبية لتوجيه البطانة للسياسة العامة لخلفاء العصر العباسي

بين فرق الجيش. ولكن الأوان قد فات . فضعف الوزراء ، وفراغ الخزينة ، وشعور الجيش بالمصلحة المشتركة تجاه الخليفة ، أحبطت مساعيه وأدت إلى مقتله سنة 320هـ<sup>(1)</sup> .

## رابعاً- المساوى الاقتصادية للبطانة العسكرية في العصر العباسي الثاني(232-334هـ/ 945-847م)

### 1- مصادرة قادة الجند للخلفاء والوزراء والكتاب:

دب الضعف في الدولة في العصر العباسي الثاني ، وأصبح القوي يأكل الضعيف ويصادره ويسجنه. ولم يصبح للخليفة ولا لوزيره أو كاتبه أي معنى. إلا بما يحققون وينالون من رضا قائد الجند التركي. ويعيشون تحت رحمته. وله أن يصادرهم ويسجنهم ويعذبهم. أو يعزلهم ويغيرهم كما يهوى. وبدأ مسلسل اغتيالات الخلفاء والوزراء والكتاب ونكبهم من قبل قادة الجند منذ الاشتراك في قتل الخليفة المتوكل. ولم يبق لهم أي هبة أو اعتبار لشخص الخليفة ، إلا بمقدار ما يعطيهم المال ، ويلبي مصالحهم الاقتصادية. وحتى إن مكنهم من ذلك كله، وحاول أن يرفض لهم طلبا، أو يخبرهم بنفاد الأموال، فإنهم لا يصدقونه . ويسارعون إلى عزله ، وتعذيبه ، واستبداله.

ونذكر مجموعة من النماذج على سبيل التمثيل لا الحصر:

- قتل الخليفة المتوكل: حقد عليه ابنه الذي سمي فيما بعد بالمنتصر ، واتفق مع وصيف وبعض القادة الآخرين على قتله سنة 247هـ.<sup>(2)</sup> ومنذ مقتل الخليفة المتوكل أصبح بيد قادة الجند الأمر والنهي، يتحكمون في الخلفاء ووزرائهم كما يشاؤون، تولية وعزلا.

- عزل وتعذيب ومصادرة الخليفة المستعين: نصبه الأتراك بعد وفاة المنتصر. غير أنه كان شهما، تمكن من قتل قائدتين مشهورين من الترك، وهما وصيف وبغا. فتفطن له الباقر ، فعزلوه ونصبوا مكانه المعتز بالله ابن أمير المؤمنين جعفر المتوكل.<sup>(3)</sup>

- عزل وتعذيب ومصادرة الخليفة المعتز: كان مستضعفا مع الأتراك. ومع فراغ الخزان بسبب النهب المتكرر للأموال. ففي سنة 255هـ اجتمع إليه الأتراك وعذبوه وجروه برجله وضربوه بالدبابيس

(1)- ابن تغري: النجوم الزاهرة، ج3، ص332. ابن العماد: شذرات الذهب، ج4، ص97. عبد الملك: سمط النجوم ، ج3، ص488. الدوري: المرجع نفسه.

(2)- تاريخ الطبري، ج9، ص222-230. ابن الطقطقي: الفخري، ص237. ابن خلدون: العبر، ج3، ص349. ابن تغري: النجوم الزاهرة ، ج2، ص324.

(3)- ابن خلدون: العبر، ج3، ص363. السيوطي: الخلفاء، ص284-285

## الباب الثاني : الأدوار الإيجابية والسلبية للبطانة في توجيه سياسة الخلفاء العباسيين.

### الفصل الثالث: ..... النتائج السلبية لتوجيه البطانة للسياسة العامة لخلفاء العصر العباسي

وأقاموه في الشمس في يوم حار. وخلعوه ثم احضروا محمد بن الواثق ولقبوه بالمهتدي. (1)

- تنصيب صبي وتلقيه بالخليفة المقتدر: كان له 13 سنة يوم تنصيبه خليفة، حتى أن الوزير العباس ابن الحسن استصغره ورفض استخلافه. لكن المقتدر استرضاه بالمال، وطالما أن قادة الجند رضوا به ، فهو الخليفة على رغم صغر سنه. (2)

- تنصيبهم لعدد كبير من الوزراء والكتاب وعزل آخرين لفترات وجيزة حسب الهوى والمصلحة: وبذلك لم تعد الدولة تأسن عمالها وكتاب دواوينها على أموالها. وكان لزاما ردع من يهبون الأموال بالمصادرة أو التبريم في حال وجود خيانة. أو كانت الدولة بحاجة إلى المال. وهذه إحدى علامات قرب الانهيار. (3)

#### 2- تزايد عطاءات الجيش ونشوء الإقطاع العسكري :

وقد أدى عدم استقرار السلطة السياسية إلى عدم استقرار مماثل في الحياة الاقتصادية. وأدى ذلك بدوره إلى استحالة التراكم ، أو بالأحرى ، ما يتم تراكمه في السنين يجري استهلاكه في السنين العجاف. فعدم الاستقرار الاقتصادي يعني تعاقب مراحل التزايد والنقصان. « ونتج عن استبداد الترك واستئثارهم بأموال الجباية ، فراغ الخزينة . حتى صارت تشكو الإفلاس المزمن. وقد حاول الخلفاء كالمهتدي سد هذا العجز الاقتصادي في النفقة ، لكنهم فشلوا أمام فوضى الترك وطمعهم في المال » (4)

وفي ظل دولة الإقطاع العسكري في العصر العباسي الثاني ، استولى العسكر على معظم الأراضي عن طريق نظام الإقطاع ، وانصرف إلى تكوين الثروة، ولم يبق لعامة المجتمع إلا جزءا هامشيا من الثروة وزاد أهل البلاد شقاء أن قواد الجند كانوا إذا أعوزهم المال. ولم يكن في بيت المال ما يكفي ، استخرجوه من الأهالي. وكثيرا ما كان يحدث ذلك في أثناء الحرب بين فرق الجند في تنازعهم على تولية أحد الخلفاء (5).

والتي كانت تحسم من المداخل قبل إرسالها إلى الخزينة المركزية لكن قادة هذه الأقسام كانوا يعطون قطعة من الأرض اقطاء لهم لتغطية نفقاتهم الشخصية ، أو كوسيلة لإغرائهم بالانفصال إلى مناطقهم الجديدة... فقد صار يعطى (الإقطاع) للقادة العسكريين في مناطق يمارسون فيها بعض المهمات الإدارية . وهذا هو أصل نشوء الإقطاع العسكري الإداري» (6).

(1)- ابن الطقطقي: الفخري، ص 243. السيوطي: الخلفاء، ص 286-287.

(2)- السيوطي: الخلفاء، ص 300. ابن خلدون: العبر، ج 3، ص 447.

(3)- الرئيس: الخراج ، ص 462. أوردت عدة أمثلة عن الوزراء الذين وزروا بالرشوة ضمن النتائج السلبية للوزراء.

(4)- الدوري: دراسات، ص 15.

(5)- جرجي زيدان: التمدن الإسلامي، ج 2، ص 154.

(6)- شعبان: الدولة العباسية ، ص 96-97.

## الباب الثاني : الأدوار الإيجابية والسلبية للبطانة في توجيه سياسة الخلفاء العباسيين.

### الفصل الثالث: ..... النتائج السلبية لتوجيه البطانة للسياسة العامة لخلفاء العصر العباسي

وتوسع العباسيون في منح الاقطاعات للقادة الأتراك بتأثير سيطرتهم. ولم تكن هذه الإقطاعات بدلا عن الرواتب ، بل كانت امتيازاتٍ ومنحًا إضافية. ولجأت الخلافة إلى اتباع سياسة الضمان. بإعطاء مناطق ومقاطعات يتولى الضامن بموجبها جباية الضرائب بمساعدة الحكومة. وقد يكون الضامن موظفًا أو قائدًا أو تاجرًا أو وزيرًا. وكان الدافع من اتباع هذه السياسة عجز الحكومة عن دفع رواتب الجند والموظفين ونفقات البلاط والحاشية.

وكان الموالي وصغار الجند يشكون سوء حالهم، وتأخر أرزاقهم، وما صار من الإقطاعات إلى قوادهم ، التي قد أجمعت بالضياح والخراج. وما صار لكبرائهم من المعاون والزيادات من الرسوم القديمة، مع أرزاق النساء والدخلاء الذين قد استغرقوا أكثر أموال الخراج (1).

وقد توسع الجند بالإقطاع واستولى على معظم أراضي بغداد وإقطاعات الخليفة. الخاصة وأراضي الخراج ، وامتد الأمر ليصل إلى أراضي الوقف. ونتيجة السيطرة على الأراضي الزراعية ، تراجع النشاط الزراعي الذي كان منتشرًا في أيام المقتدر بالله . وتردى وضع المزارعين مما دفعهم إلى إهمال الأرض وترك أعمالهم تجنبًا لابتزازهم ، وإرهاقهم في دفع الرسوم والضرائب الإضافية. وكان العمال يستضعفون قوما من أرباب الخراج فيلزمونهم من التكملة أكثر مما يلزمهم ، ويرهبون آخرين (2).

وقد تناول بعض الوزراء والأمراء بالاستيلاء على غلات أهلها دون رضاهم . وكان بعضهم يأخذ الضيعة ونتاجها من غير وجه حق تظلمًا وتعسفًا. ويظهر أن الناس كانوا يشترون ما يغل من الأرض في سنة وأكثر بنصف ثمنه (3).

وانتشرت كثير من المنازعات بين هؤلاء الملتزمين من عداوات. وانتقام بعضهم من بعض. وفي سبيل ذلك تراهم يسلكون طريق الوساطات لدى العائلة العباسية . والرشي لأصحاب الأمر منهم . ويظهر كيف أن كبار رجال الدولة كالوزراء وكبار الكتاب ، كانوا يشترون الأراضي بأسماء أشخاص آخرين وليس بأسمائهم الصريحة. مثل ما اشترى أبو عبد الله البريدي لنفسه ، بأسماء قوم ، أمرا عظيمًا (4).

وهكذا برزت الأزمة المالية منذ بدايات القرن الرابع الهجري / العشر الميلادي. فحاولت الدولة مواجهتها . لكن الأزمة ازدادت حدة مع مجيء البويهيين. بسبب إسرافهم، وسوء إدارتهم، وكثرة الاضطرابات والفتن في عهدهم. وعدم اهتمام غالبية أمرائهم بالتطوير الاقتصادي لموارد البلاد. فامتلكوها

(1)- تاريخ الطبري، ج8، ص444.

(2)- الصابي : الوزراء، ص 340 .

(3)- التنوخي: نشوار ، ج1، ص216.

(4)- المصدر نفسه، ص217.

## الباب الثاني : الأدوار الإيجابية والسلبية للبطانة في توجيه سياسة الخلفاء العباسيين.

### الفصل الثالث: ..... النتائج السلبية لتوجيه البطانة للسياسة العامة لخلفاء العصر العباسي

بمرور الزمن عن طريق الإلجاء<sup>(1)</sup> أو غيره . فكانت 334هـ/946م منعظا حاسما في تحول الاقطاع الى الصبغة العسكرية . حيث أخذت تتوسع على حساب الأصناف الأخرى من الأرض<sup>(2)</sup> . وهو من الآثار الاقتصادية السلبية التي ظهرت جليا. وما نتج عنه من تدمير الموارد الزراعية . وعدم الاعتناء بإصلاح الأرض. والري والتدهور التجاري والمالي خاصة بعد انهيار العملة (السكة) «<sup>(3)</sup> .

وهناك عدة تقارير تتحدث عن موت عدد كبير من الناس من جراء المجاعة الناتجة عن ندرة الغذاء، وارتفاع الأسعار. وشغب الجند بسبب تأخر الأجور ، والمطالبة بزيادتها. كما أصابت دخل الدولة من المنتج الزراعي حدة متزايدة نتيجة لتضاؤل الأراضي الزراعية التي أفسدت بسبب الحروب الأهلية والصراعات المختلفة<sup>(4)</sup> .

### 3- شغب الجند ومطالبتهم بأرزاق سنة إضافية:

أدرك عامة الجند حجم الأزمة التي تعصف بالخلافة ، وتورط قادة الجند في نهب مالية الدولة. فأصبحوا هم . أيضا . يشغبون ، مطالبين برفع الرواتب ، وتقديم ما تأخر منها. وفي بعض الأحيان الأخرى يطالبون بأرزاق إضافية<sup>(5)</sup> .

فأدرك المقتدر بعد هذا الحادث أنه لا يمكن التهاون بطلبات الجيش وحاول جديا جمع المال اللازم لهم. فبدأ يبيع ملابس البلاط وسجاده وجواهره وبعض الضياع السلطانية . وتمكن الجند ، و أصبح تصرفهم لا يطاق. فقد نصبت فرقة المصافية (فرقة من الحرس) أنفسهم حماة للخليفة و سادة عليه وعلى وزيره. وأعاقوا سير العدالة بالتساهل في الجرائم وتأخير الأحكام. حتى سيطروا على الدولة سيطرة تامة<sup>(6)</sup> .

(1)- ومعناه أن يلجئ الضعيف ضيعة إلى قوي ليحامي عنها. ويكون ذلك نتيجة إرهاب المزارع أو المالك بالضرائب والمطالب من جهة الحكام. الرئيس: الخراج ، ص69.

(2)- فاروق عمر : دراسات، ص 216-217.

(3)- فاروق عمر :الجيش والسياسة ، ص183.

(4)- *Udjang Tholib : The Economic Facors Of The Abbasid Decline .p347.*

(5)- ابن الجوزي: المنتظم، ج13، ص281. الذهبي:العبر، ج1، ص473. ابن كثير : البداية والنهاية، ج 15، ص58. الدوري : تاريخ العراق الاقتصادي، ص 48.

(6)- ابن خلدون: العبر ، ج3، ص474. الدوري : دراسات ، ص156.

## الباب الثاني : الأدوار الايجابية والسلبية للبطانة في توجيه سياسة الخلفاء العباسيين.

### الفصل الثالث: ..... النتائج السلبية لتوجيه البطانة للسياسة العامة لخلفاء العصر العباسي

ولما اتضح للمقتدر أن الفوضى ستعم إذا استمرت الحالة. وأن العواقب ستكون وخيمة. وأن العلاج الوحيد هو إثارة قسم من الجيش ضد الآخر. وإثارة الأحقاد والعداوات بين فرقه. فدبر لذلك الخطط، وصمم على ضرب الجيش بعبه ببعض أي ضرب الفرسان بالرجال<sup>(1)</sup>.

واستنفذ الجند فوائدهم من حكم المقتدر ، وفي الأخير عجلوا بنهايتها قتلا كسابقه . وبمقتل المقتدر نحرت الخلافة العباسية كقوة سياسية ، فازداد الجيش تعنتا وطغيانا. حتى ذهب القاهر ضحية حين حاول ايقافه عند حده. وكان الخلفاء الذين تلو المقتدر من مرشحي الجيش. يوليهم ويعزلهم حسب أهوائه. واستمرت الأزمة المالية على حدتها ، ونهب الجند البلاد.

نستنتج أنه رغم الدور الايجابي للجند في العصر العباسي الأول، من حيث الفتوحات وحماية الحدود وقمع حركات التمرد. إلا أنه في العصر العباسي الثاني شهدت الخلافة العباسية مأساة حقيقية لتغلب الجند وتدخلهم في السياسة. وتركهم لمهامهم العسكرية المنوطة بهم. وانصرفهم لشؤون السياسة والاقتصاد، بهدف تكوين المجد والثروة. فعملوا سلطة الخلافة فأصبح الخليفة اسما لإضفاء الشرعية على أعمالهم ومشاريعهم. وعطلوا الوزارة ، فأصبح الوزير بأيدي قادة الجند. يولونهم ويعزلونهم إذا لم يوافقوا أهواءهم ومصالحهم.

#### 4- إفلاس الخزينة وتقلص ضياع الخلافة:

ومن ذلك أن تقلصت ضياع الخلافة بسرعة بعد سنة 317هـ/929م نتيجة إفلاس الخزينة ، وشغب الجند للحصول على الرواتب. وقد اضطر الوزير ابن مقلة سنة 317هـ/929م إلى بيع كثير من هذه الضياع نتيجة أزمة الخزينة. وباع الوزير الحسين بن القاسم سنة 319هـ/931م نتيجة استمرار هذه ، ضياعا سلطانية بخمسمائة ألف دينار ، واستسلف من مال سنة 320هـ شطره قبل افتتاحها بشهور. ولم يبق له وجه حيلة لتمام نفقات سنة 319هـ الخراجية<sup>(2)</sup>.

#### 5- توكيل قادة الأتراك عن إدارتهم العسكرية والانصراف لتكوين الثروة:

جاءت هذه الزعامات العسكرية التركية بطريقة جديدة في الإدارة. ألا وهي تعيين وكلاء لهم على الولايات والأقاليم لإدارة شؤونها. ليقوا هم في العاصمة لمراقبة الأوضاع عن كثب. لأن القائد التركي كان يدرك أن بعده وإبعاده عن جنده يعني انتهاء نفوذه السياسي. حيث كان كل فريق من الجند الترك يتعصب

(1)- الدوري : دراسات، ص156.

(2)- مسكويه: تجارب الأمم، ج5، ص128.129. الدوري : دراسات، ص 24.

## الباب الثاني : الأدوار الايجابية والسلبية للبطانة في توجيه سياسة الخلفاء العباسيين . الفصل الثالث : ..... النتائج السلبية لتوجيه البطانة للسياسة العامة لخلفاء العصر العباسي

لقائد معين<sup>(1)</sup> .

كما أن القائدين ايتاخ وأشناس وبإقرار من الخليفة الواثق، تقاسما الدولة من مشرقها إلى مغربها. فكان المغرب من نصيب أشناس . والمشرق من نصيب ايتاخ. ولكنهما لم يتركا العاصمة خوفا على مركزهما من القادة المنافسين لهما ، بل عينا عددا من الإداريين لإدارة الأقاليم التابعة لهما. وهكذا تخلى القادة ومن ورائهم الجند عن واجباتهم العسكرية لينصرفوا إلى السياسة والإدارة .<sup>(2)</sup>

وقد كان حب . الأتراك . للمال عظيما ، وبضعف الخلافة، فقد تسلطوا بالاعتداء على الخلفاء وإرهاقهم بطلب المال .<sup>(3)</sup> وقد أدت سيطرة الأتراك وضعف المستعين إلى تجاهل شروط الوزارة، وتوليها من قبل أحدهم. وهكذا تولى أوتامش وزارة المستعين. حيث استبد بالأمور ، وأقطع لنفسه أموالا جلييلة، وعمد إلى ما في بيوت الأموال فاكتسحه. وهو ما سرع بنهايته على يد عصبة من جنده<sup>(4)</sup> .

### 6- استبداد أمير الأمراء باقتصاد الخلافة ومؤسساتها:

لم يبق بيد الخلفاء سنة 324هـ إلا المنطقة التي بين بغداد وواسط. أصبح سير الإدارة مستحيلا لفرغ الخزينة ، وقلة الموارد وضعف الخليفة، الذي لم يجد المال لدفع الرواتب. فنتج عن ذلك انتصار جديد للجيش إذ اضطر الراضي إلى أن يقبل بتعيين ابن رائق قائد الأتراك في منطقة واسط « أمير الأمراء » في بغداد لقاء دفع ابن رائق للنفقات اللازمة للبلاد والإدارة والمال والجيش ، إلى أمير الأمراء ولم يبق للخليفة إلا الاسم .

وشارك ابن رائق خليفته في امتيازات الخلافة أو شاراتها وهي ذكر الاسم في الخطبة وطبعه على السكة. فتسلط الجيش على كل شيء وانهارت المؤسسات الإدارية، وبطلت الدواوين ولم يبق للوزير إلا الاسم.<sup>(5)</sup> وأصبح ابن رائق وكتابه ينظران في الأمور جميعها وكذلك كل من تولى إمرة الأمراء بعده ، وصارت الأموال تحمل إلى خزائنها فيتصرفون فيها كما يريدون ويطلقون للخليفة ما يريدون وبطلت بيوت الأموال.<sup>(6)</sup>

(1)- صابر حسين : الدولة ، ص 110-111 .

(2)- الذهبي: تاريخ الإسلام ، ج19، ص88. فاروق عمر : الجيش والسياسة، ص 125 .

(3)- حسن أحمد محمود وأحمد ابراهيم الشريف :العالم الإسلامي في العصر العباسي، ص 251.

(4)- تاريخ الطبري، ج9، ص387. ابن كثير: البداية، ج14، ص470. ابن الأثير: الكامل، ج6، ص154.

(5)- ابن الطقطقي: الفخري، ص282. الدوري : دراسات، ص 24 .

(6)- ابن الأثير: الكامل، ج7، ص123.

## الباب الثاني : الأدوار الإيجابية والسلبية للبطانة في توجيه سياسة الخلفاء العباسيين .

### الفصل الثالث : ..... النتائج السلبية لتوجيه البطانة للسياسة العامة لخلفاء العصر العباسي

ولما ضعف أمر الخلافة وتدهور ، بعث الرازي إلى محمد بن رائق - وكان بواسط- يستدعيه إليه ليوليه إمرة الأمراء ببغداد. وقد كان محمد بن رائق أول من تسلم منصب إمرة الأمراء . فتم إبطال جميع المؤسسات الإدارية في الدولة مثل الدواوين . ولم يبق من الوزارة سوى الاسم . وبوجود منصب إمرة الأمراء ، فقد الخليفة كل صلاحياته من سياسية ، ومالية ، وعسكرية ، وصارت الأموال تحمل إلى خزائن أمير الأمراء ابن رائق حتى تطور الأمر إلى أنه حدد نفقات الخليفة الرازي بالله<sup>(1)</sup>.

و بذل ابن رائق القيام بواجبات الجيش، وولي إمارة الأمراء. وصارت الكتب تؤرخ عن ابن رائق، وتقدم على الوزير، فسقط حكم الوزارة والدواوين من ذلك الوقت. ولقب ابن رائق بأمر الأمراء. وصارت بيده رئاسة الجيش. وامتدت سلطته بصورة مباشرة إلى جباية الضرائب وعلى إدارة الحكومة المركزية وغدا اسمه يذكر مع اسم الخليفة في خطبة الجمعة. ولم يبق للوزير تصرف في شيء بالكلية سوى الاسم من غير حكم ولا تدبير. وبطل حينئذ أمر الوزارة والدواوين . واستقل نواب الأطراف بالتصرف بها. وضعف أمر الخلافة . وبقي الرازي معه صورة<sup>(2)</sup>.

وكان للأعمال التي مارسها ابن رائق في حق الخليفة وخلافته ، الأثر البالغ في تشجيع عمال الأطراف على أن يعلنوا تمردهم وخروجهم عن طاعة الدولة العباسية. ولم يبق للخليفة غير بغداد ، وأعماله والحكم فيها لابن رائق وليس للخليفة حكم. وحكم ابن رائق على البلاد وبقي الرازي معه صورة<sup>(3)</sup>. وهذا التصرفات من ابن رائق أدت بدورها ، إلى تمرد أقرب الناس منه. فقد خرج القائد بجكم التركي ، المساعد الأيمن لأمير الأمراء ابن رائق ، وقائده وأصبح يحلم بتقلد هذا المنصب. فأصبحت الخلافة العباسية محل منافسة ، مما ترتب على ذلك سوء الأحوال في بغداد<sup>(4)</sup>.

ونُصب المستكفي خليفة سنة 333هـ<sup>(5)</sup>. فأقر توزون على منصب إمرة الأمراء. وكان الأمر في الحقيقة لتوزون ، فهو الذي خلع المتقي ونصب مكانه المستكفي. وبإيعه هو وعامة الناس. فبات أمر الخليفة المستكفي ودولته في يد أمير الأمراء توزون ، الذي كانت تقدم له الهدايا والأموال دون الخليفة. ولذلك استمر توزون في خلافة المستكفي يتقلد منصب إمرة الأمراء إلى أن مات<sup>(6)</sup>. فاجتمع الجيش

(1)- مسكويه: تجارب، ج5، ص199. ابن كثير: البداية، ج15، ص95.

(2)- ابن الطقطقي: الفخري، ص282. ابن كثير: البداية، ج15، ص95. الصدفي: الوافي، ج15، ص224. الذهبي: العبر، ج2، ص21.

الذهبي: سير، ج15، ص327. السيوطي: حسن المحاضرة، ج2، ص198. الدوري: دراسات، ص159.

(3)- الذهبي: تاريخ الإسلام، ج24، ص39.

(4)- خالد بديوي: الحياة السياسية، ص48.

(5)- مسكويه: المصدر السابق، ج5، ص270.

(6)- ابن الأثير: الكامل، ج7، ص187. خالد بديوي: الحياة السياسية، ص48.

## الباب الثاني : الأدوار الإيجابية والسلبية للبطانة في توجيه سياسة الخلفاء العباسيين.

### الفصل الثالث: ..... النتائج السلبية لتوجيه البطانة للسياسة العامة لخلفاء العصر العباسي

فيمن يخلف توزون في منصب إمارة الأمراء. فقرروا في اجتماعهم على تنصيب أبي جعفر بن شيرزاد ، وبه ينتهي نظام إمرة الأمراء ، الذي زاد أحوال الخلافة العباسية سوءاً ، ومنازعات لا تنقطع بين رجالات الدولة العباسية ، الذين عمل كل منهم على الاستئثار بالسلطة<sup>(1)</sup>.

ومن تلك الأيام اضطهدت الخلافة العباسية ، وخرجت الأمور منها. واستولى الأعاجم والأمراء وأرباب السيوف على الدولة. وجبوا الأموال. وكفوا يد الخليفة. وقرروا له شيئاً يسيراً ، وبلغه قاصرة ، وضعف أمر الخلافة.

فلم يكن للخليفة المتقي من الخلافة إلا الاسم ، والتصرف لتوزون. ثم إنه زاد استيلاؤه فخلع المتقي ، وسلمه لابن عمه المستكفي فأخرجه إلى جزيرة بقرق السند، وأكحله بعد أن أشهد المتقي على نفسه بالخلع سنة 333هـ<sup>(2)</sup>.

#### 7- مشكلة غلاء الأسعار:

في القرن الثالث الهجري ، مع أن المشاكل الاقتصادية كانت الشغل الشاغل لأكثرية الناس. في حين أن هذه المصادر قد أسهبت في ذكر ترف الخلفاء والوزراء وكبار رجال الدولة والبطانة. ومن الصعب وضع موازنة بين الأسعار الحقيقية للحبوب المرتفعة والأجور المنخفضة. وذلك يشير إلى تدهور في إنتاج الحبوب في السواد بين النصف الثاني من القرن الثامن وبداية القرن العاشر، أسعار الحنطة شهدت ارتفاعاً خيالياً حوالي عشرة أضعاف (أي من 0.112 دينار لكل 100 كغ إلى 1.36 دينار).<sup>(3)</sup>

وتركز المصادر الإسلامية على أن المجتمع العباسي شهد عدة أزمات منها الغلاء الفاحش، وبخاصة في المواد الغذائية. فالأسعار بصورة عامة لم تكن ثابتة، بل كانت تتأثر بالأوضاع السياسية. كحدوث الفتن والمنازعات الدينية والعنصرية والأطماع الشخصية التي شهد القرن الثالث الهجري. منها العديد حتى أصبحت سمة واضحة له. كما تأثرت هذه الأسعار، بوفرة الانتاج ونظام الري. ومقدار الخراج وبالآفات الزراعية التي تحل بالبلاد، والفيضانات والأوبئة والكوارث الطبيعية الأخرى. واحتكارات التجار لبعض المواد الغذائية ، التي كثيراً ما كانت تؤدي إلى ارتفاع الأسعار بصورة مباشرة. وما يرافق ظاهرة غلاء الأسعار عادة من سخط وشكوى، من أصحاب الدخل المحدود بطرق وأساليب مختلفة كالشغب والتدمر<sup>(4)</sup>.

(1)- ابن الأثير: الكامل، ج7، ص205. حسن إبراهيم: تاريخ الإسلام، ج3، ص41.

(2)- ابن تغري: النجوم، ج3، ص282. عبد الملك: سمط النجوم، ج3، ص493.

(3)- Michele Campopiano: *State, Land Tax and Agriculture in Iraq*, p11.

(4)- حسن أحمد محمود وأحمد إبراهيم الشريف: العالم الإسلامي في العصر العباسي، ص152-153.

## الباب الثاني : الأدوار الإيجابية والسلبية للبطانة في توجيه سياسة الخلفاء العباسيين.

### الفصل الثالث: ..... النتائج السلبية لتوجيه البطانة للسياسة العامة لخلفاء العصر العباسي

وكان من أثر سوء تدابير الخاقاني في وزارته ارتفاع الأسعار لدرجة كبيرة ولم يستطع الحصول على نفقات الجيش. وفي وزارته عين علي بن عيسى بتأثير مؤنس عاملا على الخراج في سوريا ومصر سنة 313هـ. وكان الوضع المالي سيئا جدا فيهما. فحاول تنظيم الجباية في كل من القطرين<sup>(1)</sup>.

وفي مقابل للضرائب التي دفعها الفلاحون على إنعاش الزراعة بإنفاق شطر كبير من مال الدولة في الخدمات الزراعية. ولم يكن هناك مناص من أن تتولى الدولة أمور الري منعا للتكسب أو الاتجار. فكان من واجبات الدولة أن تسهر على صيانة السدود وسد البثوق<sup>(2)</sup>.

#### 8- الأزمات الاقتصادية بسبب الفتن والحروب ( الزنج ، القرامطة ..):

وفي العصر العباسي الثاني سيطر الأتراك على الخلافة وإسرافهم ومحاربتهم للخلفاء. وساد الاضطراب السياسي في فترة التسع سنوات من (247 - 256 هـ / 861 - 869 م) صاحبه اضطراب اقتصادي وكادت الخلافة أن تسقط بيد الأتراك.

ثم تبعها الصراع بين المعتز والمستعين سنة (251 هـ / 864 م) وما صاحب ذلك من أعمال تخريب للقنوات الزراعية وهدر للأموال. فقد أمر المستعين بحفر خندق حول مدينة بغداد بلغت كلفته (330) ألف دينار وكتب إلى عمال الخراج<sup>(3)</sup> بكل بلده أن يكون حملهم الخراج والأموال إلى بغداد ولا يحمل شيء منها إلى سامراء وخربت الضياع<sup>(4)</sup>.

وتعرض سكان بغداد وتجارها لأزمة اقتصادية شديدة أثناء احتدام الصراع بين الخليفة المستعين المقيم ببغداد ، و بين منافسة المعتز بالله الذي حاصر جنده بغداد. فشحت البضائع الواردة على أسواقها وارتفعت أسعار الموجودة منها حتى أصبح قفيز الحنطة بمائة درهم<sup>(5)</sup>.

وتكررت أزمة الغلاء سنة 260هـ / 873م وارتفع السعر ببغداد فبلغ كر الشعير عشرين ومائة دينار. والحنطة خمسين ومائة ، ودام ذلك شهورا<sup>(6)</sup>. وشحت المواد الغذائية، وارتفعت أسعارها في

(1)- عريب: صلة تاريخ الطبري، ص 124. الدوري: دراسات، ص 166.

(2)- أبو يوسف: الخراج، ص 63.

(3)- الخراج: يقول الماوردي: «وأما الخراج فهو ما وضع على ارقاب الأرض من حقوق تؤدى عنها»، الأحكام السلطانية، ص 146 ؛ ابن منظور، لسان العرب: 2/252 . للمزيد انظر: غيداء خزنة كاتب، الخراج منذ الفتح الإسلامي حتى أواسط القرن الثالث الهجري، ص 25.

(4)- ابن الأثير: الكامل، ج6، ص167.

(5)- سوسن بهجت يونس : الأسواق في المشرق الإسلامي ، ص 368.

(6)- ابن الجوزي: المنتظم، ج12، ص156.

## الباب الثاني : الأدوار الإيجابية والسلبية للبطانة في توجيه سياسة الخلفاء العباسيين.

### الفصل الثالث: ..... النتائج السلبية لتوجيه البطانة للسياسة العامة لخلفاء العصر العباسي

العراق والموصل والحجاز والجزيرة والشام سنة 266هـ / 879م . ويعزو ابن الأثير تلك الحالة إلى تغلب القواد وأمراء الأجناد على الأمر . وانشغال الموقف بقتال صاحب الزنج<sup>(1)</sup>.

ووجدت الحركات المناوئة للسلطة العباسية في الظلم الفادح الذي أثقل كاهل الفئات الكادحة. سبيلا لاستقطاب تأييد الرأي العام ، كالذي حصل في حركة الزنج والقرامطة والبابكية وغيرها من الحركات التي تظاهرت بالعدل وإنصاف المظلومين. وأضمرت حقدا شعوبيا يشكك بالتراث العربي الإسلامي من خلال تقويض الدولة العباسية<sup>(2)</sup>.

وتعد أخطر الثورات التي شهدتها العصر العباسي ، كانت هي الثورة التي قادها علي بن محمد (270هـ/ 883م) والتي بدأت في البحرين سنة 249هـ / 863م وهي التي اشتهرت باسم ثورة الزنج<sup>(3)</sup>. كان علي بن محمد بن علي بن عيسى بن زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب شاعرا وخطيبا وعالما يمارس في سامراء تعليم الخط والنحو والنجوم<sup>(4)</sup>.

وكان واحدا من المقربين إلى الخليفة المنتصر بالله. ولما قتل الأتراك المنتصر بالسم ، ومارسوا السجن والنفي والاعتقال والاضطهاد لحاشيته. كان علي بن محمد ضمن المعتقلين ... ثم حدث تمرد من فرقة « الجند الشاكرية » ببغداد. شارك فيه العامة ، واقترح المتمردون السجن. فأطلقوا سراح من فيها. ومنهم علي بن محمد ، الذي غادر سامراء ومنها غلى البحرين حين دعا إلى الثورة ضد الدولة العباسية الواقعة تحت سيطرة الجند الترك<sup>(5)</sup>.

وبالرغم من اشتهار هذه الثورة ب « ثورة الزنج » إلا أنها لم تكن ثورة عنصرية للزنج وحدهم. بل كسبت ثقة جماهير الزنج وفقراء العرب. الذين كانوا أشبه ما يكون بالرقيق ، وبالذات في ظروف العمل وشروطه<sup>(6)</sup>.

(1)- الكامل ، ج6، ص261.

(2)- الألويسي: الرأي العام في بغداد ، ص 151.

(3)- « كانت البصرة أهم المدن جنوب العراق ، حيث كان الرقيق والعمال الفقراء الذين يعملون في مجاري المياه ومصائبها. ويقومون بكسح السبخ والأملح الناشئين ، من مياه الخليج ، وذلك تنقية للأرض، وتطيرا لها. حتى تصبح صالحة للزراعة. وكانوا ينهضون بعملهم الشاق هذا. في ظروف عمل قاسية ، وغير إنسانية. تحت إشراف وكلاء غلاظ قساة ، ولحساب ملاك الأرض من أشراف العرب ، ودهاقنة الفرس.. وبعض هؤلاء العبيد كانوا مجلوبين من افريقيا السوداء ، وهم الزنج. وبعضهم نوبيون وآخرون قرمطيون ، أما فقراء العرب فكانوا يسمون الفراتيين.» حسن حنفي : موسوعة الحضارة، ج2، ص518.

(4)- تاريخ الطبري ، ج9، ص416.

(5)- حسن حنفي: موسوعة الحضارة، ج2، ص515.

(6)- المرجع نفسه ، ص515. 521.

## الباب الثاني : الأدوار الإيجابية والسلبية للبطانة في توجيه سياسة الخلفاء العباسيين.

### الفصل الثالث: ..... النتائج السلبية لتوجيه البطانة للسياسة العامة لخلفاء العصر العباسي

وكانت تجربة استقدام العبيد الأفارقة لاستخدامهم في القطاع الزراعي وتنظيف المستنقعات، والذي اعطاهم أهمية أكثر هو استغلال خبرتهم في الجندية أثناء ثورة الزنج، في منتصف القرن التاسع الميلادي. لكن هذه الممارسات ما فتأت أن أسقطت لاحقاً<sup>(1)</sup>.

ولقد ألفت الخلافة العباسية بكل ثقلها في المعركة ضد الثورة. وكرست كل إمكانياتها للجيش والقتال. وبعد أن عهد الخليفة المعتمد (256-279هـ / 870-892م) بالقيادة إلى أخيه الموفق، تحول قائد الجيش إلى خليفة حقيقي. وتحولت المدينة التي بناها تجاه عاصمة الثوار. والتي سماها «الموفقية» إلى العاصمة الحقيقية للدولة. يأتي إلى بيت مالها كل خراج البلاد. وتصدر منها الأوامر إلى كل الولاة والعمال بأن يقدموا للجيش كل ما لديهم من إمكانيات<sup>(2)</sup>.

وباستمرار حركة الزنج في البصرة سنة (255 هـ / 868 م) خمسة عشر عاماً، كلفت الدولة وتسببت في إفلاس الخزينة، واضطر الأمير الموفق بالله إلى استقراض الأموال من التجار والكتاب والعمال. قرضاً إجبارياً على أن يرد لهم حل تحسن أوضاع الدولة المالية وذلك من أجل تأمين حملة لمحاربة يعقوب بن الليث الصفار<sup>(3)</sup>.

ثم تفاقمت الأزمة الاقتصادية في عهد الخليفة المعتضد بالله الذي حكم سنة (279-289 هـ / 892 - 901 م) الذي وجد بيت المال خاوياً. وليس موجوداً فيه مال ولا ذهب. ويذكر أن الخليفة المعتضد بالله أراد تجهيز جيش فعجز عن ذلك بيت مال العامة فأخبر بمجوسي له مال عظيم فاستدعاه يستقرض منه على أن يعيده له، فقال له: «مالي بين يديك يا أمير المؤمنين فلتأخذ ما تشاء، فقال: من أين عرفت أننا نرده لك، فقال المجوسي: يا أمير المؤمنين، يأتئمنك الله تعالى على عباده وبلادهم، فتؤدي الأمانة وتفيض العدل، وتحكم بالحق، وأخاف على جزء من مالي؟ فدمعت عيناه فقال: انصرف قد وفر الله عز وجل مالك وأغنانا عن القرض منك»<sup>(4)</sup>.

وقد لجأ الخليفة نفسه في بعض الأحيان إلى إعطاء الجند أرزاقاً أو عطايا ليستميل بها قلوبهم. فقد أعطى جنده رواتب بلغت مائة ألف دينار لما عزم على محاربة القرامطة<sup>(5)</sup> في الشام<sup>(1)</sup>. ونجد

(1) -Aftab Hussain Gillani :The administration of Abbasids caliphate ; A fateful change in the muslim History , p151.

(2) \_ المرجع نفسه ،ص522.

(3) \_ الشابشتي : الديارات ، ص 271-272.

(4) \_ ابن الجوزي: المنتظم، ج12، ص324.

(5) \_ القرامطة وهم فرقة من الزنادقة الملاحدة أتباع الفلاسفة من الفرس الذين يعتقدون نبوة زرادشت ومزدك، وكانا يبجحان المحرمات. ثم هم بعد ذلك أتباع كل ناعق إلى باطل، وأكثر ما يفسدون من جهة الرافضة ويدخلون إلى الباطل من جهتهم، لانهم أقل الناس عقولاً، ويقال

## الباب الثاني : الأدوار الإيجابية والسلبية للبطانة في توجيه سياسة الخلفاء العباسيين.

### الفصل الثالث: ..... النتائج السلبية لتوجيه البطانة للسياسة العامة لخلفاء العصر العباسي

ما يشابه ذلك فيما فعله الموفق أحمد بن المتوكل. فقد جمع الموالي والغلمان والجند وعرضهم وإعطاءهم الأرزاق لينهضهم على حرب الزنج فجاءه القائد لؤلؤ فأكرمه الموفق ، وأنزله وخلع عليه وعلى أصحابه ووصلهم ، وأحسن إليهم ، وأمر لهم بالأرزاق على قدر مراتبهم ، وأضعف ما كان لهم (2).

وعندما تولى الخليفة المقتدر بالله الخلافة سنة (295 هـ / 907 م) وهو طفل صغير كان في بيت المال ما يقارب أربعة أو خمسة عشر مليون دينار ولكنه أسرف وبذر رغم جهود وزيره علي ابن عيسى في ذلك إلا أنه حدثت أزمة مالية بسبب ذلك وتم إفلاس بيت المال (3).

وكان لفترة الفوضى السياسية أثرها السيئ على ميزانية الدولة ، وخاصة عند خلع الخلفاء والوزراء ورجال الدولة الكبار، ومبايعة خليفة جديد . فالجند يستغلون هذا الاضطراب السياسي فيقومون بأعمال نهب للأموال الخلفاء والوزراء وذخائرهم من الجواهر والفضة والأواني الفضية والذهبية والتحف والذخائر الثمينة . والتي كانت بمثابة أموال احتياطية يهرع الخلفاء إليها عند الحاجة. ولعل أكبر عملية نهب حدثت سنة (317 هـ / 929 م) إذ خلع الخليفة المقتدر ونصب الخليفة القاهر بالله ، فقد هاجم الجند دار الخلافة مستغلين حوادث الشغب فسرقوا كل ثمين فيها (4).

وتوالى النهب لدار الخلافة بعد ذلك لعدة مرات ، فقد نهبا جند البريدي سنة (330 هـ / 941 م) وهرب الخليفة المتقي بالله وابن رائق إلى الموصل (5). ونهبت دار الخلافة عندما خلع الخليفة المستكفي بالله بعد دخول معز الدولة البويهبي بغداد سنة (334 هـ / 945 م) حتى لم يبقَ بها شيء (6). وتكررت مثل هذه المآسي كثيرا طيلة سنوات التسلط البويهبي.

---

لهم الاسماعيلية، لا تنسابهم إلى إسماعيل الاعرج بن جعفر الصادق. ويقال لهم القرامطة، قيل نسبة إلى فرمط بن الاشعث البقار، وقيل إن رئيسهم كان في أول دعوته يأمر من اتبعه بخمسين صلاة في كل يوم وليلة لشغلهم بذلك عما يريد تدبيره من المكيدة. ابن كثير :البداية، ج14، ص635.

(1) \_ تاريخ الطبري، ج10، ص103.

(2) \_ ابن الأثير: الكامل، ج6، ص331.

(3) \_ الصابي: رسوم دار الخلافة، ص 22.

(4) \_ عريب : صلة تاريخ الطبري، ص 121-123.

(5) \_ ابن الأثير: الكامل، ج7، ص160.

(6) \_ المصدر نفسه، ص188.

**الرابع الثاني : الأدوار الإيجابية والسلبية للبطانة في توجيه سياسة الخلفاء العباسيين.**  
**الفصل الثالث: ..... النتائج السلبية لتوجيه البطانة للسياسة العامة لخلفاء العصر العباسي**

وبالنظر إلى ضعف أجهزة الدولة العباسية في احتواء الأوضاع المتردية، وتوسع مجال تدخل ، فقد تعطلت مصالح الدولة الرئيسية. وضعف أمر البطانة الصالحة. وتراكمت الآثار السلبية للأزمات الاقتصادية، بفعل استحواذ الجند على مفاصل الحياة السياسية والاقتصادية. وأتوا على الأخضر واليابس منها. حيث دمرت البنية التحتية للمجتمع العباسي. ما جعلنا لناس يتدمرون ويتكتلون في شكل حركات احتجاجية متكررة ضد هذه الممارسات. مثل حركة العيارين والشطار منذ القرن الثالث الهجري.

الباب الثاني : الأدوار الإيجابية والسلبية للبطانة في توجيه سياسة الخلفاء العباسيين.  
الفصل الرابع:.....الإجراءات العقابية المطبقة من الخلفاء على البطانة: الأسباب والمظاهر.

#### الفصل الرابع:

الإجراءات العقابية المطبقة من الخلفاء على البطانة: الأسباب

والمظاهر.

أولا/ أسباب هذه العقوبات إجمالا :

ثانيا/ مظاهرها :

1- العزل أو التعذيب و القتل (للوزراء والكتاب والقادة)

2- المصادرات المالية والعقارية. ( - للوزراء والكتاب - للقادة)

## الباب الثاني : الأدوار الايجابية والسلبية للبطانة في توجيه سياسة الخلفاء العباسيين.

### الفصل الرابع:.....الإجراءات العقابية المطبقة من الخلفاء على البطانة: الأسباب والمظاهر.

#### أولا - أسباب هذه العقوبات إجمالاً:

لقد شمل العزل والتعذيب وحتى القتل أناسا كانوا في صف السلطة الحاكمة . وأدوا عملهم سواء كانوا وزراء أو كتابا أو قادة جند وغيرها من المناصب الحساسة في الدولة. وبفعل ما أو بدسياسة ما . أصبح أفراد البطانة المشاهير هؤلاء في حكم الماضي. وليس بالضرورة أن تكون التهم المنسوبة إليهم صحيحة ، فقط يلزم أن تكون العقوبة تعبيرا عن غضب الحاكم أو من يقف وراءه . لسبب من الأسباب الآتية:

#### 1- الأسباب المالية والاقتصادية:

كان التركيز على حسن التصرف في المال العام. وفي حال الالتباس بقضية فساد مالي ، يتعرض صاحبه للتعذيب. وكان من يعزل يحاسب على تصرفاته السابقة ، ويطالب بالأموال التي كانت بحوزته أثناء عمله. وإن امتنع عن تسليمها ، سلط عليه العذاب لاستخراجها منه. ومن مل يعزل يطالب كذلك بالأموال التي كانت عنده. حتى أن الدولة العباسية خصصت ديوانا خاصا بتسجيل تلك الأموال في دور خاصة تسمى دور الاستخراج. يعذب فيها كل من اتهم باحتجاز أموال الدولة من عامة الناس أو الولاة والعمال والوزراء والكتاب وجباة الخراج<sup>(1)</sup> .

#### 2- الأسباب السياسية :

كانت تتعلق بالأشخاص المناهضين لسياسة السلطة الحاكمة آنذاك. أو عدم امتثالهم لأوامرها وسياساتها العامة. فيوضع عليهم العذاب للحصول على الطاعة بالذات من الأعيان والوجهاء. أو للحصول على اعتراف أو فعل معين فيه مصلحة تتعلق بأمن الدولة وسلامتها. ورغم أن المتعارف عليه في الدولة العباسية بالخصوص أن كل من يناهض سياستها ويشكل خطرا عليها. كان إما يسجن وينسى في سجنه، أو يقتل ولا تتمكن الدولة منه فيهرب بعيدا عن أنظارها. ومع ذلك فقد سجلت لنا المصادر بعض النصوص التاريخية عن التعذيب بدوافع سياسية<sup>(2)</sup> .

#### 3- الأسباب الدينية :

ظهر هذا النوع من التعذيب لهذه الأسباب . خاصة في عهد الخليفة المهدي ، فنجد بعض النصوص التي تشير صراحة إلى التعذيب لأسباب دينية. وهو الأمر الذي يتعلق بقضية الزندقة والزنداقية. الذين طالما طاردهم الخليفة المهدي ، وأذكى عليهم العيون. وعاقب عليها أشد

(1)- رحيم حلو محمد: التعذيب ، طرقه وأنواعه، ص 80 .

(2)- المرجع نفسه، ص 87.86.

## الباب الثاني : الأدوار الايجابية والسلبية للبطانة في توجيه سياسة الخلفاء العباسيين.

### الفصل الرابع:.....الإجراءات العقابية المطبقة من الخلفاء على البطانة: الأسباب والمظاهر.

العقوبات. باعتبار أن الزنادقة مرتدين عن الإسلام. لا سيما أولئك الذين أظهروا أنهم يتبعون ماني ومزدك ، اللذين أسسوا للمانوية والمزدكية ، وهما ديانتان وثنيتان فارسيتان قديمتان.

#### 4- أسباب أخرى (الماخذ والاثهات):

كانت معظم العقوبات مبنية على أساس اتهامات لبعض أفراد البطانة ، سواء بالتقصير أو بجرم معين. ويمكننا أن نلخص جملة الاتهامات بصفة عامة في النقاط الآتية:

- كثرة السعيات بسبب المنافسة والحسد بين أفراد البطانة. فيسعى بعضهم بآخر عند الخليفة بتلقيق التهم وافتعال الأزمات.

- مخالفة أوامر الخلفاء أو إظهار العصيان ولو كان في صلاح للخليفة ، فإن هذا قد يولد في نفس الخليفة الحقد على مستشاره من البطانة الذي يفعل ذلك ويكثر منه.

- سوء المعاملة والتصرف من أحد أفراد البطانة قبل تولي الخليفة الخلافة مما يجعل هذا الأخير عندما يتمكن فإنه يكيل المثالب والمؤاخذات عن كل من يتهمه . كما حصل مع المتوكل وابن الزيات ...

- الخوف من تعاضم بروز نفوذ إحدى شخصيات البطانة ، الذي يمكن أن يظهر للناس أنه منافس للخليفة ، أو يمكن أن يقوم مقامه، أو بديلا عنه على الأقل إذا حصل له مكروه. كما حصل لأبي مسلم الخراساني مع الخليفة المنصور.

- الوقوف على الخروقات والتجاوزات الإدارية والمالية وحتى تلك المتعلقة بالعقيدة الدينية مثلما حصل لمحمد بن أبي عبيد الله وزير المهدي ، الذي اتهم بالزندقة. والبرامكة مع الرشيد ، والفضل بن مروان مع المعتصم ، وحامد بن العباس وابن مقله مع المقتدر.

ثانيا/ مظاهر هذه العقوبات :

#### 1- في العصر العباسي الأول(232.132هـ / 749-847م)

1-1- العزل أو الحبس والتعذيب أو القتل ( للوزراء-لقادة الجند- للكتاب)

أ/ للوزراء والكتاب:

وكان أشهر هؤلاء الخلفاء تأديبا ومعاقبة لبطانتهم السيئة أو على الأقل المنحرفة في نظرهم ، الخليفة أبو جعفر المنصور الذي سخط على وزيره أبي أيوب في سنة 154هـ واستأصله وحبس معه أولاد أخيه سعيدا ومسعودا ومحمدا ومخلدا. وقتل في السنة التالية. وكان الذي سعى

## الباب الثاني : الأدوار الايجابية والسلبية للبطانة في توجيه سياسة الخلفاء العباسيين.

### الفصل الرابع:.....الإجراءات العقابية المطبقة من الخلفاء على البطانة: الأسباب والمظاهر.

بأبي أيوب هذا هو كاتبه أبان بن صدقة<sup>(1)</sup> .

وهذا ما يبين أن سعي البطانة بالفتك بعضهم ببعض كان موجودا في عهد المنصور. ذلك أنه مهما كان محتوى هذه السعيات، فإن الخليفة كان عليه أن يتبين صحة ذلك من عدمها. فربما كان السعي بسبب الحقد والحسد. أو فقدان الامتيازات كلية أو فقدان المشاركة في بعضها على الأقل. ويؤكد الجهشيارى تمتع الكاتب المورياتى بسلطات إدارية واسعة . ويستطرد قائلا بأن المنصور لم يسلمه الوزارة والدواوين . حيث أصبح على رأس الجهاز الإدارى فحسب بل إنه « فوض إليه أمره كله »<sup>(2)</sup> . ولعل هذه الرواية تشير إلى مدى اتساع نفوذه وسطوته . وقد استغل ذلك فوزع أفراد عائلته وأقرباءه على المراكز الإدارية. والواقع فإن روايات البلاذرى واليعقوبى تتفق مع روايات الجهشيارى في تأكيد نفوذه.

ومما يدل على نفوذه وتدخله في جباية الخراج من الأقاليم رواية البلاذرى التي تذكر اتهام العلماء للمورياتى بالابتزاز على غير حق ومطالبتهم الخليفة بعزله . أثر استدعاء الخليفة لعامل الأحواز، بتهمة تعذيبه أحد المواطنين حتى الموت. ويبدو أن المورياتى كانت لديه السلطة لتعيين عمال الخراج في العراق والأقاليم المجاورة له على أقل تقدير . والمعروف أن كثيرين منهم كانوا من أقربائه. على أن ذلك لا يعني بأنه كان قادرا على عزل ولاية أو عمال دون علم المنصور أو إقراره<sup>(3)</sup> .

ورغم المكانة التي حظي بها الوزير أبى عبيد الله ، ومع علو كعبه في الوزارة والكتابة من قبلها إلا أن ذلك لم يشفع له طويلا . و سلطته على ما يتفق عليه المؤرخون لم تدم طويلا. فقد وذلك أن الموالي كانوا يشنعون على أبى عبيد الله عند المهدي ، ويسعون عليه عنده...ويختلى الموالي بالمهدي ، فيبلغونه عن أبى عبيد الله ويحرضونه عليه<sup>(4)</sup> .

وانشغل الربيع بن يونس يوغر صدر المهدي على أبى عبيد الله. وبحكم أن المهدي قد قتل ابنه بتهمة الزندقة، أصبح الربيع يخوف المهدي من رد فعل الوزير معاوية. وادعى أنه لا يتركه

(1) - ابن تغري : النجوم الزاهرة، ج2، ص21.

(2) - الجهشيارى : الوزراء، ص 97. الزركلى: الأعلام ، ج3، ص135.

(3) - المصدر نفسه ، ص 97. فاروق عمر : دراسات ، ص264-265. وقد سبق الحديث عن نكبة المورياتى ومقتله ضمن عنصر نكب الوزراء.

(4) - تاريخ الطبرى، ج8، ص137.

الباب الثاني : الأدوار الإيجابية والسلبية للبطانة في توجيه سياسة الخلفاء العباسيين.  
الفصل الرابع:.....الإجراءات العقابية المطبقة من الخلفاء على البطانة: الأسباب والمظاهر.

يختلي به لهذا السبب. (1) ومن مآخذ المهدي في قتل محمد بن أبي عبيد الله وإزاحة هذا الأخير عن الوزارة. « التهمة بالزندقة » في إطار سلسلة الإعدامات الرسمية للزندقة التي بدأت في زمن الخلفاء العباسيين الأوائل. وحسب المعلومات التي توردها المصادر فإن الزندقة لم يسمح لهم بإحداث آثار تاريخية بارزة لصغر المدة الزمنية التي ظهروا فيها ما بين 163-170هـ/ 780-887م أي في نهايات عهد المهدي وخلال عهد الهادي (2).

وفي سنة 161هـ/878م اتضعت منزلة أبي عبيد الله وزير المهدي ، بسبب أن الموالي كانوا يشنعون على أبي عبيد الله عند المهدي ، ويسعون عليه عنده، فيبلغونه عن أبي عبيد الله ، ويحرضونه عليه (3).

وبعد سنة 162هـ/879م أعفي أبو عبيد الله من كافة مسؤوليات الوزارة. إلا ديوان الرسائل حيث بقي مسؤولاً عنه حتى سنة 166هـ ، عزل المهدي أبا عبيد الله معاوية بن عبيد الله عن ديوان الرسائل. وولاه الربيع الحاجب ، فاستخلف عليه سعيد بن واقد (4).

كما أن حادثة إعفائه لم يؤثر في احترامه له وفي منزلته في بلاط المهدي سنة 167هـ/783م. فقد استمر الربيع يحث المهدي على ابعاده إلى أن نجح في تلك السنة. فقد أمر المهدي الربيع بن يونس أن يحجبه عنه قائلا: إني أستحي من أبي عبيد الله بسبب قتل ولده فاحجبه عني. فحجب عنه وانقطع بداره واضمحل أمره ، وتنهياً للربيع ما أراده من إزالة نعمته ومات أبو عبيد الله سنة 170هـ/786م (5).

وبعدها ، ارتفعت مرة أخرى منزلة يعقوب بن داود ، غير أنه ما لبث أن سعى به حسداؤه عند المهدي فنكبه. ومن حجج المهدي في سجن وتعذيب الوزير يعقوب بن داود في حوالي سنة 166هـ/782م اتهامه بالميل إلى العلويين . وجرب عليه المهدي ذلك الميل بأن أعطاه هاشميا من ولد فاطمة رضي الله عنها ليقتله ، فاصطنعه وهربه. فظفر به الأعوان . وكان يعقوب شيعيا يميل إلى الزيدية ويقربهم. واستطاع الموالي أن يغيروا وجهة نظر الخليفة عليه. ففي الرواية الأولى أن يعقوب: « حسده موالي المهدي فسعوا عليه.» وتذكر رواية ثانية: « وكثرت الأقوال في يعقوب ووجد

(1)- ابن الطقطقي: الفخري، ص178.

(2)- Georges Vajda :LES ZINDÏQS EN PAYS D'ISLAM AU DEBUT DE LA PÉRIODE ABBASIDE, pp. 182.189.

(3)- تاريخ الطبري، ج8، ص136-137. ابن الأثير : الكامل، ج5، ص230. ابن كثير: البداية ج13، ص488.

(4)- المصدر نفسه، ج8، ص165. وقد سبق الحديث عن نكبة الوزير أبي عبيد وزير المهدي ضمن عنصر نكب الوزراء.

(5)- ابن الأبار : إعتاب الكتاب، ص75. فاروق عمر: دراسات ، ص278-279.

## الباب الثاني : الأدوار الايجابية والسلبية للبطانة في توجيه سياسة الخلفاء العباسيين.

### الفصل الرابع:.....الإجراءات العقابية المطبقة من الخلفاء على البطانة: الأسباب والمظاهر.

أعداؤه مقالا فيه... وذكروا للمهدي خروجه على المنصور.»<sup>(1)</sup> فألب أعداء يعقوب المهدي عليه، وأوغروا صدره بإظهار عيوبه. وخاصة لما مرض يعقوب استغلوا فرصة النيل منه والإطاحة به. وكان تبادل المنافع هو المحرك لتصرف كثير من الظروف والحوادث التاريخية. وكان سبب استيثار يعقوب بن داود في الأساس هو اتفاق بين الربيع ويعقوب بن داود على إزالة دولة أبي عبيد. قال يعقوب بن داود: يا أمير المؤمنين: «ههنا أمور لا تنهي إلى علمك، فإن وليتني عرضتها عليك، وبذلت جهدي في نصيحتك. فقربه وأدناه، فصار يعرض عليه من المصالح والمهمات والنصائح الجليلة ما لم يكن يعرض عليه قبل. فاستخسه.. واستوزره، وفوض إليه الأمور كلها، وسلم إليه الدواوين، وقدمه على جميع الناس»<sup>(2)</sup>.

ولعلم المهدي بخطر العلويين المتزايد في سكون. فقد أمر بقتل بعضهم وكلف بذلك وزيره يعقوب. ونظرا لميول يعقوب إليهم ادعى قتلهم وهو لم يفعل. مما اضطر المهدي إلى تغييره في السجن - على الرغم من فضله وسبقه في خدمة الخلافة العباسية.

ثم نكب المهدي يعقوب بن داود حوالي سنة 166هـ 782م والسبب لكونه أعطاه هاشميا من ولد فاطمة رضي الله عنها ليقته، فاصطنعه وهربه. فظفر به الأعوان. وكان يعقوب شيعيا يميل إلى الزيدية ويقربهم<sup>(3)</sup>. « وأمر المهدي بعزل أصحاب يعقوب عن الولايات في الشرق والغرب. وأمر أن يؤخذ أهل بيته وأن يحبسوا ففعل ذلك بهم»<sup>(4)</sup>.

وبالرغم من أن التهمة التي اتهم بها يعقوب كانت تمس أمن الدولة وسلامتها، إلا أن الخليفة لم يأمر بقتله، ولعل ذلك يعود إلى حصوله على لقب (الأخ في الله) ذلك اللقب الذي صانه من عقوبة الموت. وبهذا انتهت حياة رجل سياسي من الطراز الأول، وظف مكافأة له على مقدرته الكتابية والادارية، وخدم السياسة ومتطلباتها في العصر العباسي الأول<sup>(5)</sup>.

ولا شك أن كثرة الدسائس والسعايات قد أفزعت الرشيد، وجعلته يشعر أنه صار مغلوبا على أمره. وأن البرامكة شاركوه في سلطانه، بشكل أخل بتوازن الدولة وسلامتها. مما اضطره إلى التخلص منهم. ومعظم العباسيين كانت لديهم حساسية مفرطة، وحس أمني مرهوب. ولهذا قتلوا كل

(1)-الجھشياري: الوزراء، ص 159. تاريخ الطبري، ج 8، ص 156. ابن الأثير: الكامل، ج 5، ص 251. الذهبي: العبر، ج 1، ص

189. ابن خلکان: وفيات، ج 7، ص 23.

(2)- ابن الطقطقي: الفخري، ص 179. ابن كثير: البداية، ج 13، ص 527.

(3)- الذهبي: العبر، ج 1، ص 189-190. وقد سبق الحديث عن نكبة الوزير يعقوب بن داود في عنصر نكب الوزراء.

(4)- تاريخ الطبري، ج 8، ص 165.

(5)- فاروق عمر: دراسات، ص 300. 301.

## الباب الثاني : الأدوار الإيجابية والسلبية للبطانة في توجيه سياسة الخلفاء العباسيين.

### الفصل الرابع:.....الإجراءات العقابية المطبقة من الخلفاء على البطانة: الأسباب والمظاهر.

من شكوا في إخلاصه لنهجهم.

ونلاحظ أن غدر الخلفاء بوزرائهم في ذلك العهد قد لاكته الألسنة وتكلمت فيه الشعراء. فقد قال بعضهم حينما قتل المتوكل وزيره محمد بن عبد الملك الزيات :

يكاد القلب من جزع يطير إذا ما قيل قتل الوزير .

أمير المؤمنين قتلت شخصا عليه رحاكم كانت تدور .

فمهلا يا بنسي العباس مهلا لقد كويت بغدركم الصدور<sup>(1)</sup>.

كما نلاحظ أيضا تنصل شخصيات عظيمة من قبول الوزارة في ذلك العهد، لما عهدوه من وخيم عواقبها ، وسوء مغبة الاضطلاع بها<sup>(2)</sup>.

ومن ما أخذ المأمون على وزيره الفضل بن الربيع . أنه كان متمكنا من الرشيد. وكان زوال دولة البرامكة على يديه. وكان شديد التشبه بالبرامكة. وكانوا يتشبهون به. فلم يزل يعمل جهده فيهم حتى هلكوا كما تقدم<sup>(3)</sup>.

ومن حجج المعتصم في عزل وزيره الفضل بن مروان ، أن الفضل « كان شرس الأخلاق، ضيق العطن ، كرهه اللقاء ، بخيلا ، مستطيلاً ، فلما نكب تشمت به الناس»<sup>(4)</sup>.

ب/ العزل أو الحبس أو التعذيب والقتل لقادة الجند:

أ. مؤامرة الإطاحة بأبي مسلم الخراساني وقتله:

وهذه المؤامرة في قتل أبي مسلم بدأ المنصور في نسج خيوطها منذ خلافة أخيه أبي العباس في سنة 132هـ/749م ، وكان قد رفضها ، إلا أن المنصور أصر على تنفيذها<sup>(5)</sup>.

وبعد موت الخليفة عبد الله السفاح لم يكن أبو مسلم على وفاق مع أبي جعفر المنصور. ولم يرق له أن يكون الخليفة الجديد. فشج أبو مسلم ابن أخي أبي جعفر موسى بن ماهان للمطالبة بالخلافة. وكان الشجار قد بدأ منذ فترة تأسيس الخلافة. عندما ذهب أبو جعفر إلى خراسان لأخذ البيعة نيابة عن أخيه. وهم أبو جعفر بقتله لكنه آثر أن يدخره لإخماد ثورة عبد الله بن علي وأتباعه

(1) - أحمد فريد الرفاعي: عصر المأمون، ج1، ص312.

(2) - المرجع نفسه.

(3) - ابن كثير : البداية، ج14، ص72.

(4) - ابن الأثير : الكامل، ج6، ص23.

(5) - تاريخ الطبري، ج7، ص469-470 .

الباب الثاني : الأدوار الإيجابية والسلبية للبطانة في توجيه سياسة الخلفاء العباسيين.  
الفصل الرابع:.....الإجراءات العقابية المطبقة من الخلفاء على البطانة: الأسباب والمظاهر.

(1)

ومن مآخذ ودواعي أبي جعفر في قتل أبي مسلم : « تتضح مهارة المنصور ودهاؤه في ضربه خصومه بعضهم ببعض ، وفي محاولة التخلص منهم بأقرب وأسلم وسيلة. فلم يتجنب المخادعة ، لأنها أقل كلفة وأنجح من غيرها أحيانا » (2).

ورأى المنصور أن عودة أبي مسلم إلى خراسان ، معناه اعتصامه بأهلها واستقلاله بحكمها . فيصعب بذلك إخضاعه والتغلب عليه . لهذا حاول المنصور صرفه عن خراسان كي يبعده عن منطقة نفوذه ، وكتب إليه « قد وليتك الشام ومصر ، فهي خير لك من خراسان، فأرسل إلى مصر من أحببت ، وأقم بالشام فتكون بقرب أمير المؤمنين » (3).

ولا شك أن المنصور أراد من وراء هذا التعيين أن يضعف من مركز أبي مسلم لكره أهل الشام للخراسانيين فضلا عن إبعاده عن أنصاره الخراسانيين وجعله بالقرب من الخلافة فتسهل بذلك مراقبته (4).

ولقد تصرف المنصور في معالجة هذا الخطر تصرفا حكيما. دل على أنه لا يحكم العواطف في المسائل السياسية. فحقده على أبي مسلم لم يمنعه من الاستعانة به في القضاء على عمه عبد الله بن علي . إذ لا يفل الحديد إلا الحديد كما يقال. ثم إن الجيش الذي كان تحت إمرة عمه كان يضم عددا كبيرا من الخراسانيين . وكان المنصور يأمل في أن يستميلهم عن طريق أبي مسلم الخراساني . يروي الطبري أن أبا مسلم قال للخليفة المنصور حين أبدى مخاوفه من حركة عمه: « أنا أكفيك أمره إن شاء الله. إن عامة جنده من أهل خراسان وهم لا يعصونني » (5).

عندئذ لجأ المنصور إلى سياسة اللين وأساليب الدهاء فأخذ يؤمنه ويستميله ويسترضيه. كما أرسل إليه من يخوفه من مغبة معصية الإمام والرجوع دون إذنه. ومازال المنصور يستعمل سياسة الترغيب والتهديد حتى انخدع أبو مسلم وذهب للقاءه بمدينة المدائن التي قد انتقل إليها من هاشمية الكوفة. فأحسن المنصور استقباله في أول الأمر ثم واجهه بالتهمة المنسوبة إليه. وقد اورد الطبري نص هذه المحاوراة التي دارت بين الرجلين ، وهي في مجموعها تدل على عداوة قديمة

(1) Huzai'aliy Jangebe: *Abu Muslim Alkhorasani The Legendary hero of Abbasid Propaganda*.p10.

(2) - الدوري: العصر العباسي الأول ، ص 81.

(3) - تاريخ الطبري، ج7، ص482. ابن الأثير: الكامل، ج5، ص105.

(4) - العبادي: في التاريخ العباسي، ص 48.

(5) - مجهول : العيون والحدائق، ص 212. العبادي : في التاريخ العباسي، ص 47 .

## الباب الثاني : الأدوار الإيجابية والسلبية للبطانة في توجيه سياسة الخلفاء العباسيين.

### الفصل الرابع :.....الإجراءات العقابية المطبقة من الخلفاء على البطانة: الأسباب والمظاهر.

بينهما ، إلا أنها تتضمن في الوقت نفسه اتهاماً خطيراً لأبي مسلم بمحاولة الوصول إلى الخلافة عن طريق ادعاء النسب العباسي (1).

وزاد طغيان أبي مسلم بعد انتصاره على عبد الله بن علي . فأراد المنصور أن يحبس نبضه . وأن يشعره بأنه أحد عماله... ويظهر أن أبا مسلم عزم على الخلاف فتوجه إلى خراسان . فحاول صرفه عن خراسان . فخاف المنصور من انفصاله . وإذ ذاك يعسر إخضاعه . وكتب إليه يريد صرفه عن خراسان إلى ولاية مصر والشام . حتى يقربه من مركز الخلافة فتسهل مراقبته ، ففطن أبو مسلم لغرض المنصور . وأدرك أبو جعفر أن السيف لا يجدي ، فعمد إلى أساليب الدهاء (2).

ب - التهم التي وجهها المنصور إلى أبي مسلم :

وكانت كما يلي : (3)

\* تقدمه على المنصور في طريق الحج وعدم انتظاره إياه في طريق الرجوع حينما جاءه خبر وفاة أبي العباس .

\* قتله سليمان بن كثير الخزاعي من دون استشارة الخليفة وسليمان هذا من شيوخ الدعوة . ومراوغته في الخروج إلى خراسان .

\* تقديمه اسمه على اسم الخليفة في رسائله ، وخطبته لأميئة بنت علي ، وانتسابه إلى سليل بن عبد الله بن العباس (4).

\* تخوينه بأكل الأموال : ولقد أراد المنصور أن يشعره بأنه أحد عماله فبعث المنصور يقطين بن موسى ليحصي عليه الغنائم التي غنمها في الحرب مع عمه عبد الله بن علي . فقال أبو مسلم : يا يقطين ، أمين على الدماء خائن في الموال . وشتم أبا جعفر . وأراد قتل الرسول لولا تدخل أصحابه (5).

فكتب أبو مسلم ، وقد نزل الزاب وهو على الرواح إلى طريق خلوان : إنه لم يبق لأمر المؤمنين - أكرمه الله - عدو إلا أمكنه الله منه ، وقد كنا نروي عن ملوك آل ساسان : أخوف ما يكون الوزراء إذا سكنت الدهماء . فنحن نأفرون من قربك . حريصون على الوفاء بعهدك ما وفيت .

(1)- العبادي : المرجع نفسه ، ص 48-49.

(2)- الدوري : العصر العباسي الأول ، ص 83-84.

(3)- مجهول : العيون والحدائق ، ص 223.

(4)- ابن كثير : البداية ، ج 13 ، ص 311-312 . الذهبي : سير ، ج 6 ، ص 66 . ابن خلكان : وفيات ، ج 3 ، ص 154.

(5)- مجهول : العيون والحدائق ، ص 219 . الأزدي : تاريخ الموصل ، ص 164-165 . البلاذري : أنساب ، ج 4 ، ص 269 . ابن

خلدون : العبر ، ج 3 ، ص 229-232 .

## الباب الثاني : الأدوار الإيجابية والسلبية للبطانة في توجيه سياسة الخلفاء العباسيين.

### الفصل الرابع:.....الإجراءات العقابية المطبقة من الخلفاء على البطانة: الأسباب والمظاهر.

حربون بالسمع والطاعة. فلما وصل الكتاب إلى المنصور كتب إلى أبي مسلم : « قد فهمت كتابك. وليست صفتك صفة أولئك الوزراء الغششة ملوكهم . الذين يتمنون اضطراب حبل الدولة لكثرة جرائمهم. فإنما راحتهم في اتشار نظام الجماعة. فلم سويت نفسك بهم ، وأنت في طاعتك ومناصحتك واضطلاعتك بما حملت من أعباء هذا الأمر على ما أنت به ، وليس مع الشريطة التي أوجبت منك سمعا ولا طاعة»<sup>(1)</sup>.

ويبدو أن هذا استدراج من أبي جعفر لأبي مسلم حتى يوقعه في الشباك. ويجره إلى بين يديه. وتتم المؤامرة وينفذ فيه الحكم بقتله. ولكن نظرة فاحصة ناقدة لهذه المؤامرة التي انتهت بمقتل أبي مسلم . وهي تعد خسارة كبيرة لكفاءة فذة في الإدارة خاصة والسياسة بصفة عامة . فهذه المآخذ كلها مجتمعة ليست كافية لإدانة أبي مسلم. وإنما السر في ذلك - كما يظهر لي - أن مرض أبي جعفر بمرض حب الزعامة والسيطرة جعله يطمس كل معالم النبوغ تتوافر في أي شخص يمكن أن يشكل عليه خطرا ولو كان محتملا. ومهما كانت درجة قرابته أو بلائها في سبيل الدعوة والدولة العباسيتين. أو على الأقل أنه يمنع أنظار من أن تتجه إلى شخصية بارزة منفذة غير التي يرضى عنها هو. فكأنه يريد أن ترى الرعية بنظره ، فتستحسن ما يحسنه هو وتستقبح فقط ما يقبحه هو. وفي هذه النظرة استبداد مطلق لا نوافق المنصور عليه. إلا إذا كان هو أعلم بأسباب غير المذكور فأخفاها على التاريخ .

وبعد قتله أبا مسلم خطب المنصور خطبة يبرر فيها فعلته هذه بأن أبا مسلم حاول شق الطاعة، وانه نازع الملك أهله ، وأنه أسر غش إمامه فأظهره الله عليه. فقال: « أيها الناس، لا تخرجوا عن أنس الطاعة إلى وحشة المعصية. ولا تسروا غش الأئمة ، فإن من أسر غش إمامه أظهر الله سريرته في فلتات لسانه ، وسقطات أفعاله ، وأبداها الله لإمامه الذي بادر بإعزاز دينه به»<sup>(2)</sup>.

وعن تهمة الزندقة التي اتهم بها أبو مسلم الخراساني يقول محمود شاعر: « ولم يكن أبو مسلم زنديقا كما رماه بعضهم . وربما كان اتهمه ادعاء حركات الزندقة بعده بصلتها به استغلالا لاسمه وجنسه»<sup>(3)</sup>.

وهكذا فإن السياسة التي اتبعها المنصور إنما ليتخلص بها من قائده الكبير . بسبب المكانة التي صار إليها ، حتى أصبح خطرا يتهدد العباسيين. لكن تنكيل المنصور بأبي مسلم لم

(1) - تاريخ الطبري، 482-483. ابن الأثير: الكامل، ج5، ص106. ابن كثير: البداية، ج13، ص307.

(2) - المسعودي: مروج، ج3، ص305. الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج7، ص89. ابن الأثير: الكامل، ج5، ص112.

(3) - التاريخ الإسلامي - الدولة العباسية - ج5، ص106.

## الباب الثاني : الأدوار الايجابية والسلبية للبطانة في توجيه سياسة الخلفاء العباسيين.

### الفصل الرابع:.....الإجراءات العقابية المطبقة من الخلفاء على البطانة: الأسباب والمظاهر.

يكن يعني الانصراف عن الفرس كقوة رئيسية تعتمد عليها الدولة. بل كان يعني التخلص من شخصية خطيرة الشأن تهدد كيانه. ولهذا قرر المنصور في سياسته القضاء على الزعيم واسترضاء الأتباع . وعين نائب الزعيم مكانه واليا على خراسان. وفرق الأعطيات والمناصب في بعض رؤساء الجماعة الخرسانية. وبهذا احتفظ المنصور بتأييد الفرس ونصرتهم برغم قضائه على أهم زعمائهم<sup>(1)</sup>. ويبالغ البعض في وصف المنصور بالعدو، ولكن علينا أن نتذكر أن القسوة ضرورية لتثبيت دعائم دولة حديثة وأن بعض ما ينسب إلى المنصور من أعمال العدو ليس من صنعه كقتل ابن هبيرة.

وبما أن الدولة لم تعد تأمن عمالها وكتاب دواوينها على أموالها. ولما لم يكن هناك سبيل إلى معرفة ما ينتهب من أموال لا يجد إلا أن تلجأ إلى إجراء المصادرة أو التبريم. كلما أشارت الأدلة إلى وجود خيانة أو كانت هي بحاجة إلى أموال. وهذه الظاهرة - التي تدل على فساد الإدارة- هي إحدى العلامات المؤذنة بقرب الانهيار.

على أن أموال الخراج قد شكلت الدافع الأساسي لوضع الخلفاء العذاب على الولاة والعمال عند استحواذهم عليها. حتى أصبحت تلك الحالة سنة جارية عند الخلفاء تجاه الولاة والعمال . كما نستشف ذلك في تصريح للخليفة المهدي عنما قال بهذا الصدد لأحد خواصه: " ما تقول في الرجل من أهل الخراج نوليه فيحتجز المال فلا نستطيع أن نأخذه حتى نمسه بشيء من العذاب"<sup>(2)</sup>.

#### \* اغتيال القائد هرثمة بن أعين :

ومن النهايات الخطيرة التي لحقت بأشهر قادة الدولة العباسية ، اغتيال هرثمة بن أعين نتيجة تحريض الفضل بن سهل: وما أن انتهى هرثمة بن أعين من القضاء على الفتن الداخلية ، ونال إعجاب الجيش بحسن تدبيره وقيادته الرشيدة ، انتهز الفضل بن سهل فرصة أن المأمون يريد أن يعرف ما يدبر عليه الفضل وما يكتم عنه من أخبار. قال المأمون : « إن هرثمة قد أثقل عليك البلاد والعباد ، ودس أبا السرايا وهو من جنده ، ولو أراد لم يفعل ذلك. وقد كتبت إليه عدة كتب ليرجع إلى الشام والحجاز فلم يفعل. وقد جاء مشتاقا يظهر القول الشديد ، فإن أطلق هذا كان مفسدة لغيره. » فتغير قلب المأمون.<sup>(3)</sup> وبمؤامرة من الفضل بن سهل الوزير الذي كان يبغضه ، طلب

(1)- تاريخ الطبري، ج7، ص 493. ابن الأثير: الكامل، ج5، ص111. محمد حلمي: الخلافة والدولة ، ص 60.

(2)- تاريخ بغداد، ج4، ص18.

(3)- تاريخ الطبري، ج8، ص542. ابن الأثير: الكامل، ج5، ص424.

## الباب الثاني : الأدوار الايجابية والسلبية للبطانة في توجيه سياسة الخلفاء العباسيين.

### الفصل الرابع:.....الإجراءات العقابية المطبقة من الخلفاء على البطانة: الأسباب والمظاهر.

لمأمون هرثمة بن أعين. فشتمه وضربه وحبسه ثم قتله الفضل في الحبس سرا<sup>(1)</sup>.

\* معاقبة المأمون للقائد علي بن هشام:

وهو الأمير أبو الحسن المروزي. أحد قواد المأمون. كان فارساً موصوفاً بالشجاعة والإقدام، مع الظلم والفتك. وكان شاعراً مقلماً فاضلاً. ولي كور الجبال ، فأساء السيرة ، وقتل جماعة ، وصادر، ثم هم بالخروج والحقق ببابك الخرمي.<sup>(2)</sup> بعد أن وكل بمحاربتة وهزيمته<sup>(3)</sup>. وفي سنة 216هـ غضب المأمون على قائده علي بن هشام ، فوجه إليه عنبسة بن عجيف وأمر بقبض أمواله وسلاحه ، وقتله.<sup>(4)</sup> وكتب المأمون رسالة بيانا يوضح الأسباب الحقيقية للتخلص من القائد علي بن هشام جاء من ضمنها :«... فمد يده- أي علي بن هشام - إلى الخيانة والتضييع لما استرعاها من الأمانة ، فباعده عنه وأقصاه ، ثم استقال أمير المؤمنين عثرته فأقاله إياها ، وولاه الجبل وأذربيجان وكور أرمينية ، ومحاربة أعداء الله الخرمية ، على ألا يعود لما كان منه ، .. فعاود ، وأساء السيرة وعسف الرعية وسفك الدماء المحرمة ، فوجه أمير المؤمنين عجيف بن عنبسة مباشرا لأمره...»<sup>(5)</sup>.

\* المصير المؤسف للقائد عجيف بن عنبسة :

من هؤلاء القواد الكبار قائد كبير هو عجيف بن عنبسة . كان قد نقم على المعتصم لأنه لم يطلق يده كما أطلق يد الافشين. وأخذ يندم العباس ابن المأمون على مبايعة عمه المعتصم.<sup>(6)</sup> ولما علم الخليفة من أمر عجيف ، أمر به ، فأخذ ومنع الماء حتى مات<sup>(7)</sup>. هذا قائد عظيم من قواد المعتصم يلقي مثل هذا المصير ، والذي كان لسوء حظه وسوء كيده وكيد بطانته. صار مخالفا للخليفة وعينا عليه. بدل أن كان عينا له ، ومثل هذا الحدث تكرر طوال العصر العباسي الأول. وكان المحرك لذلك الرغبة في النفوذ المتزايد ، أو الحد من نفوذ البطانة

(1)- الذهبي: العبر، ج1، ص259. ابن العماد: شذرات، ج2، ص474.

(2)- ابن الأثير: الكامل، ج5، ص496. ابن الجوزي: المنتظم، ج10، ص275. الذهبي: تاريخ، ج15، ص316. الصفدي: الوافي، ج22، ص178.

(3)- تاريخ الطبري، ج8، ص595. تاريخ خليفة، ص314.

(4)- ابن الأثير: الكامل، ج5، ص498. ابن الجوزي: المنتظم، ج10، ص275. ابن تغري: النجوم، ج2، ص213. ابن خلدون: العبر، ج3، ص319.

(5)- تاريخ الطبري، ج8، ص628. الصفدي: الوافي، ج22، ص178.

(6)- سبق الحديث عن القائد عجيف بن عنبسة ومركزه عند ذكر القادة المشهورين في الفصل الثاني تحت رقم (10)

(7)- ابن الجوزي: المنتظم، ج11، ص85.

## الباب الثاني : الأدوار الإيجابية والسلبية للبطانة في توجيه سياسة الخلفاء العباسيين.

### الفصل الرابع:.....الإجراءات العقابية المطبقة من الخلفاء على البطانة: الأسباب والمظاهر.

المتزايد. سيما وأن المعتصم قد أحاط بنفسه جملة من القواد الأقوياء ذوي خبرات عسكرية وقاتلية. وكانت فكرة المؤامرة سائدة بين أفراد البطانة وخلفائهم . فكان الواحد منهم يسيء الظن بالآخر لسبب أو لآخر. أو لغير سبب في بعض الأحيان. واتخذ بعض القادة عيوناً لهم على الخلفاء . واستكشر الخلفاء من عيونهم على قادتهم ووزرائهم وكتابهم. ورغم ثقة أبي العباس الكبيرة في قائده الكبير أبي مسلم إلا أنه فرط فيه واستجاب لضغوط بطانته لقتله.

#### \* محاكمة الأفشين ونهايته المؤلمة:

ورغم ما قدمه القائد الفذ الأفشين في سبيل التمكين لخلافة المعتصم ، إلا أن غيرة الحساد قد كانت له بالمرصاد. فأتت عليه. كما أتت على رجالات الثورة والدولة العباسيتين من قبل. ويقر أحمد أمين في هذا السياق أن الأفشين لم يكن كافراً ولا منافقاً . وإنما كان رجلاً من الفرس اصطفاه المعتصم ، لحسن طاعته وخدمته. واعتمد عليه في مهام أموره. حتى وكل إليه مقاتلة بابك الخرمي. فمضى إليه في الوقت وأسرته. غير أن الحساد أفسدوا ما بينهما . ونقلوا عنخبرا خطيراً مفاده « أنه الأفشين يريد قتل المعتصم »<sup>(1)</sup>.

فكان ما يرويه معظم المؤرخين من عزم المعتصم على القبض عليه . ولما علم الأفشين بذلك انقبض عنه حذراً من القبض عليه. فتحقق - بانقباضه - ما كان أخبر به عنه ، فحبس الأفشين سنة 226هـ/841م ، ثم توفي في الحبس وصلب على باب العامة بسرمن رأى عريانيا. ساعة من نهار، ثم أنزل فأحرق.<sup>(2)</sup>

ذكر الصولي أن أحمد بن أبي دؤاد قال للمعتصم: « إن الأفشين قد كاتب المازيار ، وكان خارجياً. فقال المعتصم: فكيف أعلم حقيقة ذلك؟ قال: تبعث إلى كاتبه في الليل فتهدده ، فإنه ضعيف القلب ، وسيقر لك. ففعل وأعطاه أماناً فأقر له ، وكان ذلك سنة 225هـ/840م »<sup>(3)</sup> وكان قد جمع بينه وبين الأفشين ، وكان الأفشين قد حبس قبل ذلك بيوم. وأقر المازيار أن الأفشين كان يكتبه ويحسن له الخلاف والمعصية ، فأمر برد الأفشين إلى محبسه ، وضرب مازيار 450 سوطاً وطلب ماء للشرب فسقي فمات من ساعته.<sup>(4)</sup>

(1)- المصدر نفسه، ج11، ص98. ابن كثير : البداية، ج14، ص272. أحمد أمين: ضحى الإسلام، ج1، ص146.

(2)- تاريخ يعقوبي، ج2، ص478. ابن خلدون: العبر، ج3، ص334. النويري: نهاية الأرب ج22، ص258. أحمد أمين: ضحى الإسلام، ج1، ص146.

(3)- تاريخ يعقوبي، ج2، ص478. ابن كثير : البداية، ج14، ص272.

(4)- ابن الأثير: الكامل، ج6، ص60. ابن خلدون: العبر، ج3، ص334-335.

## الباب الثاني : الأدوار الإيجابية والسلبية للبطانة في توجيه سياسة الخلفاء العباسيين.

### الفصل الرابع:.....الإجراءات العقابية المطبقة من الخلفاء على البطانة: الأسباب والمظاهر.

ثم إن أحمد بن أبي دؤاد وجد على الأفشين لكلام بلغه عنه فأشار على المعتصم أن يجعل الجيش نصفين نصفًا مع الأفشين ونصفًا مع أشناس ففعل المعتصم ذلك. فوجد الأفشين منه وطال حزنه واشتد حقه. فقال أحمد بن أبي دؤاد للمعتصم: « يا أمير المؤمنين إن أبا جعفر المنصور استشار أنصح الناس عنده في أمر أبي مسلم فكان من جوابه أن قال : يا أمير المؤمنين إن الله تعالى يقول: ﴿ لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا ﴾. فقال له المنصور : حسبك . ثم قتل أبا مسلم. فقال له المعتصم : أنت أيضا يا أبا عبد الله ، قم وجه إلى الأفشين فقتله» (1).

فحمل إلى دار ايتاخ وقتل وصلب على باب العامة. بتهمة أنهم ووجدوا عنده كتبًا عن المجوسية. وأقر الأفشين في موضع آخر أنه على دين من مذاهب الثنوية والمجوس. فحمل إلى دار ايتاخ وقتل وصلب على باب العامة (2).

ومن مآخذ المعتصم على الأفشين و تدبيره خطة لقتله ، أن الأفشين احتجز الأموال والهدايا التي كانت تأتيه من أهل أرمينية و أذربيجان أيام محاربتة لبابك (3) .

وهذه قضية سياسية ألبست ثوبا دينيا ، مثلما انتشرت تهمة الزندقة في العصر العباسي الأول. حيث أصبحت تهمة جاهزة وعلى المقاس تصلح أن يرمى بها أي معارض أو خارج عن طوع السلطة. وهي ترجع إلى تعاظم نفوذ الأفشين وطموحه ، وعداء بعض رجال الدولة له. وهناك محاولة تفسير الحادثة مفاده أن الأفشين كان بصدد المؤامرة والسيطرة على الخلافة العباسية. غير أن قوة الخليفة العباسي المعتصم بالله وتربيته العسكرية قد حالت دون نجاح هذه المؤامرة. ولكن حين تغيرت الظروف وتبدلت الرجال ، نجح قادة عسكريون في الوصول إلى السلطة الفعلية.

## 2-المصادر المالية والعقارية. ( - للوزراء والكتاب - لقادة الجند)

ومما نبه الخلفاء إلى مظالم العمال ، أن الوزراء كانوا يباشرون نيابة عن الخلفاء. وكان هؤلاء يستشيرونهم فيما يولونه من العمال. فربما استمعوا إليهم وربما خالفوهم (4) كان من أهم العقوبات المالية التي يعاقب بها المسيئون أو المعارضون . عقوبة مصادرة الأموال والممتلكات. وقد تعرض على طول تاريخ العصر العباسي الأول والثاني ، عدد كبير من المسؤولين سواء كانوا

(1)- الدينوري: الأخبار الطوال، ص 382.

(2)- ابن الأثير: الكامل، ج6، ص66. المسعودي: مروج الذهب، ج4، ص50. ابن خلدون: العبر، ج3، ص337. ابن العماد: شذرات، ج3، ص118.

(3)- تاريخ الطبري، ج9، ص104. ابن الأثير: الكامل، ج6، ص60.

(4)- جرجي زيدان: التمدن الإسلامي، ج2، ص162.

## الباب الثاني : الأدوار الايجابية والسلبية للبطانة في توجيه سياسة الخلفاء العباسيين.

### الفصل الرابع:.....الإجراءات العقابية المطبقة من الخلفاء على البطانة: الأسباب والمظاهر.

وزراء أو كتاب أو قادة في الجيش إلى المحاسبة المصادرة. وهذه عقوبة ناجعة ، من جانب أنها تملأ خزينة بيت المال ، ومن جهة أخرى أنها تردع المسيئين والمعارضين. وقد يكون فيها كثير من الظلم والحيثف .

وانتشر أسلوب الاستخراج<sup>(1)</sup> يعد الذي يعد من الوسائل التي تطال المشتبه فيهم بأكل الأموال بالباطل، أو تضييعها من وزراء وكتاب وعمال. وكان هذا النوع من العقوبات يتم لاسترجاع الأموال. منذ البدايات الأولى للخلافة الاسلامية<sup>(2)</sup> .

وكان الاستخراج يطال الموظفين الكبار في الدولة ، كالوزراء والكتاب وعمال الخراج ومحاسبتهم على حالات التجاوز والتلاعب بالأموال التي في عهدهم. وذلك عن طريق مساءلتهم واستجوابهم ، حول ما يمتلكون من أموال. وإذا ثبتت عليهم التهمة، عزلوا وصوردوا. باعتبارهم قد استخدموا مناصبهم وسلطتهم في تحصيل تلك الأموال<sup>(3)</sup> .

فضلا عن كثرة الوشائيات التي كانت لها آذان صاغية من قبل الخليفة. ضد الكتاب والوزراء الذين كانوا للاعتقال والمصادرة والمطالبة بالأموال عن طريق الاستخراج.<sup>(4)</sup> ولقد عم الاستصفاة سائر رجال الحكومة حتى الرعية ، وأصبحت بتوالي الأيام ، المصدر الأول لتحصيل المال. فالعامل يستصفي مما للرعية ، والوزير يستصفي مما للعمال . والخليفة يستصفي ما للوزراء ، ومما للناس على اختلاف طبقاتهم . حتى لقد أنشئوا للاستصفاة ديوانا خاصا مثل سائر دواوين الحكومة . فكان المال يتداول بالاستصفاة كما يتداول بالمتاجرة<sup>(5)</sup> .

#### 1/ نكب الوزراء ومصادرتهم:

ورغم مقام الوزير ومنزلته عند الخلفاء العباسيين. إلا أن ذلك لم يمنع من انتشار العقوبات المسلطة على الوزراء من طرف الخلفاء. وقد تعددت أسباب هذه العقوبات. وكانت تتراوح في مجملها بين العزل والسجن والمصادرة ، وفي مرات قليلة كانت تؤدي بهم العقوبات إلى الموت

(1)- أما في الاصطلاح التاريخي: فإن الاستخراج الذي أشير إليه فالمصادر الإسلامية كان يقصد به استرجاع الأموال من الذين استولوا عليها مستغلين مكانتهم ومركزهم ووظيفتهم ومركزهم ووظيفتهم في الدولة. وقد تراوحت تلك الأساليب ما بين القسوة وبين اللين والرفق. وكانت الأحقاد والأطماع الشخصية ، تلعب دورا مهما في تحديد نوع الاستخراج ووسائله. راند محمد حامد: الاستخراج في العصر العباسي (132-334هـ/749-945م) مجلة أبحاث ، ص 286.

(2)- راند محمد : الاستخراج ، ص 286.

(3)- المرجع نفسه، ص 287.

(4)- راند محمد : الاستخراج ، ص 288.289.

(5)- أحمد فريد الرفاعي: عصر المأمون، ج1، ص312.313.

## الباب الثاني : الأدوار الايجابية والسلبية للبطانة في توجيه سياسة الخلفاء العباسيين.

### الفصل الرابع:.....الإجراءات العقابية المطبقة من الخلفاء على البطانة: الأسباب والمظاهر.

المحقق.

إذ بدأت مصادرة الوزراء في الدولة العباسية من أولها. وكان هذا النوع من العقوبات في البداية بغرض تأديب الوزير المسيء لجريمة سياسية أو للتخلص منه لغرض آخر.<sup>(1)</sup> وأول الوزراء الذين لحقت بهم المصادرة المالية هو أبو أيوب المورياني (ت153هـ/770م) وذكرت عدة أسباب لذلك : منها سعاية كاتبه أبان بن صدقة ، عند الخليفة المنصور.<sup>(2)</sup> والرواية الثانية في ذلك مفادها أن أبا أيوب استغل الأموال التي أعطاها إياه المنصور لاستصلاح أرض في الأهواز لابنه صالح في تسديد ما عليه من قيمة طعام السواد الذي تقبله من المنصور ، فاكشف المنصور ذلك فنكبه<sup>(3)</sup>.

ويبدو أن المنصور نكب وزيره المورياني لاستغلال منصبه في جمع الأموال. وكذلك أخوه، وأبناء إخوته استغلوا منصب قريبهم ، وجمعوا الأموال لصالحهم . بدلا من خزينة الدولة. ومما هو معروف شدة المنصور في المسائل المالية . ومن أمثلة ذلك أن أحدهم طلب من الوزير المورياني أن يسمح له باستغلال اسمه لحماية ضيعته في الأهواز من عمال الخراج مقابل مائة ألف درهم يعطيها له في السنة وقبضها الوزير في السنة الأولى.<sup>(4)</sup> فأخذ المنصور وسجنه ووضع عليه العذاب لاستخراج الأموال فأخذ منه أموالا كثيرة جدا<sup>(5)</sup>.

وهذا الموقف من المنصور له ما يبرره. من أن الدولة في بدايات نشوئها. يجب أن يلتزم الوزراء وكبار المسؤولين فيها بالحزم. ومعالجة أي تصرف سيء سياسيا أو اقتصاديا أو اجتماعيا. ومن منطلق أن التفريط في ذلك قد ينشأ عنه شرخ عظيم في الدولة الناشئة. وما دامت الدلائل موجودة والقرائن قائمة حجة على الفساد والمفسدين. فالعقوبة ينبغي ألا تؤخر ، يجب أن تكون مطردة مع الجرم أو المفسدة ، لا أكثر ولا أقل.

وتعلم الخليفة المهدي من أبيه كثيرا من سياسة الدولة، وتسيير شؤونها. والمحافظة على هيبتها في نفوس المحكومين والمسؤولين على حد سواء. إلى درجة أنه عزل مؤدبه ووزيره أبا عبيد الله معاوية من منصبه سنة 161هـ/778م. وعاقب يعقوب بن داود، فإنه لم يعاقب سوى الأخير، وكانت عقوبته السجن بسبب اتهامه بميله إلى العلويين.<sup>(6)</sup> ولما سعي بن خالد بن برمك إلى المهدي

(1)- جرجي زيدان : التمدن الإسلامي، ج2، ص165.

(2)- تاريخ الطبري، ج8، ص42. ابن الأثير: الكامل، ج5، ص203. ابن تغري: النجوم الزاهرة، ج2، ص21.

(3)- ابن الطقطقي: الفخري، ص176.

(4)- تاريخ يعقوبي، ج2، ص454.

(5)- ابن الأثير: الكامل، ج6، ص98. انظر ابن كثير : البداية، ج13، ص426. ابن تغري: النجوم الزاهرة، ج2، ص21.

(6)- تاريخ الطبري، ج8، ص136. تاريخ بغداد، ج10، ص179. ابن الأثير: الكامل، ج5، ص230. ابن العماد: شذرات

## الباب الثاني : الأدوار الإيجابية والسلبية للبطانة في توجيه سياسة الخلفاء العباسيين.

### الفصل الرابع:.....الإجراءات العقابية المطبقة من الخلفاء على البطانة: الأسباب والمظاهر.

طالبه بمال عظيم رُفِع إليه ، فباع أكثر ما يملك فيه<sup>(1)</sup> .  
ومهما كان الأمر ، فإن العقوبات الملحقة بهما لم تكن مفرطة ، بل كانت تتناسب مع شخصهما ، والتهم المنسوبة إليهما ، والمحاكمة ضدتهما . حتى لو تعلق الأمر بشخصيات كبيرة القدر مثلما حصل للفضل بن يحيى الذي اتهمه الخليفة المهدي بالزندقة فسجنه<sup>(2)</sup> .  
ولما اتسعت الدولة العباسية وبلغت أقصى مداها في التطور والتقدم الحضاري في عهد هارون الرشيد تولى ، كان كثير من الفضل في ذلك ينسب إلى البرامكة ، ومقدراتهم الإدارية . ولكنهم مع ذلك انتهى بهم المطاف إلى ما يعرف تاريخيا بـ « نكبة البرامكة» . وهذه النهاية المأساوية لهذا الطاقم السياسي والإداري الفذ عقوبة لهم على تهم نسبت إليهم أهمها: استحواذهم على الأموال وإنفاقها في مصالحهم الخاصة. يضاف إلى ذلك سعي الفضل بن الربيع بهم إلى الرشيد، فأوغر صدره عليهم<sup>(3)</sup> .  
ورغم المكانة المرموقة التي حظي بها البرامكة في بلاط الرشيد. إلا أنه في النهاية نكبتهم وتعددت أسباب النكبة . والظاهر إن أعداء البرامكة مثل الفضل بن الربيع مازالوا يسعون بهم إلى الرشيد. ويذكرون له استبدادهم بالملك ، واحتجائهم للأموال ، حتى أوغروا صدره فأوقع بهم. وقيل: إن جعفر والفضل ابني يحيى بن خالد ظهر منهما من الأدل مالاً تحتمله نفوس الملوك فنكبتهم لذلك<sup>(4)</sup> .  
وانجلت نكبة الرشيد للبرامكة عن مصادرة عظيمة لأموالهم. فوجد ليحيى بن خالد خمسة آلاف دينار. ووجد للفضل ولده أربعين ألف درهم. وكان جميع ما وجد للبرامكة من المال ولا تباعهم سبعة عشر ألف درهم. بعد أن بحث الرشيد عن أموالهم وتبع ذلك. فما وجد لهم شيئا أكثر منه<sup>(5)</sup> .  
ومما لاشك فيه أن تبعات نكبة البرامكة(187هـ/803م) وقتل جعفر بن يحيى ستلحق أيضا بالمتصلين بهم. ومن ضمنهم كثير من الكتاب الذين كانوا يعملون تحت إمرتهم ، وقد أوردت

شذرات الذهب، ج2، ص294.

(1) - ابن الأبار : إعتاب الكتاب، ص67.

(2) - ابن خلكان: وفيات الأعيان، ج4، ص34.

(3) - ابن خلدون : العبر، ج3، ص334. ابن خلكان: وفيات الأعيان، ج4، ص37.

(4) - ابن الطقطقي: الفخري، ص209 . ابن العماد: شذرات الذهب، ج2، ص393. ولمزيد من التفاصيل عن النكبة انظر: عبد الله

الفياض : تاريخ البرامكة ، ص92.

(5) - ابن الزبير: الذخائر ، ج1، ص224.

## الباب الثاني : الأدوار الإيجابية والسلبية للبطانة في توجيه سياسة الخلفاء العباسيين.

### الفصل الرابع:.....الإجراءات العقابية المطبقة من الخلفاء على البطانة: الأسباب والمظاهر.

بعض المصادر أن أمر الرشيد ينص على القبض عليهم. وأخذ كل ما كان من رقيقهم ومواليهم وحشمتهم وولادة أمورهم. وبعث إلى جميع العمال في نواحي البلدان والأعمال بقبض أموالهم ، وأخذ وكلائهم. وحاشيتهم وأولادهم ومواليهم. فكل من هو منهم يسئل ويستثاق منهم ، وتتخذ أموالهم ، وتذكى العيون على من اختفى منهم ، ويحتال في القبض عليهم<sup>(1)</sup>.

ولكن رغم ذلك، لم يخف الخليفة الرشيد تدمره ، لما رأى الناس مزدحمين أمام باب يحيى البرمكي قوله: « استبد يحيى بالأمور دوني ، فالخلافة على الحقيقة له وليس لي منها سوى اسمها. » ومن ثمة هم بنكبتهم عقب ذلك<sup>(2)</sup>.

والملاحظ أن زوال نفوذ البرامكة من البلاط العباسي. دون أية قلاقل أو ثورات على الرشيد و دولته. وهذا يدل على إعداد الرشيد لهذا العمل الخطير إعدادا جيدا. واستطاع أن يقنع الجميع به ، دون تصريح واضح بالسبب الذي دعاه إلى ذلك<sup>(3)</sup>.

وتواصلت قضية تتبع أخطاء الوزراء ومسائهم في عصر المأمون. فقد هرب منه وزيره الفضل بن الربيع إلى البصرة ، واستتر عند يزيد بن المنجاب المهلي ، وأمر المأمون أن يقبض ضياعه وأمواله وعقاراته<sup>(4)</sup>.

ونظرا لكثرة انشغال الخليفة المعتصم بالله بشؤون الجيش ، انصرف وزيره الفضل ابن مروان إلى التدخل في شؤون الخليفة والخلافة. مما أثقل على المعتصم بالله ، وأثار غضبه عليه. ففرض أول الأمر رقابة مالية عليه . فعين أحمد بن عمار لتدقيق النفقات الخاصة. وعين نصر بن منصور ليدقق أعماله في الخراج وفي الأعمال الأخرى. وكان نصر يتولى آنذاك ديوان الخاتم والنفقات والأزمة<sup>(5)</sup>.

وأمر المعتصم بالله أمر بحبس الفضل ، ثم نفاه إلى قرية السن في طريق الموصل. وقيل إنه حبسه خمسة أشهر ثم أطلقه وألزمه بيته<sup>(6)</sup>. وذلك بعد أن صادر أمواله وأموال أهل بيته . كما بطش بطش بجماعة من أصحابه واستصفى أموالهم. وقد تولى المصادرة إسحاق ابن إبراهيم نائب الخليفة

(1)- تاريخ الطبري، ج8، ص296. المقدسي: البدء والتاريخ، ج6، ص105-106.

(2)- ابن الطقطقي: الفخري، ص202.

(3)- صابر حسين: الدولة الإسلامية في العصر العباسي ، ص 97.

(4)- تاريخ يعقوبي، ج2، ص454.

(5)- أحمد عبد الباقي: سامرا عاصمة الدولة العربية في عهد العباسيين ، ج1، ص365.

(6)- ابن خلكان: وفيات ، ج4، ص47. أنظر التفاصيل عن ابن خلدون: العبر، ج3، ص322.

## الباب الثاني : الأدوار الايجابية والسلبية للبطانة في توجيه سياسة الخلفاء العباسيين.

### الفصل الرابع:.....الإجراءات العقابية المطبقة من الخلفاء على البطانة: الأسباب والمظاهر.

بيغداد وصاحب شرطته (1).

وبعد حملة المصادرات الكبيرة التي طالت الكتاب زمن الخليفة الواثق ، ومنها نكبة الوزير الكاتب الشهير ابن الزيات. (2) أعقبتها حملة أخرى مماثلة في عهد خليفته المتوكل. حيث شملت كبار المسؤولين في الدولة من الوزراء والكتاب وغيرهم. بل وأكثر المتوكل من المصادرات حتى أصبحت بمثابة ضرائب تفرض دورية على الموظفين الكبار. وكانت هذه الحملة ضمن سياسة المتوكل في استرجاع بعض أموال الدولة التي أخذوها بطرق غير مشروعة من جهة ومن جهة أخرى نظرا لقلة الموارد والدخل.

طبعا هذا كله عن العصر العباسي الأول. الأمر الذي جعل بعض المؤرخين يجعلون نهاية المتوكل خاتمة لهذا العصر. باعتباره آخر حلقة في سلسلة الخلفاء الأقوياء المتصلين بهذا العصر. والذي تميز في مجمله بقوة شخصيات الخلفاء، التي انعكس أثرها على الوزراء وسائر البطانة. فكانت بمثابة قاعدة مطردة. وهذه العقوبات تدل على اخذ الخلفاء زمام الأمور بأيديهم. ولم يتناول عليهم نفوذ وتسلطهم بصفة مطلقة مهما ظهر للعيان. وتدلنا من جهة أخرى على قوة الجهاز الرقابي والعقابي للدولة العباسية على البطانة وسائر الموظفين.

وبصفة عامة ، فقد طالت المصادرات والاستخراجات كل الموظفين والعاملين من الوزراء والكتاب والقواد والولاة - كما رأينا- ففي بعض الأحيان تكون هذه العملية على جانب كبير من الدقة والمسؤولية والحقيقة. وفي أحيان أخرى تكون نتيجة الحقد والحسد والجوسسة والسعاية ضد أي واحد من أفراد البطانة ، وبالتالي يخسر هذا الأخير مكانته ومنصبه ، أو يعذب ويسجن ، وقد يؤدي به الأمر إلى الموت. وبهذه الطريقة قد خسرت الدولة العباسية الكثير من رجالاتها الأكفاء في مجال الإدارة والوزارة والكتابة والجندي والقضاء بغض النظر عن صحة وصدق تلك الاتهامات والمصادرات.

ولا يمكننا أن نتحقق من أن هذه العقوبات والمصادرات المتكررة للوزراء التي عرف بها العصر العباسي الأول ، تقريبا لا يكاد يولى وزير إلا ويعزل ويصادر. حتى أصبحت هذه السمة البارزة لنهايات ومصائر وزراء ذلك العصر. ولكن الأمر الذي يكاد معظم المؤرخين يؤكدونه ، هو استفادة واستنفاع هؤلاء الوزراء من مناصبهم بشكل يدعو للريبة فعلا. والجانب الثاني هو الحسد

(1)- تاريخ يعقوبي، ج2، ص472. ينظر ابن كثير: البداية، ج14، ص240. الذهبي: العبر، ج1، ص298. ابن تغري: النجوم، ج2، ص233.

(2)- ابن خلدون: العبر، ج3، ص341.

## الباب الثاني : الأدوار الايجابية والسلبية للبطانة في توجيه سياسة الخلفاء العباسيين.

### الفصل الرابع:.....الإجراءات العقابية المطبقة من الخلفاء على البطانة: الأسباب والمظاهر.

والمنافسة بينهم أدت بالإيقاع ببعضهم البعض.

#### ب / مصادرة الكتاب وحبسهم :

كان الكتاب يجدون طرقاً متعددة للإثراء ومنها مشاركة التجار في أرباحهم بحكم علاقاتهم معهم. عندما يشترون غلة السواد من الخراج. ومن الاستقطاع من بعض الجوائز التي يأمر بها الخلفاء. إضافة إلى ما يقومون به من اختلاس للأموال الواردة إلى خزانة الدولة من شتى البقاع. لذلك كانت تقع على بعضهم نتيجة للشراء الفاحش الذي وصلوا إليه عن طريق وظائفهم.

وبسبب السعاية والوشاية ، صادر المنصور وزيره أبا أيوب الذي كان يحب جمع المال ليتقرب به إلى المنصور إذا خافه. فقال أبو أيوب: يا أمير المؤمنين بالأهواز مزارع عاطلة تحتاج إلى ثلاثمائة ألف درهم تعمر بها ويقوم منها حاصل جيد. فانكتم الحال عن المنصور مدة. ثم إن أعداء أبي أيوب وجدوا هذا طريقاً إلى السعاية به . فعرف المنصور القصة وتنبه على خيانة أبي أيوب ، فنكبه وقتله وقتل أقاربه واستصفى أموالهم<sup>(1)</sup> .

ونقل عن الخليفة المنصور أنه بلغه عن جماعة من كتاب دواوينه أنهم زوروا فيها وغيروا ، فأمر بإحضارهم ، وتقدم بتأديبهم.<sup>(2)</sup> ولا نجد للمهدي أو الهادي أي مصادرات للكتاب . وقد يعود السبب إلى وفرة أموال الدولة العباسية. خصوصاً أن المهدي ابتداءً عهده برد أموال المظالم والتي كان والده المنصور قد صادرها.<sup>(3)</sup> وأوصاه قبل وفاته أن يردها إلى أصحابها ليستميل بذلك قلوبهم ، وقلوب الرعية حين يفشوا بينهم حبه للعدل ورفع الظلم عن الرعية<sup>(4)</sup> .

إضافة إلى قصر عهد الهادي(أقل من سنة) . وحين تولى هارون الرشيد الخلافة ابتدأها بالأمر بمصادرة اثنين من الكتاب وحبسهما، هما: إبراهيم الحراني، وسلام الأبرش ، ويبدو أن ذلك بسبب موقفهما عندما حاول الهادي خلعه من ولاية العهد . وقد عفا الرشيد عن إبراهيم الحراني بسبب وساطة يحيى بن خالد بن برمك ، ونفذت العقوبة في سلام الأبرش<sup>(5)</sup> .

ولم يشهد عصر الأمين(193-198هـ/808.813م) المشحون بالاضطراب السياسي والعسكري مثل هذه المتابعة للكتاب وغيرهم. وإنما تركز الجهد على محاسبة القواد، وبعض كبار

(1)- ابن الطقطقي: الفخري، ص176.

(2)- ابن الأبار : إعتاب الكتاب ، ص67.

(3)- الزهراني: موارد بيت المال في الدولة العباسية، ص203.

(4)- ابن الأثير : الكامل، ج6، ص30.

(5)- الجهشيارى: الوزراء، ص 178 .

الباب الثاني : الأدوار الإيجابية والسلبية للبطانة في توجيه سياسة الخلفاء العباسيين.  
الفصل الرابع:.....الإجراءات العقابية المطبقة من الخلفاء على البطانة: الأسباب والمظاهر.

رجال الدولة ، أو العامة الذين أعلنوا ولاءهم لأخيه المأمون . لكن في عهد المأمون(218.198هـ/833.813م) ظهرت محاسبة الكتاب من جديد ، وظهرت المطالبات على بعضهم بمبالغ كبيرة. ويبدو أنه تبين له أن بعض كبار الكتاب استغلوا فرصة حريق الديوان في بغداد في الفتنة بينه وبين أخيه. واحتفظوا بمبالغ مالية كبيرة ولكن الخليفة عفا عن كثير منهم بعد أن كادوا أن يؤدوها للديوان ، مع ملاحظة أن هذه المحاسبة لبعض هؤلاء الكتاب تمت في وقت كانت فيه خزينة الدولة فارغة من الأموال.

ومن أشهر هؤلاء الكتاب الذين نكبوا هم:

\*\*\*\*فرج الرخجي : حوسب في عهد الرشيد واعترف بعشرة ملايين درهم، وحوسب في عهد المأمون وثبت أن عليه الحساب في عهد المأمون وثبت أن عليه اثنين وثلاثين مليون درهم ليس له فيها حجة. وكان الذي أقام عليه الحساب هو مخلد بن أبان الكاتب ، ولأن الرخجي تدلل وترجي مخلد ، فإن الأخير لم يكشف للخليفة حقيقة ما اختلسه الرخجي ، وبعد مدة من الزمن كاد الرخجي عند المأمون مخلد بن أبان ، واتهمه بأنه ما يزال على النصرانية ، وطبعاً فإن مخلدا لم يسكت ، ودافع عن نفسه مبينا حقيقة أمر الرخجي ، ثم أمر المأمون بأن يسلم الرخجي إليه ليحاسبه ، وللمرة الثانية يدلس أبان بن مخلد على الخليفة. ويكتفي منه على إخراج ثلاثة آلاف درهم بوساطة من عمرو بن مسعدة (1) .

ولكن ابن يزداد خاطب الخليفة متهما الفضل بالتساهل مع ابن بهنوي ولم يستخرج منه شيئاً، فعاتب الخليفة الفضل ، ثم أمر بتسليم ابن بهنوي إلى ابن يزداد ، والذي بالغ في تعذيبه من أجل استخراج الأموال منه ، فلم يعترف له منها بشيء. ولذلك أشفق عليه كتابه وأصحابه من تلك المعاملة، وجمعوا له فيما بينهم ثلاثة ملايين درهم سلموها إلى محمد بن يزداد ، وهو بدوره أوصلها إلى الخليفة فرحا بما وصل إليه من استخراج ذلك المبلغ (2) .

\*\*\*\*يحيى بن خاقان: الذي ألزمه المأمون بخمسة ملايين درهم. فاعتذر ابن خاقان بأنه لا يملك إلا سبعمائة ألف درهم. فلم يقبل منه المأمون قوله، وأمر أحمد بن هشام بحبسه عنده ، وأن يعامل معاملة حسنة ، وأن يقدم له طعامه من بيته خشية عليه من أحمد بن هشام، فساعده كل من عمر بن فرج الرخجي، والحسن بن سهل (ت236هـ/851م) كل واحد منهما بمليون درهم، ولما تكامل له المبلغ ، وطلب مقابلة المأمون ليسلمه المبلغ الذي فرضه عليه، وعندها وهب الخليفة

(1) - الصابي: رسوم دار الخلافة ، ص45. ابن الأثير: الكامل، ج6، ص98.

(2) - ابن حمدون : التذكرة، ج9، ص302-303.

## الباب الثاني : الأدوار الايجابية والسلبية للبطانة في توجيه سياسة الخلفاء العباسيين. الفصل الرابع:.....الإجراءات العقابية المطبقة من الخلفاء على البطانة: الأسباب والمظاهر.

ذلك المال ليحيى بن خاقان ولم يأخذ منه شيئاً<sup>(1)</sup>.

وهذه النصوص تشير بما لا يدع مجالاً للشك مدى الشراء الذي وصل إليه كبار الكتاب في عهد المأمون ، ومن قبله من الخلفاء ، بحكم طبيعة أعمالهم المتعلقة بالخراج وقبض الأموال، وهي أموال ليست قليلة ، إضافة ذلك فإن هذه النصوص تظهر تعامل الخليفة المأمون مع كتابه مع معرفته بكيفية جمع هؤلاء لتلك الاموال ، وحاجة خزانة الدولة إليها ، وعفوه عنهم ، في الوقت الذي كان يطالبهم بها.

وأصبح من عادة الخلفاء العباسيين تمكين وزرائهم وكتابهم من بسط أيديهم ونفوذهم. حتى إذا طال بهم الحال، واسمرأوا الأمر، هبوا لقطع ذلك النفوذ المتزايد، إما بالمصادرة أو العزل والسجن والتغريم. فهذا الخليفة المعتصم سخط على الفضل بن مروان وزيره ، وبطش بجماعة من أصحابه واستنصفى أموالهم. وكان الفضل بن مروان قد أخذ من الأموال الكثير. فلما صار المعتصم خليفة كان اسمها له، ومعناها للفضل. واستولى على الدواوين كلها وكثير من الاموال. ثم نكبه وأهل بيته في صفر وأمرهم بعمل حسابهم.<sup>(2)</sup> وصير مكانه محمد ابن عبد الملك الزيات ، فنفي الفضل إلى قرية في طريق الموصل تعرف بالسن. فكان الناس يشمتون بالفضل بعد أن نكبه المعتصم: وهو كما يصفه ابن الأثير: « شرس الأخلاق، ضيق العطن ، كربه اللقاء ، بخيلا ، مستطيلا ، حتى قال بعضهم فيه :

لييك على الفضل بن مروان نفسه فليس له باك من الناس يُعرفُ.  
لقد صحب الدنيا منوعا لخيرها وفارقها وهو الظلوم المعنف .  
إلى النار فليذهب ومن كان مثله على أي شيء فاتنا منه نأسف.»<sup>(3)</sup>

وفي سنة 229هـ حبس الواثق الكتاب وألزمهم أموالا عظيمة ، وأخذ من أحمد بن الخصيب ثمانين ألف دينار بعد أن ضربه ، ومن سليمان بن وهب كاتب ايتاخ أربعمئة ألف دينار ، ومن الحسن بن وهب أربعة عشر ألف دينار ، ومن إبراهيم بن رياح وكتابه مائة ألف دينار ، ومن أحمد

(1) - ابن حمدون : التذكرة، ج9، ص302.

(2) - تاريخ الطبري، ج8، ص18-19. ابن الأثير: الكامل، ج6، ص98. ابن كثير: البداية، ج14، ص240. الذهبي: تاريخ، ج15، ص33. ابن خلدون : العبر، ج3، ص323. ابن العماد: شذرات، ج3، ص95.

(3) - الكامل، ج6، ص23. انظر ترجمته في : مجهول : العيون والحدايق ، ج3، ص479. مسكويه: تجارب ج4، ص12-13. المسعودي: التنبيه، ص256. ابن خلكان: وفيات، ج4، ص45. الزركلي: الأعلام، ج5، ص151.

## الباب الثاني : الأدوار الايجابية والسلبية للبطانة في توجيه سياسة الخلفاء العباسيين.

### الفصل الرابع:.....الإجراءات العقابية المطبقة من الخلفاء على البطانة: الأسباب والمظاهر.

ابن الخصيب وكتابه ألف ألف دينار ، ومن نجاح ستين ألف دينار ، ومن أبي الوزير مائة ألف وأربعين ألف دينار<sup>(1)</sup>.

وأخذ من سليمان بن وهب أربع مئة ألف دينار، وأخذ من أحمد بن الخصيب وكتابه ألف ألف دينار. ومن نجاح ستين ألف دينار ومن أبي الوزير صلحا مائة ألف وأربعين ألف دينار. وذلك سوى ما أخذ من العمال بسبب عمالاتهم. ونصب محمد بن عبد الملك لابن أبي داود وسائر أصحاب المظالم العداوة ، فكشفوا وحسبوا ، حبسهم الوثائق وألزمهم أموالا عظيمة، وذلك سنة 229هـ/844 م<sup>(2)</sup>.

وهذه العقوبة الشاملة - نكبة الوثائق لكتابه- التي أحاطت برؤوس الكتاب في عهده كانت لحاجة الدولة للأموال ، وقلة ما هو موجود في الخزانة ، وليس لأنه أراد أن يقتدي بجده هارون الرشيد في نكبته للبرامكة ، كما بررت المصادر سبب تلك النكبة . وربما كان لمحمد بن عبد الملك الزيات دور في هذه المصادرة ، إذ عرف عنه شدته ، وقسوته في معاملة الكتاب المصادرين. وهو أول من ابتدع البراميل المكسوة جوانبها الداخلية بالمسامير المدببة كوسيلة لتعذيبهم ، واستخراج ما لديهم من أموال<sup>(3)</sup>.

وكان الوثائق يلام لأنه أكثر من مصادرة موظفيه حتى صارت سنة سيئة لمن خلفه. ومصدرا يعول عليه في اوقات الحاجة. ولا شك في أن لذلك أسوأ الأثر في الإدارة وفي الاستقرار المالي. وكان يفترض أن تقدر بقدرها.

ولابد أن نشرك في المسؤولية المترتبة على حكم قاضيه أحمد بن أبي دؤاد ووزيره محمد ابن الحسن الزيات « إذ كان لا يصدر إلا عن رأيهما ولا يعاب عليهما في ما رأيا وقلدهما الأمر وفوض إليهما ملكه.»<sup>(4)</sup>. ولا شك في أن استبقاء الوثائق لابن الزيات في الوزارة رغم سخطه عليه وهو

(1)- تاريخ الطبري، ج9، ص125. ابن الأثير : الكامل، ج6، ص79. ابن كثير : البداية، ج14، ص79. ابن خلدون: العبر، ج3، ص338.

(2)- المصدر نفسه، ج9، ص125. مسكويه: تجارب ج4، ص91. ابن الأثير: الكامل، ج6، ص79. الذهبي: سير ج10، ص312. الدوري: دراسات، ص36.

(3)- تاريخ بغداد، ج3، ص595.

(4)- المسعودي: مروج الذهب، ج4، ص55. مسكويه: تجارب، ج4، ص108.

الباب الثاني : الأدوار الايجابية والسلبية للبطانة في توجيه سياسة الخلفاء العباسيين.  
الفصل الرابع:.....الإجراءات العقابية المطبقة من الخلفاء على البطانة: الأسباب والمظاهر.

أمير دليل على مقدرة ابن الزيات وعلى اتزان الوثائق . وقد قال له: « والله ما أيقنتك إلا خوفا من خلو الدولة من مثلك. وسأكفر عن يميني فإني أجد عن المال عوضا ولا أجد عن مثلك عوضا»<sup>(1)</sup>. وهكذا فإن العصر العباسي الأول ، شهد عدة حالات من مصادرة الوزراء والكتاب. تبعا لقوة شخصيات خلفاء هذا العصر. ولكننا لا نكاد نجد إلا بعض الحالات النادرة لهذه المصادرة في العصر العباسي الثاني خاصة في عهد المتوكل. والذي يعتبر آخر الخلفاء العباسيين الأقوياء. ومن بعده انحدرت الخلافة العباسية ، وتغلبت طغمة القادة الأتراك. الذين أصبحوا هو من يحاسب الخلفاء ويأمرهم وينهاهم ، ولم يبق لهم من الخلافة إلا الاسم. وكل معانيها لهؤلاء القادة.

ب/ في العصر العباسي الثاني (334-232هـ / 946-847م)

1/ العزل أو الحبس والتعذيب أو القتل ( للوزراء-لقادة الجند- للكتاب)

أ/ للوزراء والكتاب:

يعتبر الخليفة المتوكل خاتمة الخلفاء الأوقوياء إذا ما ألحق بخلفاء العصر العباسي الأول. مما جعل بعض المؤرخين يجعلون نهاية هذا العصر عند وفاة المتوكل أي سنة (247هـ/861م). فهو لا يزال يتصف بالقوة والقدرة على معاقبة المسيئين من أفراد البطانة. و من مآخذ الخليفة المتوكل في صرف محمد بن عبد الزيات عن الوزارة وقتله . أنه كان ضمن مجموعة تجار أثرياء . اعتقد الخليفة المتوكل أن هؤلاء الرجال الذين واصلوا القيام بأعمالهم التجارية، أثناء وجودهم في المنصب. استغلوا مراكزهم لتجميع ثروات طائلة لهم ولزملاتهم التجار على حساب الجمهور العام والخزينة المركزية<sup>(2)</sup>.

وتعود خلفيات هذه العقوبة إلى أيام الخليفة الواثق (227-232هـ). حيث كان محمد بن عبد الملك ابن الزيات قد استوزره الواثق فاستمكن من دولته ، وغلب على هؤلاء. وكان لا يحفل بالمتوكل ، ولا يوجب حقه. غضب الواثق عليه مرة فجاء إلى ابن الزيات ليستنزله ، فأساء معاملته في التحية والملاقة. ولما ولي الخلافة بقي شهرا. ثم أمر اتياخ أن يقبض عليه ويقيده بداره ويصادره، ويعذبه عذابا من إثره<sup>(3)</sup>.

فقد عزل الوزير الإسكافي الذي لم يكن له كفاءة ، إلا أنه يستميل القلوب بالمواهب

(1)- ابن الطقطقي: الفخري، ص234. ينظر سيرة ابن الزيات في تاريخ الطبري، ج9، ص156. ابن الأثير: الكامل، ج6، ص96

. ابن خلكان: وفيات، ج5، ص99. ابن الطقطقي: الفخري، ص226-227.

(2)- محمد عبد الحي شعبان: الدولة العباسية، ص93.

(3)- مسكويه: تجارب الأمم، ج4، ص109. ابن خلدون: العبر، ج3، ص341.

## الباب الثاني : الأدوار الايجابية والسلبية للبطانة في توجيه سياسة الخلفاء العباسيين.

### الفصل الرابع:.....الإجراءات العقابية المطبقة من الخلفاء على البطانة: الأسباب والمظاهر.

والعطايا. ومع ذلك كرهه المعتز، ومال إليه بعض الأتراك وكرهه البعض الآخر. وثار بسببه فتنة. فعزله المعتز. كما قبض الخليفة المعتمد على أبي الصقر اسماعيل بن بلبل وحبسه وعاقبه، ثم قتله في محبسه واستصفى أمواله<sup>(1)</sup>.

وفي بعض الأحيان تكون هذه العقوبات نتيجة السعيات والدسائس. قد سعى بابن الفرات أعداؤه إلى الخليفة الراضي وخوفوه منه، فقطع يده اليمنى، ومكث في الحبس مدة مقطوع اليد<sup>(2)</sup>. وعزل الوزير حامد بن العباس، واستوزر المقتدر بعده علي بن الفرات، وسلمه إليه فقتله سرا<sup>(3)</sup>. أما بالنسبة للوزير أبي القاسم عبيد الله بن محمد الخاقاني، فقد اختلت عليه الأمور فصول وعزل. ثم توفي سنة 312هـ/924م<sup>(4)</sup>.

وكان من عادة خلفاء عصر الضعف العباسي، كثرة تولية الوزراء وعزلهم. فكان منهم حتى من يستوزر لشهر أو شهرين أو حتى أقل من ذلك. فعزل المقتدر أبا العباس الخصيي عن الوزارة. وكان سبب ذلك أن الخصيي قصر تقصيرا شديدا. وكان يترك الكتب الواردة الدواوين لا يقرأها إلا بعد مدة. ويهمل الأجوبة عنها فضاقت الأموال. وفاتت المصالح، ووكل الأمور إلى نوابه، وأهمل الاطلاع عليهم، فباعوا عليه مصلحته بمصلحة نفوسهم<sup>(5)</sup>.

وحالات العزل هذه منها ما مبرر ومنها ما هو غير مبرر، أي لمجرد الهوى أو الانتقام أو قبول السعاية أو غير ذلك مما فصلناه في عزل الوزراء والكتاب.

وسبب عزل الوزير سليمان بن الحسن أنه أصابته ضائقة، وكثرت عليه العروض بالضمان والوظائف ممن يرغبون في الترشح للوزارة. فاكشف المقتدر ما به، وعزله وأشار بتولية الحسين بن القاسم، ولكن القائد مؤنس رفض، وفرض عليه أن يستوزر أبا القاسم الكلوذاني. وكانت وزارة سليمان سنة وشهرين<sup>(6)</sup>.

وفي سنة 319هـ/931م عزل الوزير سليمان واستوزر أبو القاسم الكلوذاني، وكان سبب ذلك أن سليمان ضاقت الأموال عليه إضافة شديدة، وكثرت عليه المطالبات، ووقفت وظائف السلطان. واتصلت رفاع من يرشح نفسه للوزارة بالسعاية به والضمان بالقيام بالوظائف، وأرزاق

(1)- ابن الطقطقي: الفخري، ص228. 253.

(2)-المصدر نفسه، ص 275.276.

(3)-المصدر نفسه، ص 269.

(4)- المصدر نفسه.

(5)- ابن الأثير: الكامل، ج7، ص28.

(6)- المصدر نفسه، ص64.

## الباب الثاني : الأدوار الايجابية والسلبية للبطانة في توجيه سياسة الخلفاء العباسيين.

### الفصل الرابع:.....الإجراءات العقابية المطبقة من الخلفاء على البطانة: الأسباب والمظاهر.

الجند وغير ذلك. فقبض عليه ونقله إلى داره. وكان المقتدر كثير الشهوة لتقليد الحسين بن القاسم الوزارة. فامتنع مؤنس من ذلك وأشار بوزارة أبي القاسم الكلوذاني . فاضطر المقتدر إلى ذلك فاستوزره ، فكانت وزارة سليمان سنة واحدة وشهرين. وكانت وزارته غير متمكنة أيضا ، فإنه كان علي بن عيسى معه على الدواوين ، وسائر الأمور ، واشتغل علي بن عيسى بأمور الوزارة ولازم النظر فيها فمشت الأمور ، واستقامت الأحوال<sup>(1)</sup>.

وفي سنة 320 هـ / 933م أيضا ظهر عجز الوزير الحسين بن القاسم فعزل عن الوزارة. وسبب ذلك أنه ضاقت عليه الأموال وكثرت الإخراجات فاستسلف في هذه السنة جملة وافرة أخرجها في سنة تسع عشرة ، فقبض عليه ، وكانت وزارته سبعة أشهر<sup>(2)</sup>.

ومن الملاحظ أن مجمل العقوبات المسلطة على الوزراء ، كانت نظيرا لتجاوزاتهم واخفاقاتهم. ومن ذلك أيضا ، في عهد الخليفة المقتدر ، فقد قبض على الوزير ابن مقلة سنة 318هـ/930م ، وأحرقت داره وكانت عظيمة ، وقد ظلم الناس في عمارتها. وحبسه واستوزر علي ابن عيسى بن الجراح<sup>(3)</sup>.

ورغم ورع وتحفظ الوزير أبي العباس أحمد بن عبيد الله بن الخصب، إلا أن أمره ضعف ، وانحرفت عنه السيدة أم المقتدر. وكان كاتبها قبل الوزارة. فعزل وقبضت أمواله ، وذلك سنة 314هـ/926م<sup>(4)</sup>.

ويمكن تبرير كثرة الوزراء في عهد المقتدر ، بتعدد المصالح وتضاربها. وسهولة تنصيب هذا المنصب لمن يدفع أكثر، ولمن يخدم الأطراف الذين تسببوا في استيثاره. هذا من جهة ومن جهة أخرى ، فإن هذا المنصب كان يدر أرزاقا كبيرة ، ومصالح جملة للوزير. فكان بإمكانه مصادرة الوزير السابق وأخذ أمواله، ومحاسبته، وهكذا تدور الدائرة ، وتكون السلسلة. فلم يكن أحيانا المنصب يتغنى ويرتجى لذاته. ولكن لما يحقق من هذه الأطماع والمصالح. فالوزير على يقين أنه يدفع الرشوة، لكي يحصل أمواله ويسترجعها من طريق مصادرة من قبله.

وهذا ما يفسر لنا قوة بعض شخصيات الخلفاء في العصر العباسي الثاني خاصة في فترة الصحوة المؤقتة(256-295هـ) برغم الضعف العام في البطانة ، لكن على مستوى خلفاء هذه

(1) - ابن الأثير: الكامل، ج7، ص64-65.

(2) -المصدر نفسه، ج7، ص72. ابن كثير: البداية، ج15، ص58. السامرائي: تطور نظام الوزارة ، ص 302.

(3) - ابن تغري: النجوم، ج3، ص227. ابن الطقطقي: الفخري، ص 267.

(4) - ابن الطقطقي: الفخري، ص 270.

## الباب الثاني : الأدوار الايجابية والسلبية للبطانة في توجيه سياسة الخلفاء العباسيين.

### الفصل الرابع:.....الإجراءات العقابية المطبقة من الخلفاء على البطانة: الأسباب والمظاهر.

الفترة ، كانت لديهم بعض القدرة على التمييز والاختيار وإنشاء الأعمال والمشاريع. رغم استبداد قادة الجند الأتراك بالأمور.

فلم يكن الوزراء يستقر لهم حال ، خاصة إذا تعلق الأمر بأجور العمال وخاصة منهم الجند. فكانوا يقومون من حين لآخر بشغب وفوضى، إما للمطالبة بحقوقهم ومستحقاتهم المالية ، أو تستغلهم أطراف في السلطة لضرب الطرف الآخر. وكم من الوزراء الذين نكل بهم وأحرقت دورهم وعزلوا وصدروا، بسبب هذه الحساسيات المفرطة بين الموظفين في دوايب السياسة والإدارة، بالخصوص في العصر العباسي الثاني.

#### ب/ العزل أو الحبس أو التعذيب والقتل لقادة الجند:

اصطلح كثير من الباحثين في التاريخ العباسي على تسمية العصر العباسي الثاني، بـ«عصر النفوذ التركي». حيث اصطبغت الحياة السياسية والاجتماعية والاقتصادية بنفوذ قيادات الجند الترك. وأصبح الأمر بأيديهم تولية وعزلا وأداء وتنفيذا. خاصة بعد وفاة الخليفة المتوكل ، الذي يعتبر من الثلاثة القليلة جدا الذين عاقبت المسيئين من هؤلاء القادة. أما من عداه من الخلفاء ، فقد رضخوا تماما لإرادة قادة الجند الترك. وممن عوقب فيما يأتي من القادة ، لا يعبر عن قوة الخلفاء. بل كثير ممن القادة المعاقبين ، كان العقوبة من طرف قادة أمثالهم وليس من طرف الخلفاء.

#### \* قتل القائد ايتاخ:

بعد أن أحس المتوكل بتعاضم نفوذ القادة الأتراك . فقرر أن يحد من هذا النفوذ وهذه القوة. فبدأ المتوكل بايتاخ « وكان إليه الجيش والمغاربة والأتراك والموالي والبريد والحجابه ودار الخلافة.»<sup>(1)</sup> إضافة إلى الإشراف على بيوت الأموال. وبذلك كانت سلطته خطرا على الخليفة. ولم يتردد ايتاخ في إظهار غروره. فأخذ الخليفة يدبر أمر قتله. وفعلا أرسل إليه من حسن له الحج. ففعل ذلك ايتاخ. فأسرع المتوكل بنقل الحجابه إلى وصيف ثم دبر له مؤامرة مع حاكم بأن يسجنه عند رجوعه ، فنجحت المؤامرة ، ومات ايتاخ في السجن في سنة 235هـ / 849م<sup>(2)</sup>.

#### \* قتل القائد أوتامش:

كان أوتامش قد أسرف في أخذ الأموال حتى لم يبق بيت المال شيئا. فغضب الأتراك من ذلك وغاروا منه فاجتمعوا عليه وأحاطوا بقصر الخلافة وهو عند المستعين، ولم يمكنه منعه منهم

(1) - تاريخ الطبري، ج9، ص167، مسكويه: تجارب الأمم، ج4، ص115.116. النويري: نهاية الأرب، ج22، ص201.

(2) \_ المصدر نفسه، ج9، ص166.167، ابن الأثير: الكامل، ج6، ص103. الدوري : دراسات، ص 40 .

الباب الثاني : الأدوار الايجابية والسلبية للبطانة في توجيه سياسة الخلفاء العباسيين.  
الفصل الرابع:.....الإجراءات العقابية المطبقة من الخلفاء على البطانة: الأسباب والمظاهر.

ولا دفعهم عنه. فأخذوه صاغرا فقتلوه وانتبهوا أمواله وحواصله ودوره. وكان ذلك سنة 249هـ/863م..<sup>(1)</sup> وقتلوا كاتبه شجاع بعد أن نهت دور أتامش، وأخذوا منها أموالاً كثيرة ، وغير ذلك<sup>(2)</sup>.

والسؤال المطروح عند هذا الحد من المصائر المخزية ، النهايات المساوية لقادة الجند ، هو: لما لم يتعظ القادة الأتراك الباقون من تلك المصائر والنهايات ؟ لأننا وجدتنا وتعنتنا وإصرارنا على الاستبداد عند هؤلاء القادة ربما فاق ما كان عند من سبقوهم. بل هذا يفسر جهل هؤلاء القادة ، وحرصهم على نزواتهم ومصالحهم الشخصية الآنية، ولم يكن يهمهم مآلهم ومصيرهم. وبالتالي لا نعجب تكرر تلك النهايات الحزينة لقادة عرفوا بالشدة والحزم والاستيلاء ، مثل وصيف التركي وابنه صالح وبجكم وغيرهم..

\* قتل القائد وصيف:

مهما تعددت الأسباب ، فإن السبب الواضح لنهايات زعماء الترك وقوادهم. كان الاستغلال المفرط للنفوس، والاستعمال الزائد عن الحد للقوة ، ولو في غير موضعها. والسبب الثاني البارز، وهو الحسد والمنافسة على المكانة والمكتسبات بسبب المنصب.

فهذا القائد وصيف ، الذي كان يصول ويجول، ويقاسم الخليفة المكانة ، وينازع الوزراء النفوذ. صاحب الكلمة المسموعة. كانت نهايته بقتله. والسبب أن الأتراك والفراعنة والأشروسنية شغبوا وطلبوا أرزاقهم لأربعة أشهر، فخرج إليهم بغا ووصيف. ومضى سيما وبغا إلى المعتز، وبقي وصيف في أيديهم، فوثب عليه بعضهم فضربه بالسيف، فقتلوه. وجعل المعتز ما كان لووصيف إلى بغا الشرابي، وهو بغا الصغير، وألبسه التاج الوشاحين<sup>(3)</sup>.

\* قتل القائد صالح بن وصيف :

ورغم الشدة والصلابة التي عر بها القائد الفذ صالح بن وصيف. وما اجتمع له من سطوة القيادة والأمر والنهي والمال. لكن سارت فيه سنة القادة الذين سبقوه. وهي النهاية قتلا. ففي سنة 255هـ أقبل موسى بن بغا من بغداد وعبأ جيشه في أكمل أهبة، ودخلوا سامرا قد أجمعوا على قتل

(1) - تاريخ الطبري، ج9، ص387. ابن كثير: البداية، ج14، ص470. ابن الأثير: الكامل، ج6، ص154.

(2) - ابن خلدون: العبر، ج3، ص355. الذهبي: تاريخ الاسلام، ج18، ص26. مسكويه: تجارب الأمم، ج4، ص116.

(3) - تاريخ الطبري ج9، ص374. مسكويه: تجارب، ج4، ص161. ابن الأثير: الكامل، ج6، ص189. ابن خلدون: العبر،

ج3، ص366. ابن العماد: شذرات، ج3، ص241.

## الباب الثاني : الأدوار الإيجابية والسلبية للبطانة في توجيه سياسة الخلفاء العباسيين.

### الفصل الرابع:.....الإجراءات العقابية المطبقة من الخلفاء على البطانة: الأسباب والمظاهر.

صالح بن وصيف. بدعوى أنه قتل المعتز وأخذ أموال أمه وأموال الكتاب. ثم هجموا على قصر المهدي بالله يطلبون صالحًا بن وصيف. غير أنه نجا منهم هذه المرة وقتل بعد ذلك بشهر<sup>(1)</sup>. لقد كانت معظم نهايات القادة الأتراك العظام الذين تسلطوا على الخلافة العباسية. وتحكموا في رقاب وأيدي الخلفاء والعباد مخزية جدا. منهم من قتل ومنهم من سم ومنهم من عزل وصادر وحبس حتى الموت. كان ذلك جزاء وفاقا لما اقترفوه من تجاوزات وتعسف في سوء استعمال السلطة. مثل وصيف وابنه صالح وغيرهما.

وبعض من هؤلاء القادة الذي أحسنوا السيرة ، فإنما جرهم تيار الفساد الذي كان سائدا آنذاك. ووقعوا أو أوقعوا بطريقة مباشرة أو غير مباشرة في معترك الحسد والمنافسة أودى بهم إلى الهلاك. بما فيهم هؤلاء القادة الذين قدموا خدمات عظيمة للخلافة مثل أبي مسلم الخراساني وهرثمة بن أعين والأفشين... وغيرهم.

#### 2-المصادر المالية والعقارية. (- للوزراء والكتاب -لقادة الجند)

وكانت المصادر لأموال وأملاك الوزراء وكبار موظفي الدولة وغيرهم ، أمرا شائعا مألوفاً. يضاف إلى ذلك أنه عندما كان كبار القادة العسكريين وغيرهم يقفون الأملاك لصالح ذريتهم . كان الحكام والولاة ينتزعونها من هؤلاء بوسائل شرعية ، وغير شرعية أحيانا.

#### أ/ نكب الوزراء ومصادرتهم:

يختلف في العصر العباسي الثاني تماما عن الأول . حيث تسلط قادة الجند الترك ، وتمكنوا من كل أجهزة الدولة العباسية. فأصبح بيدهم الحل، والعقد والأمر والنهي. فتحكموا في تعيين الوزراء بل حتى الخلفاء أنفسهم.

ومن الوزراء الذين نكبهم الخليفة المتوكل، الوزير محمد بن عبد الملك الزيات. حيث وزر لأخيه الواثق، فأبقى عليه المتوكل في الوزارة. ولكنه كان يحقد عليه لسوء معاملته له في حياة أخيه ، فنكبه بعد أربعين عاما. وصادر أمواله وعذبه حتى مات. ورغم كفاءة ابن الزيات ونهوضه بأعباء الوزارة نهوضا لم يكن لمن تقدمه من أضرابه. إلا أن سوء أخلاقه وسيرته في الناس جعله مبغضا إلى الخلق. وفرح معظمهم لما نكب ، ولم يُر إلا شامتا به بنكبته<sup>(2)</sup>.

وفي سنة 233هـ/848م غضب المتوكل على سليمان بن إبراهيم بن الجنيد النصراني

(1)- ابن الأثير: الكامل ج6، ص214-215. الذهبي: العبر، ج1، ص366-367. ابن العماد: شذرات : ج3، ص249.

(2)- تاريخ الطبري، ج9، ص156-158. مسكويه: تجارب الأمم، ج4، ص108-109. ابن الطقطقي: الفخري، ص234. ابن

الأثير: الكامل، ج6، ص96. الذهبي: العبر، ج1، ص326. سير أعلام النبلاء، ج11، ص172.

## الباب الثاني : الأدوار الايجابية والسلبية للبطانة في توجيه سياسة الخلفاء العباسيين.

### الفصل الرابع:.....الإجراءات العقابية المطبقة من الخلفاء على البطانة: الأسباب والمظاهر.

الكاتب. وضربه وأخذ ماله. وغضب أيضا على ابي الوزير وأخذ ماله ومال اخيه وكاتبه. وفيها أيضا عزل الفضل بن مروان عن ديوان الخراج وولاه يحيى بن خاقان الخراساني مولى الأزدي ، وولى إبراهيم ابن العباس بن محمد ابن صول ديوان زمام النفقات . وفيها غضب المتوكل على عمر بن فرج ، وكتب في قبض ضياعه وأمواله (1) .

وزادت قضية المصادرة من الاضطراب الإداري والمالي في الدولة إضافة إلى القلق السياسي. ذلك لأنها أصبحت سياسة ثابتة يلجأ إليها الخلفاء . فكان الوزير يعلم مسبقا أنه سيتعرض إلى المصادرة بعد عزله ، فيعمل ما في وسعه لجمع المال أثناء تقلده المنصب (2) .

وفي سنة 237هـ / 852م غضب المتوكل على الوزير أحمد بن أبي دؤاد ، وقبض ضياعه وحبس أولاده . فأخذ منهم مائة وعشرين ألف دينار وجواهر تساوي عشرين ألفا . ثم صالحهم عن ستة عشر ألف ألف درهم وأشهد عليهم ببيع أملاكهم . فأحضر المتوكل يحيى بن أكنم وولاه قضاء القضاة (3) .

وباستخلاف المعتز وأحوال الجند والأترار على شر ما يكون، فأصبحوا هم أصحاب النفوذ الحقيقي. وأصبحوا مختلفين فيما بينهم. ولأنه لا يوجد منهم يمكنه إيقافهم عند حدهم. ولا حيلة للخليفة إلا مراعاة جانبهم والحذر منهم ، وإعمال الحيلة واللداسس ضدهم. لأنه كان مستضعفا معهم ، ويخشاهم ، ويعمل على مدراتهم ودفع خطرهم حتى صار موضع تهكم معاصريه (4) .

وانقلبت الأوضاع رأسا على عقب، وأصبح هؤلاء القادة بإمكانهم معاقبة الوزراء والخلفاء، بالسجن أو العزل أو التغريم ، أو حتى القتل في بعض الأحيان. باستثناء فترة لصحوة المؤقتة 256-295هـ. فهذا أحمد بن إسرائيل لم يزل وزيراً للخليفة المعتز إلى أن قتله صالح بن وصيف بالضرب في المصادرة. فهلك تحت الضرب سنة 255هـ. وكانت وزارته دون ثلاث سنين (5) .

وجاءت نكبة الخليفة القاهر للوزير ابن مقلدة. بعد ما بلغ بابن مقلدة من الفساد والتخليط فأزال نعمته وقبض أملاكه ، وهدمت داره وأراد قتله . حتى زال أمر القاهر ثم عاد أيضا إلى

(1) - تاريخ الطبري، ج9، ص161.162. ابن الأثير: الكامل، ج6، ص98. ابن خلدون: العبر، ج3، ص341.

(2) - فاروق عمر: الوزارة ضمن كتاب حضارة العراق، ج6، ص78.

(3) - ابن الأثير: الكامل، ج6، ص112. ابن خلدون: العبر، ج3، ص345.

(4) - العبادي: في التاريخ العباسي، ص124.

(5) - ابن الطقطقي: الفخري، ص245. الذهبي: تاريخ الاسلام، ج19، ص34. انظر ابن كثير: البداية، ج14، ص509.

## الباب الثاني : الأدوار الايجابية والسلبية للبطانة في توجيه سياسة الخلفاء العباسيين.

### الفصل الرابع:.....الإجراءات العقابية المطبقة من الخلفاء على البطانة: الأسباب والمظاهر.

التخليط ، ومضى إلى البريديين لما خالفوا السلطان . ثم مضى إلى أبي الحسين أحمد بن بويه لما غلب على الأهواز<sup>(1)</sup>.

وأخذ المقتدر من أموال علي بن محمد بن الفرات في مصادرتة ومصادرات كتابه وأسبابه: أربعة آلاف ألف دينار. و ما حصل من ارتفاع ضياع ابن الفرات الملك سوى الإقطاع والايغار في مدة سبع عشرة سنة مع ما انصرف في ذلك من المبيع والمقطع والموغر للحاشية حسابا في السنة: مائتي وخمسين ألف دينار وأربعة آلاف ألف ومائتي وخمسون ألف دينار. وما حصل من ضياع العباس بن الحسن بعد قتله في مدة أربع وعشرين سنة حسابا في السنة : مائة وعشرين ألف دينار. ألفي ألف وثمانمائة ألف دينار<sup>(2)</sup>.

ولما هم الخليفة المقتدر بمعاقبة الوزير حامد بن العباس فإن المحسن بن الوزير ضمنه منه ب500 ألف دينار. وتسلمه فعاقبه بأنواع العقوبات، وأخذ منه أموالا جزيلة لا تحصى<sup>(3)</sup>.

وما أخذ من أموال حامد بن العباس وأسبابه مع ما يرتفع من ضياعه ، فقد ردت على ولده ألفي ألف ومائتي ألف دينار. وما أخذ من أموال الحسين بن أحمد ومحمد بن علي المدرائيين في أيام وزارة أبي علي الخاقاني ، ووزارات ابن الفرات الثلاثة، وأيام أبي القاسم الخاقاني وأبي العباس الخصيبي وأبي الحسن علي بن عيسى الثانية وأبي علي بن مقلّة: ألف ألف وثلاثمائة ألف دينار. وما اخذ من أموال علي بن عيسى وابن الحواري وسائر الكتاب ووجوه العمال المصادرين : ألفي ألف دينار<sup>(4)</sup>.

وكان المصير الذي يؤول إليه أمر الوزير وأهله خاصة- في بعض الأحيان - إذا ما حيكت المؤامرات على خلعه، إذا ما علمنا أن أمر الوزارة كان يخضع لتدخل كبار رجالات الدولة. وما يقدمه من يطلب الوزارة، ويسعى لها . فنجد أن كثيرا من الوزراء قد شنع بهم ونكل بأهلهم بعد خلعهم . وغالبا ما كانوا ينفون عن ديارهم . ومن ذلك ما أورده التنوخي إلى ما آل إليه حال الوزير علي بن عيسى ،عندما خلعه الوزير ابن الفرات وأذله وصادر أمواله. فصدر ب300 ألف دينار، وصودر قوم آخرون من كتابه. واستقر الأمر على نفيه وإبعاده عن بغداد إلى مكة المكرمة. كما أن

(1)- مسكويه: تجارب الأمم، ج5، ص132.

(2)- المصدر نفسه، ج5، ص136.

(3)- ابن كثير: البداية، ج15، ص05.

(4)- مسكويه: تجارب الأمم، ج5، ص136. ينظر ابن الأثير : الكامل، ج8، ص12.

## الباب الثاني : الأدوار الايجابية والسلبية للبطانة في توجيه سياسة الخلفاء العباسيين.

### الفصل الرابع:.....الإجراءات العقابية المطبقة من الخلفاء على البطانة: الأسباب والمظاهر.

الوزير ابن الفرات بعد خلعه تعرض للمصادرة بمبلغ مليون وستمائة ألف دينار وحبس وعذب<sup>(1)</sup>. وفي العادة أن يصادر كل موظف معزول يقبض عليه ، على مقدار من المال إذ يؤخذ خطة بذلك ويودع في السجن حتى يدفع قسما من ذلك المال على الأقل . وكان كل طامح إلى الوزارة يتعهد للخليفة بأنه سيحاول استحصال مقدار من المال من العصبة المنبوذة. وكان ذلك موردا يحسب له حسابه في أوقات الأزمات<sup>(2)</sup>.

وهذا بخلاف وزراء العصر العباسي الثاني ، الذين أصبحوا في معظمهم يعينهم الجند الترك. ويعزلونهم متى يشاؤون. بل وفي بعض الأحيان يضطرون لدفع الأموال الكثيرة لتقلد منصب الوزارة الشكلية. ومن كان منهم على كفاءة ومقدرة ، إما يعمل تحت أوامرهم وأهوائهم، أو يكون مصيره العزل والحبس والقتل.

#### ب / مصادرة الكتاب وحبسهم :

ورغم الخدمات العظيمة التي قدمها الوزير الكاتب محمد بن عبد الملك الزيات، لكن السعاية أوقعت به في شبك العقوبة والمصادرة من قبل الخليفة المتوكل ، وذلك سنة 233هـ/848م. وبعض المؤرخين ينفون فكرة المؤامرة والسعاية . ويرجعون السبب إلى زمن الواثق ، لما استوزر محمد بن عبد الملك فوض إليه الأمور . ووجه المتوكل إلى أصحابه ودوره فقبض عليهم وأخرج جميع ما كان في منزله من متاع. وجوار وغلمان ودواب<sup>(3)</sup>.

ورغم أن عمر بن فرج الرخجي الكاتب كان من علية الكتاب . إلا أن الخليفة المتوكل سخط عليه سنة 233هـ/848م . فأخذ منه ما قيمته مائة وعشرون ألف دينار. ثم صالحه على أن يرد إليه ضياعه على ماله. ثم غضب عليه وصفح ستة آلاف صفقة في أيام، وألبس عباءة. ثم رضي عنه، ثم سخط عليه ونفاه. توفي ببغداد<sup>(4)</sup>.

وفي سنة 237هـ/852م غضب الخليفة المتوكل على أحمد بن أبي داود وأمر المتوكل بقبض ضياعه وحبسه وأولاده وإخوته<sup>(5)</sup>. وفيها غضب المتوكل على سليمان بن إبراهيم بن الجنيد النصراني كاتب سمانة وضربه وأخذ ماله. وغضب أيضا على أبي الوزير وأخذ ماله ومال أخيه وكاتبه.

(1)- نشوار المحاضرة، ج4، ص71. ابن كثير: البداية، ج15، ص06. محمد العازمي: مظاهر الحياة السياسية والعلمية والاقتصادية في القرن الرابع الهجري، ص44-45.

(2)- الدوري: دراسات، ص144.

(3)- تاريخ الطبري ج9، ص156. مسكويه: تجارب الأمم، ج4، ص108-109. ابن الأثير: الكامل ج6، ص96.

(4)- تاريخ الطبري، ج9، ص161. الذهبي: تاريخ الاسلام، ج7، ص284. ابن الجوزي: المنتظم، ج11، ص191.

(5)- مسكويه: تجارب، ج4، ص123. الذهبي: العبر، ج1، ص134. الذهبي: تاريخ الاسلام، ج7، ص23.

## الباب الثاني : الأدوار الايجابية والسلبية للبطانة في توجيه سياسة الخلفاء العباسيين.

### الفصل الرابع:.....الإجراءات العقابية المطبقة من الخلفاء على البطانة: الأسباب والمظاهر.

وفيها أيضا عزل الفضل ابن مروان عن ديوان الخراج ، وولاه يحيى ابن خاقان الخراساني (1).  
وأحضر الخليفة المتوكل يحيى بن أكثم وولاه قضاء القضاة وولى أبا الوليد بن أبي دواد المظالم، ثم عزله وولى أبا الربيع محمد بن يعقوب، ثم عزله وولى يحيى بن أكثم على المظالم، ثم عزله وصادره على خمسة وسبعين ألف دينار وأربعة آلاف (2).

وسرعة التعيين والعزل في المناصب المهمة ، دليل على الاضطراب الاداري الذي بدأت الخلافة العباسية تتخبط فيه. رغم أن الخليفة المتوكل يعتبر نهاية سلسلة الخلفاء الأقوياء . ورغم وجود هذه الكفاءات التي تحيط به. لكن التفسير الوحيد لذلك هو وقوع الدولة في الانحدار ، وهذا الموضوع لا يمنعها من الانزلاق والضياع. وإن تغير كل الطاقم الإداري، فمن الصعب تدارك الأمر. خاصة إذا علمنا فشو الفساد الأخلاقي والإداري والمالي في شخصيات نافذة في دواليب الحكم. سواء في مركز الخلافة أم في الأطراف.

والملاحظ أن هذه المصادر قد كثرت في النصف الثاني من العصر العباسي الأول ، والثلث الأخير من العصر العباسي الثاني. وفي هذه الأوقات عدة دلالات من جانب قوة الخلفاء ، وقوة جهاز المراقبة والاستخبارات من جهة ، ومن أخرى تمثل هذه المصادر دليلا واضحا على عمق الفساد المالي والإداري الذي تورط فيه الكثير من الوزراء والكتاب والقادة. والذي نخر جسم وعظم الخلافة العباسية. وكثرة الخيانة لدى الموظفين وخاصة من كان منهم في المناصب السامية والمؤثرة. مثل الوزارة والكتابة والحجابه وقيادة الجيش. ولم يكن من طريقة لاسترجاع هذه الأموال إلا عن طريق المصادرة أو السجن. ولكن في بعض الأحوال ، تكون المصادرة ظالمة أو اعتباطية ، أي أن الهدف منها تحصيل الأموال من الأثرياء، بض النظر عن جرم أو براءة المصادرين. لتمويل الخزينة العامة. وهذا عام تقريبا ففي كل حالات ضعف الدولة.

ونحن لا ندري مدى صدق هذه الحوادث والاغتيالات . أحيانا يبدو المبرر منطقيا باستقراء تاريخ نشأة الدولة الفتية. وأحيانا تبدو غريبة كون معظم تلك الاغتيالات طالت أهم رجالات الثورة العباسية، ونخص منهم سليمان بن كثير الخزاعي وأبو سلمة الخلال وأبو مسلم الخراساني وعبد الله بن علي وغيرهم كثير.

ويمكننا القول إن النكبات التي تعرضت لها البطانة ، من العزل أو السجن أو المصادرة والتعذيب ، يمكن أن يوجد لها ما يبررها في بعض الأوقات ، وفي بعض الحالات، مثل حالات

(1)- ابن الأثير :الكامل، ج6،ص98.

(2)- الذهبي: تاريخ الاسلام، ج18،ص176. الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج12،ص37. ابن خلدون:العبر، ج13،ص345.

## الباب الثاني : الأدوار الايجابية والسلبية للبطانة في توجيه سياسة الخلفاء العباسيين.

### الفصل الرابع:.....الإجراءات العقابية المطبقة من الخلفاء على البطانة: الأسباب والمظاهر.

التلبس واحتجاز أموال الدولة وصرفها في المصالح الشخصية ، أو الأخطاء الإدارية والقيادية الفادحة ، كما حصل في مرات في جباية الضرائب والخراج. أو الخوف من القيام بحركات انفصالية بتمرد الجند. ونخص بالذكر مرحلة التأسيس ونهضة الدولة العباسية أي تقريبا خلال العصر العباسي الأول. أما في العصر العباسي الثاني فالأمر مختلف تماما. فقد أصبحت البطانة من الجند الترك لهم الكلمة العليا والقول الفصل. وأصبح الخليفة رمزيا شكليا .

ومهما كان الأمر، فإن معظم أسباب هذه النكبات قد يكون سياسيا أو ماليا يتعلق بأمن الخلافة السياسي والاقتصادي والاجتماعي. أو يكون تصفية لحسابات شخصية ، أو استجابة لدسائس ومؤامرات.

وصفوة القول إن النكبات والمحن التي تعرض لها الكتاب والوزراء في العصر العباسي الأول عديدة. الأمر الذي يؤول إلى حقيقة باهتة. وهي أن الخلفاء العباسيين في عصرنا الأول كانوا شديدي الحذر والريبة من رجالات الدولة. كما كانوا حريصين أيما حرص على سلطانهم. وعدم مزاحمة أحد إياهم عليه. مهما كانت كفايته ومعرفته وبصره بسياسة العباد والبلاد.

مما جعلهم أميل إلى البطش والاستبداد وعدم العفو، منذ قيام الدولة. إذ كان يهولهم أن يسلب سلطانهم ، وتزول دولتهم، التي كثيرا ما تشوفوا إلى قيامها ، مرهوبة الجانب ، متماسكة البنيان. ولا ينسى المرء أن مكائد رجال الدولة واطماعهم، وتنافسهم على المناصب. كانت سببا في تعرضهم إلى صنوف الهوان والتقتيل. وقد عرف بعض العباسيين بهذه الخلة ، أي الغدر برجال الدولة . بل بمن كان له فضل في قيامها أساسا ، كسليمان بن كثير الخزاعي ، وأبي سلمة الخلال وأبي مسلم الخراساني، وغيرهم. لذا تنصلت شخصيات بارزة من قبول الوزارة .

ويانتشار الخصومات بين الوزراء والكتاب وقادة الجند ساءت الأحوال. وأدى الحسد والمنافسة بين الوزراء والكتاب ، وطمعهم في المال إلى إضعاف الإدارة. و إرهاب الشعب بالضرائب . وإلى إهمال الزراعة. كما إنها أدت إلى أزمة مالية حادة . وإفلاس مالي واقتصادي في الخلافة. وكان لذلك الوضع أثره السيء في جميع المجالات.

# خاتمة

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

في ختام هذا البحث ، فما الذي توصلت إليه من نتائج؟

الحقيقة أنني قد توصلت إلى عدة نتائج أهمها:

. أن خلفاء العصر العباسي الأول حافظوا على قيمتهم، وسيطروا على بطاناتهم، الذين أحسنوا اختيارهم. ممن توافرت فيهم الكفاءة والأمانة. وفن كان بعضهم منفذين لأوامرهم. غير خارجة عن طاعتهم. بتلك الصلاحيات التي أعطوها لهم سواء في نطاق وزارة التفويض أو الاستكفاء.

. بخلاف خلفاء العصر الثاني، أصبح كثير من الخلفاء ألعوبة بيد البطانة. خاصة العسكرية منها. الذين استعلوا عليهم. وكانوا وراء تعيين من يحقق لهم مصالحهم. غير ناظرين لكفاءة ولا أمانة ولا صلاح . فكانوا وبالا على الخلفاء والمجتمع وعلى أنفسهم في النهاية. بل وصل بهم الأمر إلى قتل بعض الخلفاء بعد تعذيبهم، وعزل البعض ممن لم يعمل على تحقيق مصالحهم، كما هو مذكور في البحث.

. امتاز خلفاء العصر العباسي الأول بالسعي الجاد إلى تحقيق العدل وجباية الأموال ما استطاعوا من وجوهها المختلفة. وحماية المجتمع من الفتن. وإنشاء المشاريع العامة. على عكس خلفاء العصر الثاني، الذين كان لتدخل البطانة أسوأ الأثر على الأحوال العامة. بل وصل الأمر بهم أنهم لم يجدوا في بعض الأحيان ما يسددون به رواتب الجند والموظفين. وصار قادة الجند هم الذين يخصصون للخلفاء ما ينفقونه على أنفسهم . نظرا لاستثمارهم بالأموال من دولهم.

. ظهور منصب الوزارة في العهد العباسي ، إذ تحددت صلاحيات الوزير ومهامه بمرور الزمن. حيث لم يكن موجودة في العصر الأموي بالشكل الذي أصبحت عليه.

. إن سلطة الوزراء في العصر العباسي الثاني، كانت تتأثر بمدى نفوذ قادة الجيش. بل كانوا يخشون هؤلاء القادة أكثر مما يخشون الخلفاء. نظرا لتعيينهم بهدف خدمة مصالحهم. وأن بقاءهم في الوزارة محدد بمدى موقف هؤلاء القادة ، وتأيدهم لهم.

. قدر عدد الوزراء الذين استطعنا التوصل إلى معرفتهم خلال العصر العباسي الأول بـ 21 وزيرا. في مقابل 37 وزيرا في العصر العباسي الثاني.

. إن كثيرا من الوزراء بدأ أمرهم ككتاب ، ثم أصبحوا وزراء. وفي حين جمع بعضهم بين الوزارة والكتابة. حيث بلغ عدد الكتاب الذين تمت معرفتهم خلال العصر العباسي الأول بـ 54 كتابا. في مقابل 21 كتابا في العصر العباسي الثاني.

. إن دور الكتاب في العصر العباسي الأول والثاني كان بارزا وهاما في إدارة الدواوين. وإن انخرطوا ضمن المختلسين للأموال خاصة في نهاية العصر العباسي الأول. وفي فترات لاحقة ، بل أصبحوا في خدمة مصالح أسيادهم من الوزراء، وبعض قادة الجند. وفي حالة ما يرفضون تأدية هذه الخدمات، يقابلون بالعزل والمصادرة.

. أما عدد القادة العسكريين الذين كان لهم نفوذ قوي، وتمكنا من معرفتهم ، فقدر بـ 14 قائدا. أما عددهم خلال العصر العباسي الثاني فقدر بـ 9 قواد. وهذا ما يفسر كثرة اهتمامات القادة العسكريين وصرْفهم حتى إلى مهام إدارية الى جانب مهماتهم العسكرية. في حين أصبحت اهتمامات القادة في العصر الثاني سلطوية ومالية أكثر منها عسكرية.

. إن قوة الجند في العصر العباسي الأول ، كانت في مجموعهم كمؤسسة تخدم أهداف الخلافة ، من فتوحات ، وإخماد الفتن وحراسة حدود الخلافة . حتى القادة الذين برزوا خلال هذه الفترة خدموا مشروع الخلافة الحضاري والريادي.

. وكان لإبعاد عنصر العرب من الجندية ، وإسقاطهم من الديوان خاصة ، وإحلال محلهم العنصر التركي، دور في المآسي التي لحقت بالخلفاء العباسيين ، وبقية المجتمع.

. إن تسلط الجند الترك ممثلا في قاداته على خلفاء العصر العباسي الثاني ، وإدارة وتوجيه سياسة الدولة لما يخدم مصالحهم.

. أما عدد الحجاب الذين تمت معرفتهم خلال العصر العباسي الأول بـ 9 حجاب. في مقابل 26 حاجبا في العصر العباسي الثاني. ولكننا نجد أن الغالبية منهم كانوا من الموالي خاصة الأتراك.

. لم يكن استحواذ البطانة وتعاضم نفوذها بفعل قوتها المكتسبة. ولكن الذي ساهم في ازدياد هذا النفوذ هو ضعف شخصيات بعض الخلفاء أنفسهم. وحتى أولئك الخلفاء الأقوياء لم يكن لهم بد . بحكم وقوعهم تحت تأثير الضعف العام.

. إن دعوات إصلاح الأوضاع العامة من خارج السلطة، اقتصر على العصر العباسي الأول . ولو أخذ بالكثير مما جاء فيها لوفرت الخلافة على نفسها الكثير من المتاعب خاصة في العصر العباسي الثاني.

. وبالنظر إلى دور البطانة في توجيه السياسة الاقتصادية للدولة العباسية. فقد كان إيجابيا إلى حد كبير. خاصة في العصر العباسي الأول. إذ تقررت كثير من المقترحات في مجالي إصلاح الزراعة وجباية الضرائب. بما يعود بالنفع الوفير. واشتهرت منها ما ورد في رسالة الصحابة لابن المقفع، ورسالة عبيد الله بن الحسن العنبري، وكتاب الخراج لأبي يوسف.

. انتهجت بطانة الخلفاء العباسيين الأوائل سياسة اقتصادية حكيمة. تقضي بعدم إرهاب المزارعين بالضرائب . وذلك بوضع قواعد ثابتة لأنواع الخراج. بحسب المحصول والأرض. ومراعاة لظروف الفلاحين أثناء حصول الجوائح.

. أم في العصر العباسي الثاني، فقد تضاءلت إلى حد كبير. إلا ما نجده من محاولات فردية جادة ، مثل عملية الإصلاح الاقتصادي التي قام بها الوزير علي بن عيسى . وما أفرزت عنه من نمو وازدهار. أما ما عدا ذلك ، فقد خضعت جميع قطاعات الدولة لسيطرة الجند الفاسدين.

. كانت الدعايات والدسائس أكثر أسباب عزل الوزراء ونكبتهم في العصر العباسي الأول. مع عدم توافر قرائن صحيحة وصريحة عن معظم التهم. وكان العمل الجزائي لتلك التهم عملا جزافيا احترازيا أكثر منه إرادة العقاب. وكان التنافس والصراع محتدما على مواقع القوى بين البطانة. خاصة في العصر العباسي الثاني. فكان لكل بطانة تسعى للإطاحة بالأخرى.

. إن تحليل مسلسل النكبات المتواصلة المنزلة بالوزراء والكتاب خلال العصر العباسي الأول. يدل على سطوة الخلفاء، وتمكنهم من زمام الأمور. وهذا عنصر قوة ، بالنسبة لأي دولة فتية. إذ سرعان ما بدا الخلاف في الأطراف، وانشغلت البطانة بسفاسف الأمور، ساعده على ذلك تنامي قوة الجيش خلال العصر العباسي الثاني.

وضعف شخصيات الخلفاء ، بدأت الأمور تنحل، والدولة تتفكك . وظهرت الدويلات المستقلة. لأنه بضعف القلب ، ترتخي الأطراف وتفصل.

. إن دور النساء خاصة نساء الخلفاء وأمهاتهم أو الجوارى والقهرمانات، قد لعبن أدوارا مهمة. رغم قلة تنفيذ من نفذت من النساء. وأن الأثر السلبي لتلك النسوة خاصة في العصر العباسي الثاني ، الذي فاق في بعض الأحيان دور الوزراء والكتاب غيرهم.

. نكبة كثير من الوزراء والكتاب وقادة الجند. وحتى النساء اللواتي تدخلن في الحكم، للشبهات التي حامت حولهم. بغض النظر عن مدى صحة ما أشيع عن بعضهم. ومصادرة أموالهم التي أصبحت أحد موارد بيت المال، خاصة في عهد الوثائق والمتوكل.

## قائمة المصادر والمراجع

المصادر:

\*القرآن الكريم

- 1/ ابن الأبار محمد بن عبد الله (ت658هـ) : إعتاب الكتاب ، تح د. صالح الأشتري، ط1، 1380هـ/1961م.
- 2/ ابن الأثير أبو الحسن علي بن أبي الكرم(ت630هـ) : الكامل في التاريخ، مراجعة محمد يوسف الدقاق، ط1، 1407هـ/1987، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.
- 2/ أحمد بن علي بن حجر العسقلاني(ت856هـ): فتح الباري بشرح صحيح البخاري، تح وتص عبد العزيز بن عبد الله بن باز، دار المعرفة، د ت ، ج13.
- 3/ الأزدي: تاريخ الموصل ، تحقيق علي حبيبة ، القاهرة ، 1387هـ / 1967 م .
- 4/ الأصفهاني أبو نعيم أحمد بن عبد الله(420هـ):حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان .
- 5/ ابن أعثم الكوفي أبو محمد بن أحمد (ت314هـ) : كتاب الفتح ، تحقيق علي شيري، ط1، دار الأضواء، بيروت، 141 هـ 1991/م.
- 6/ البلاذري :أحمد بن يحيى بن جابر(ت279هـ / 892م) :أنساب الأشراف، تح وتو سهيل زكار ورياض زركلي ، ط 1، دار الفكر، بيروت، 1417 هـ / 1996م.
- 7/ ابن تغري بردي جمال الدين أبو المحاسن الأتابكي(813-874هـ): النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة ،تح إبراهيم علي طرخان،وزارة الثقافة والإرشاد القومي ،المؤسسة المصرية العامة.
- 8/ التنوخي أبو علي المحسن بن علي(ت384هـ): نشوار المحاضرة واخبار المذاكرة، تح عبود الشالجي،دار صادر بيروت،ط2،1995، ج8.
- 9/ الثعالبي أبو منصور : تحفة الوزراء، تح د.سعد أبودية ، ط1، دار البشير، عمان، 1414هـ/1994م.  
- الجاحظ أبو عثمان عمرو بن بحر بن محبوب(ت255هـ)
- 10/ التاج في أخلاق الملوك، ط1،دار نوبليس، بيروت، لبنان، 2005.
- 11/ مناقب الترك ضمن رسائل الجاحظ، تحقيق عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة ، 1384هـ/1964م.
- 12/ الجهشياري أبو عبد الله محمد بن عبدوس(ت331هـ): الوزراء والكتاب ط1،طبع بمطبعة عبد الحميد أحمد حنفي بمصر ، 1357هـ/1938.
- 13/ ابن الجوزي أبو الفرج عبد الرحمن بن علي (ت597هـ): المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، تحقيق محمد عبد القادر عطا، ومصطفى عبد القادر عطا، راجعه وصححه نعيم زرزور، دار الكتب العلمية، بيروت ،لبنان.

## قائمة المصادر والمراجع

- 14/ ابن أبي الحديد: شرح نهج البلاغة للإمام علي عليه السلام، مطبعة عيسى البابي الحلبي، مصر، 1329هـ، ج 1.
- 15/ ابن حمدون محمد بن الحسن بن علي: التذكرة الحمدونية، تح إحسان عباس وبكر عباس، ط1، دار صادر، بيروت، 1996.
- 16/ ابن حوقل أبو القاسم (367هـ): المسالك والممالك، طبع بمدينة لندن، 1872.
- 17/ الحسن بن عبد الله العباسي: آثار الأول في ترتيب الدول، مطبعة بولاق مصر، 1295 هـ.
- 18/ ابن خرداذبة أبو القاسم عبید الله بن عبد الله (نحو 280هـ): المسالك والممالك، طبع بمدينة لندن المحروسة، 1889م.
- ابن خلدون عبد الرحمن (ت808هـ):
- 19/ العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، مؤسسة جمال للطباعة والنشر، بيروت، لبنان.
- 20/ المقدمة، تح عبد الله محمد الدرويش، ط1، دار يعرب، 1425هـ/2004م.
- 21/ ابن خلكان أبو العباس شمس الدين أحمد بن أبي بكر (608-681هـ): وفيات الأعيان وأنباء الزمان، دار صادر، بيروت.
- 22/ خليفة بن خياط (ت240هـ): تاريخ خليفة، مراجعة: مصطفى نجيب فواز وحكمت كشلي فواز، دار الكتب العلمية.
- 23/ الخطيب البغدادي أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت: تاريخ مدينة السلام المعروف بتاريخ بغداد، تح بشار عواد معروف، ط1، دار الغرب الاسلامي، 1422هـ/2001م.
- 24/ الخوارزمي أبو عبد الله محمد بن أحمد (851هـ): مفاتيح العلوم، حققه ووضع فهرسه: إبراهيم الأبياري، دار الكتاب العربي، بيروت.
- 25 / الدينوري أبو حنيفة أحمد بن داود (282هـ/895م): الأخبار الطوال، تحقيق عمر فاروق الطباع، دار القلم للطباعة والنشر، بيروت، لبنان.
- الذهبي شمس الدين (ت748هـ):
- 26/ سير أعلام النبلاء، أشرف على تحقيق الكتاب شعيب الأرنؤوط، حقق هذا الجزء مأمون الصاغري، مؤسسة الرسالة.
- 27/ تذكرة الحفاظ، اعتنى بطبعه السيد علي.
- 28/ تاريخ الاسلام، تح عمر عبد السلام تدمري، ط1، دار الكتاب العربي، بيروت، 1421هـ/2000.

## قائمة المصادر والمراجع

- 29/ الرازي أبو حاتم (ت327هـ): الجرح والتعديل، تح عبد الرحمن بن يحيى المعلمي اليماني، دار بي الكتب العلمية ، بيروت .
- 30/ الزبير بن بكار(ت256هـ):الأخبار الموافقيات تحقيق سامي مكّي العاني، مطبعة العاني.  
- السيوطي جلال الدين عبد الرحمن (ت911هـ):
- 31/ تاريخ الخلفاء، ط1، دار ابن حزم ، 1424هـ/ 2003م.
- 32/ حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة، تح محمد أبو الفضل، ط1، دار احياء الكتب العربية، 1387هـ/ 1968م، ج2.
- 33/ ابن ساعي البغدادي علي بن أنجب (ت694هـ):مختصر أخبار الخلفاء، ط1، المطبعة الأميرية ببولاق مصر، 1309هـ.
- 34/ الشابشتي (ت388هـ) أبو الحسن علي بن محمد: الديارات، تح كوركيس عود، مذبعة المعارق، بغداد، 1951 .  
- الصايبي أبو الحسين هلال بن المحسن(448-359هـ):
- 35/ رسوم دار الخلافة، تحقيق ميخائيل عواد، ط2، دار الرائد، بيروت، 1406هـ/ 1986.
- 36/ تحفة الأمراء في تاريخ الوزراء، مطبعة الآباء اليسوعيين، بيروت.
- 37/ الصفدي صلاح الدين خليل بن أيبك (ت764هـ) : الوافي بالوفيات، تح أحمد الأرنؤوط و تركي مصطفى ، ط1، دار إحياء التراث العربي، بيروت ، 1420هـ/ 2000م
- 38/ ابن الصيرفي أبي القاسم علي بن منجب (ت550هـ):الإشارة إلى من نال الوزارة، تح عبد الله مخلص، طبع بمطبعة المعهد العلمي الفرنسي ، 1924.
- 39/الصولي أبو بكر محمد بن يحيى (ت335هـ): أخبار الراضي والمتقي، عني به ج.هيورث.د ن، دار المسيرة ، بيروت.
- 40/الطبري محمد بن جرير (224-310هـ) :تاريخ الطبري المسمى تاريخ الأمم والملوك ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، طبعة دار المعارف، مصر، 1966 .
- 41/ الطرطوشي أبو بكر محمد بن الوليد الفهري : سراج الملوك، 1219هـ.
- 42/ ابن الطقطقي محمد بن علي بن طباطبا : الفخري في الآداب السلطانية والدول الاسلامية، دار صادر بيروت.
- 43/ ابن عبد ربه أبو عمر أحمد بن محمد(ت368هـ) : العقد الفريد، دار الكتاب العربي، بيروت ، 1402هـ / 1982م.

- 44/ عريب بن سعد القرطبي(ت369هـ): صلة تاريخ الطبري، طبع بمطبعة بريل ، مدينة ليدن، 1897.
- 45/ ابن العماد عبد الحي بن أحمد بن محمد (ت 1089هـ) : شذرات الذهب في أخبار من ذهب، تحقيق عبد القادر الأرنؤوط ومحمود الأرنؤوط، دار ابن كثير ، دمشق.
- 45/ ابن عساكر أبو القاسم علي بن الحسن بن هبة الله(ت571هـ) : تاريخ مدينة دمشق، تح محب الدين أبي سعيد عمر بن غرامة العمري، دار الفكر، 1415هـ/1995.
- 46/ العمري ابن فضل الله (ت749هـ): مسالك الأبصار في ممالك الأمصار،تح كامل سلمان الجبوري ومهدي النجم، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 2010، ج11.
- 46/ العسكري أبو هلال (ت395هـ):الأوائل، تحقيق وضبط محمد السيد الوكيل ، ط1، دار البشير للثقافة والعلوم الإسلامية، 1408هـ/1987م.
- 47/ الغزالي ، أبو حامد(ت505هـ) : كتاب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من إحياء علوم الدين ، تقديم : رضوان السيد ، ط5، دار إقرأ ، بيروت : 1986 .
- 48/القلعي أبو عبد الله محمد بن علي(ت630هـ) :تخذيب الرياسة وترتيب السياسة،تح ابراهيم يوسف مصطفى عجو، مكتبة المنار، الأردن، ط1، 1405هـ/ 1985م.
- 49/ الفراء أبو يعلى محمد بن علي (ت458هـ): الأحكام السلطانية، صححه وعلق عليه محمد حامد الفقي، دار الكتب العلمية ، بيروت.
- 50/ الفسوي أبو يوسف يعقوب بن سفيان(ت277هـ): المعرفة والتاريخ، تح أكرم ضياء العمري، ط1، مكتبة الدار بالمدينة المنورة، 1410هـ، ج1.
- 51/ قدامة بن جعفر(ت337هـ):الخراج وصناعة الكتابة، شرح وتعليق: محمد حسين الزبيدي، دار الرشيد للنشر، بغداد، 1981.
- 52/ ابن قتيبة الدينوري أبو محمد عبد الله بن مسلم(ت246هـ) :عيون الأخبار، دار الكتب المصرية، القاهرة، 1996م.
- القلقشندي أبو العباس أحمد(ت820هـ) :
- 53/ مآثر الأناقة في معالم الخلافة،تحقيق:عبد الستار أحمد فراج، عالم الكتب، بيروت.
- 54/ صبح الأعشى،دار الكتاب المصرية،1346هـ/1928م.
- 55/ ضوء الصبح المسفر ، ط1، مطبعة الواعظ، 1321هـ/1906م.

## قائمة المصادر والمراجع

- 56/ ابن كثير أبو الفداء اسماعيل (ت774هـ): البداية والنهاية ، تح عبد الله بن عبد المحسن التركي، ط1، دار هجر، 1419هـ/1998م.
- مالك بن أنس:
- 57/ رسالة الإمام مالك بن أنس إلى الخليفة هارون الرشيد، المطبعة المحمودية بمصر، 1311هـ .
- الماوردي أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب(ت450هـ):
- 58/ أدب الوزير، صححه حسن الهادي حسين، ط2، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1994.
- 59/ الأحكام السطانية والولايات الدينية ، ط1، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، 1410هـ/1990م
- 60/ نصيحة الملوك ، تحقيق فؤاد عبد المنعم أحمد ، مؤسسة شباب الجامعة ، اسكندرية ، 1988.
- 61/ التحفة الملوكية في الآداب السياسية، تح فؤاد عبد المنعم، مؤسسة شباب الجامعة، 1993.
- 62/ مجهول من القرن الثالث :أخبار الدولة العباسية ، تحقيق عبد العزيز الدوري وعبد الجبار المطليبي ، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت.
- 63/ مجهول من القرن الثالث الهجري : العيون والحدائق في أخبار الحقائق. د ط، دت.
- 64/ محمد أشرف بن أمير العظيم آبادي: عون المعبود عن سنن أبي داود، قدم له رائد ، بيت الأفكار الدولية، عمان.
- 65/ المقدسي مطهر بن طاهر :البدء والتاريخ ،مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، د ت .
- 66/ ابن المقفع عبد الله: رسالة الصحابة، ضمن جمهرة رسائل العرب في عصور العربية الزاهرة لأحمد زكي صفوت ، المكتبة العلمية، بيروت، لبنان، ج2.
- 67/ ابن منظور محمد بن مكرم(ت630هـ) : مختصر تاريخ دمشق لابن عساكر، تح مأمون الصاغري، ط1، دار الفكر، دمشق، 1406هـ/1986م.
- المسعودي أبو الحسن علي بن الحسين (ت346هـ) :
- 68/ التنبيه والإشراف، طبع في مدينة ليدن المحروسة ، بمطبعة بريل، 1893.
- 69/ مروج الذهب ومعادن الجوهر ،راجعه كمال حسن مرعي، ط1، المكتبة العصرية صيدا، بيروت، 1425هـ/2005م. ج3،4.
- 70/ المقدسي شمس الدين محمد بن أحمد :أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، طبعة مدينة ليدن، 1877.

## قائمة المصادر والمراجع

- 71/النحاس أبو جعفر(ت388هـ): معاني القرآن الكريم، تح محمد علي الصابوني، ط1جامعة أم القرى،1408 هـ /1988م.ج1.
- 72 /النويري شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب(ت733هـ): نهاية الأرب في فنون الأدب، تح عبد المجيد ترحيني ، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1424هـ/2004م، ج22.
- 73 /الوزير المغربي أبو القاسم الحسن بن علي (ت418هـ): كتاب في السياسة ، تح سامي الدهان، منشورات المعهد الفرنسي بدمشق. 1367هـ/1948م.
- 74 /وكيع محمد بن خلف بن حيان(ت306هـ): أخبار القضاة، عالم الكتب، بيروت.
- 75 /اليافعي أبو عبد الله بن أسعد بن علي (ت768هـ): مرآة الجنان وعبرة اليقظان ، ط2 ، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، 1413 هـ /1993م.
- ياقوت بن عبد الله الحموي:
- 76 /معجم البلدان، دار صادر ، بيروت، د ت.
- 77 /معجم الأدباء، تح احسان عباس، ط1، دار الغرب الاسلامي، 1993.
- 78 /اليقوي أحمد بن أبي يعقوب بن جعفر بن وهب (ت897هـ): تاريخ يعقوبي ، تحقيق عبد الأمير مهنا ، ط1، شركة الأعلمي للمطبوعات، بيروت ، 1431هـ /2010م.
- 79 /أبو يوسف يعقوب بن إبراهيم(113-182هـ): الخراج ، ط2، المطبعة السلفية، القاهرة، 1382هـ.

## المراجع:

- 1/ آدم متز : الحضارة الاسلامية في القرن الرابع الهجري، ترجمة محمد عبد الهادي أبو زيد ، دار الكتاب العربي، بيروت، ط5.
- 2/ إبراهيم أيوب : التاريخ العباسي السياسي والحضاري ، ط1، دار الكتاب العالمي ، بيروت ، 1989.
- 3/ إبراهيم سلمان الكروي وعبد التواب شرف الدين: المرجع في الحضارة العربية الإسلامية، دار السلاسل ، 1404هـ/1984م.
- 4/ أحمد اسماعيل الجبوري : علاقة الخلافة بالعلماء في العصر العباسي الأول ، ط1، دار الفكر، عمان ، 2009.
- 5/ أحمد فريد الرفاعي: عصر المأمون، ط2، مطبعة دار الكتب المصرية بالقاهرة ، 1346هـ/1927م.
- 6/ أحمد عبد الباقي: سامراء عاصمة الدولة العربية في عهد العباسيين ، ط1، دار الشؤون الثقافية العامة، 1989م.

## قائمة المصادر والمراجع

- 7/ أحمد مختار العبادي: في التاريخ العباسي والفاطمي، دار النهضة العربية للطباعة والنشر.
- 8/ أحمد شلبي: موسوعة النظم والحضارة الإسلامية، ج3، السياسة في الفكر الإسلامي، ط7، مكتبة النهضة المصرية، 1992.
- 9/ أحمد أمين: ضحى الإسلام، الهيئة المصرية العامة للكتاب.
- 10/ الألباني محمد ناصر الدين: صحيح سنن النسائي، ط1، مكتبة المعارف، الرياض، 1419هـ/1998م.
- 11/ بشار قويدر: دور أسرة البرامكة في تاريخ الخلافة العباسية، رسالة ماجستير في التاريخ الإسلامي، جامعة الجزائر، 1985-1986.
- 12/ جرجي زيدان: التمدن الإسلامي، مراجعة وتعليق: حسين مؤنس، دار الهلال، ج2.
- 13/ جمال جودة: العرب والأرض في العراق في صدر الإسلام، الشركة العربية للطباعة والنشر، عمان، 1979.
- 14/ جواتيائين: دراسات في التاريخ الإسلامي والنظم الإسلامية، تعريب عطية القوصي، ط1، وكالة المطبوعات، الكويت، 1980.
- 15/ حمدان عبد المجيد الكبيسي: الخراج وأحكامه ومقاديره، ط1، شركة المطبوعات للتوزيع والنشر، 2004.
- 16/ حسن إبراهيم حسن: تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي، ط14، دار الجليل، بيروت، 1416هـ / 1996م.
- 17/ حسن إبراهيم حسن و علي إبراهيم حسن: النظم الإسلامية، مكتبة النهضة المصرية.
- 18/ حسن أحمد محمود وأحمد إبراهيم الشريف: العالم الإسلامي في العصر العباسي، دار الفكر العربي، القاهرة.
- 19/ حسن حنفي: موسوعة الحضارة، ط1، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، 1995، ج2.
- 20/ ديلايوست - ل.: بلاد ما بين النهرين، ترجمة محرم كمال، مراجعة عبد المنعم أبو بكر، ط2، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1997.
- 21/ رحيم كاظم محمد الهاشمي وعواطف محمد العربي شنقاروا: الحضارة العربية الإسلامية، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة.
- 22/ الزركلي خير الدين: الأعلام، دار العلم للملايين، بيروت.
- الزهراني ضيف الله يحيى:
- 23/ النفقات وإدارتها في الدولة العباسية، ط1، مكتبة الطالب الجامعي، مكة المكرمة، 1406هـ/1986م.

## قائمة المصادر والمراجع

- 24 / الوزير العباسي علي بن عيسى بن داود بن الجراح (334.245هـ / 945.859م) اصلاحاته الاقتصادية والادارية، ط1، جامعة أم القرى، 1414هـ / 1994م.
- 25 / السامرائي حسام الدين: المؤسسات الإدارية في الدولة العباسية خلال الفترة (247-334هـ / 861-945م). دار الفكر العربي.
- 26 / سعيد حوى : فصول في الإمرة والأمير، ط1، دار السلام، 1403هـ / 1983م.
- 27 / سليمان الدخيل: الفوز بالمراد في تاريخ بغداد، ط1، دار الآفاق العربية، القاهرة ، 1423هـ / 2003م.
- 28 / شاعر مصطفى : دولة بني العباس، وكالة المطبوعات ، ط1، دار الفكر، الكويت ، 1391هـ / 1971.
- 29 / صابر محمد دياب حسين : الدولة الإسلامية في العصر العباسي : قضايا ومواقف ، ط 2، دار الفكر العربي ، القاهرة ، 1422هـ / 2001م.
- 30 / صبحي الصالح : النظم الإسلامية، نشأتها وتطورها، ط 6، دار العلم للملايين، بيروت، 1982.
- 31 /نادية صقر: مطلع العصر العباسي الثاني، الاتجاهات السياسية والحضارية في عهد الخليفة المتوكل على الله(232-247هـ)، ط 1، دار الشروق، جدة، 1403هـ / 1983م.
- 32 / نخبة من الباحثين العراقيين: حضارة العراق، دار الجيل ، لبنان، 1984.
- عبد العزيز الدوري :
- 33 / أوراق في التاريخ الاقتصادي، ط4، دار المغرب الإسلامي، بيروت.
- 34 / العصر العباسي الأول، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت ،لبنان.
- 35 / تاريخ العراق الاقتصادي في القرن الرابع الهجري، ط3، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 1996.
- 36 / دراسات في العصور العباسية المتأخرة، ط3، مركز دراسات الوحدة العربية ، بيروت، 2007.
- 37 / النظم الإسلامية ، ط1، مركز دراسات الوحدة العربية ، بيروت ، 2008.
- 38 / عادل محيي الدين الألوسي: الرأي العام ي بغداد حتى القرن الرابع الهجري(195.198هـ / 813.907م)، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد ، 1987.
- 39 / عبد الجبار ناجي وآخرون: الدولة العربية الإسلامية في العصر العباسي ، مركز الإسكندرية للكتاب.
- 40 / عبدالمنعم ماجد: العصر العباسي الأول ، ط 3 ، القاهرة ، مكتبة الانجلو المصرية ، 1984 ، ج 1 .
- 41 / عمر فروخ : تاريخ الأدب العربي: الأعصر العباسية، ط4، دار العلم للملايين، بيروت، 1981.

## قائمة المصادر والمراجع

- 42/ علي حسني الخريوطي : المهدي العباسي، الدار المصرية للتأليف والنشر.
- 43/ ابن الغملاس: ولاية البصرة ومتسلموها، دار منشورات البصري، البصرة، 1962.
- 44/ غيداء خزنة كاتبي : الخراج منذ الفتح الإسلامي حتى أواسط القرن الثالث الهجري، ط 2، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 1997.
- فاروق عمر فوزي:
- 45/ الوزارة ضمن كتاب حضارة العراق، تأليف نخبة من الباحثين العراقيين، دار الجيل ، بيروت، 1984. ج 6.
- 46/ دراسات في التاريخ الإسلامي-أبحاث في النظم والسياسة خلال القرون الأولى. (دار مجدلاوي 2005، 1426هـ/2006م،
- 47/ الجيش والسياسة في العصر الأموي ومطلع العصر العباسي، ط 1، مجدلاوي، عمان، الأردن، 1425 هـ/2005م .
- 48/ العباسيون الأوائل(132-247هـ / 749-861م) ط 1، دار مجدلاوي، 2003، ج 2.
- 49/ الخلافة العباسية، السقوط والانحيار، دار الشروق ، الأردن ، 1998.
- 50/ فهد بدري محم ، حمدان الكبيسي ، مليحة رحمة الله ، فضيلة الشامي : الحضارة العربية الإسلامية ، جامعة بغداد، بغداد ، 1988 م
- 51/ فيليب حتي وآخرون: تاريخ العرب، ط 2، دار الكشاف للنشر والتوزيع.
- 52/ القيسي ناهض عبد الرزاق: النقود في العراق، بيت الحكمة، بغداد، 2002.
- 53/ ليسترنج كي : بلدان الخلافة الشرقية ، ترجمة بشير فرنسيس و كوركيس عواد ، ط 2، مؤسسة الرسالة ، بيروت، 1405 هـ / 1985 م .
- 54/ المباركفوري أبو علي محمد عبد الرحمن بن عبد الرحيم: تحفة الأحوذى بشرح جامع الترمذي، مرجعة عبد الوهاب عبد اللطيف، دار الفكر، د ت.
- 55/ محمد ابراهيم الصيحي :الحكم والادارة عند العرب ، دار العهد الجديد ، القاهرة ، 1947 م .
- 56/ محمد الحضري بك : محاضرات في تاريخ الأمم الإسلامية : الدولة العباسية، مراجعة الأستاذة : نجوى عباس ، ط 1 ، مؤسسة المختار للنشر والتوزيع ، 1424 هـ / 2003 م . + طبعة 3، دار المعرفة ، لبنان ، 1418 هـ / 1997م.
- 57/ محمد أمين صالح :النظام المالي والاقتصادي في الإسلام، ط 1 ، مكتبة نخضة الشرق، 1404هـ/1984م.

## قائمة المصادر والمراجع

- 58/ محمد جمال الدين سرور : تاريخ الحضارة الإسلامية في الشرق منذ عهد الأتراك إلى منتصف القرن الخامس الهجري، دار الفكر العربي ، القاهرة .
- 59/ محمد مصطفى الأعظمي: كتاب النبي ﷺ، المكتب الاسلامي ، بيروت ، 1987 م .
- 60/ محمد حلمي أحمد : الخلافة والدولة في العصر العباسي، ط2، مكتبة الشباب، القاهرة، 1972.
- 61/ محمد ضياء الدين الرئيس: الخراج والنظم المالية في الدولة الاسلامية، ط5، دار التراث، القاهرة، 1981.
- 62/ محمد عابد الجابري: العقل السياسي العربي، محدداته وتجلياته، ط4، بيروت، 2000.
- 63/ محمد عبد الحفيظ المناصير: الجيش في العصر العباسي الأول (132-232هـ)، ط 1 ، دار جدلاي، عمان، الأردن، 1420هـ/2000م .
- 64/ محمد عبد الحي شعبان: الدولة العباسية(الفاطيون) 132-448هـ/750-1055م، الأهلية للنشر والتوزيع، بيروت، 1981،
- 65/ محمود شاکر: التاريخ الإسلامي(الدولة العباسية) ، ط6، المكتب الاسلامي، بيروت، 1421هـ/2000، ج5.
- 66/ المدور جميل نخلة: تاريخ العراق في عهد العباسيين، ط1، دار الآفاق العربية، القاهرة ، 1423هـ/2003م.
- 67/ مشاغل علي بن أحمد: الدعوة إلى الله في العصر العباسي الأول، مشكلاتها وأساليب مواجهتها 132-232هـ ، دار العاصمة، الرياض، 1994.
- 68/ مصطفى الحيارى: مقدمة لكتاب الدواوين وصناعة الكتابة لقدامية بن جعفر، الجماعة الأردنية ، 1986.

## الرسائل الجامعية:

- 1/ ابتسام أكرم مندورة: أوضاع الدولة العباسية وعلاقتها خلال فترة حكم الخليفة المهدي (159-169هـ/774-785م)، رسالة دكتوراه ، جامعة أم القرى ، مكة المكرمة ، 1412هـ/1991م .
- 2/ أسماء عمارة: لبلاط العباسي، رسالة دكتوراه بقسم التاريخ كلية العلوم الانسانية والاجتماعية، اشراف راضي دغفوس، 2010/2009.
- 3/ خالد محمد أحمد بدوي: الحياة السياسية والاجتماعية والادارية والثقافية في عصر الخليفة المأمون ، رسالة ماجستير، قسم التاريخ جامعة عين شمس.

## قائمة المصادر والمراجع

- 4/ مؤمن أنيس عبد الله البابا: اليمارستانات في الدولة الإسلامية منذ صدور الإسلام حتى نهاية الخلافة العباسية ، (1-656هـ/622-1258م) رسالة ماجستير تحت إشراف أ. د. رياض مصطفى أحمد شاهين ، قسم التاريخ والآثار، الجامعة الإسلامية ، غزة ، 1430هـ/2009م.
- 5/ محمد بن عنيزان بن قميش العازمي: مظاهر الحياة السياسية والعلمية والاقتصادية في القرن الرابع الهجري من خلال أدب القاضي للمحسن التنوخي ، رسالة ماجستير ، قسم اللغة العربية وآدابها ، اشراف سمير محمود الدروبي، جامعة مؤتة ، 2013.
- 6/ عصام عباس محمد علي نقلي: تحليل الفكر الاقتصادي في العصر العباسي الأول ومدى الاستفادة منه في الاقتصاد المعاصر، رسالة ماجستير في الاقتصاد الإسلامي ، جامعة أم القرى ، 1413هـ/1992م.
- 16/ موسى جواد: دعوات الإصلاح السياسي والإداري والاقتصادي في العصر العباسي الأول (132-193هـ/750-808م) ، رسالة ماجستير بجامعة الامير عبد القادر للعلوم الإسلامية، اشراف د. يوسف عابد، قسنطينة ، 2011.
- المجلات والدوريات:**
- 1/ أركان طه عبد: دور الخليفة العباسي المعتصم بالله في القضاء على الأفشين ، مجلة الدراسات التاريخية والحضارية، العدد2، سنة 2009.
- 2/ حمدان عبد المجيد الكبيسي: عيسى بن موسى ، مجلة المؤرخ العربي، ع40، بغداد 1989.
- 3/ حسام الدين السامرائي: السياسة الزراعية للدولة العباسية خلال القرن الثالث الهجري، مجلة كلية الإمام الأعظم ، بغداد ، ع 2، (1394هـ/1974م)
- 4/ حسام الدين السامرائي: تطور نظام الوزارة منذ خلافة المعتصم بالله حتى دخول البويهيين بغداد، مجلة جامعة أم القرى لعلوم الشريعة واللغة العربية وآدابها، ج 18 ، ع 39 ، ذو الحجة 1427هـ.
- 5/ حسين حديس جاسم وعبد السلام جمعة محمد: كتاب الرسائل مكانتهم ودورهم في الحياة العامة للفترة (247-447هـ/861-1056م)، مجلة جامعة تكريت .
- 6/ رائد حمود عبد الحسين الحصونة: الدور السياسي والاجتماعي لنساء البلاط في عهد المقتدر بالله العباسي (295-320هـ) ، مجلة كلية الآداب جامعة ذي قار ، العدد 2، المجلد 1، سنة 2005،
- 7/ رائد محمد حامد: الاستخراج في العصر العباسي (132-334هـ/749-945م) ، مجلة أبحاث كلية التربية الأساسية ، كلية الآداب جامعة الموصل ، العدد4، المجلد 10 .

## قائمة المصادر والمراجع

- 8/ رحيم حلو محمد : التعذيب دوافعه وطرقه عند الخلفاء والولاة، للفترة 41-200هـ ، جامعة ميسان مجمع أبحاث البصرة ( العموم الإنسانية ) المجلد 33 : ، العدد 1 ، الجزء ب ، السنة 08.
- 9/ زين العابدين موسى الجعفر وآخرون: الكتابة الرسمية في صدر الإسلام- مجلة آداب البصرة، جامعة كربلاء، العدد 56، 2011.
- 10/ عاصم مراد ظاهر إبراهيم الراوي: دور المشورة في تعيين وعزل الوزراء في عهد الخليفة المقتدر بالله ، مجلة التربية والعلم ، نينوى ، مجلد 19 ، عدد 4، سنة 2012،
- 11/ عبد العزيز الدوري: الجهيزة والصيرفة في العراق في القرن الرابع الهجري، مجلة القضاء، السنة 2، العدد 5، 1943.
- 12/ عبد الوهاب خضر إلياس : ظاهرة رخص الأسعار في عهد الخليفة أبي جعفر المنصور(136.158هـ/ 774.753م) ، مجلة أبحاث كلية التربية الأساسية، العدد 4.
- 13/ ميسون بنت مزكي العنزي: نساء البلاط العباسي ودورهن في الحياة العامة(132-334هـ/ 750-944م)، رسالة ماجستير، قسم التاريخ ، جامعة اليرموك، 2011-2012.
- 14/ ناجي حسن : الأثر الاقتصادي للحياة السياسية في العصر العباسي الأول، مجلة كلية الآداب بغداد، ع71.
- 15/ نوفل محمد نوري: نظاما المساحة والمقاسمة من وجهة النظر الإدارية والفقهية ،دراسة في العصر العباسي (132-447هـ/749-1055م).
- 16/ الفضل شلق: الخراج والاقطاع والدولة: دراسة في الاقتصاد السياسي للدولة الإسلامية ، مجلة الاجتهاد ، العدد الأول ، خريف 1988، بيروت.
- 17/ قحطان صالح الفلاح : الكتاب والسياسة في العصر العباسي الأول (الفكر والممارسة) ، مجلة الفكر السياسي. الكويت.
- 18/ ضياء يوسف و سهيلة مزبان : الحجابة في الدولة العباسية، مجلة آداب البصرة، العدد 53، سنة 2010.

## المعاجم والموسوعات:

- أحمد بن محمد بن علي المقرئ الفيومي(ت770هـ) : المصباح المنير في غريب الشرح ، المطبعة الأميرية، القاهرة، 1922.
- ابن منظور : لسان العرب، تح عبد الله محمد علي الكبير و محمد أحمد حسب الله وهاشم محمد الشاذلي، دار المعارف، القاهرة.

- الجوهري اسماعيل ابن حماد: تاج اللغة وصحاح العربية، تحقيق أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين ، بيروت ، 1979، 3.

### المراجع باللغات الأجنبية:

1/ Aftab Hussain Gillani : *The administration of Abbasids caliphate ; A fateful change in the muslim History .*

2/ Amara K Bennison : *The Great Khaliphs The Golden Age Of The Abbaside E mpire ..*

4/ Georges Vajda : *LES ZINDÎQS EN PAYS D'ISLAM AU DEBUT DE LA PÉRIODE ABBASIDE. Source: Rivista degli studi orientali, Sapienza - Universita di Roma*

Vol. 17 (1937/1939),

3/ Amiri Glareh, Fatemeh Janahmadi, SHahram Yousefifar : *Abbasid Economy and Developments in Iraq during 5th and 6th AH . Salmagundi-A Quarterly Of The Humanities And Social Sciences, University, Tehran, Iran .*

5/ Hilloowala : *Women's Role in Politics in The Medieval Muslim World .*

6/ Huzaiifa Aliyu Jangebe : *Abu Muslim Al-Khurasani: The Legendary Hero of Abbasid Propaganda.*

7/ Hugh Kennedy: *The Prophet and the Age of the Caliphates: the Islamic Near East from the Sixth to the Eleventh Century, (London and New York: Longman, 1988), p. 399*

8/ Matthew S. Gordon : *The Turkish officers of Samarra and the exercise of Authority,*

9/ Michele Campopiano : *State, Land Tax and Agriculture in Iraq from the Arab Conquest to the Crisis of the Abbasid Caliphate. (Seventh-Tenth Centuries)*

Centre for Medieval Studies, 2012. University of York, UK .

10/ Nabia Abbott : *Tow Queens of Baghdad . p5*

11/ Thomas w, and others : *The Cambridge medieval History , Muslim civ during the Abbasid period, Magdolene college , Cambrige, 1923.*

12/ Udjang Tholib : *THE ECONOMIC FACTORS OF THE 'ABBASID DECLINE DURING THE BUWAYHID RULE IN THE FOURTH/TENTH CENTURY State Islamic University (UIN) Syarif Hidayatullah Jakarta, Indonesia .*

# فهرس الأعلام

- أ-  
إبراهيم الحاسب 102.  
إبراهيم بن المهدي 77.  
إبراهيم بن ذكوان 39، 99، 166.  
إبراهيم بن محمد 105.  
إبراهيم (الإمام) بن محمد 202.  
أبي بن كعب 84، 85.  
ابن الأثير 88.  
أحمد بن عبد العزيز 133.  
أحمد بن خاقان 122.  
أحمد بن صالح (القطريلي) 107، 108.  
أحمد بن سليمان بن وهب 105.  
أحمد بن طولون 107.  
أحمد بن المدبر 106.  
أحمد بن إسرائيل 32، 56، 106، 104، 217، 317.  
أحمد بن الخصيب 53، 132، 240، 242، 309.  
أحمد بن عمار 33، 49، 201.

أحمد بن أبي دؤاد 46، 47.

أحمد بن يوسف 47.

أحمد بن أبي خالد 46، 47.

إسحاق بن سليمان 75.

إسحاق بن صالح بن مجالد 100.

أسد بن عبد الله بن مالك 100.

إسماعيل بن صبيح 101، 93.

إسماعيل بن بلبل 57.

أشناس 78، 207، 208، 260، 261، 262، 280، 301.

أصفهاني أحمد بن عبد الله 72.

إفريقي عبد الرحمن بن أنعم 136، 150.

أفشين 78، 117، 207، 238، 240، 260، 300.

أمين 44، 102، 116، 128، 198، 205، 240، 241، 255.

أهيب 86

أوتامش 54، 55، 56، 77، 210، 242، 280، 314، 315.

الأوزاعي 138، 145.

إيتاخ 78، 119، 118، 208، 222، 223، 260، 261، 269، 270، 280، 311، 314.

ب -

بابك الخرمي 207.

بايكباك موسى 119.

بجكم التركي 82،82.

بدر الخرشني 227،121.

برمك 40.

البريدي أبو عبد الله أحمد 69،68.

بغا الصغير 224،211،212،79.

بغا الشرايبي 209.

بغا الكبير 224،211،118،79.

البغدادي 47.

بكنمر 119.

بكر 86،84،28،26.

بكير بن المعتمر 102.

البلاذري 229،76.

ت -

التنوخني 318.

توزون، 282،281،83،78.

ث -

ثابت بن موسى 99.

مثل القهرمانه 133،132،66.

ج-

الجرجرائي 52،53،55،

جعفر البرمكي 168،103،46،42.

جعفر بن محمد بن الأشعث 100.

جعفر بن محمود 56،55.

الجهشياري محمد بن عبدوس 291،254،229،215،214،176،166،112.

ح-

حازم بن دينار 148.

حامد بن العباس 218،195،120،111،61.

الحسن بن سهل 308،107،29.

الحسن بن قحطبة 221،77،76.

الحسن بن محمد 106،105.

الحسن بن وهب 309،57،56.

حسنج 120.

الحسين بن القاسم 65،64.

الحسين بن حمدان 59.

الحسين بن عمرو 218.

حفصة 85.

حماد 153، 263.

حمزة بن مالك 101.

حميد الطوسي 79.

حنظلة بن الربيع 85، 86.

خ-

خازم بن خزيمه 204، 216.

الخالقاني محمد بن عبيد الله 60، 356.

خالد البطين 199.

خالد بن برمك 29، 36، 40، 97، 101، 166، 167، 177، 303.

خالد بن زيد 104.

الخراساني أبو مسلم 73، 202، 204، 207، 230، 294، 296، 297، 300.

ابن خردادبه 183.

الخصيبي أحمد بن عبيد الله بن أحمد 59، 62.

الخصيبي أحمد بن عبيد الله بن سليمان 66.

خطارمش 119.

الخلال أبو سلمة 36، 164، 231.

ابن خلدون 40، 43، 167، 237، 254، 255.

الخيزران 124، 125، 126، 127، 133.

د-

الدوري عبد العزيز 50.

الدينوري 160.

ذ-

الذهبي شمس الدين 4، 59، 168، 301.

ر-

الراضي 26، 67، 68، 80، 122، 121، 172، 174، 247، 265.

الربيع بن يونس 32، 37، 92، 99، 107، 164، 165، 205، 216، 220، 221، 230، 232.

رجاء بن حيوة 27.

الرخجي 307.

روح بن زنباع 87.

ز-

زيدة 42، 127، 132.

زرافة 118.

الزيات محمد بن عبد الملك 29، 19، 50، 90، 104، 216، 310، 311.

زيد بن ثابت 85، 86.

س-

سابور بن أرشير 176.

السامري محمد بن علي 70.

سعيد بن داود 81.

سعيد بن صالح 118، 223.

سعيد بن نجران 87.

سعيد بن واقد 292.

السفاح 35، 36، 40، 73، 96، 98، 141، 230.

سفيان الثوري 148.

سلام بن سليم 116.

سلامة المؤمن 121.

سليط بن عبد الله بن العباس 296.

سليمان بن إبراهيم 317، 319.

سليمان بن الحسن بن مخلد 63، 246، 312.

سليمان بن حبيب 164.

سليمان بن راشد 102.

سليمان بن سعد الخشني 87.

سليمان بن عبد الملك 27، 87.

سليمان بن عمران 102.

سليمان بن كثير 296،232،203.

سليمان بن مجالد 98.

سليمان بن وهب 309،107،56.

سوسن الحاجب 320.

ش-

شغب أم موسى 131،130.

الشفاء بنت عبد الله 85.

الشيبياني معن بن زائدة 204.

ص-

الصابي 88.

صالح الأمين 119.

صالح بن عبد الرحمن 879.7.

صالح بن وصيف 316،315،273،211،119.

الصفار يعقوب بن الليث 285.

ط-

طاهر بن الحسين 206،170،150،77.

الطبري 240،233،155،74،40.

ابن الطقطقي 28،38،44،62.

ع-

عائشة أم المؤمنین 85.

عبد الحمید بن یحیی الكاتب 67،87.

عبد الرحمن بن عیسی بن الجراح 68،256.

عبد اللہ بن الأرقم 86.

عبد اللہ بن جبیر 86.

عبد اللہ بن طاهر بن الحسین 77.

عبد اللہ بن علی 194،202.

عبد اللہ بن عمر 103.

عبد اللہ بن مالک 126.

عبد اللہ بن محمد بن یزید 55.

عبد اللہ بن مسعود 27.

عبد الملک بن حمید 164.

عبد الملک بن مروان 220.

عبد الوهاب بن ابراهیم الامام 74،76.

عبید اللہ بن أوس 87.

عبید اللہ بن زیاد 100.

عبید اللہ بن سلیمان 58،59،60،108،170.

عبید اللہ بن عامر 27.

عبید اللہ بن محمد بن عبید اللہ بن خاقان 62.

عبید اللہ بن یحییٰ بن خاقان 53،56،237،224.

عبید معاویة بن یسار 73،92،99،151،160،188،215،232،233،291.

عثمان بن عفان 27،83،84،85.

عثمان نھیک 99.

علی بن أبی طالب 84،85.

علی بن

عیسیٰ 63،64،90،99،111،123،173،174،191،192،194،195،197،237،286،

29،34،60.

علی بن موسیٰ 77.

علی بن ہشام 299.

علی بن یقطین 96،100.

عمار بن یاسر 27.

عمارة بن حمزة 95.

عمر بن الخطاب 27،86،254.

عمر بن بزيع 93،95،100.

عمر بن زيد. 85.

عمر بن عبد العزيز 27، 87.

عمر بن فرج 103، 317.

عمر بن مطرق 99

عمرو بن العاص 27.

عمرو بن سعيد 86.

عمرو بن مسعدة 92، 102.

العنبري عبید الله بن الحسن 138

عیسی بن داود بن الجراح 105.

عیسی بن فرخان شاه 55.

عیسی بن موسی 73، 74، 204، 205.

عیسی بن نجیح 116

ف-

فارس بن الزنداق 124.

الفضل بن

الربیع 43، 44، 101، 116، 117، 169، 221، 236، 277، 240، 241، 294، 304.

الفضل بن العباس 206.

الفضل بن جعفر 65، 81.

الفضل بن روح 76.

الفضل بن سلیمان 98.

الفضل بن سهل 29،33،43،44،45،46،92،240،255،298.

الفضل بن محمد بن الفرات 274.

الفضل بن مروان 31،49،90،102،104،201،238،239.

الفضل بن يحيى 28،42،168.

الفيض بن أبي صالح 39.

ق-

القاسم بن عبيد الله بن وهب 59،109.

القاهر 66،120،124،175،212،227،265،

قبيحة 79،128،273.

قدامة بن جعفر 109.

القراريطي 67،68،69،247.

القلقشندي 85.

ك-

كاوس 45.

الكرخي محمد بن القاسم بن عبيد الله 68،81.

كسرى 26.

أم كلثوم 84.

الكلوذاني عبيد الله بن محمد 63،173،246.

الكوفي أبو عبد الله 69.

م-

مازيار 300.

مالك بن أنس 139، 140.

ماكان بن كالي 82.

مأمون 155، 158، 191، 240، 241، 242، 255،

48، 50، 76، 77، 92، 96، 102، 103، 117، 128، 28، 33، 43، 44، 46، 47.

ماني 290.

مزدك 290.

الماوردي 29، 32، 150، 176، 181.

المتوكل 78، 103، 106، 118، 129، 209، 264، 269، 270، 271، 272.

المتقي 69، 81، 121، 282.

مراحل 128

مرداويج 82.

مروان بن محمد 87.

محمد بن أحمد بن أبي دؤاد 105.

محمد بن إسحاق 33.

محمد بن العلاء 103.

محمد بن جميل 99.

- محمد بن حماد بن دنقش 117.
- محمد بن خالد بن برمك 116.
- محمد بن داود بن الجراح 109.
- محمد بن رائق 80، 81، 121، 173، 174، 213، 281،
- محمد بن سليمان 109.
- محمد بن سعيد 111.
- محمد بن ياقوت 120.
- محمود بن عبد الكريم 102.
- المستعين 54، 58، 118، 119، 209، 230، 265، 283.
- المستكفي 70، 81، 121، 282.
- ابن مسكويه 192.
- معاوية بن ابي سفيان 84، 87، 95.
- المعتز 55، 79، 105، 128، 209، 210، 218، 272، 274، 312.
- المعتصم 31، 49، 50، 53، 54، 77، 78، 91، 97، 103، 117، 201، 238، 260، 261.
- المعتضد 56، 57، 60، 107، 108، 119، 169، 213.
- المعتمد 56، 57، 60، 107، 108، 119، 242.
- المقتدر 33، 59، 61، 65، 110، 111، 130، 130، 248.
- المكتفي 59، 60، 110، 120، 170، 212، 218.

المنتصر 53، 242، 264، 265، 270، 289.

المنصور 158، 160، 164، 181، 183، 290، 303، 148، 153، 155، 147، 144، 145،

143، 32، 35، 36، 37، 41، 73، 74، 98، 115، 124، 135، 137،

ابن المقفع عبد الله 135، 136، 141، 142، 143، 151، 153، 154، 157.

منكجور 211.

المهتدي 56.

المهدي

95، 99، 116، 125، 148، 149، 150، 155، 160، 177، 190، 239، 260، 261، 292،

29، 35، 37، 41، 73، 74،

المورياني أبو أيوب 36، 164، 206، 215، 220، 230، 238، 251، 252، 254، 291.

مؤنس الخادم 65، 80، 120، 121، 250.

موسى بن أحمد بن أبي دؤاد 105.

موسى بن عبد الملك 105.

موفق 57، 58.

ن-

نازوك 211.

نجاح بن سلمة 119، 118، 223.

نجاحشي 26. نصر القشوري 120. نصر بن سيار 38. نصر بن مالك 99.

نصر بن منصور 102.

هـ -

هادي 35، 37، 39، 43، 75، 124، 126، 166.

هارون الرشيد

، 31، 34، 40، 41، 43، 75، 93، 96، 101، 102، 124، 126، 146، 155، 161، 181.

هرثة بن أعين 75، 76، 125، 205، 298.

هشام بن عبد الملك 219.

و -

الواثق 104، 106، 117، 169، 182، 208، 216، 222.

وصيف 59، 79، 80، 118، 118، 209، 242، 269، 315.

ي -

يارجوخ التركي 119. ياقوت 120.

يحيى البرمكي 31، 34، 41، 43، 73، 75، 101، 125، 126، 167، 168.

يحيى بن أكثم 169، 48، 320، 212.

يحيى خاقان 13، 105، 308، 320.

يزيد بن الفيض 98. يزيد بن يزيد الشيباني 125.

يعقوب بن داود 29، 38، 39، 73، 165، 200، 233، 234، 236، 292، 293، 303، 307.

يقطين بن موسى 296.

أبو يوسف 139، 140، 151، 156، 159، 160، 177، 184، 185، 188، 200.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

# فهرس الأماكن

<p>ب- بادوريا 43. باذغيس 76. برقة 195. البصرة 215، 206. 286. بغداد 198، 183، 168، 103، 79، 63، 60، 48، 38.</p>	<p>ا- أذربيجان 301، 252، 168، 41، 40. أردن 104، 32. أرمينية 301، 168، 74. أشروسنة 45. أفريطش 54 افريقية 41. أنبار 204، 152. أهواز 206، 195، 193.</p>
<p>ح- الحجاز 284. حران 100. الخميمة 202، 71.</p>	<p>ج- الجبال 206. الجزيرة 284، 206، 42. الجعفرى 105.</p>
<p>ف- فارس 206، 184، 124، 65، 44، 40.</p>	<p>خ- خراسان 103، 45، 38. خليج 201.</p>
<p>ر- الروم 209، 207، 180، 75. الري 236، 215، 178، 40. س- سامراء 270، 264، 209، 103. السواد 206، 155، 154، 152، 100، 76.</p>	<p>د- دمشق 106، 104، 77، 74، 65. ديار بكر 107. ديار ربيعة 193، 107. ديلم 65. ديناوند 40. ز- الزاب 296.</p>

ش- الشام 285,250,206,153,106,105,85,6 5,42 شهرزور 195	ص- الصامغان 195 صرصر 206 الصين 178
ط- طبرستان 76,40	ع- العراق 283,215,106,86,85 عمورية 264,76
ف- فارس 206,184,124,85,44,40 الفسطاط 197	ق- القاطول 264 قسطنطينية 221 قومس 168 القيروان 205,73
ك- كابل 73 كرمان 196 كسكر 206 الكوفة 205,204,123,117,73,43 ه- الهند 178	م- المحوزة 270 ماه البصرة 71 المتوكلية 270 المدائن 206 المدينة 147,117,85 مرو 48 مصر 207,205,168,117,85,74,73,65,55 المغرب 206,107,74,65 ملطية 72 الموصل 288,214,65,40 الموقفية 285
ي- اليمن 208,123,76 و- واسط 226,195,119,79	

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

# فهرس القبائل والمذاهب

أ-

أوس 85.

أترك (الترك)

56، 103، 117، 178، 247، 259، 264، 269، 270، 273، 274، 279، 280، 314.)

72، 260، 261، 263.)

أزد 104.

أشروسنية 260، 316.

أعاجم 282.

أفارقة 245.

أمويون (بنو أمية) 36، 252.

ب-

بيزنطيون 41، 193، 205.

بويه (بنو) 70، 277.

بابلية 284.

ت - ترك

خ - خزرج 85.

روم 40، 72.

ز-

زط 75.

زنج 284،285.

س-

بنو ساعدة 27.

بنو سهل 44،89.

ش-

شيعه 39.

شطار 287.

ط-

طالبيين 102.

ع-

عباسيون ( بنو العباس) 28،45،200،202،275.

عبيديون 77.

علويون 303.

ف-

فرس 26،85،144،168.

فرغانية 260.

فرنجة 72.

ق- قرامطة 225،267،284،285.

م-

مانوية 290.

مجوس 301.

آل محمد 231.

مروانية 202.

مزدكية 290.

مصافية 278.

مضربون 73.

موالي 292، 286، 272، 58.

و-

آل وهب 106، 29.

ي-

يمنية 168.

يهود 195.

## فهرس الموضوعات

ص	فهرس الموضوعات
1	شكر وتقدير
2	إهداء
3	مقدمة
19	تمهيد
25	الفصل الأول: البطانة الأولى: وزراء الخلفاء العباسيين المهام والوظائف (132-334هـ/749-946م)
27	أولاً: تاريخ الوزارة والوزراء قبل العصر العباسي..
27	1/ الوزير في الدولة العباسية مكانته ومهامه
28	2/ شروط وصفات اختيار الوزراء
31	3/ مهام الوزير
36	ثانياً: وزراء خلفاء العصر العباسي الأول: المهام والوظائف ( 132-232هـ-749-847م)
36	أ- وزراء أبي العباس السفاح:(132-136هـ / 750-753 م )
36	ب- وزراء أبي جعفر المنصور(136-158هـ/754-775م)
37	ت- وزراء الخليفة المهدي(158-169هـ /775-786م)
39	ث- وزراء الخليفة الهادي(169-170هـ /786-788م)
40	ج- وزراء الخليفة هارون الرشيد (170.193هـ/786.808م)
44	ح- وزراء الخليفة الأمين(193-198هـ /808.813م)
44	خ- وزراء الخليفة المأمون(198-218هـ /813-833م)
49	د- وزراء الخليفة المعتصم بالله (218 - 227 هـ / 808 - 841 م)
50	ذ- وزير الخليفة الواثق: (227.233هـ /842.847م)
52	ثالثاً/ وزراء العصر العباسي الثاني: التصنيف و المهام (232-334هـ /847.945م)
52	أ- وزراء الخليفة المتوكل(232 - 247 هـ / 847 - 861 م)

53	ب- وزراء الخليفة المنتصر (247 - 248 هـ / 861 - 862 م)
55	ت- وزراء الخليفة المستعين (248 - 252 هـ / 862 - 866 م)
55	ث- وزراء الخليفة المعتز (252 - 255 هـ / 866 - 869 م)
56	ج- وزراء الخليفة المهدي (255 - 256 هـ / 869 - 870 م)
56	ح- وزراء الخليفة المعتمد على الله: (256 - 279 هـ / 870 - 892 م)
58	خ- وزراء الخليفة المعتضد (279-289 هـ / 892-902 م)
58	د- وزراء الخليفة المكتفي (289 - 295 هـ / 902 - 908 م)
59	ذ- وزراء الخليفة المقتدر (295 - 320 هـ / 908 - 933 م)
66	ر- وزراء الخليفة القاهر (320 - 322 هـ / 933 - 934 م)
67	ز- وزراء الخليفة الراضي (322 - 329 هـ / 934 - 944 م)
68	س- وزراء الخليفة المتقي (329 - 333 هـ / 940 - 944 م)
70	ش- وزراء الخليفة المستكفي (333-334 هـ / 944-946 م)
70	<b>الفصل الثاني: قادة الجند العباسي: التصنيف و المهام.</b>
71	أولاً: قادة الجند في العصر العباسي الأول وأصولهم الاجتماعية (132-232هـ/749-847م)
71	ا- في خلافة أبو العباس السفاح
71	ب- في خلافة أبي جعفر المنصور
75	ت - في خلافة المهدي
75	ث - في خلافة هارون الرشيد
77	ج - في خلافة المأمون
77	ح - في خلافة المعتصم
79	ثانياً: سيطرة العنصر التركي على قيادات الجيش في العصر العباسي الثاني: 232-334هـ-847-945م
79	ا - في خلافة المتوكل
80	ب - في خلافة المقتدر
80	ت - في خلافة القاهر
80	ث - في خلافة الراضي
81	ج - في خلافة المستكفي

81	ح - في خلافة المتقي لله
83	الفصل الثالث: كتاب الخلفاء العباسيين :التصنيف و المهام.
84	1-تمهيد: الكتابة والكتاب في عصر صدر الإسلام والدولة الأموية.
88	2/تطور الكتابة ومهام الكتاب في العصرين العباسيين الأول والثاني(132-334هـ/749-945م)
88	ا/ تقريب الخلفاء للكتاب.
88	ب/ صفات الكتاب وشروط اختيارهم وتوليتهم.
90	ج/ حقوق الكتاب وأرزاقهم.
91	د- تخصصات الكتاب حسب الدواوين .
96	3/ كتاب خلفاء العصرين العباسيين الأول والثاني (132-334هـ/749-945م): المهام والوظائف.
96	أولا : كتاب خلفاء العصر العباسي الأول(132.232هـ/ 749-847م) المهام والوظائف.
96	ا- كتاب الخليفة أبي العباس السفاح
97	ب - كتاب الخليفة المنصور
98	ت - كتاب الخليفة المهدي
99	ث - كتاب الخليفة موسى الهادي
100	ج - كتاب الخليفة هارون الرشيد
101	ح - كتاب الخليفة الأمين
101	خ - كتاب الخليفة المأمون
102	د - كتاب الخليفة المعتصم
103	ذ- كتاب الخليفة الواثق
104	ثانيا : كتاب خلفاء العصر العباسي الثاني(232-334هـ/847-946م) المهام والوظائف
104	ا- كتاب الخليفة المتوكل
106	ب- كتاب الخليفة المعتمد
107	ت- كتاب الخليفة المعتضد
108	ث- كتاب الخليفة المكتفي
109	ج- كتاب الخليفة المقتدر
110	ح- كتاب الخليفة الراضي

112	الفصل الرابع: الحجاب : تصنيفهم ومهامهم في البلاط العباسي.
112	أولا/ تمهيد: الحجابة والحجاب قبل العصر العباسي
115	ثانيا/ مكانة الحجاب ومهامهم و وظائفهم في العصرين العباسيين الأول والثاني (132-334هـ /749-946م)
115	I. / حجاب خلفاء العصر العباسي الأول مهامهم ووظائفهم (132.232هـ / 749.847م)
115	ا- حجاب الخليفة المنصور
116	ب- حجاب الخليفة المهدي
116	ت- حجاب الخليفة الرشيد
116	ث- حجاب الخليفة الأمين
117	ج- حجاب الخليفة المأمون
117	ح- حجاب الخليفة المعتصم
117	خ- حجاب الخليفة الواثق
118	II. / حجاب خلفاء العصر العباسي الثاني مهامهم ووظائفهم (132.232هـ / 749.847م)
118	ا- حجاب الخليفة المتوكل
117	ب، ت- حجاب الخليفة المنتصر والمستعين
117	ث- حجاب الخليفة المعتز
117	ج- حجاب الخليفة المهدي
119	ح- حجاب الخليفة المعتمد
119	خ- حجاب الخليفة المعتضد
120	د- حجاب الخليفة المكتفي
120	ذ- حجاب الخليفة المقتدر
120	ر- حجاب الخليفة القاهر
121	ز- حجاب الخليفة الراضي
121	س- حجاب الخليفة المتقي
122	ش- حجاب الخليفة المستكفي
123	الفصل الخامس: النساء وتأثيرهن على الخلفاء العباسيين.
124	أولا/ تأثير النساء في توجيه سياسة خلفاء العصر العباسي الأول(132.232هـ / 749.847م)

124	1/ الخيزران
127	2/ زبيدة بنت جعفر
129	ثانيا/ تأثير النساء على خلفاء العصر العباسي الثاني(232-334هـ/847-946م)
128	3/ دور قبيحة زوجة المتوكل
130	4/ السيدة "شغب" أم موسى
132	5/ ثمل القهرمانة
	<b>الباب الثاني : الأدوار الايجابية والسلبية للبطانة في توجيه سياسة الخلفاء العباسيين - سياسيا واقتصاديا- ونتاجها.</b>
134	<b>الفصل الأول: البطانة: صلاحياتها وعلاقتها بالخلفاء من خلال دعوات الإصلاح.</b>
135	أولا: دعاة الإصلاح :
135	1/ عبد الله بن المقفع ودعوته إلى الإصلاح في رسالة الصحابة إلى الخليفة المنصور.
136	2/ عبد الرحمن بن أنعم الإفريقي ودعوته الخليفة المنصور إلى الإصلاح.
137	3/ عمرو بن عبيد ودعوته الخليفة المنصور إلى الإصلاح.
138	4/ نصيحة عالم مجهول بمكة للمنصور للإصلاح .
138	5/ الإمام الأوزاعي: ودعوته إلى الإصلاح في رسالته إلى الخليفة المنصور.
138	6/ عبيد الله بن الحسين العنبري ودعوته إلى الإصلاح في رسالته إلى الخليفة المهدي.
139	7/ موعظة الإمام مالك بن أنس في رسالته إلى الخليفة هارون الرشيد وما تتضمنه من دعوة إلى الإصلاح.
139	8/ أجوبة أبي يوسف القاضي في رده على هارون الرشيد في: "كتاب الخراج" وما يتضمنه من مقترحات إصلاحية .
139	9/ دعوة أديب لوزير.
140	ثانيا: وقفة مع مضامين الدعوات الإصلاحية.
140	<b>I - إصلاح الحكم والعدالة وحسن اختيار من يتولون إدارة الدولة.</b>
141	1-الدعوة إلى اختيار البطانة الصالحة وإصلاح السيئة منها.
143	2-ابن المقفع وخصائص الرجال الذين يستعان بهم في خدمة الدولة.
143	3-التحذير من البطانة السيئة .
146	4-تسهيل الحجاب وعدم الاحتجاب.

148	5- الدعوة إلى إقامة العدل .
149	6-تقريب العلماء وأصحاب الرأي .
150	7-ضرورة اختيار المستشارين و قبول المشورة.
151	II - قضايا الاقتصاد والمالية.
152	1- دعوات الإصلاح المالي والجبائي.
158	2- مقترح نظام المقاسمة كإصلاح جبائي وزراعي وتطبيقاته.
163	<b>الفصل الثاني: منجزات الخلفاء الإيجابية وأثر البطانة في ذلك في العصرين العباسيين الأول والثاني: (132-334هـ / 749-946م)</b>
164	أولا-المنجزات السياسية للخلفاء ووزرائهم .
164	ا- في العصر العباسي الأول(132-232هـ / 749-847م) :
170	ب- في العصر العباسي الثاني (232-334هـ / 847-946م):
176	ثانيا: المنجزات الاقتصادية.
176	I - إدارة الموارد المالية .
176	1/ الخراج : ا- تعريفه، ب - جبايته .
178	2/ توابع الخراج .
179	3/ الجزية.
180	4/ الصدقات.
181	5/ المصادر .
182	6/ المستغلات .
183	II -السياسة الاقتصادية وأساليب الجباية .
183	1/ الأساليب المعتمدة في جباية الضرائب.
184	أ- الأسلوب الأول: اعتماد نظام القبالة -التقبل - ( الضمان).
186	ب- الأسلوب الثاني: طريقة الإلزام .
187	ج- الأسلوب الثالث: نظام الإقطاع.
188	2/ دراسة مقارنة بين نظامي الجباية: المساحة (القديم) والمقاسمة(الجديد).
191	3/ إصلاحات الوزير علي بن عيسى المالية والزراعية في العصر العباسي الثاني

197	4 / تقييم دور البطانة في توجيه السياسة المالية لبطانة الخلفاء العباسيين الأوائل.
202	ثالثا: آثار ومنجزات قادة الجيش في توجيه سياسة الخلفاء.
202	ا/ أدوار قادة الجند العباسي في العصرين الأول: (132-232هـ/749-847م)
208	ب/ أدوار قادة الجند في العصر العباسي الثاني (232-334هـ/847-946م)
214	رابعا - آثار ومنجزات الكتاب في العصر العباسي الأول والثاني (132-334هـ/749-946م)
214	ا/ في العصر العباسي الأول (132-232هـ/749-847م)
217	ب/ في العصر العباسي الثاني (232-334هـ/847-946م)
219	خامسا: آثار ومنجزات الحجاب في العصر العباسي الأول والثاني (132-334هـ/749-946م)
228	الفصل الثالث: الآثار السلبية لسياسة البطانة في عهد خلفاء العصر العباسي الأول والثاني (132-334هـ/749-946م):
229	أولا - المساوى السياسية لتدخل الوزراء والكتاب والحجاب
229	ا/ في العصر العباسي الأول (132.232هـ/749-847م)
229	1/ الدسائس والمؤامرات مظاهر وأشكال:
229	-1-1/ السعاية والإطاحة بالوزير الموراني
230	-1-2/ المنافسة بين الوزير الخلال والقائد أبي مسلم الخراساني
232	-1-3/ إسقاط الوزير أبي عبيد الله معاوية بن يسار
233	-1-4/ تأليب موالي الخليفة المهدي على وزيره يعقوب بن داود
236	-1-5/ نكبة البرامكة أسبابها ودوافعها
237	-1-6/ تأليب المضحك الهنفي للمعتصم على وزيره الفضل بن مروان
240	-1-7/ دور البطانة في إذكاء الفتنة بين الأخوين الأمين والمأمون
242	-1-8/ الحسد والوشاية وتلفيق التهم
243	ب/ في العصر العباسي الثاني (232.334هـ/847-946م)
243	1 / انفصال السلطة السياسية عن السلطة الروحية. الخلافة.
240	2/ الدسائس والمؤامرات مظاهر وأشكال:
244	-2-1/ بداية تعيين الأتراك للوزراء
244	-2-2/ وقوع الوزير علي بن عيسى تحت ضغوط الحاشية والجند

245	-2-3/ضعف الوزارة وكثرة عزل الوزراء
247	-2-4/صراع أجنحة البطانة
249	-2-5/الصدام بين الجيش والإدارة
251	ثانيا- المساوى الاقتصادية لتدخل الوزراء والكتاب والحجاب
251	ا/ في العصر العباسى الأول(232.132هـ / 847.749م)
251	1/ الفساد المالى واستغلال المنصب
252	2/ إرهاب الفلاحين بالضرائب
253	3/ ظاهرة التضخم النقدي في بدايات العصر العباسى الأول.
256	4/ الأزمات الاقتصادية بسبب الفتن والحروب
257	ب- في العصر العباسى الثانى (334.232هـ / 946.847م)
257	1- فساد الوزراء ونيل المناصب الرفيعة بالرشاوى.
259	2- إغراق الخلافة بالمال الفاسد:
260	ثالثا- المساوى السياسية للبطانة العسكرية
260	أ - فى العصر العباسى الأول:
260	1- سياسة الاستكثار من الجند الترك.
257	2- فشل سياسة المعتمص العسكرية.
263	ب- فى العصر العباسى الثانى: (334.232هـ / 946.847م)
264	1- عزل قادة الجند للخلفاء وتعذيبهم وقتلهم.
266	2-عزل قادة الجند للوزراء والكتاب وتعذيبهم وقتلهم.
267	3- احتكار المؤسسة العسكرية للسلطة السياسية.
268	4- بداية تنصيب وعزل وقتل الجنود الأترك للخلفاء.
271	5-التنافس والصراع على النفوذ فيما بين القيادات العسكرية.
273	6- فساد الجنديّة والإدارة معا.
275	رابعاً- المساوى الاقتصادية للبطانة العسكرية فى العصر العباسى الثانى(334.232هـ / 946.847م)
275	1/ مصادرة قادة الجند للخلفاء والوزراء والكتاب.
276	2/ تزايد عطاءات الجيش ونشوء الإقطاع العسكري.

278	3/ شغب الجنء ومطالبهم بأرزاق سنة إضافية.
279	4/ إفلاس الخزينة وتقلص ضياع الخلافة.
279	5/ توكيل قادة الأتراك عن إءارءهم العسكرية والانصراف لتكوين الشرة:
280	6/ استبءاء أمير الأمراء باقتصاد الخلافة ومؤسساتها.
282	7/ مشكلة غلاء الأسعار
283	8/ الأزمات الاقتصادية بسبب الفتن والحروب
288	<b>الفصل الرابع : الإجراءات العقابية المسلطة على البطانة الأسباب والمظاهر.</b>
289	أولاً/ أسباب هذه العقوبات
289	1- الأسباب الاقتصادية.2- الأسباب السياسية.3- الأسباب الدينية.
290	4- أسباب أخرى(المآخذ والاءهامات):
290	ءانيا/ مظاهر هذه العقوبات :
290	1- في العصر العباسي الأول(232.132هـ/847.749م)
290	1-1- العزل أو الحبس والءعذيب أو القتل ( للوزراء-لقادة الجنء- للءتاب)
290	أ/ للوزراء والءتاب:
294	ب/ لقادة الجنء:
294	* الإءاحة بأبي مسلم الخراساني وءتله
298	* اءءيال القاءء هرءمة بن أعين
299	* معاقبة المأمون للقائد علي بن هشام
299	* المصير المؤسف للقائد عءيف بن عنبسة
300	* محاكمة الأفشين ونهايته المؤلمة
301	1-2- المصادرات المالية والعقارية لرجال البطانة
298	أ/ نكبة الوزراء ومصادرات ممتلكاءهم
302	ب / نكبة الءتاب ومصادرة ممتلكاءهم وحبسهم
307	2- في العصر العباسي الءاني (334.232هـ/946.847م)
311	1-2- العزل أو الحبس والءعذيب أو القتل ( للوزراء-لقادة الجنء- للءتاب)
	أ/ للوزراء والءتاب:
314	ب/ لقادة الجنء :

314	* قتل القائد ايتاخ
314	* قتل القائد أوتامش
315	* قتل القائد وصيف
315	* قتل القائد صالح بن وصيف
316	3- المصادر المالية والعقارية لرجال البطانة
316	ا/ نكبة الوزراء ومصادر ممتلكاتهم
319	ب / نكبة الكتاب ومصادر ممتلكاتهم وحبسهم
322	خاتمة
327	فهرس المصادر والمراجع
341	فهرس الأعلام
358	فهرس الأماكن
361	فهرس القبائل والمذاهب
365	فهرس الموضوعات
376	ملخص الرسالة
377	<b>Abstract</b>
378	<b>Résumé</b>

## الملخص:

استعان العباسيون على مدى قرنين من الزمن ببطانات مختلف الاصناف (وزراء، كتاب، قادة جند، حجاب). وكان لهم الاثر البارز سياسيا واقتصاديا . لا سيما في العصر العباسي الأول. حيث ازدهرت بهم الحياة السياسية والفكرية. ونمت الحركة الاقتصادية. وانطبع ذلك التوافق بين الخلفاء وبطاناتهم على انتظام المجتمع وسيرورته. بعكس ما حصل في العصر العباسي الثاني. الذي تراجعت فيه مؤسسات الخلافة ، وأصبحت صورية. بسبب تسلط قادة الجند الترك على الخلافة. وتغلغلهم في مفاصل الدولة العباسية. وازدادت الأوضاع سوءا بحلول فترة إمرة الأمراء (324هـ/935م) وانتهت باستيلاء عنصر جديد على الخلافة ، وهو البويهيون سنة 334هـ/946م.

## Abstract :

*The early Abbassids depended on a lot of kinds of Retinue( ministers, writers, army leaders and doormen) for two centuries. They acted effectively in policy and economy. especially in the first abbassid era (132-232h/749-847ad). So the political and the cultural sides were developed very well , and the economy was increased.*

*That impressed agreement between the Caliphs and their Retinues in a such well-organized society. Whereas , in the 2<sup>nd</sup> Abbasside ra (232-334h/847-946ad) nearly, all the establishments of the caliphate were increased and become formal. Because of the domination of the army commanders on the caliphate .*

*As a result, the living conditions decreased in all the abbassid state , by the period of IMRET AL\_UMARA (324h/935ad). Which finished by the coming of a new member dominated on the caliphate called THE BOUWAIHIDS in 334h/946ad.*

## Resumé :

*Les Abbassides ont soutenu aux partisans différents. Comme les ministres , les auteurs, les commandants d'armés. Qui ont le role positif dans la vie politique et économique, spécialement durant la première période Abbasside. Ils ont laissé une trace positive selon les cotés culturelles et sociales.*

*Grasse à cet accord entre les caliphs et ses partisans , tout les domaines de vie développés en utilisant les messages de reforme, qu'ont organisés les relations dans la société. Parcontre, pendant la 2<sup>ème</sup> Période Abbasside l'establisments sont détériorées et deviennent formelles. À cette période , la situation s'est aggravée soit au niveau du pouvoir ou du société.*

*Finalement, le statut s'est terminé avec une nouvelle domination d'un élément connu par «les bowaihides » en 334h/946Ad.*